جامعـة الجزائـر 2

- أبوالقاسم سعد الله -

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الحياة الادبية في دولة المناذرة

من القرن الثالث الميلادي إلى سنة 632 ميلادية

رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراة في التاريخ القديم

إعداد الطالب : عمر كيحل

إشراف : ا. د محمد الحبيب بشاري

السنة الجامعية : **2016 - 2017**

جامعـة الجزائـر 2

- أبوالقاسم سعد الله -

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الحياة الادبية في دولة المناذرة

من القرن الثالث الميلادي إلى سنة 632 ميلادية

رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم

- أعضاء لجنة المناقشة :

- أ.د / رحماني بلقاسم .....جامعة الجزائر 2.....رئيسًا

- أ.د / بشاري محمد الحبيب .....جامعة الجزائر2.....مشرفاً ومقرّرًا

- د / رمضاني ام هاني .....جامعة الجزائر2.....عضوًا

- د / بن علال رضا .....المدرسة العليا للاساتذة - بوزريعة -.....عضوًا

- د / جراية رشدي .....جامعة الوادي .....عضوًا

إعداد الطالب : عمر كيحل

السنة الجامعية : **2016 - 2017**

ERROR: undefined
OFFENDING COMMAND: low

STACK:

-mark-
/fathah

إهداء

إلى التي حملتني وهنًا بعد وهنٍ ...
وقلّمت أظفاري في كلّ حينٍ...إليكِ ياأمّي.
إلى الذي أفنى حياته لحياتنا...
الفاضل الذي أفتقده...إلى روح أبي.
إلى التي تشاركني الحياة التي
أحياها...إليكِ زوجتي.
إلى مهجتي ورياحين قلبي...أبنائي:أنس ومريم ووصال.

كلمةُ شُكر

نسدي شكرنا وامتناننا للأستاذ الدكتور الفاضل بشاري محمد الحبيب على صبره وتوجيهه ومرافقته القيّمة لهذا العمل،وسهره على إخراجه أحسن الإخراج طيلة سنوات البحث .
كما نشكر الاستاذ الدكتور رحماني بلقاسم على توجيهاته،ونشكر كلّ من ساعدنا من قريبٍ أو بعيدٍ في اتمام هذا البحث...
أو ساهم بأيِّ شكلٍ في ذلك .

مقدّمة :

يمثّل تاريخ المناذرة بشكلٍ عام،وخصوصًاما تعلق منه بالجانب الثقافي،جزءًامهمًّا من تراث المجتمع العربي القديم،وتشكّل الحياةالأدبية في هذاالمجال عماد ذلك التراث والأساس الذي يقوم عليه.ومبنى كل تحضّر لأمة من الأمم هو مدى إهتمامها بالأدب والثقافة،وعلى مقدار تشبّعها بمادّتهما يرتفع قَدرها ويستبين شأنها في التاريخ .وبذلك يسمو ذكرمجتمعها بين المجتمعات وتسود أمّتها بين الأمم.

ولما كان تاريخ دولة المناذرة مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بمادة الأدب بكلّ روافدها وعناصرها،وعلى رأسها ديوان العرب ومنتهى مبلغهم من الفصاحة والإبداع الفني الأدبي،ممثلاً في الشعرالذي احتوى في صلب مادته الى جانب الوصف الأدبي والتصويرالفني،مادة اخرى لا تقلّ أهمية،وهي التاريخ المبثوث في ثنايا القصائد والقصص والخُطب التي تناقلها العرب على مدى تاريخهم .

وشكّلت دولة المناذرة الحيّزالأمثل لتفاعل عناصر تلك الحياة الادبية،وبالضبط في بلاط ملوكها،منذ القرن الثاني الميلادي،حتى أفول دولتهم في 632 م .

ونتناول في هذه الدراسة عن الحياة الأدبية في دولة المناذرة،مدى ارتباط مكونات تلك الحياة ببعضها ومايفرزه تطوّرها من زخمٍ ألقى بظلاله على منطقة شبه الجزيرة العربية على مرّ تاريخ الدولة.

وعلاقة ذلك بالحياة العامّة التي يحياهاالمجتمع الحيري،وتأثيرهاعليه في فترةٍ زمنيةٍ تقارب خمسة قرونٍ.

ومن هذا المنطلق،يمكنناأن نتبيّن أهمية الموضوع،في كونه :

1- يوضّح علاقة الحياة الأدبية بالحياة العامة التي يحياها الفرد في دولة المناذرة .

2- يكشف النقاب عن دورملوك المناذرة في ترسيخ وإثراء وتشجيع تفاعل عناصر تلك الحياة الأدبية.

3- يميط اللّثام عن دورالحياة الأدبية ومكوّناتهامن شعرٍ وقصّةٍ وفنونٍ نثرية أخرى،في كتابة تاريخ دولة المناذرة .

كمايستمدُّ البحث أهميّته في هذاالمجال ،من ارتباط الحياة الأدبية لدولة المناذرة بتأريخ الاحداث والوقائع التي جرت فيها أو في محيطها الجغرافي ،من خلال ماتضمّنه محتوى الاشعاروالخُطب والأمثال ومختلف الفنون الأدبية الاخرى،وما حمله في طيّاته من إثراءٍ لذلك التاريخ ،وهومايعطيه القيمة التاريخية المهمّة المتّصلة بالموضوع .كما يشكّل ارتباط ذلك التفاعل والحركة الأدبية النشيطة في مجالس ملوك

المناذرة ،بالتراث العربي القديم،أهمّيةً لا يمكن للباحث التغاضي عنها ،بالنظر الى أن ههذه الدولة قد لعبت دور السلطة السياسية المنظّمة والمشرفة على بقاء واستمرار ذلك النشاط الأدبي العام ،ثم المساهمة في تطويره وازدهاره

وتشمل أسباب اختيارالموضوع مايلي :

1- أهميّة البحث في مادة الأدب كرافدٍ مهمٍّ من روافد كتابة التاريخ في دولة المناذرة.

2- قلّة الدراسات التاريخيةالتي تبحث مجال علاقة العلوم الانسانية عمومًا بالتاريخ،وخصوصًاعلاقة الأدب بالتاريخ .

3- الرّغبة في توسيع البحث والتعمّق في تاريخ المناذرة،بالتركيزعلى الحياة الأدبية لماتمثّله من أهمية في ذلك التاريخ،لما اتّضحت لنا تلك الأهمية خلال بحثنا في موضوع مذكرة الماجستير.

وتتناول هذه الدراسة جوانب الحياة الأدبية المختلفة التي كان لها دورٌمهمٌّ في إبراز وكتابة تاريخ دولة المناذرة . ولذلك يمكننا طرح الاشكال الرئيسي فيما يخصّ موضوع البحث،متمثلاً في :

- ماهي جوانب الحياة الأدبية المختلفة في دولة المناذرة ؟

وتفصيلاً لهذاالإشكال،يمكنناطرح الاشكالات الجزئية الثلاثة التالية :

1- ماهي مميزات الحياة العامة في دولة المناذرة ؟

2- ما أهميّة الشعرفي الحياة الأدبية وقيمته التاريخية ؟

3- ماهي أنواع النثروأهميتها التاريخية ؟

ومحاولةً لحلّ هذه الاشكالات ومقاربة الإجابة عليها،اعتمدنا المنهج الوصفي الذي يهتمّ بوصف العيّنات الدراسية،عن طريق ذكرالخصائص والمميزات الدقيقة لتلك العيّنات،متكئين على جانبٍ من التحليل لمقاربة تاريخ الأدب في الموضوع .

وتندرج هذه الدراسة في طبيعتها الى تاريخية وأدبية،تتناول في الجانب الادبي منها تاريخ الأدب .

وأحدث دراسةٍ تناولت مقاربة الموضوع كانت المؤلَّف المعنون بـ: البيئة الأدبية في الحيرة،لمؤلِّفه:الضحيّان ابراهيم عبدالله ،الذي تولّت مكتبة فهدالوطنية طبعه ونشره،سنة 2004 م،وتناولت دراسته جوانب مهمّة من تاريخ الأدب في الحيرة تحت سلطة ملوك المناذرة،ولكنها اقتصرت في بعض الجوانب التي أسهبنا فيها وتوسّعنا ،كماحاولنا اجلاء القيمة التاريخية فيها .

واحتوت رسالة البحث تكريسًا لذلك : مقدمة وثلاثة أبواب وملاحق وخاتمة .

حيث يتناول الباب الأول والمعنون بـ : مميزات الحياة العامة في دولة المناذرة . ثلاثة فصول هي : 1- الحياة السياسية .

2- الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

3- الحياة الدينية والثقافية والفكرية .

أمّاالباب الثاني والمعنون بـ:الشعر في دولة المناذرة وقيمته التاريخية.فقد إحتوى ثلاثة فصول هي: 1- الشعروأهميته التاريخية،وأسباب ازدهاره .

2- موضوعات الشعرفي بلاط المناذرة وقيمتها التاريخية .

3- خصائص الشعروترجم نماذج من الشعراء .

أمّا الباب الثالث والمعنون بـ :النثروقيمته التاريخية في دولة المناذرة .احتوى فصلين هما:

1- نشأة النثروالقصّة .

2- الخطابة وفنون النثر الأخرى .

وحاولنا في الخاتمة استخلاص نتائج مختلف عناصرالحياة الأدبية في دولة المناذرة،وما تضمّنته من قيمة تاريخية،ساهمت في كتابة تاريخ دولة المناذرة كجزء مهمٍّ من تاريخ العرب القديم .

ووضعنا الخوض في هذه الدراسة أمام بعض الصعوبات الموضوعية ،لعلّ أهمها:

1- قلّة الدراسات التي تتناول علاقة الجانب الأدبي بالتاريخي في دولة المناذرة.

2- قلّةالمصادراللاتينية والأجنبيةعمومًا،التي تتناول تاريخ الأدب في دولة المناذرة خصوصًا.

3- تركيزالمصادرالعربيةالقديمةعلى الجانب السياسي في دولةالمناذرة واقتصارها في معالجة الجوانب الحضارية الأخرى،وعلى رأسها موضوع الحياة الأدبية .

ولا يمكننا الجزم بالإلمام بكل حيثيات موضوع الدراسة،بل نعتبربحثنا المتواضع هذا،محاولةً لم نبخل فيها بالجهد لماوُفّقنا بالوصول إليه من معلومات.آملين أن نكون موفّقين في منهج دراستنا ونتائج بحثنا،وأن يساهم عملنا في إثارة البحث في هذاالموضوع .

- عرض لأهم المصادر والمراجع والدراسات :

أ- المصادر العربية :

1- تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ،لمؤلفه :الاصفهاني حمزة بن الحسن ،الذي ولد سنة 270هـ ،وتوفي حوالي سنة 360هـ بأصفهان .وألف حمزة الاصفهاني ثلاثة مؤلفات هي:كتاب البشر،وكتاب الامثل على أفعل ،وكتاب تاريخ سني الارض والانبياء،وهذا الاخير من اهم كتب التاريخ التي تتناول تاريخ دولة المناذرة بالبحث،وكانت الطبعة الاولى لهذا الكتاب سنة 1844،من طرف المستشرق جوتوالد في ليبسيك بألمانيا،ثم طبع مرة ثانية ببرلين سنة 1922،وتولى تصحيحه جواد التبريزي ،وكانت الطبعة الثالثة التي اخذنا منها مادتنا السياسية في هذه الدراسة،فكانت سنة 1961 ببغداد،وقدّمها يوسف المسكوني،عضورابطة الادب الحديث بالقاهرة .

2- تاريخ الرسل والملوك،للطبري محمد بن جرير،المتوفى سنة 310هـ ،واشتهر الطبري بذاكرته الثرية ودأبه المتواصل في جمع تاريخ البشرية منذ خلق آدم حتى عصره .على ترتيب السنين،واستطاع ان يجمع في كتابه مذا ،ما اتصل بذلك التاريخ من حديث وآداب ولغة وسير.لذلك فقد افادتنا مادة بحثه في جميع اجزاء الدراسة ،واعتمدنا الطبعة الثانية التي قام بمراجعتها نواف الجراح الصادرة عن دارصادر ببيروت،سنة 2005.

3- دواوين الشعرللشعراء الذين عاشواأواتّصلوابلاط المناذرة،وأهمّها :

- ديوان عدي بن زيد العبادي ،الذي حققه المعيبد محمد جبار،وطبعته وزارة الاعلام العراقية سنة 1965.

- ديوان الاعشى ميمون بن قيس،الصادرعن دارصادربيروت سنة 1980.

- ديوان النابغة الذبياني،الذي حققه محمد الطاهر بن عاشور،وطبعته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر،سنة 1976.

ب – المصادر الاجنبية :

1- التاريخ الكنسي لمؤلفه:سقراط القسطنطيني،من مؤرخي التاريخ المسيحي ألف كتابه فيمابين 439 و440 م ،ويحتوي على تفصيلات التاريخ الكنسي،ولد فيمابين 380و390 م وتوفي حوالي 450 م .واعتمدنا الكتاب السابع الذي يتناول فترةحكم الامبراطورثيودوس حتى سنة 384 م،من ترجمة Pierre Perichon

عن طبعة 2004 الصادرة عن دار النشرGerf بباريس.

2- التواريخ Histoires،لمؤلفه بروكوبيوس من مؤرخي الامبراطورية البيزنطية،وكان قدصاحب القائد بليزاريوس في حملاته الثلاثة الاولى على بلاد فارس وافريقيا وايطاليا،وكان مولده حوالي500 م،وكانت وفاته حوالي565 م،وكان قدعاد الى بيزنطة سنة 542 م،ومنح رتبة المفكراللامع سنة 560 م .

واعتمدناالطبعةالصادرة عن دارالنشر Les Belles Lettres ،سنة 1968 بباريس والذي يروي وقائع الحروب بين الفرس والروم .

ج – المراجع التاريخية الحديثة :

1- العربية :

المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام لمؤلفه جواد علي،واعتمدنا الطبعة الثانية الصادرة العلم للملايين اللبنانية بالاشتراك مع مكتبة النهضة ببغداد،سنة 1976. وتناول في هذه الدراسة الأجزاء 3 ،7 ، 9 ، 8 .

تاريخ الحيرة في الجاهلية والاسلام لمؤلفه عارف عبد الغني،الصادرعن دار كنان للطباعة والنشربدمشق،سنة 1993،وقدأفادنا في الجانبين التاريخي والأدبي للموضوع .

2- الأجنبية :

تاريخ العرب Histoire des Arabes،لمؤلفه : هوارت Huart.cl،والصادرعن دارالنشر: Hachette.L بتاريخ1912 بباريس وتناول الجانب السياسي والحضاري لتاريخ العرب عمومًا .

تاريخ العرب Histoire des Arabes،لمؤلفه : سيديو Sedillot.La،وتناول وقائع الأحداث بين الفرس والروم .

د – المراجع الأدبية الحديثة :

تاريخ الادب العربي لمؤلفه شوقي ضيف،الصادرعن دارالمعارف بمصرفي طبعته الثامنة،سنة 1960.وتناول مختلف جوانب الأدب .

الشعرفي بلاط الحيرة لمؤلفه أبوالخيرمحمود،الصادرعن ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر،سنة 1983.وتناول الجانب الأدبي في الموضوع ،خاصة الشعر.

الباب الأول

مميزات الحياة العامة في دولة المناذرة

الباب الأول

مميزات الحياة العامة في دولة المناذرة

1- تمهيد .

2- الفصل الأول: الحياة السياسية .

3- الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

4- الفصل الثالث: الحياة الدينية والثقافية والفكرية.

تمهيـــد

1- تمهيد :

تشكّل العوامل التي تقوم عليها حياة الفرد في بيئة معيّنة ومجتمعٍ بعينه،الشخصية التي تميّز ذلك الفرد وتلك الأمة .ومن بيئةٍ ما ومجتمعٍ معيّن تبرز خصائص تلك الشخصية التي ترتبط بالتاريخ والتراث المادي و المعنوي . وعلى ضوئهما وبتأثيرهما تكون حياة الفرد في مجتمعه متميزة عن حياة غيره من الأفراد في مجتمعات أخرى، وبذلك تشكل تلك العوامل القواعد التي تبنى عليها الحياة اليومية التي يحياها الفردوالأمة وتتّصل به وبمستقبله ومصيره،وتجعله متميزا حضاريًا عن غيره.

وقبل ولوج خضمّ دراستنا المتعلقة بالحياة الادبية التي كان يحياها الفرد الحيري في ظلال دولة المناذرة على امتداد القرن الثالث حتى سنة 632م ومدى تأثير نوع تلك الحياة على نهضة الدولة وبقائها وتطورها، يجدربنا أن نعرّج على تعريف الأدب ابتداءًا .

اختلف الدارسون من فقهاء اللغة والأدب وتشعّبت آراؤهم في تعريف الأدب،وعزا البعض ذلك الاختلاف الى طبيعة الأدب نفسها،من حيث كونه علماً انسانياً مبني على العاطفة والمشاعر والأحاسيس،لذا يصعب حصر تعريفه وضبطه. فبعض الدارسين تناول تعريفه مادةً وآخرون ربطوا تعريفه بالموضوع. كما أثّر التطور التاريخي لمفهوم الادب في رد أصوله وربطها بالعصور والحقب التاريخية مرةً، ثم ربطها بتقسيمات المدارس المبنية على الشخصانية احياناً أخرى. و عموماً يمكننا أن نعرف الأدب لغةً بما يلي :

كلمة " أدَب" (بفتح الدال) مأخوذة من كلمة "أدْب"،بسكون الدال،ومعناها الدعاء،فيقال: أدب القوم يأدبهم أدبا،اذا دعاهم الى المأدبة لتناول الطعام،ومنه اسم الفاعل " آدب"[1]،قال الشاعر طرفة:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى ** لا ترى الآدب فينا ينتقر *

ومنه فقد تولّدت كلمة "أدَب"،بفتح الدال،من كلمة "أدْب" بسكون الدال،بمعنى الدعاء فالادَب يدعوالى المحامدوكريم الاخلاق،والأدْب يدعوالى الطعام وبذلك أخذت كلمة "أدَب" المعنى الخُلقي.

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ج1،دارصادر،بيروت، ص 200 .

* الجفلى : الدعوة العامة ،انتقر : دعا الخاصة ، نفسه،ج1 ، ص201.

ويرى بعض الدارسين: أن كلمة " أدَب " أُخذت من بعض اللهجات العربية من غير اللهجة القرشية ،ثم ذاعت الكلمة بين الناس .

ثم نقلت من المعنى الخُلقي الى المعنى الاصطلاحي[1].كما يرى بعض المستشرقين: أن كلمة "أدَب" مشتقّة من كلمة "آداب" وهي جمع "دأب"بعد أن دخلها القلب المكاني ، ومع مرور الزمن نُسي الأصل وجرى على أنها جمع "أدَب"[2].

ويرى عدد من الباحثين أن كلمة أدب مأخوذة من لغة السومريين ،وكان معناها عندهم "الإنسان" وبقيت في لغة العرب كما كانت في الاصل مراداً بها معنى الانسانية،وحوّرت في اللغات السامية الأخرى من أديب الى آدم [3]،كما دلت في العصر الجاهلي على الجانب الخُلقي لما ورد من شعر ونثر في ذلك .

كماورد على لسان الملك الحيري،النعمان بن المنذر ماقاله عن خطباء العرب الذين أوفدهم إلى كسرى ملك الفرس في كتابه الذي بعثه معهم قائلاً :"وقد أوفدت اليك أيها الملك رهطاً من العرب لهم فضلٌ في أحسابهم وآدابهم "[4] .

وظل المعنى الدال على حسن الخلق والمكارم سائداً حتى بعد الإسلام ،حيث جاء في الحديث الشريف :" أَدَّبني ربي فأحسن تأديبي "[5] ،كما استمر هذا المفهوم بذلك المعنى خلال عصر الدولة الأموية ، فبالإضافة إلى دلالتها على الشعر والنثر اللذان لم يكونا يخلوان من الحث على الفضائل والمكارم أضيف لهذا المفهوم التعليم ليدل عليه .ويتوسع ذلك في عصر الدولة العباسية فأصبح يشمل أخبار الأنساب وأخبار البشر بالإضافة إلى علوم اللغة والعربية وتعليمها ،ثم استقلت هذه العلوم فأصبح الأدب يطلق على الجيد المأثور من الشعر والنثر.ومنذ بداية القرن العاشر الميلادي كان الشعراء والكتاب قد انفردوا بلفظ الأدباء ،لاستقلال العلوم يومئذ [6] . وعطفًا على ما أسلفنا الحديث حوله آنفاً ،فانه يمكننا القول أن الأدب شمل معنيين مختلفين هما:الأدب الخاص،وهو الكلام الجيدالذي يحدث في نفس قارئه أوسامعه متعةً فنيةً سواءً كان شعرًا أو نثرًا.وأدب بمعنى عام،وهو الذي

[1] – طه (حسين) ،في الادب الجاهلي ،ط3،مطبعة الفاروق ،القاهرة،1933،ص21.

[2] – نفسه،ص18.

[3] – الشايب(احمد)،أصول النقد الادبي ،ط10 ،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،1994 ،ص4.

[4] – ابن عبدربه (احمد بن محمد)،العقد الفريد، تح،مفيد محمد قميحة،ج1،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1983،ص280 .

[5] – محمود مصطفى،الادب العربي وتاريخه ، ج1،ط2،مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده،ص34.

[6] – محمد صادق الرافعي،تاريخ آداب العرب ،ج1،ط1،مكتبة الايمان،1997،ص28.

يشمل الثقافة العامة التي ترقى بالإنسان إلى مستوىً ممتازاً ، وبذلك يمكننا اعطاء التعريف الاصطلاحي لكلمة "ادب"مثلما ما استخلصه بعض الدارسين ،بالقول انه ذلك الفن الكلامي الذي يعبر عن العقل ويصور الشعور[1] ،وهو مدلول شامل .

والتصقت دراسة الأدب بالتاريخ منذ أن عني الدارسون للأدب بتدوينه وتبويبه وتصنيفه ، واخذ الادب العربي من اهتمام المستشرقين ما جعلهم يعتنون بدراسته لما لمسوا في ذلك من عميق الأثر في استجلاء مكنونات وأسرار المجتمع العربي،ومنذ أن انشأ الايطاليون علم تاريخ الأدب واللغة العربية خلال القرن الثامن عشر الميلادي،عني المستشرقون به عناية جعلتهم يبرعون في فهمه وتدريسه ، بل إنهم من لقّنه لكبار الدارسين العرب ممن برزت أعمالهم في هذا النوع من العلم . ومن المعلوم أن التاريخ الأدبي لأمة من الأمم شديد الصلة بتاريخها الاجتماعي والسياسي،فهو يؤرخ حياة الأمم الأدبية والفكرية والأخلاقية ويعين على فهم حقائق التاريخ التي تتأثر بذلك الأدب .

فتاريخ الآداب لا يكتف بالنظر في المادة الادبية فقط ،بل يؤرخ معها كل ما يتعلق بها او يتأثر بها ويؤثر فيها من سياسة واقتصاد واجتماع[2].فيدرس مؤرخ الحياة الادبية الآداب وهو مجبر على الالمام بالسياسة ومختلف الجوانب الاخرى ليتسنى له فهم العوامل النفسية والعقلية المختلفة المؤثرة في دراسته،فيضعها في اطارها التاريخي المحيط بها .

فالمقصود بالحياة الأدبية،مختلف المظاهرالسياسية والحضارية التي قامت عليها حياة الفرد الحيري في دولة المناذرة،التي نستمدها من دراستنا لتاريخ آداب الحيرة ،واستجلاء أنواع الأدب فيها ومميزاته وقيمه التاريخية،ذلك الأدب الذي شكل القواعد التي كانت تدور عليها أحكام المجتمع الحيري ومعاملات أفراده وعلاقاتهم السياسية وآدابهم الاجتماعية[3] .

وتتناول دراستنا عن الحياة الادبية في دولة المناذرة ،ما عني بتاريخ ذلك الادب بنوعيه العام الذي يؤرخ للحياة العقلية والشعورية،والخاص الذي يبحث في نشأة ذلك الادب وتطوره وكذا أهم أعلامه. أو لنستزيد تفصيلاً فنقول ان تلك الحياة هي ما تتناول الادب بنوعيه،الانشائي والذي يتناول فن الكلام نظماً ونثرًا،فهو القصيدة التي ينشدها الشاعر والرسالة التي ينشئها الكاتب . وهي تلك

[1] – الشايب(احمد)، المرجع السابق ،ص15.

[2] – طه حسين ، المرجع السابق ،ص27.

[3] – جواد (علي) ،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ط3 ،ج3،دار العلم للملايين ،بيروت، مكتبة النهضة،بغداد،1976،ص 76 ؛ جرجي زيدان ،تاريخ التمدن الإسلامي ،ج 4 ، دار الهلال، القاهرة،ص33.

الاثارالفنية التي يحدثها الشاعر والكاتب وغيرهما، لا يريدون بها الا الجمال والابداع الفني . وهو بالتالي خاضع لكل ما تخضع له الاثارالفنية من تأثر وتأثير في البيئة والجماعة والزمان ،فهو مرآة لعصره وبيئته كلما عظم حظه من الجودة والاتقان . والنوع الثاني من الادب وهو الادب الوصفي الذي يتناول الادب الانشائي بالتفسير والتحليل والتأريخ[1].

ولنجمل فنقول ان هذه الحياة الادبية تتناول مكونات الادب وتفصيلاته وكل ما يتصل بحياة الفاعلين الفنيين فيها من ادباء وشعراء ومبدعين مؤثرين في البيئة التي يحيون فيها ومتأثرين بعواملها المختلفة .ولان الجانب السياسي من الحياة العامة لدى أمة ،يشكل الإطار العام الذي تُعرف به فسنعرض في البداية لهذا الجانب بتفصيلاته ومتعلّقاته ليعطينا صورة عن إطار دولة المناذرة السياسية وأنظمتها العسكرية وكيفية نشأتها وتكوينها .

[1] – طه حسين ، المرجع السابق ،ص 31.

الفصل الأول

الحياة السياسية

1- لمحة عن نشأة وتأسيس مملكة الحيرة .

2- التطوّر السياسي للمملكة .

1- لمحة عن نشأة وتأسيس مملكة الحيرة :

1- أ- التسمية : الحِيْرَةُ : بالكسرة ثم السكون،الحِيْرفي اللغة موضع محاط بالأسواروهوالحضيرة[1]،ويضيف المسعودي على ذلك في التفسير اللغوي للكلمة بقوله وهوالمخَيّم[2]والنسبةإليها:حَاري على غيرقياس،قال عمروبن معد يكرب:

كأن الإثمد الحاري منها يسف بحيث تبتدر الدموع

و قال إبن منظوروالسيوف الحارية المعمولةبالحيرة،قال[3] :

فلما دخلناها أضفنا ظهورنا إلى كل حاري قشيب مشطب

ولقدإختلف المؤرخون في تفسيرإسم الحيرة ومصدرإشتقاقه حيث يرى البعض أن كلمةالحيرةهي من الكلمات الآرامية وهي:حرتا Harta و Hértaو Hirta يقابلها في السيريانية:حيرتو،ومعناهاالمخيم والمعسكر.وأن كلمة:حيرتا Hérta وحيرة Hira،التى وردت في التواريخ السيريانية عندما تعرضت للغساسنةبالذكرتقابل كلمة:معسكرعندالعرب،وتقابل كلمة:حاصيرفي العبرية[4].على أن هناك من المؤرخين من يرى أن الحيرةالآرامية والسيريانية،وكذا الحيرالعربية إنما هي من أصل سامي واحد. ذلك أن المضرب و المعسكر و الحمى إنما هي ألفاظ يدل أصلها على معنى واحد.

ويستدل على ذلك الرأي من وصف اليعقوبي لخطط سُرّ من رأى، والحيرالذي أقيم بهاوجعل حظيرة للوحش من الضباء و الحمير الوحشي و الأيائل والأرانب والنعام[5].(الملحق رقم 01).

وقدعرفت الحيرة في التلمودوفي مؤلفات بعض المؤرخين السريان بـ:الحيرةمدينةالعرب،حيرتادي طيابة.كماوردت عندهم مقرونة بأسماء بعض ملوكها مثل:حيرتود نعمان دبيت بورسوبي،أي حيرة

---

[1] – أبو الخير(محمود) ، الشعر بلاط الحيرة ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ،1983، ص 1 .

[2] – المسعودي،مروج الذهب ومعادن الجوهر،تح،يوسف اسعدداغر،ط4،ج1،ج2،دارالأندلس للطباعة والنشر،بيروت،1981،ص22.

[3] – ابن منظور(ابوالفضل محمد بن مكرم)، لسان العرب،ج6،دارصادر،بيروت،ص53.

[4] – مهران(محمد بيومي)،دراسات في تاريخ العرب القديم،دارالمعرفة الجامعية،الاسكندرية،1999،ص 578

؛جواد(علي)،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ط3،ج3،دارالعلم للملايين،بيروت،مكتبةالنهضة،بغداد،1976،ص155

؛عدنان ترسيسي،بلادسبأوحضارات العرب الأولى،ط،2،دارالفكرالمعاصر،بيروت،ص238؛

Régis.Blachére, Histoire de la literature Arabe,Librairied'Amérique etd'Orient,Paris,1952, p46

[5] – عصام(السعيد)،تاريخ العرب في العصورالقديمة،دارالمعرفةالجامعية،القاهرة،ص135

؛السيد(عبدالعزيزسالم)،تاريخ العرب في عصر الجاهلية،ص235؛مهران(محمدبيومي)،دراسات في تاريخ العرب القديم،دارالمعرفةالجامعية، الاسكندرية،ص579.

النعمان التي في بلاد فارس ويرى بعض علماءالتلمودأن مدينةأن حواطره أوحوطرا،التى ورد في التلمود أن بانيها هوبرعدي أوبن عدي هي الحيرة.

وقد حدث تحريف في الإسم بدليل أن التلمود[1] يذكر أنها لاتبعد كثيرا عن نهردعه وأن مؤسسها هوبرعدي و يقصد به عمرو بن عدي[2].كماذكراسم الحيرة في تأريخ يوحنا الأفسوسي،من مؤرخي القرن السادس الميلادي*. فقال: حيرتود نعمان دبيت بورسوبي ،أي حيرة النعمان التي في بلاد فارس.وهوما يتفق مع ماذكرناه سابقا بالنسبةالتلمود،كماذكرهايوشع العمودي Josua Stylites .

وورد إسمها أيضا في المجمع الكنسي الذي أنعقد في عام 410 م وكان عليها إذ ذاك أسقف إسمه هوشع Hosha ، إشترك فيه ووقع على القرارات بإسم هوشع أسقف حيرته ،حيرتا[3] .و يذكرالمؤرخون العرب أن إسم الحيرة مشتق من الحَيْرَةُلأن تبان أسعد أب كرب** بعد خروجه من اليمن يريدالأنبار و لما إنتهى إلى موضع الحيرة ليلا تحيّروظلّ دليله فأطلق بذلك إسم الحيرة عليها[4]، وهي رواية تعوزها الدقة إلى حدٍّ كبيرٍ،ذلك أن المقاربة اللغوية بين كلمة الحيرة بالكسر والحيرة بالفتح تتباعد كثيرا في المعنى . ويذهب آخرون إلى أن تبع الأكبرعندما خلّف ضعاف جنده في مكان الحيرة قال لهم:"حيروا به" أي"أقيموا به ".وفي رواية انه لما نزل مالك بن زهير***،جعلها حيراو أقطعه قومه فسميت بذلك الحيرة . كما قيل أن الأردوان**** بنى حيرا أنزله من أعانه من العرب . فسمي ذلك

---

[1] – ايبش(احمد)، التلمود،دارقتيبة،دمشق،2006،ص33.

[2] – جواد(علي)،المرجع السابق، ص 156.

* من مواليد (آميد) شمال بلاد مابين النهرين سنة 516م وتوفي سنة 585م ،

John.B.of Ephesus, Ecclesiatical history,tra,Payne Smith,3rdp,university press,Exford,1860,p5

[3] – Boulos(Jawad),Les peuples et les civilisations du Proche - Orient,t3 ,Muton &CO La Haye,Londres,Paris,1964,p345.

** هو تبان أسعد أبو كرب بن صيفي بن سبأ الملقب بتبع الرائد،جواد علي،المرجع السابق،ص161.

[4] – جواد (علي)،المرجع السابق ، ص 163.

*** مالك بن زهير بن عمرو بن فهم ،أول من نزل الحيرة ،الحموي(ياقوت) ،معجم البلدان ،ج2، دار صادر و دار بيروت ، بيروت ،1979،ص 328.

**** الاردوان ملك النبط ، جواد (علي) ،المرجع السابق ،ج3، ص 75 ؛لانجر(وليم)،موسوعة تاريخ العالم،مكتبة النهضة المصرية،مصر،[د،ت]،ص351.

الحير بالحيرة[1].و قيل أيضا أن الإسم مشتق من الحائرأي بركة الماءأوالحوض الذي يسيب إليه مسيل الماء و سمي بذلك لأن الماء يتحيّر فيه.

وقد إشتهرت المدينة في المؤلفات الإسلامية بنعوت وأوصاف عديدة فوصفت بالبياض فقيل:الحيرة بيضاء أرادوا بذلك حسن عمارتها ووضوح هذا اللون على سائر أبنيتها .

قال الشريف الرضي[2]:

بالحيرةالبياءحيث تقابلت شمم العبادعريضة الاعصار.

كماقيل عنهاالحيرةالروحاءإشارة إلى إمتدادها وإتساعها،قال عاصم بن عمرو[3]:

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا ورجلا فوق أنباح الكلاب.

ويشيرجوادعلي[4] في أثناء حديثه على مملكةتدمرإلى ورود إسم مدينتين هما حيرتاوهي:الحيرة وعاناتا،عانة في كتابة يرجع تأريخها إلى شهر- أيلول من سنة132م،كما يشيرإلى إحتمال أن تكون حيرتاهذه هي الحيرةموضوع بحثناوبذلك تكون هذه الكتابة أقدم كتابة وصلت إلينا حتى الأن ورد فيهاهذاالإسم.

كماأن مدينة Eertha هي مدينة فرثية Parthian تقع على الفرات هي هذه الحيرة،حسب ذكره. (الملحق رقم 02).

1- ب - الموقع الجغرافي :

تقع الحيرة في جنوب العراق في منطقة منبسطة قريبة من الصحراء[5]،وهي تقع قريبًا من مدينة بابل القديمة،وعلى بعد ثلاثة أميال إلى الجنوب من الكوفة[6]،في موضع يسمى النجف على ضفة

---

[1] - القرماني(احمد بن يوسف)،أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ،تح،احمدحطيط،فهمي سعد،ج3،ط1،عالم الكتب،بيروت،1992،ص35.
؛ السيد(عبد العزيز سالم) ، المرجع السابق ، ص236.
؛الفقي(عصام الدين عبد الرؤوف)،معالم تاريخ وحضارة الاسلام،دار الفكرالعربي،القاهرة ،1998،ص25.

[2] - الصفار(رشيد)،ديوان الشريف الرضي،تح،مصطفى جوادومحمد رضاالشبيبي،ج1،ط2،المؤسسة الاسلامية للنشر،بيروت،1987،ص35.

[3] - جواد (علي) ، المرجع السابق ،ص 158.

[4] - نفسه،ص81.

[5] - العلي(صالح أحمد)، تاريخ العرب القديم و البعثة النبوية ،ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،بيروت، لبنان،2003 ، ص 118 .
؛العلي(صالح أحمد)،محاضرات في تاريخ العرب،ج1،مؤسسة دار الكتب للطباعةوالنشر.جامعةالموصل،1981،ص 73 .

[6] - الحموي (ياقوت) ،المرجع السابق،ص201.

الفرات الغربية،في حدود البادية جنوب العراق و هي الآن في الجنوب الشرقي من مشهد الإمام علي[1] بالنجف.(الملحق رقم 02،والملحق رقم 04).

و تقع أيضًا في نهاية طريق يجتازشبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال هذاولا شك أن هذا العامل يجعلها تتبوأ مكانة كبيرة في العالم القديم. نظرا لما يمثله موقعها هذا من أهمية وإستراتيجية تجارية و سياسية سنتطرق إليها بالتفصيل في ثنايا البحث.و يجرى بالقرب من الحيرة نهرالفرات والذي يتفرع في أطرافها إلى عدة فروع، و تأخذ منه جداول و ترع تروي تلك المنطقة فتجعلها من أخصب مناطق العراق و أكثرها إنتاجا[2].ومن أنهارالحيرة التى اشتهرت عند المؤرخين نهريوسف،ونهركافر.حيث يرى بعض المؤرخين أنه هو نهرالحيرة[3].وتتجمع هذه الأنهارفي مجتمع نهري أومايدعوهاالآراميون:فرثاوالعبرانيون:حاشير. ويذكرالمسعودي أنها تصب في النجف الذي كان مليئا بالماء وتصل إليه السفن البحرية[4] . وهواء الحيرة جاف ولكنه صحي، لقربها من هواء البرية النقي،وقدأطنبت المؤلفات العربية في وصف هوائها النقي،وصفاء جوها و عذوبة مائها، وقيل:" أنها منزل برئ مرئ صحيح من الأدواء و الأسقام و أن هوائها و ترابها أصح من الكوفة"[5]،حتى قيل في ذلك :"يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة " كما كانت العرب تقول:"لبيتة ليلة بالحيرة انفع من تناول شربة"[6]ويذكرحمزة الأصفهاني أنه لم يمت بالحيرة بسبب هوائها النقي أحد من الملوك إلاقابوس بن المنذر[7] .وإخترقت السواقي والترع ارض الحيرة،فإزدانت سهولها بحقول الحبوب و حدائق النخيل وعلى مرالأيام صارت الحيرة مدينة عظيمة،واتخذت منزلاً لملوك عرب العراق فبنوا فيها القصوروالحدائق والأديرة و البساتين وحفروافيها الأنهار.حتى أصبحت زينة البلاد العربية وعروس المملكة العراقية وكانت من أكبر مدن العصورالسالفة،حتى قال بعض المؤرخين أنها كانت نظيرة القسطنطينيةيومئذ،وأنها كانت تنافس القسطنطينية وعاصمة الفرس .

---

[1] – جرجي (زيدان) ، العرب قبل الإسلام ،دار مكتبة الحياة ،بيروت،1966،ص 256.

[2] – العلي (صالح أحمد) ، المرجع السابق ، ص 118.

[3] – جواد (علي)، المرجع السابق ،ص 159.

[4] – المسعودي(ابوالحسن علي)،مروج الذهب ومعادن الجوهر،تح،يوسف اسعد داغر،ج1،ط4،دارالأندلس للطباعةوالنشر والتوزيع،بيروت، 1981،ص34؛ العلي (صالح أحمد)، المرجع السابق ،ص 73.

[5] – مهران (محمد بيومي)،المرجع السابق،ص،580.

[6] – جرجي (زيدان) ، العرب قبل الاسلام ،دار مكتبة الحياة،بيروت ،1966، ص265 ؛عاقل(نبيه)، تاريخ العرب القديم و عصرالرسول ، ص170؛العلي(صالح أحمد)،المرجع السابق،محاضرات في تاريخ العرب،ج1، ص 73.

[7] – الأصفهاني (حمزة)،سني ملوك الأرض والأنبياء،مكتبة الحياة،بيروت،ص97 .

1- ج – نشأة المملكة :

تتفق المصادر التاريخية على أن تأسيس مملكةالحيرة إنما كان عن طريق هجرةالقبائل العربيةإليها،وأنه لم يعلوا لها شأن الابعدأن إستوطنتها قبائل التنوخيين واللخميين فيما بعد،كما تجمع تلك المصادرعلى أن القبائل العربيةالتى أنشأت هذه المملكة إنما نزحت إليها من البحرين،حيث كان العرب منذ قديم الزمان يهاجرون إلى تخوم شبه الجزيرة العربية الشرقية حتى إذا ما وصلوا إلى وادي الفرات أقاموا في ربوعه[1]وتنوخ في اللغة هو:المقام والتنوخيون هم اللذين أسسوا مملكةالحيرةوهم في الغالب من قضاعة،و قضاعة فرع كبيرمن القحطانيين.إذ ينتسبون إلى يعرب بن قحطان الذي ملك قبل المسيح بنحوألفي عام وهو أول ملك من التبابعةملوك اليمن وقدهاجروامع من هاجر بعدسيل العرم [2].كما إلتفّت حولهم قبائل يمانية من بطون نمارة بن لخم وغيرهم من بني قحطان[3].

ويختلف المؤرخون حول أسبقية القبائل القحطانية وهم في الغالب من قضاعة إلى النزول في البحرين وبين من يرى ان قبائل الأزدهي السباقة لذلك ،ففيهم من يقول أن البحرين كان بها جماعة من الأزد،وزعيمهم يومئذ مالك بن فهم بن غانم إضافة إلى قضاعة والأزدهناك قبائل من نسل إسماعيل العدنانية،حيث وافق خروج القبائل القحطانية من اليمن خروج قبائل من ولد إسماعيل ومن قبائل معدبن عدنان الذين كثروافعمروابلادهم من تهامةومايليها،ثم فرقتهم حروب وقعت بينهم وأحداث حدثت فيهم،فخرجوايطلبون الريف.

فيمايليهم من بلاد اليمن ومن المشارق فإجتمع بالبحرين من قبائل العرب من قضاعةوالأزدومعد وتحالفواعلى التنوخ وتعاقدواعلى التأزروالتعاضدوالتناصروالتعاون وصاروا يدًا واحدةً . فسمّواتنوخًامنذذلك الحين،وكانوابذلك الإسم كأنهم عمارة من العمائروقبيلة من القبائل وصارالجميع يعرفون كالقبيلة الواحدة وإن كانوا من قبائل شتى وضمهم إسم تنوخ[4].إلا أنه ورد ذكرتنوخ في

---

[1] – مهران (محمد بيومي)،المرجع السابق،ص 577

؛ حتي (فيليب)، تاريخ العرب (مطوّل)،ج1،ط4،دار الكشاف ،1965 ،ص107 .

؛ Sedillot.(L.A) ,Histoires des Arabes,Liberaire de L.Hachette et C[1e] Paris,1854,p21

[2] – السيد (عبد العزيز سالم) ، المرجع السابق،ص 243.

[3] – الأعظمي(علي ظريف) ،المرجع السابق،ص6

؛فروخ(عمر)،العرب في حضارتهم و ثقافتهم الى آخرالعصرالأموي،ط2،دار العلم للملايين، بيروت،1968،ص41.

[4] – ابن الجوزي(عبدالرحمان بن علي)،المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،تح،محمدعطا،مصطفى عطا،مراجعة،نعيم زرزور ،ج2،ط2،دارالكتب العلمية،بيروت،1995،ص48.

جغرافيةبطليموس تحت إسم Tanueitae بالقول أنها إسم قبيلة عربية يمنية كانت منازلهم في جنوب جبال Zametes[1]وهي السلسلةالجبلية الممتدةحسب رأي جلاسر،من اليمامة إلى السراة. وحسب رأي سبرنجرفهي نفسها جبال شمرولكن المؤرخين يرجعون منازلها إلى تهامة[2]،و ليس هناك دليل ثابت على ان اصلهم من اليمن،كماأنه لم يقم شاهد يدل على أن من نزح من البحرين إلى الهلال الخصيب كانوا ينتمون جميعا إلى قبيلة واحدة،و الأرجح أنه كانوا قبائل عدة . إستقرت" تنوخت"في وادي الفرات[3] .

ولم يذكرالمؤرخون شيئاعن مدة مكوثهم بالبحرين قبل نزوحهم إلى العراق.أخذت هذه القبائل تتطلع إلى الإستقرارفي مشارق العراق وتنتظرفرصةمواتية لتحقيق هذاالغرض،ولماإضطرب أمرالدولةالأرشغانية*وإختلفت كلمةرجالهاوضعف أمرهافتطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب إلى ريف العراق وطمعوا فيه،وإغتنموا اما وقع بين ملوك الطوائف من الإختلاف فأجمعوا على السير إلى العراق وكان أول من خرج من العرب إلى العراق الحيقاربن الحيق بن قنص بن معدمن بني معدالعدنانيةفي جماعةمن قومه ومن الناس،فوجدواالأرمانيين الذين بأرض بابل ومايليهامن ناحيةالموصل يقاتلون الأردوانيين***فإستفادوا من ذلك وإنتشروا في سواد العراق و سكن قسم منهم بين عرب الأنباروسكن قسم أخر بين عرب الحيرة . ثم طلع بعدهم مالك وعمروإبنا فهم بن تيم الله ومالك بن زهير بن فهم بن تيم الله[4]. فيمن تنخ عليهم من عشائرهم وحلفائهم على ملك الأرمانيين وطلع نمارة بن قيس بن نمارةوالنجدة وهم من قبيلة العماليق،فيمن تنخ عليهم على ملك الأردوانيين. فأنزلهم الحيرأي الحيرة. فلم يزل من طلع الأنبارو الحير على ذلك لايدينون للأعاجم ولا تدين لهم الأعاجم حتى قدمها تبع أسعد أبوكرب بن ملكيكرب في جيوشه فاستولى عليها و نزل الحيرة فيمن معه[5].

---

[1] – Halma(Abbe),Traite de geographie de Claud Ptolemee,Eberhartimprimeur,Paris,1828,p28

[2] – جواد (علي) ، المرجع السابق ، ص 169 .

[3] – العلي(صالح أحمد) ، المرجع السابق ،محاضرات في تاريخ العرب،ج1،ص65 ؛توفيق برو،المرجع السابق،ص 124.

*وهي الدولة الاشغانية أوالأشكانية،وأول ملوكها أرشك بن أشكان وآخرهم أردوان الأصغر بن بلاش الذي قتله أردشير بن بابك مؤسس الدولةالساسانية سنة 622 م،وتعرف أيضاً بالدولة البارثية(الفرثية)،الأعظمي(علي ظريف)،المرجع السابق، ص8.

**نسبة إلى بني ارم،نفسه.

*** نسبة إلى أردوان من ملوك الأنباط ، Hérodote,Histoires,tra,Barguet.A,liv5,ed,Galimard,Paris,1964,p24.

[4] – الطبري(محمدبن جرير)،تاريخ الامم والملوك،تح،نواف الجراح،ج1،دار صادر،بيروت،ص 209.

[5] – ابن الاثير(ابوالحسن علي بن محمد) ،الكامل في التاريخ،ط 4،ج 1،دار الكتاب العربي،بيروت،ص 196 .

وهناك من يروي رأيا أخر وذلك بالقول أن مالك بن فهم زعيم قضاعة لما أنس ضعف و تضعضع الدولةالأرشغانية،ساربقبائله وإنفصل عن الأزدوغيرهم من الذين أقاموا معه في البحرين،و نزل العراق فيما بين الحيرة والأنباروشارك الدولة الأرشغانية في الحكم و تسمّى ملكا على قومه وظل إسم تنوخ عليهم،فكانوا يسمونه ملك تنوخ،و قد أخطأ من زعم أنه من الأزد،كما أخطأ الذين زعموا بأن قضاعة من العدنانيين[1] .

وهناك رأي ثالث في نشأة المملكة يتناوله بعض رواة الأخبار،بالقول أن نشأتها كانت بفضل تبع أب كرب.حيث يحدثناإبن الكلبي بأن تبعا والمعروف بالرائد أو الأكبروهوتبان أسعد أبوا كرب بن ملكي كرب تبع بن زيد بن عمرو بن تبع وهو الملقب بذو الأذعاربن أبرهة تبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ من ولد قحطان. لما سار في أيام بشتاسب وأردشير بهمن بن إسفنديار بن شتاسب متوجها من اليمن في الطريق الذي سلكه الرائش قبله خرج على جبل طيءثم سار يريد الأنبارفلما أنتهى إلى موضع الحيرةتحيرفأقام مكانه،ثم ساروخلف بالحيرة قوما من الأزدولخم وجذام وعاملة و قضاعة فبنوا وأقاموا بها . ثم إنتقل إليهم بعد ذلك ناس من طيء وكلب والسكون وبلحارث بلكعب وإياد فإختلطوا بهم،وفي ذلك يقول كعب بن جعيل[2] :

وغزانا تبع من حمير نازل الحيرة من أرض عدن

وهناك رأي آخريرجع نشأة المملكة إلى بختنصر،نبوخذنصرالبابلي في رواية أشبه بالأسطورة،فهم يقولون أن بريخياوهويوحنا بن إختيار بن زربابل بن شلتيل من ولد يهودا بن يعقوب[3].

حيث ان هذا الأخيرلما قدم من نجران و أخبر بختنصر بما أوحى الله إليه و قص عليه ما أمره به من غزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب وأن يطأ بلاده بالجنود فيقتل مقاتليهم ويستبيح أموالهم و أعلمه كفرهم به،وإتخاذهم ألهة دون الله وتكذيبهم الرسل والأنبياء، فوثب بختنصرعلى من كان في بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارة والبضائع ويشترون من عندهم القمح والتمروالثياب وغيره ،فجمع من ضفر به منهم فبنى لهم موقعا على النجف و حصنه ثم ضمهم فيه ووكل بهم حراساً

؛ الطبري(محمدبن جرير)،المصدرالسابق،ج1، ص 210 .

[1] – الأعظمي (علي ظريف) ، المرجع السابق ، ص 9.

[2] – الحموي (ياقوت) ، المصدرالسابق ،ج2، ص 330.

[3] – نفسه.

وحفظة ،ثم نادى في الناس بالغزو فتأهبوا لذلك و إنتشرالخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت إليه طوائف منهم مسالمين مستأنسين.

فاستشار بختنصر فيهم برخيا فقال : إن خروجهم إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عما كانوا عليه فأقبل منهم وأحسن إليهم،فأنزلهم بختنصر سواد العراق على شاطئ الفرات . فإبتنوا موضع معسكرهم وسموه الأنبار.

ثم ساربختنصر لمقاتلة العرب فانضم اليه مابين أيلةوالأبلة بخيلهم ورجالهم ثم دخلواعلى العرب،وساربختنصربجيشه حتى إلتقى بموضع ذات عرق بعدنان فهزمه،وسار إلى بلاد العرب حتى قدم إلى حضورو قد إجتمع أكثر العرب من أقطارعربةفخندق الفريقان ثم تصالح بختنصروعدنان بعد أن قتل الكثيرمن العرب وعاد بختنصر بمن أخذه معه من سبايا العرب فأسكنهم الأنبار ،وذهب قوم ممن أفلت قبل الهزيمة إلى ريسبوب،ولما رجع بختنصرمات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا مابقي من حياة بختنصر فلما مات،خرج معد بن عدنان ومعه الأنبياء،أنبياء بنو إسرائيل،حتى أتى مكة فحج وحج الأنبياء معه،ثم خرج حتى أتى ريسبوب فأخرج أهلها وقتل أكبرعدد من قبيلة جرهم،ثم تزوج من العرب فتاة ولدت له نزار بن معد.

فمؤسس الحيرة على رواية هؤلاء المؤرخين هو بختنصر الذي أسس الانبار أيضا،في نظرهم وكان ذلك في أيام عدنان[1].

وفي بعض أخبار أهل السير ما يشير إلى أن هناك رواية أخرى بنشأة هذه المملكة وهي الرواية القائلة بأن تأسيس الحيرة إنما كان من طرف الأردوان ملك النبط الذي كان معاصرًا لأردشير بن بابك.حيث أن الأردوان كان قد بنى حيرًا أنزله من أعانه من العرب[2].على خصمه باباالملك النبطي الذي بنى الأنباروأنزله من أعانه من العرب أيضافالحيرة والأنبارهمامن عمل ملكين متخاصمين من ملوك النبط.

---

[1] – الأصفهاني (حمزة)،المصدر السابق،ص86؛جواد(علي)،المرجع السابق،ص161

؛ مهران (محمد بيومي)، المرجع السابق،ص577

؛ السيد(عبدالعزيزسالم)،تاريخ شبه الجزيرة العربيةقبل الاسلام،مؤسسةشباب الجامعة،الاسكندرية،2002،ص244

؛ عصام(السعيد)،المرجع السابق،ص 13 .

[2] – جواد(علي)،المرجع السابق،ص161

؛قدورة (فاطمة الشامي)،تطور تاريخ العرب السياسي والحضاري،ط1،دارالنهضة العربية،بيروت،1997،ص36.

و هناك رواية أخرى تقول بأن الحيرة مدينة أنشأتها الدولة البارثية[1]. إن هذه الروايات السابقة رغم إختلافها فهي تجمع على هجرة القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية إلى البحرين و كذا نزوحهم منها إلى الحيرة.إلا أنها تتضارب إلى حد التناقض في مبدأ تلك الهجرة و في كيفيتها، ومن الصعب الموافقة على زعمهم حول من قاد تلك الهجرة و الهجرات والتي تلتها من رجال،حسب رأي جواد علي،حيث يضيف"... فنحن نعلم ،حق العلم أن من تحدث عنهم وجعلوهم في الدهر الداهروفي العرب العاربة أو في أيام ملوك الطوائف هم في الأكثر أناس عاشوا بعدالميلاد، و بينهم رجال لا تبعد أيامهم كثيرا عن الإسلام وبينهم أناس إخترعتهم مخيلة الإخباريين.وبالنظر إلى ما سبق ذكره من نظريات و آراء وروايات حول نشأة مملكة الحيرة، فإنه من الصعب بمكان تحديد الزمن أو التاريخ الذي نشأت فيه هذه المملكة ، ومن العسير على المؤرخ ضبط تاريخ معين لهذه النشأة.فإستنادا إلى الرواية التي تقول أن مؤسس الحيرة و بانيها هو الملك البابلي نبوخذنصر،بختنصر(605-526 ق.م)"[2] . فبذلك يمكننا الرجوع بتأسيسها إلى القرن السابع قبل الميلاد وهو تاريخ موغل في القدم بالنسبة لمملكة إشتهرت كمدينة ذات حضارة عربية متميزة عن الحضارة الرافدية . إن روايات الطبري و ياقوت الحموي نقلاً عن ابن الكلبي وغيره،في مجملها تتحدث عن تأسيس و بناء هذه المدينة من طرف هذا الملك ، لكنها لا تورد تفاصيل أكثر إلا ما تعلق منها بما يشبه الأسطورة – التي ذكرناها سابقا – ثم إن تلك الرواية في مضمونها لا تشير إلى قيام المدينة كعاصمة للمملكة ولا تتحدث أصلا عن المملكة وفيإشارتها لبناء المدينة نلتمس محض الصدفة و عدم التصميم الذي أبداه بختنصر في جمع التجار العرب و إبقائهم مجتمعين في الحيرة كما أن هذا التأسيس تطعنه رواية السابقين أنفسهم في القول"ولما مات بختنصرإنظم الذين إسكنوا الحيرة من العرب إلى أهل الأنبار و بقيت الحيرة خرابا[3]"،وإستنادًا إلى إحتمال أن تكون الكتابة التى أكتشفت والتى وردت فيها إسم مدينتين هما:حيره،الحيرة،وعاناتا،عانة[4] والمؤرخة في شهرأيلول من سنة 132 م هي أقدم كتابة وصلت إلينا حتى الآن ورد فيها إسم هذه المملكة. و بذلك فإحتمال وجود هذه المملكة ونشأتها في هذا التاريخ أو

[1] – جواد(علي)،المرجع السابق،ص162؛مهران(محمد بيومي)،المرجع السابق،ص 577 ؛السيد (عبد العزيز سالم)،المرجع السابق،تاريخ العرب في عصر الجاهلية،ص 244.

[2] – جواد(علي)،نفسه.

[3] – ابن الجوزي(عبدالرحمان بن علي)،المرجع السابق،ص 48 ؛ الطبري(محمدبن جرير)،المصدرالسابق،ج1،ص 209 .

[4] – جواد (علي) ، المرجع السابق ،ص 157.

قبله بقليل إحتمال وارد أي في خلال القرن الأول للميلاد.لكن هناك روايات أخرى لنشأة هذه المملكة تربط بين تولي أول ملك فيها و هو مؤسسها كما يتفق الرواة ويجعلون تولي مالك بن فهم لملك الحيرة سنة 138 م بداية لنشأتها.ويعلل علي ظريف الأعظمي إختيار ذلك التاريخ بالقول"والظاهر أن نزوله – يقصد مالك بن فهم – في العراق و تملكه كان سنة 138 م،حيث أن المؤرخين ذكروا بأن جذيمة الوضاح تولى الملك سنة 208 م و أن عمرو بن فهم بن مالك قبله بخمسين سنة و أن مالك بن فهم ملك قبل عمروبعشرين سنة فكان أول تملك مالك هذا سنة 138 م ،على ما أرى [1] ".

وهو بذلك يضع نشأة هذه المملكة في النصف الأول من القرن الثاني للميلاد.ولكن تبعا للرواية التي تنسب تأسيس المملكة لأردشير بن بابك في بداية قيام الدولة الساسانية،فإن ذلك التأسيس إنما ينحصر في سنة 226 م[2]،وبذلك يكون تأسيس المملكة في حدود بداية القرن الثالث للميلاد.

إلا أن المؤرخ غوستاف لوبون يذكرأن تاريخ نشأة مملكة الحيرة إنما كان في نهاية القرن الثاني للميلادويجعلهابالضبط من سنة 195 م،حيث يقول:" وسبق ذلك أن توطنت قبائل من عرب اليمن تلك البقاع وأنشأت سنة 195 م في جنوبها،وعلى ضفتي الفرات و بالقرب من المكان الذي أقيمت عليه مدينة الكوفة فيما بعد مدينة الحيرةالشهيرة[3]".

وفي ذكره هذاالتاريخ سندًالنشأةمملكة الحيرة لم يعطي تفاصيل عن سبب إختيارلهذا التاريخ،وهوبذلك ينفرد عن باقي المؤرخين ببَونٍ من الزمن واضحٍ.

إلا أن هناك من المؤرخين من يرجع نشأة هذه المملكة إلى أقرب من ذلك بكثير فيذكر أن هجرة القبائل العربية من التونخيين إلى البحريين إنما كانت على إثر السير العرم فيما بعد تصدع سد مأرب إلى أن معظم المؤرخين دأبوا على دحض هذا الزعم و تداولواعلى تفنيده في أخبارهم وذلك أن سد

---

[1] – الأعظمي(علي ظريف)، المرجع السابق ، ص 6 .

[2] – حتي(فيليب)،المرجع السابق،ص107؛

الرافعي(مصطفى صادق)،حضارة العرب،ط4،الشركةالعالمية للكتاب،بيروت،1988،ص31

؛جبران(نعمان محمود)وسحيم(روضة)،دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام،مؤسسة حمادة،الاردن ،1998،ص222

؛سيديو(لويس.ا)،خلاصة تاريخ العرب،تر،علي باشا مبارك ،دارالآثار ،بيروت،ص 272 ؛وهيب(بوفاضل) ،موسوعة علم التاريخ والحضارة،ج1،ط1، دار نوبليس ،2003،ص86.

[3] – لوبون(غوساف) ، حضارة العرب ،ط 3، دار الإيحاء الكتب العربية القاهرة، 1956، ص 93 .

مـأرب لم ينهـدم إلا في أواخـر القـرن السـادس الميلادي بينمـا يحـدد المؤرخـون نـزوح تلـك القبائـل إلى الهلال الخصيب في وقت موافق إلى القرن الثالث الميلادي[1].

المصادرالتى تناولت الحديث عن المملكة تتحدث على أن تاريخ هذه المملكة يرجع إلى القرن الثالث الميلادي ويمتدإلى ظهورالإسلام.وعلى وجه التحديد فقد إستمرحكم المناذرة للحيرة مدة 522 إلى التضارب أوالتضاد،لأن مرد الرجوع بتاريخ المملكة في القرن الثالث الميلادي إنما القصد منه ظهورها كقوة معتبرة أي مبلغ الأوج في تاريخها، كما تبرزه الفترات السياسية التى مرت بها المملكة .

و إذا ماكنا قد إستعرضنا إختلاف و تضارب الأراء في نسبة التاريخ المفترض لنسنة و ثماني أشهرو بلغ عدد ملوكها عشرين ملك فيما يروي بن الكلبي[2].ولا يدل ذلك عشأة هذه المملكة فإنه من الواضح لدى المتصف لتاريخها أن يميل للقول بإفتراض أن نشأة المملكة إنما كانت في بداية القرن الثاني الميلادي فيما بين سني 132و138م نظرا لما يقدمه النص التاريخي المكتشف الذي يذكر إسم المملكة والذي أشرنا إليه سابقا ،والمؤرخ في سنة 132 م وبالنظرأيضا لتسلسل الزمني لفترات حكم ملوك الحيرة التى تحدثت عنها كتب التاريخ و التى نترجع تولى أول ملك للحيرة مالك بن فهم الملك إلى سنة 138 م.

1– د – تأسيس المملكة :

عُرف ملوك الحيرة بآل نصروبآل لخم،اللخميين وبآل نعمان،وبآل عدي كماعُرفواعند أهل الأخبار بالنعامنة والمناذرة وذلك لشيوع إسم النعمان وإسم المنذر فيما بينهم، كماعُرفوا أيضا بأل محرّق،وفيهم يقول الشاعر الاسود بن يعفر :

ماذا أومل بعد آل محرّق تركوا منازلهم وبعد أياد

أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

كما لقّبوا بالملك الاشاهب وذلك لجمالهم ،ويظهر ان شهرة ملوك الحيرة بآل نصرهي شهرة قديمة تعود الى ما قبل الاسلام بزمن طويل ،فقد ورد في المصادرعن نهردعه Nehar Dea،وهي مستوطنة

---

[1] – العلي(أحمد صالح)،المرجع السابق، محاضرات في تاريخ العرب ، ج 1، ص 65 .

[2] – نكلسن(رينولد)،تاريخ الأدب العربي،تر،صفاء خلوصي،مطبعة المعارف،بغداد،1969،ص 82

؛ أبو الخير(محمود)، المرجع السابق، ص6

؛ برو (توفيق)،تاريخ العرب القديم ،ط،2 ،دارالفكر،دمشق،1996،ص 124؛

Boulos. Jawad, op, cit ,p45;B.Lewis,v,L, Ménage,Ch,Pellat & J,Schacht, Encyclopédie de l'Islam,2e éd,t2,Maison neuve& Larosse, Paris,1975 ,p479.

من المستوطنات اليهودية القديمة والكبيرة التي تأسست في العراق،وتقع عند فم نهرملكا Nehar Melka أي مخرج نهر الملك من الفرات . حيث انه في سنة 570 من التقويم السلوقي الموافقة لسنة 259 م جاء بابا نصرالى مدينة نهر دعه،وخربها فهرب بعض احبارها الى مواضع يهودية اخرى كانت ملجأ لليهود[1].

ويذكر أن الأميرالمهاجم و قد سمي في الخبرالبابا papa . كان من أبناء سيد قبيلة عربية إسمه نصروقد عرف بـ:برنصروبن نصر،كما يذكرأن أذينة زوج الملكة زنوبيا،الزباء Zenobias ملكة تدمر،غيرأن هناك أدلة تاريخية لا تؤيد هذا الرأي منها أن الموارد العربية تنعت ملوك الحيرة بآل نصرولم يشتهر ملوك تدمر فيها بهذا الإسم[2] .و أكمل ما وصل إلينا من توالي ملوك هذه الدولة ومبالغ أعمارهم ما ذكره حمزة الاصفهاني في كتابه سني ملوك الأرض و الأنبياء[3].ومن الصّعب تصوّر حدوث خلافٍ بين الاخباريين حول أسماء ملوك الحيرة و عددهم ومُدد حكمهم،وذلك لذكر هؤلاء أنهم أخذوا عِلمهم بها من كتبٍ كانت مدوّنة محفوظة في الحيرة ومن موارد أخرى هي كتب الفُرس .ومع ذلك نجد إختلافا بيّناً في أسماء الملوك و في ترتيب سني حكمهم. وعدّة ملوك الحيرة إجمالاً،و بالمقارنة بين موارد المؤرخين و رواياتهم تزيد على العشرين ملكاً بقليل يتراوح بين الملك الواحد وخمسة ملوك. وقد ذهب المسعودي إلى أن عدة ملوكهم ثلاثة وعشرون ملكاً من بني نصروغيرهم من العرب والفرس،وأن مدة حكمهم ستمائة و إثنان وعشرون سنة وثمانية أشهرو قد قيل أن عمران الحيرة بدوه إلى أن خربت في وقت بناء الكوفة كان خمس مئة سنة وبضعة و ثلاثين سنة [4].

وفيما يرويه ابن الكلبي أن عدد ملوك الحيرة عشرون ملكاً،ويمكننا تقسيم ملوك المناذرةحسب النسب والإنتماء القبلي بالترتيب كما جاء لدى بعض المؤرخين،على مدى حكمهم الحيرة إلى دورين أساسيين وهما:دور ملوك التنوخيين:من سنة 138إلى سنة 268 م.ثمّ دور ملوك اللخميين:من سنة 268إلى سنة 632 م .

1- د-1- دور ملوك التنوخيين(من سنة 138- إلى سنة 268 م) :

[1] - جواد (علي) ، المرجع السابق ،ص158.

[2] - نفسه، ص 176 .

[3] - الأصفهاني(حمزة)،المصدرالسابق،ص83؛جرجي(زيدان)،العرب قبل الإسلام،ص263 ؛الأعظمي(علي ظريف)،المرجع السابق،ص 31.

[4] - المسعودي(ابوالحسن علي)،المصدرالسابق، ج2،ص،ص80،81 ؛الأعظمي(علي ظريف)،نفسه؛جواد(علي)،نفسه،ص 305 .

وهو الدورالذي يمثل مرحلة التأسيس بالنسبة لمملكة سيمتد بقاؤها مدةً طويلةً تجاوزت ستة قرونٍ ،ويُمكّن الخوض في تعاقب ملوك الحيرة،من الالمام بمختلف الجوانب السياسية التي ميزت فترات حكمهم واستجلاء الدور المهمّ الذي لعبه هؤلاء الملوك في نشأة واستمرار هذه المملكة .ولا شكّ أنّ صِعاب الأمور تكمن في بداياتها ،لذا كان لملوك الحيرة الثلاثة الأوائل وكلهم من التنوخيين، وهم الذين بادروا الى انشاء الحيرة ، الفضل على من خلفهم ،كما كانت فترة حكمهم بمثابة التأسيس لمرحلة القوّة و التطوّر فيمابعد.وهؤلاءهم:

1- د- 1- أ- مالك بن فهم (من سنة 138 – إلى سنة 158 م)[1] :

يكاد يجمع المؤرخون على أن أول من ملك تنوخ ،الذين استقرّوا في الأخبية والمظالّ لا يسكنون بيوت المِدر*هو:مالك بن فهم بن غنم من بني الأزد بن سبأ بن قحطان.على رواية ابن الوردي في تاريخه** ،إلا أننا لا نستطيع أن نغض النظر والإمعان فيما يذكره المؤرخ العراقي على ظريف الأعظمي البغدادي في نفيه لصلة مالك بن فهم بالأزد و نسبته مالك لقضاعة بقوله:"وكان ذلك في أيام الدولة الأرشغانية واختلفت رجالها وضعف أمرها فسار مالك بن فهم زعيم قضاعة بقبائله وإنفصل عن الأزدوغيرهم ونزل العراق فيما بين الحيرة والعراق وظل إسم تنوخ عليهم فكانو يسمونه ملك تنوخ و قد أخطا من زعم أنه من الأزد كما أخطأ الذين زعموا بأن قضاعة من العدنانيين[2]". ولا شك أنه ينفرد في هذا الخبر عن غيره،إلا أنه لم يذكر الحجج الكافية التي استند إليها في تقرير هذا الحكم و في تفنيده لنسب مالك إلى الأزد.وتبقى نسبته مالك لقضاعة مجرد رأي في إعتقادنا لم نشأإغفاله إلاأن هناك من الإخباريين من يورد إسمين متشابهين لزعيمي قضاعة و الأزد.ذكرذلك في كتاب حمزة الأصفهاني نقلاعن المصادرعربية في قوله " وذلك أنه اتفق مجيئ مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان الأزدي من بني نصر من الأزد في جمهورمن الأزد،و مجيء مالك بن فم بن تيم الله بن اسد بن وبرة بن قضاعة في جمهورمن قضاعة. لما افترقت قضاعة عن تهامة إلى البحرين[3]"و يزيدعلى ذلك ملك

---

[1] – الأعظمي (علي ظريف) ،المرجع السابق ،ص 9 ؛

Noel (M. desvergers),Arabie,Firminin Didot fréres,éditeurs,Paris,p75

*المَدَرُ:الطين اللزج المتماسك و القطعة منه مدَرة،وأصل المدرهم سكان البيوت المبنية،خلاف أهل الوَبر:وهم البدوسكان الخيام .

** مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن الأزد من ولد كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان،ابن الوردي(زين الدين عمرين مظفر)،تاريخ بن الوردي، ج1،ط1،دارالكتب العلمية ،بيروت1996،ص58

؛الطبري (محمد بن جرير) ،المصدرالسابق، ج1،ص 360.

[2] – الأعظمي (علي ظريف) ، لمرجع السابق ،ص10.

[3] – الإصفهاني(حمزة) ، المصدر السابق ،ص 83 .

بن فهم القضاعي سارإلى الشام و إلى قضاعة ينسب الضجاعمة الذين تغلب عليهم بنو جفنة بينما كان ملك التنوخيين مالك فهم الأزدي قد سار إلى العراق و تملك على تنوخ العراق،وكان منزله مما يلي الأنبار، حيث أنه أستقر أمره في العراق اتخذ بستانا في موقع الحيرة وجعل قصره فيها وحصنه و قطع رجاله الإقطاع. وعلى توالي الأيام بنيت فيها المنازل و القصور حتى صارت من المدن الشهيرة و تتفق المصادر ورواة الاخبارعلى أن تولي ملك بن فهم أمر الملك إنما كان في زمن ملوك الطوائف[1]،وليس من الغريب إجماع الإخباريين على مدة حكم مالك بن فهم حيث يذكرون أن حكمه دام عشرين سنة حيث إجتهدعلي ظريف الأعظمي في ضبط مدة حكمه بسنة 138 م ويعلل ذلك بقوله:"أن المؤرخين ذكروا جذيمة الوضاح تولى سنة 208 م،وأن عمروبن فهم بن مالك قبله خمسين سنة وأن مالك بن فهم ملك قبله عشرين سنة،فكان أول تملك مالك هذا سنة 138م[2]".

وكان مالك بن فهم على ما رواه المؤرخون في النزرالقليل من أخبارهم لا يدين لأحد من الملوك،كما كان مطاع الأمر نافذ الحكم في رعيته.

و ملك عشرين سنة وتجمع المصادرعلى أن مالك بن فهم قد مات مقتولاً وأن قاتله و إسمه سليمة بن فهم تختلف المصادر في نسبه لمالك بن فهم فآخرون يرون أنه ابن مالك[3] و أن قتله أباه مالكاً كان بطريق الخطأ. وآخرون يرون أن سليمة بن مالك هذا هو أحد أخصائي مالك بن فهم و مقرّبيه[4]،وكان قتله ايّاه رمية بالنبل. فلما تبيّن لمالك بن فهم أن راميها أحد اخصائه المقربين أنشأ يقول:

جزاني لا جزاه الله خيراً سُليمة ، أنه شرا جزاني
أعلمه الرماية كل يوم فلما إشتد ساعده رماني
فيا عجباً لمن ربيّت طفلاً ألقّمه بأطراف البنان

[1] – الاعظمي(علي ظريف)،المرجع السابق،ص10
؛اليعقوبي،المصدرالسابق،ص84؛ ابن الجوزي،المصدرالسابق،ص 50 .

[2] – الأعظمي(علي ظريف)، نفسه؛
Huart . L ,Histoires des Arabes ,t1 ,L,Paul Gauther,Paris,1912,p63

[3] – جواد (علي) ،المرجع السابق،ص 177 .

[4] – جبران(نعمان محمود)،سحيم(روضة)،المرجع السابق،ص223
؛ جواد(علي)،المرجع السابق،ص 178.

هوأول من تملك من العرب في العراق،وهو مؤسس المملكة و تسمى دولته آل تنوخ التي كان لها شأن كبير في تاريخ العرب قبل الاسلام،لأنهامهدت السبيل لدولةاللخميين وقد أقامت هذه الدولة مدة على حالها من البداوة تسكن المظال وخيم الشعروالوبرولا تنزل بيوت المدروكانوا يسمون عرب الضاحية. و خلف بعد مالك بن فهم أخوه عمرو بن فهم الملك على آل تنوخ.

1- د-1- ب-عمرو بن فهم(من سنة 185 إلى سنة 208 م)[1] :

تكاد تجمع المصادر الإخبارية على أن عمرو بن فهم قد حكم 50 سنة بعد مقتل أخيه مالك بن فهم. وسارعمرو بن فهم في قومه سيرة حسنة و هابتة قبائل العراق العربية. و تكاد تجمع المصادرشحّ ما يمكن جمعه من أخبار على هذا الملك، بل و في بعضها إعتراف على هذا الاقتصار حتى أن بعضها يقول:" و لا نعرف شيئا يذكر عن عمرو بن فهم ،فالأخبار عنه لا تزيد على ذكر إسمه[2].."و لعل أهم ما وصلنا عنه أنه حكم خمسين سنة وأن منزله بقي حيث نزل أخاه مالك بن فهم مما يلي الأنبار،و توفي عمرو بن فهم سنة 208 م و لا تذكر المصادر ظروف وفاته ولا أسبابها.

1- د-1-ب- جذيمة الأبرش(من سنة 208إلى سنة 268 م):تولّى الحكم و الملك بعد وفاة عمرو بن فهم إبن أخيه جذيمة*. الأبرش أو الوضّاح. و في النسب هو جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن الغوث.و أنه إبن مالك الذي كان أول من ملك الضاحية في حكم ملوك الطوائف،ولقد أطنب المؤرخون في وصفه فقالوا عنه جذيمة الأبرش،وجذيمة الوضّاح وكان به برص فكنت العرب عنه وهابت أن تسميه به إعظاما له فكانوا يسمونه جذيمة الأبرش و الوضاح وكان جذيمة يفتخر ببرصه لأن بعض العرب يزعمون أنه لايكون إلا بالرجل الكريم[3].ومن هذا الوصف يمكننا تصوّر أثراً لشخصيته في التاريخ العربي تنمّ عن تقديرٍ و إكبارٍ شديدين من طرف قومه ،وكان حضّه عند الإخباريين أوفر وأكبر من حظ الملكين السابقين مالك وعمرو إبني فهم. فله في روايات المؤرخين والرواة شِعر ونثروحديث.وكان جذيمة ملكاً عظيماً ثاقب الرأي ذا شوكة وبأسٍ و

---

[1] - الاعظمي(علي ظريف) ،المرجع السابق،ص11.

[2] - السيد(عبدالعزيزسالم)،المرجع السابق،ص217

؛جواد(علي)،المرجع السابق،ص178؛عاقل(نبيه)،المرجع السابق،ص173.

* جَذِيمة : بفتح الجيم و كسر الذال المعجمة ،الاعظمي(علي ظريف) ، نفسه.

[3] - الطبري(محمدبن جرير)،المصدر السابق ،ج1، ص 210

؛ الأعظمي (علي ظريف) ،المرجع السابق،ص12.

هيبةٍ وسطوةٍ وكان من أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدهم مَغاراً وأشدّهم نكايةً وأثبتهم جأشا وأظهرهم حزماً وكان أعزّ من أبيه وعمه وأبعد صيتاً وأعظم شرفاً. إشته عند العرب بـ(ملك العراق) و قصده الأمراء و مدحه الشعراء وو فدت إليه الوفود،وكان جذيمة أيضا شاعراً بليغاً ومن شعره قوله :

و الملك كان لذي براشٍ حوله يزرى بحابر
بالسابغات و بالقنى و البيض تُبرى و المغافر
أزمان لا ملك يجير ولازمام لمن يجاور
أودى بهم غِير الزمان فمنجد منهم وغائر

وكان يتكهّن و يتنبأوهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق وضمّ إليه العرب وكان أول من غزى بالجيوش من ملوك العرب وأول من حُذيت له النعال ورُفع بين يديه الشمع دلالة على سعة الملوك ،و أول من عمل له المجانيق للحرب من ملوك العرب[1].

وقدجاء اسم جذيمة،جديمت،في نص نبطي ويوناني عُثرعليه في أم الجمال جاء فيه :"هذا موضع،أي قبر،فهر بن شلي ،سلي،مربي جديمت ملك تنوح " ولهذا النص على قصره أهمية بالغة،لأنه يشير إلى الصلة التي كانت تربط بين الأسرة الحاكمة في الحيرة وعرب الشام .

ومن الصعب استنتاج كيفية وفاة مربي الملك في هذا الموضع،أكان زائرا لهذه الديار فأدركه أجله فقبر هناك،أم جاء مع سيده في حرب فتوفي في ذلك المكان؟ ومهما يكن من شيء فقد أفادنا هذا الحجر فائدة كبيرة بتدوينه اسم صاحب القبر،واسم جذيمة ملك تنوح أي تتوخ.ومما يلاحظ في هذا النص أن اسم جذيمة دُوّن بحرف الدال و دُوّن إسم تنوخ بحرف الحاء. ويكون هذا النص من أقدم النصوص التي ورد فيها إسم تنوخ ويرجع عهده إلى سنة 270 م [2].

وكان جذيمة على مايرويه الإخباريون قد أخضع لحكمه قبائل العراق و العربية وإمتد ملكه من الحيرة إلى الأنبار فالفرقة ثم عين التمروالقطقطانية و بقة و هيت وسائر القرى المجاورة لبادية العراق و أطراف البر إلى العميرو خفية[3].و يبرين وما وراء ذلك [1].فكان يجبي أموالها و يحكم على من كان

---

[1] – نفسه

؛ Huart. L ,op,cit ,p63

[2] – جواد علي، المرجع السابق،ص 18 ؛

Blachére (Régis),Histoire de la littérature Arabe,Librairie d'Amérique et d'Orient,Paris,p45

[3] – الطبري، المصدر السابق،ص 197

؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق،ص 330.

بها.وكان من تجبّره بادئ أمره أنه لا ينادم أحداً من الناس فكان يزعم أن الفرقدين نديماه فكان إذاشرب قدحًاصبّ لهذا قدحًاو للآخر مثله [2] .

و من مبلغ قوته ذكرالمؤرخون عنه أنه غزى طسم وجديس في منازلها من جوّ اليمامة وما حولها وفي ذلك يقول الشاعر :

أضحى جذيمة في يبرين*منزلة قد حاز ماجمعت في عصرها عاد

مستعمل الخير لا تفنى زيادته في كل يوم وأهل الخير تزداد

فلما غزى طسم وجديساً وما حولهم أصاب حسان بن تبع أسعد أبي كرب ** وقدأغارعلى طسم وجديس في اليمامة فإنكفأ جذيمة راجعا بمن معه و أتت خيول تبع على سرية لجذيمة فإجتاحتها.وكان جذيمة لا يدين لأحد من الملوك كأبيه وعمه فلما قام أردشير بن بابك وأسّس الدولة الساسانية و قهرملوك الطوائف ببلاد إيران،وقتل أردوان الأصغرآخرملوك الأرشغانيين في العراق واستقل بالبلاد ومن جملتها العراق سنة 226 م. دان له جذيمة و اتفقا على شروط رضياها،وامتد عُمر جذيمة إلى أنه عاصر ملك الأرشغانيين،سابور،وقيل : شابور بن اشك الأشغاني. على رأي حمزة الأصفهاني[3] .

ويتفق كثيرٌمن المؤرخين على أن مدّة حكم جذيمة قد دامت 60 سنة وهي مدّة معتبرة. ومن بين هؤلاء :حمزة الأصفهاني و الطبري و ابن الأثير.

إلا أن المسعودي يذهب غير هذا المذهب في مدة حكم جذيمة،إذ يرى أنه ملك مائة وثمانية عشر سنة ،فصّلها بقوله :وأقام جذيمة ملكاً في زمان ملوك الطوائف خمساً وتسعين سنة ،و في ملك أردشيربن بابك وسابورالجنودثلاثاً وعشرين سنة[4]،وهي رواية تشذّ عن اجماع الرواةيقول جوادعلي:"ومَلك يحكم هذه المدة لا بد أن يكون مدة حياته أطول من مدة حكمه " ولا شكّ أن جذيمة هو من قال فيه الأعشى:

أزال أذينة عن ملكه وأخرج من حصنه ذا يزن.

---

[1] – ياقوت الحموي، نفسه.

[2] – ابن قتيبة(ابومحمدعبدالله بن مسلم الدينوري)، المعارف ،تح،ثروت عكاشة،ط4،دارالمعارف،مصر،1981،ص645 .

* يَبرين : من أصقاع البحرين ،وهي بأعلى بلاد بني سعد ، ياقوت الحموي، نفسه،ج8،ص52.

*الملك الحميري السادس عشر،الأصفهاني (حمزة)، المصدرالسابق ،ص 110 .

[3] – الأصفهاني (حمزة) ، السابق،ص 84.

[4] – المسعودي ، نفسه

؛ الحموي(ياقوت) ،المجلد الثاني، المصدر السابق،ص 203.

ولم يلد له ولد غيرزينب وهي أم مرتع،وامتد ملك جذيمةعلى حد قول المؤرخين مابين الحيرة والأنباروبقة وهيت وناحيتها وعين التمروأطراف البرّ الى القطقطانيةوخُفية وما والاها ورقة،وسائر القرى المجاورة لبادية العرب.

ويُفهم من بعض الروايات أيضا،أنه ملك معد وبعض اليمن، وكانت داره بالموضع المعروف بالمضيق في المصيرة بين الخانوقةوقرقيسياء[1]وقد استفاد جذيمة من محالفته الساسانيين، فأمّن لنفسه صداقة الدولة القوية التي أصبحت منذ ذلك الوقت أعظم دولة في الشرق، مدّة أكثر من ثلاثة قرونٍ ،كمايُذكرأن جذيمة لم يكن يقيم دائمًا في الحيرة،وإنما كان ينتقل بينها وبين الأنبار .

وانتقل الملك بعد وفاة جذيمة إلى ابن أخته عمرو بن عدي وكانت مدة تنوخ من غيراللخميين 130 عامًا من سنة 138 إلى سنة 268 م . ولم يملك منهم، يقصد تنوخ من غير لخم،غير هؤلاء الثلاثة : مالك بن فهم وعمر بن فهم وجذيمة بن مالك[2]،وبذلك ينتهي دورملوك التنوخيين ليبدأ دورجديد هودورملوك اللخميين.

2- التطوّر السياسي للمملكة :

2- أ- دور ملوك اللّخْميين : (من سنة 268 – إلى سنة 632م):

بعد أن قتل جذيمة الأبرش وأخذت الزباء بوترها منه. وكان لا يشك في صدقها وغرّته كبرياؤه على أن ينجو بنفسه،وخلّف على تدبير شؤون المملكة ابن أخته عمرو بن عدي، فلما نجا قصير وكان عمرو بن عدي يترقّب . فكان يخرج كل يوم ينظر إلى ظهر الحيرة يطلب الخبرويقتفى الأثر من خاله. فخرج ذات يومٍ ينظر إلى فارس قدأقبل تهوي به فرسه،هوى الريح فقال:أما الفرس ففرس جذيمة و أما الراكب فكالبهيمة.لأمرٍ ماجاءت العصا.فلماأشرف عليه قصير قال : ماوراءك؟

قال سعى الغدربالملك حتفه،رغم أنفي وأنفه[3]،قال المسعودي:فأوردالخبرعلى عمرو بن عبدالجن التنوخي فأشفق لذلك،فقال له قصير:أطلب بثأر ابن عمّك و إلا سبّتك العرب،فلم يحفل

[1] – جواد (علي) ،المرجع السابق،ص 181.

[2] – الأعظمي (علي ظريف) ،المرجع السابق،ص 20.

[3] – ابن الجوزي(عبدالرحمان بن علي)،المصدر السابق، ص 64.

بذلك،فخرج قصيرإلى عمرو بن عدي فقال له هل لك في أن أصرف الجنود إليك على أن تطلب ثأر خالك ؟ فضمن له ذلك فصرف وجوه الجنود إليه ومنّاهم بالمال والحال فإنصرف منهم بشرٌ كثيرٌ فالتقى هو و التنوخي فلما خافوا العَناء تابعه التنوخي،وتمّ الأمر لعمر بن عدي [1] .وبذلك فإننا نرى أن هذه هي اللحظة الحقيقية والحاسمة في تناول آل نصرأواللخميين للحكم من التنوخيين،بانتقال الملك إليهم سلميًا.وأوّل من ملك من بني لخم عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة من بني لخم بن عدي بن عمرو بن كهلان،وهوجدّ هذه الدولة وتسمى دولة آل لَخْم و دولةآل نصر[2].

2– أ–1– عمرو بن عدي (عمرو الأول) (من سنة 268 –إلى سنة 288 م):

تولّى عمرو بن عدي الإمارة على عرب الحيرة ،بعد مقتل جذيمة وانتقل الملك إليه. وهو عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن المسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم[3] ،وسنرى تفصيل نسبه و صلته بنصر بن ربيع،وهو ابن أخت جذيمة المقتول على يد الزُّباء وقد ذكرنا كيف استقدم جذيمة خاله ،أباه عديًا إليه وكيف تمت قصته بولادة أخت جذيمة له. فأمه هي: رقاش بنت مالك بن فهم بن غنم بن عدنان بن الغوث،وعمرو من لخم . لذا يعتبر مؤسس الإمارة اللخمية في الحيرة[4].اشتهرعمرو بن عدي عند المؤرخين بأهم إنجاز أدّاه ويتمثّل في أنه أول من اتخذ الحيرة منزلاً، و هم يقصدون بذلك أول من اتخذها مقاماً ثابتاًودارا لملكه أي عاصمة له. كما كان عمرو أول من مجّده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق . و إليه ينسبون ملوك العراق ،وهم ملوك آل نصر.ويحدثنا المؤرخون عن أوصافه فيقولون أنه كان مستبداً برأيه ومنفرداً بملكه، يغزو المغازي ويصيب الغنائم و تفد عليه الوفود دهره الأطول ،ولا يدلّ ذلك إلا على سعة ملك عمرو بن عدي واتساع سطوته،خاصة على قبائل العرب المحاذية لملكه. كما كان عمرو لايدين لملوك الطوائف بالعراق ولا يدينون له وقد اتبع سياسة خاله جذيمة في التحالف مع الفرس[5] ،ولئن اتبع عمرو هذه السياسة، فليس ذلك إلا لما لمسه من نجاعة لهذه السياسة ،التي سنّها أولا خاله جذيمة ،و التي ساعدت

[1] – ابن الأثير(ابوالحسن علي)،المصدر السابق،ص 200
؛ المسعودي،المصدر السابق،ص 86.

[2] – Hitti (Philip.K), Précis d'histiore des Arabes,tra, Maurice Planiol,Payot,Paris,1950,p32.

[3] – الطبري(محمد بن جرير) ،المصدر السابق،المجلدالاول،ص 216؛ جواد (علي) ،المرجع السابق،ص 184.

[4] – عاقل (نبيه) ،المرجع السابق،ص 175؛
Instut Français de Damas,EtudesOrientale ,C.P.D.R.C.T ,tXXII,année,1993,Damas,1993,p216.

[5] – العلي(أحمد صالح)،المرجع السابق،تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية،ص111
؛ نبيه (عاقل)،المرجع السابق،ص177.

بالتأكيد على إستقرارالأمر وبناء الحكم وتقوية النفوذ . ولعلّ عدم الخضوع لأحد من ملوك الطوائف وأنه كان في سياسته لايدين لأحدٍ إنما كان بسبب ضعف ملوك الطوائف.وأنه كان لعدي بن عمرو من القوة،ما يضاهي قوة أولئك الملوك. حتى قدم أردشير بن بابك، يقول حمزة الاصفهاني:" فألفى أردشير على الاردوانيين وهم نبط العراق ملكًا يقال له :أردوان وفي رواية:أردوان الأصغروعلى الأرومانيين وهم بنو ارم من نبط الشام ملكا يقال له:بابا،وكل واحد منهما يقاتل الآخرعلى ملكه .فعندها تساندا على قتال أردشير يوماً هذا و يوماً هذا،فاذا كان يوم بابا لم يعرَّ به أردشير،وإذا كان يوم الأردوان لم يف بأردشير،فعندها رأى أردشير مصالحة باباعلى أن يكف عنه ويدعه و أردوان وفرغ أردشير لحرب أردوان، فما لبث أن قتله واستولى على ماكان تحت يده من أرضٍ ومالٍ ورجالٍ .

فعندما حمل باباإليه الإتاوة وسمع إليه وأطاع . فضبط أردشير العراق و قهر من كان بها مناوئا حتى حملهم على ماأراد مما يوافقهم وما لايوافقهم[1]". فلما رأى عمروسلامة الأمر في موافقة أردشير بن بابك في عهد خاله جذيمة وميلة إليه. رأى أنه من المهم المضي في هذه السياسة قدمًا لأنها توفّر الأمن والرخاء و الاستقرار،وتسهّل له بسط نفوذه على مايلي حدود ملكه من قبائل قضاعة، الذين أقبلوا مع مالك وعمرو بن فهم فلحقوا بالشام وانضموا إلى من كان هناك من قضاعة .

ولعل إجماع المؤرخين على إيحائهم بعدم تقبل التنوخيين لفكرة مجاورة العراق والخضوع لسلطة آل ساسان،وانضمامهم إلى قضاعة في الشام،هو ما يفسّر ميلهم إلى القول،بأن الجوّالسياسيّ وكرسي الزعامة، أصبحا خاليين إلّا من اللخميين المؤهلين لقيادة القبائل العربية من أهل الوبروبيوت الشعر.وعلى رأس هذه القيادة عمرو بن عدي الذي أعمل الدهاء في معايشة أردشير بن بابك ثم أعمل الحكمة في إقرارمقر لعاصمة مملكته،التي بدأ نشؤها يتضح إذ ذاك ولعل هذا القول ينصب شفيعاً مؤيداًآخرلماسبق وعللّناه حول انتقال الملك من التنوخيين إلى اللخميين.

فكان عمرومطاع الأمرنافذًالحكم على جميع القبائل العربية التي في العراق،يذكرظريف الأعظمي:"عمروهذاهوأول من اتخذمن الحيرة كرسيًا لمملكة اللخميين وكانت قبل ذلك للتنوخيين، بين الحيرة و بقّة ،وكان منفردًا بملكه يغزو المغازي مطاع الأمر نافذ الحكم على جميع القبائل التي كانت في العراق[2] ".

[1] - الأصفهاني (حمزة)،المصدر السابق،ص 85.

[2] - الاعظمي(علي ظريف)،المرجع السابق،ص ص، 25 - 26.

أمّاإذاتطرّقنالمدةحكم عمروبن عدي وتاريخ وفاته،فإننا نجدالكثيرمن الاضطرابات والتفاوت في تحديده فنبيه عاقل،فيما ينسب من قول للطبري، يذكرأن عمرو بن عدي قد توفّي وهوابن مائة وعشرين سنة بقوله:"ولم يزل عمرو بن عدي ملكا على الحيرة حتى مات وهو بن مائة وعشرين سنة على مايزعم الطبري[1] ".

بينمايذهب حمزة الأصفهاني إلى الأقل من ذلك بقليل في قوله:"وكان جميع مايملكه عمرو بن عدي مائة وثماني عشرة سنة[2] ".

وإذا قدّرناأن الاختلاف بين المؤرخين المذكورين لايعتد به بالنسبة لمدة الحياة التي عاشهاعمرو،فإن ذلك الاختلاف يصبح معتبرًاإذاما تصفّحنا الروايات التي تتحدث عن مدة حكمه فالدينوري يذكرأن مدة حكم عمروبن عدي نيفاًوستين سنة[3]. بينمايذكراليعقوبي خلافاً لذلك،مدّةخمس وخمسين سنة[4].ولاشكّ أن هذاالفارق معتبر.وإذاكنّا قدّرناأخبارالرواة فتفحصّناها في هذا المجال لم نجدكثيرمتّكل عليها،لأنهالاتقدّم،في رأينا الأسانيدالتي يمكنها إقناعنا،فلما تصفّحنا ما يقدمه المؤرّخ العراقي .علي ظريف الأعظمي حول ذلك يفاجئنا بالقول أنّ مدة حكمه لا تتجاوز عشرين سنة،ويسوق لذلك من الحجة ، قوله:".. وتوفي سنة 288 م بعدما أن حكم عشرين سنة[5] ".

وإذا ما قارنا ما ذكره هذا المؤرخ بإطلاقه سنة 288م كتاريخ لنهايةعمرو بن عدي و بالتالي نهاية حكمه بما تقرره الكتابة التي وجدت مدونة بالحرف النبطي وبقلم حوران وباللسان العربي الشمالي،لغة عدنان، في أوائل القرن الرابع للميلادوالتي تشيرإلى وفاةامرئ القيس بن عمرو،ملك العرب وتحدد تاريخهابسنة223م،في اليوم السابع من أيلول،سبتمبرحسب تقويم بصرى عاصمة حوران. و الذي يكون مبدؤه سنة105م من التقويم الميلادي فإذاأضفنا 105 إلى 223 كان المجموع 328م. مما يدل ولا شك على اضطراب الرواة في إطلاقهم حكم الستين سنة . كمدة حكم لهذا الملك . و لعلّ منشأ

[1] – عاقل (نبيه) ،المرجع السابق،ص177؛الطبري، نفسه .

[2] – الأصفهاني(حمزة)،المصدرالسابق،ص86

؛ابن قتيبة(الدينوري)،المصدر السابق،المعارف،ص646 ؛ جواد(علي)،المرجع السابق،ص187.

[3] – ابن قتيبة (الدينوري)، المصدر السابق،ص647.

[4] – اليعقوبي(احمد بن جعفر)،تاريخ اليعقوبي،طبعة ليدن،مطبعة بريل،1969،ص54

؛عاقل(نبيه)،المرجع السابق،ص 178.

[5] – الاعظمي (علي ظريف) ،المرجع السابق،ص 26.

اضطرابهم من خلطهم بين مدة حكم جذيمة الأبرش (60سنة) وبين عمرو بن عدي.إلاّ أن الشاهد المادي يؤيد القول الذي يذهب إلى أن عمرو بن عدي انما حكم عشرين سنة أو نيفاً و عشرين سنة. وذلك مايرمي إليه رأي ظريف الأعظمي البغدادي،إلا أنه يمكن أن نؤاخذ على هذا الأخير قوله:"عاصرويعني عمروعدي،من ملوك الفرس الساسانية سابور الأول بن أردشير بابك و بهرام الأول بن وبهرام الثاني و بهرام الثالث[1] ".

فإذاماإعتمدنا على بعض من يخصّهم الرواة باعتراف الأمانة والحفظ مثل،حمزة الأصفهاني،في كتابه:سني ملوك الأرض والأنبياء،وجمعنا مدد حكم هؤلاءكان أقل تقديرٍ لجمعنا هذاهوالسبعين سنة وفي هذا ولاشك بعض التناقض.ثم إذ ما أجلينا نظرنا إلى ماذكره جوادعلي في كتابه:المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،فإنه يذهب مذهب الطبري الذي ينقل أخباره عن ابن الكلبي وكذاحمزة.ولكنّه لايفرّق بين مدّة الحكم،ومقدارما عاشه هذاالملك. فنجده يذكرأن عمرو بن عدي قد عاش مئة سنة و عشرين سنة .

وحَكم على حدّ قول ابن الكلبي،مائةسنة وثماني عشرة سنة. ويفصّل مدة الحكم التي لا تختلف كثيرًاعن حياة هذا الملك بالقول:"من ذلك في زمن أردوان وملوك الطوائف خمس وتسعون سنة،وفي زمن ملوك فارس أي الساسانيين ثلاثاً وعشرين سنة،من ذلك في زمن أردشير بن بابك أربعة عشرة سنة وشهرو في زمن شابور بن أردشير ثماني سنين وشهران[2]".ولهذافإن الاختلاف بين المؤرخين واضحٌ حول مدةحكم هذاالملك،ويقول جوادعلي:"والعَجب أنّهم يعتمدون على موارِدٍ مشتركةٍ قد يُشيرون إليها،ثم إذ بهم يختلفون في أمورٍماكان ينبغي وقوع الخلاف فيها ،لأخذها من موردأوموارِدٍ مشتركةٍ[3]".

من أجل ذلك كان الشاهد المادّي المعتبر لدينا، والمتمثّل في بقايا قبرامرئ القيس وما وُجد مكتوباً عليه . يُحيلنا إلى بعض الثقة في الروايات التي ترمي إلى القول: بأن حكم عمرو بن عدي إنما دام عشرين،أو نيفاً وعشرين سنة .

2- أ-2- امرؤالقيس بن عمرو(البدء)(من سنة 288 إلى سنة 328 م):

[1] - نفسه .

[2] - جواد (علي)،المرجع السابق،ص 304 .

[3] - نفسه ،ص 305

؛ جواد (علي)،موارد تاريخ الطبري،مجلة المجمع العلمي العراقي،ج1،السنة1،مطبعة النقيض،بغداد، 1950،ص140.

ملك بعدعمرو بن عدي الذي لم تذكرلناالمصادرظروف وفاته امرؤ القيس ويتحدّث المؤرخون عن نسبه فيقولون هو:امرؤ القيس بن عمرو بن عدي،وأمّه ماوية بنت عمروأخت كعب بن عمروالأزدي.اشتهرعند الرواة بـ:امرؤ القيس البدءأي أمرؤ القيس الأول،كما لقّب بالمحرّق ومن هذااللقب أطلق على بني نصراللخميين وعُرفوا به،و فيهم يقول الأسود بن يعفر،الشاعر:

ماذا أومّل بعد آل مُحرّقٍ تركوا منازلهم وبعد إياد

أرض الخَوَرْنقِ و السَّدِير وبَارقٍ و القصر ذي الشُرفات من سِنداد

ونصادف كلمةالمحرّق ومحرّق وآل محرّق في مواضع كثيرة من الأخبارالمتعلقة بملوك الحيرة.أماسبب إطلاق هذه التسمية،فقداجتهدفيها المؤرخون ليجدواتعليقاًمبيّناًله،ويبدواأن اجتهاداتهم تلك وقفت عندحدودالافتراض ولم تأتِ بالدليل المقنع،فنجدجوادعلي يعلّل هذاالتلقيب على لسان المؤرخ الألمانيRothstein روتشتاين بالقول" وهم يرون أنه لقب ألحق بأولئك الملوك لأنهم عاقبوا أعدائهم في أثناء غزوهم لهم بحرق أماكنهم بالنار[1]".

وهذاولاشك تفسيرظاهر الكلمة وهوتفسيرمغلوط والصحيح في نظرروتشتاين أنه اسم علم لأشخاص عرفوا بمحرّقٍ ولذلك قيل آل محرّق وآل المحرّق.

وهناك فرقٌ بين إيراد الاسم معرفاًالمحرّق والذي يدلّ في علم الدلالات بالصفة و بين محرق والذي يدل على اسمٍ علمٍ،كما يفهم من كلامه ويضيف روتشاين إسماًآخرألصقه بصفة محرق هوالحرب فأصبحت الصفةمحرّق الحرب وهذا اللقب لم نجدهيذكرعندالمؤرخين العرب،فيمايتعلق بامرئ القيس بن عمرو،كمايجتهد ولهاوزن J.Wellhausen في إعطاء تفسيرلإطلاق هذاالاسم،فيعلّل ذلك بافتراضه أن محرّق هو صنم من أصنام الجاهلين تعبّدت له بعض القبائل مثل: بكربن وائل وربيعة،ويعطى مكانا لهذا التعبّد يطلق عليه موضع سليمان ويضيف جوادعلي على ذلك بقوله:".و قد ورد بين أسماء الجاهلين اسم له علاقة بهذا الصنم ،هوعبد المحرّق أفلا يجوز أن يكون للمحرق إذا علاقة بهذا الصنم كأن يكون قد اتخذ من باب التيمّن و التبرّك للملك[2] ".

ويرى بعض المؤرخين في تفسيرهذا اللّقب خاصة المستشرقين بأن محرّق لقب أطلق على ملوك كانوا يتقرّبون إلى الله بزعمهم بإحراق القرابين و بإسرافٍ .كما نجدتفسيراًآخروهومجرد افتراضٍ،بالقول أن

[1] – جواد (علي)،المرجع السابق،ص188.

[2] – نفسه .

محرقًا كان من الشخصيات القديمة الواردة في الأساطيروقداقترن اسمه بالدروع،وورد بردي محرّق، كما اقترن اسمه بنسيج داوود.مما يدل على أن هذا الاسم من الأسماء المعروفة قديمًا في الأساطير الجاهلية ،وقدورد أيضًا صوت محرق وفرخ محرق .وذلك يدلّ على أن محرقًا في هذا الموضع حيوانٌ قد تكون له علاقة بأساطير الجاهليين و إذا كان الاختلاف موجوداً فعلاً في سبب إطلاق هذا اللقب على امرئ القيس،فإنه ولاشك في ذلك أن معظم المؤرخين الذين نقلوا تلك التعليلات، لم يبحثواأويدققوافي أصل هذا اللقب.لذا نجدهم يطلقونه على آل نصر كلهم[1] .

ومهما يكن فإننا نجد الإخباريين ومعظم المؤرخين يتفقون على أن امرؤ القيس هو أول من تنصّر،ومن العجب أنهم يتناقلون رواية ذلك ولكنهم لا يتكبّدون عناء ذكر تاريخ هذاالتنصّرولا كيفيته ولا دواعيه ومن ثم فإن أمرتنصره وإنه أول من تنصرعلى خطورته يبقى مجرد خبر يحتاج إلى دليل. وخلافاً لكل هذا،فإننا نجد طائفة من أخبار هذا الملك تنصب حقيقة تدل عليها الآثار المكتشفة من هذه الأخبار الموثقة .أن ملكه كان من الاتساع بمكانٍ تفوّق فيه على الملوك السابقين من الحيرة،وهوالخبر الذي نجده متواترًاعندالإخباريين فمعظمهم يذكر ذلك ولا ينكره فقد أخضع قبائل:أسدو نزارومذحج ومعد، ويبدوا أنه كان ذا نزعة حربية و أطماع توسّعية أكثرمن سابقيه وكان اكتشاف نقش النمارة من الأهمية ماجعله أفضل أثرٍ مادي يصلناعن ملك عربي شمالي و أقدم ملوكهم،إذْ هويتعلق بأول ملكٍ من ملوك لخم يقف المنقبّون على اسمه منقوشًا على قبره و فيه تاريخ وفاته وذلك أن المستشرق الفرنسي دوسو R.Dessaud عثرفي خرائب النُّمارة في هوران على حجرٍمربع الشكل من البازلت مساحته 4.40 م في 3.39م أصله من أنقاض قبر قديم وهوالعتبة العليا من ذلك القبروعليه خمسة أسطرٍ منقوشة بالحرف النبطي واللسان العربي الشمالي وليست باللغة الحميرية[2] .أوالحرف المسندكما ينتظربل هي منقوشة باللغة العربية الشمالية أو لغة عدنان كما كانت في ذلك الحين أي في أوائل القرن الرابع للميلاد و بالحرف النبطي الذي كان يكتب به عرب الشمال وهذه أقدم كتابةٍ عربيةٍ شمالية يمكن قرأتها منقوشة على الآثار طولها مترو16 سم هذا نصّها بالحرف العربي كل سطر على حدى[3] :

---

[1] – نفسه ،ص189.

[2] – ديسو(رنيه)،العرب في سوريا قبل الإسلام،تر،عبد الحميد الدواخلي ومحمد مصطفى زيادة، وزارة التربية والتعليم،لجنة التأليف والترجمة والنشر، دمشق،1959،ص33.

[3] – نفسه .

1- تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج .
2- وملك الاسدين ونزور وملوكهم هرب مدحجو عكدى وجا .
3- بزجي في حبج نجرن مدينة شمر و ملك معدو و نزل بنيه .
4- الشعوب و وكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
5- عكدى. هلك سنة 223 يوم بكسلول بلسعد ذو ولده.

يذكرجرجي زيدان على هذاالنص محلّلا:"وهذالسان عربي تشوبه صبغة آرامية يحتاج تفهّمها إلى إيضاحٍ،ففيهامن الألفاظ الآرامية والنبطية: "تي" أي"هذا"،و"نفس" أي"قبر" ،و"بر" أي"ابن"،و"عكدي" أي"اليوم"،ويضيف...وكان العرب يومئذٍ من دورالانتقال لاستخدام لغتهم بدل اللغة الآرامية الرسمية وإذنظرت صورة الخط نفسها،رأيتها في أوّل دورالانتقال أيضا،من الشكل النبطي إلى الشكل العربي لأن الخط العربي الشائع بيننا الآن متحوّل عن الحرف النبطي الذي كان شائعاً في مملكةالأنباط .وإذأردناتقريب هذه الكتابة إلى أفهامنا وتدوينها بلهجتنا العربية،لهجة القرآن الكريم كتبناها على هذا الشكل[1]:

1- هذا قبر امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي نال التاج .
2- والأسدين ونزاراً و ملوكهم و هزم مذحجاً بقوّته وقاد .
3- الظفرإلى أسواربحران،مدينة شمر،وملك معد أًواستعمل أبناؤه على.
4- القبائل ووكلهم لدى الفرس و الروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
5- في القوة،هلك سنة 223 يوم 7 بكسلول ليسعد الذي ولده .

وكان أهل الشام وحوران وما يليها يؤرّخون في ذلك العهد بالتقويم البصروي نسبة إلى بصري عاصمة حوران . و هو يبدأ بدخولها في حوزة الروم سنة 105م و223 من هذا التقويم متوافق إذاً سنة 328م،وهي السنة التي توفّي فيها امرؤ القيس. ويرى كليرمون جانوClermontGanneau المستشرق الفرنسي،أن لفظ التاج كان لوحده لدلالة على علاقته بالفرس وان وجد قبره في حوران و هي تابعة للروم لأن لقب ذي التاج من ألقاب ملوك الحيرة[2]. ويذهب رنيه دوسو،مذهباً بعيداً في سبب وجود قبرامرئ القيس في هذا المكان بقوله:"والقبرالذي أقيم لايرئ القيس في النُمارة في إقليم روماني والرثاء

[1]- جرجي(زيدان)، العرب قبل الإسلام، دار مكتبة الحياة، بيروت ،1966،ص270.

[2]- Ch.Clermont-Ganneau,recueil d`archeologie orient,t6,E.Leroux,Paris,1903,p395

الذي كُتب بحروفٍ نبطيةٍ في لغة عربية، و الذي يرجع تاريخه إلى عهد الولاية الرومانية في البلاد العربية يكفيان لتأييّد اعتراف الرومان بسلطان امرؤ القيس و إن كان النص لا يقطع بهذا تمامًا[1]"،وهو يريد في ذلك أنه كان لأمرؤ القيس من القوة الحربية ماجعل الرومان يعترفون بهذا الواقع و يتعايشون معه . ولكنه يضيف أن النص لا يقطع بهذا الاعتراف تماماً، ولكنه يشير اليه . ويزدري دوسوفكرة المؤرخين المعاصرين عن العلاقات الدولية في القديم،و يقدح فيها بالنقصان والاقتصار،حيث يضيف دائماً في تحليله لنص النقش الذي وجده في النمارة بالقول:"إن مركز ملك جميع العرب الذي يستمّد سلطانه من ملوك فارس ولكنه في نفس الوقت حليف لروما،ما يبعث عن العجب،و فقاً لفكرتنا البسيطة عن العلاقات بين الشعوب، ثم يجد هذا المستشرق الفرنسي مخرجاً في تفسير ذلك بقوله:"لكنه يتفق مع تلك السياسة المتأرجحة للشرقيّين ومع المركز الخاص للعرب الرّحل في بادية الشام وعرب الحطرة...و يضيف ...لكنهم عرفوا كيف يحافظون ،يقصد العرب،على استقلالهم ،من أن يعتدي عليه أولئك أو هؤلاء يعني الفرس والرومان[2] ".مايعطينا إنطباعاً حول قوة مملكة الحيرة في ذلك الوقت ، و نجاعة السياسة التي طبقها امرؤ القيس في التعايش مع القوّتين المجاورتين الفرس والروم و لاشك أن ما جاء به نقش النمارة يحظى بتأييدٍ غير يسيرٍ من طرف المتّتبع لتاريخ الممالك العربية الشمالية والسبب في ذلك ماجاء به هذا النقش ،من معلومات صحّحت الوضع بالنسبة لأذهان كثيرٍ من المؤرخين . حيث يرى جواد علي أن صاحب القبرو يقصد امرؤ القيس كان رجلاً محارباً و قائداً كبيراً ، أخضع قبيلتي أسد ونزار و هزم مذحجًا ، و أخضع معداً ووزّع بنيه في القبائل وبلغت توسعاته أسوارنجران مدينة شمرفي اليمن ويذكرأيضا أنه بهذا التوسع قد تمكن من السيطرة على معظم أنحاء الجزيرة .

و يؤكد رنيه دوسو، R.Dessaud .أن"هذا القائد السعيد على وصفه، يبدو أنه قد حارب شمر يور عيش ،صاحب نجران في جنوب البلاد العربية[3] " . و في تحليله لذلك يرى جوادعلي أن هذا النص يناقض الروايات التي تنسب الفتوحات العظيمة إلى شمريهرعش ،شمريرعش، فتجعله فاتح العراق وما وراء العراق إلى الصين وتعكس القضيةعكساً تاماً.وروايات فتوحات شمرهي روايات يمانية وضعها أناس متعصّبون لليمن ولاشك . ويتفق المؤرخون العرب والمستشرقون على أن امرؤ القيس يكون قد

[1] – ديسو(رينيه)،المرجع السابق،ص36.

[2] – نفسه .

[3] – Dussaud (René) ,les Arabes en Syrie avant l'Islam,P.Gauther ,Paris, p43.

حارب شمريورعش و إستنادهم في ذلك دائماً على نقش النمارة . ويتفقون على أن امرؤ القيس قد أغار على نجران فوصل أسوارها ولكنها امتنعت منه،وإنه فرض سلطانه على القبائل التي كانت تجاورها واعترفت بسلطته عليها.وتذهب الافتراضات إلى أبعد الحدود فيما يتعلق بالسؤال المحيّر : كيف وصل امرؤ القيس إلى حوران إلى أن دفن فيها ؟ و يبدوأن هذا السؤال لم يوجدله إجابة دقيقة ولم تظهر لنا النقوش والحفريات- ماخلا نقش النمارة- ولا الأخبار المتواترة من لدن المؤرخين .(الملحق رقم 04،الملحق رقم 02).

ومال الكثير من الرواة والباحثين في هذا المجال لوضع فرضيات لتقريب الوضع من الواقع أو محاولة الإجابة على هذا السؤال.فبعضهم يعلّل سبب ذلك ،أن سلطة امرؤ القيس امتدت على قبائل العرب في بادية الشام و العراق و أقواها يومئذ معد ونزار ومذحج[1].وآخرون يفترضون مجيئه إلى حوران في مهمّة أوشأنٍ،وتوفي فيها فبنو له قبراً في أرض رومانية وكتبوا عليها بالحرف النبطي،قلم تلك الولاية وأرّخو بتاريخها. وهم يستدّلون بذلك على وجود علاقةٍ وديةٍ كانت بينه وبين الشام[2]، كماأسلفنا القول.وآخرون يميلون إلى قول آخر ويعتقدون أن أمرئ القيس كان ذو نزعةٍ حربيةٍوأطماعٍ . حاول توحيد القبائل العربية تحت قيادته فأخضع قبائل:أسد ونزار ومذحج ومعدوكثيرٌ من المستشرقين يستدلون على وجود تمهيد لتوحيد المجتمعات العربية تحت قيادته في هذه الفترة، قبل وجود الدعوة التي قام بها محمدصلى الله عليه وسلم،وانتجب مجتمعاً عربياً واحداً. ويضيفون أن أمرؤ القيس لما أوجد هذا النوع من التوحيد تحت قيادته ، ولما أمّن جبهته الداخلية و اطمأن لقوته،غزا الروم فقُتل ودُفن في أرضهم ،كما يؤكد نقش النمارة[3].وإذا مانظرنا إلى استعمال التأريخ كحجة تاريخية ، و القول انه مادام أهل حوران يؤرّخون بالتاريخ البصري الذي يبدأ بتاريخ دخولها تحت سيطرة الرومان فنستدل بذلك على وجود الحكم الروماني بها ،فذلك من دواعي التبعية الثقافية نراها محبّذة في مجتمعات معاصرة . و ينهض دليلاً مدعماً على ما نقوله أن الكتابة جاءت بالخط النبطي ولكن اللسان كان لساناً عربياً ، مما يدل على استعمال كتابته كان كآداة للإيصال فقط .بينما يرى آخرون أن سببب دفن امرؤ القيس في موضع النمارة من بلاد الشام، أن أمريء القيس كان في بلاد الشام حينما نزل به أجله . و يرى البعض الآخر، أنه كان قد جاء إلى بلاد الشام لأنه كان من حزب بهرام الثالث ومن

[1] - جواد (علي)،المرجع السابق،ص 190 .

[2] - نفسه.

[3] - ديسو(رينيه)،المرجع السابق،ص37 .

مؤيديه،فلمّا وقع الخلاف بين الفرس على العرش و انتصرنرسي،خرج أمرؤ القيس من العراق وقصد بلاد الشام فأقام هناك ، ومال إلى الروم فأيّدوه وأقرّوه على بلاد الشام . فيكون قد عمل للفرس و للروم معاً. ويبدوا أن هذه الاستنتاجات التي خرج بها جواد علي من كتابات R.Dessaud إنما قصد بها و ضع فرضيات تقترب من الحقيقة[1] .

ومهما يكن ، فإن السؤال المطروح آنفًا يبقى مطروحًا دون اجابةٍ دقيقةٍ،إلى أن تظهرالمزيد من الحفريات أو النقائش الجديدة حول ذلك . وتضطرب الروايات حول مدة حكم امرؤ القيس ،فحمزةالأصفهاني يجعل حكمه يصل إلى 114 سنة[2] وهوأمرمبالغ فيه. وتكاد المصادرالتاريخية تجمع على أن أمرئ القيس عاصر من ملوك الفرس بهرام الثالث ونرسي،وسابورذو الأكتاف. وأن مدة حكمه بالمقارنة بين المصادر يكون 40 سنة[3].

و لعلنا لا نجتهد إذ ما تصفّحنا الروايات والأخبار التي تتحدث عن الظروف الدولية التي كانت تمرّ بها المنطقة . لندرك جيداً مدى الضعف الذي كانت تمر به الإمبراطورية الفارسية أومدى القوة التي تحلت بها القبائل العربيةفي ذلك الحين ونحن نقصد بالذكر عهد سابور الثاني. حيث أنه وبعد وفاةهرمز بن نرسي أوصى بالملك لأبنه الذي كان لا يزال حمْلاً و لم يولد بعد فلمّا وُلد ذكراً استبشر به الفرس خيراً وكان الملك لسابور بن نرسي أوسابورالثاني.

فلما عرفت الأمم خاصّة مجاوريهم من العرب مدى ضعف تدبير الفرس طمعوا في ملكه ، والروايات المتواترة تحدثنا على غلب و سيطرة العرب من عبد القيس والبحرين و إياد المجاورين للفرس على سواد العراق . وهذا الأمر يفسّر لنا أيضا مدى التقارب بين الرومان ومملكة الحيرة وإتساع ملك امرؤ القيس وسطوته . وربما يقف دليلا لم يلتفت إليه المؤرخون حول سبب وجود قبر أمرئ القيس في النمارةفوجوده في تلك المنطقة لا يمنع أن مملكة الحيرة أصبحت من القوة بمكان يجعلها تضايق الحدود الرومانية .

لكن الصِلات التي نستلهمها مما توحي به الكتابات الموجودة على القبر،تجعلنا لا نميل إلى مبدأ التصادم بل العكس يمكن أن نقرن ذلك بالتعايش و التسامح ،الذي كانت تعيشه مملكة الحيرة مع الإمبراطورية الرومانية.

---

[1] – جواد (علي)،المرجع السابق،ص 190 .

[2] – الاصفهاني(حمزة)،المصدر السابق،ص87.

[3] – ديسو(رينيه)،المرجع السابق،ص37 .

وفي المقابل وبالنظر للتطورات المذكورة آنفاً و هجمات القبائل العربية على مملكة الفرس ربما تدل على أن ملك الحيرة امرؤ القيس ارتأى النأي بمقر مملكته عن تلك الصراعات إلى حدود آمنة وهو ما يفسر وجود قبره في النمارة .

وتحدثنا الروايات على أن سابورالثاني الملقّب بذي الأكتاف أنه لما شبّ وبلغ ستة عشرسنة،و قوى على حمل السلاح اختار من عسكره ألف رجلٍ،وهجم بهم على العرب المجاورين من أياد فأكثر فيهم القتل وغوّر مياههم وقصد البحرين كما قصد بكر وتغلب فيما بين الشام و العراق و أباد عبد القيس حتى وصل إلى اليمامة وكان ينزع أكتاف رؤسائهم ويقتل ويشرّد بهم حتى مات، لذلك سُمي سابورذي الأكتاف .

وتروي قصائد الشعراء ذلك الحدث التاريخي ، من ذلك قول لقيط الإيادي الذي كان في ديوان سابورما بعثه لقومه تحذيرًا لهم من من بطش سابور .إذ يقول[1] :

سلام في الصحيفة من لقيطٍ إلى من بالجزيرة من إياد

بأن الليث كسرى قد أتاكم فلا يشغلنّكم سوق النفاد

ومهمايكن فإنه و بالنظرإلى ما اكتشف في نص النمارة من معلومات و أخبار. يعزّزها ما رواه الرواة العرب،عن فترة حكم الملك امرئ القيس. فإنه يمكننا القول أن مملكة الحيرة مرّت في عهد هذا الملك بفترةٍ من القوة السياسية جعلتها تملك زمام المبادرة من العرب جميعاً سواء أكان ذلك محاولةً من امرئ القيس في جميع شتات القبائل العربيةالمتفرّقة تحت راية واحدة.

والأخذ بأسباب والوحدة للوصول إلى بناء مملكة أكثر قوةً بين الإمبراطوريات الفارسية والرومانية حتى أننا نستشف مبلغ تلك القوة في الذهاب بها بعيداً،والوصول إلى بناء حدود أسوار نجران.وتهديد مملكة سبأ وذي ريدان و حضرموت ويمنت .

2– أ–3– عمروبن امرؤالقيس(عمرو الثاني)(من سنة 328 إلى سنة 377 م) :

هوعمروبن امرؤالقيس الأول و قد اختلف الإخباريون في تحديد اسم أمّه فرواية تقول أن أمّه هي: هند بنت كعب بن عمرو ونجد هذا فيما تناقله الرواة عن حمزةالأصفهاني[2].بينما نجداسمهاماريه

[1] – جواد (علي)،المرجع السابق،ص308 .

[2] – الأصفهاني (حمزة) ،المصدر السابق،ص 87.

البريّة،أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسان وذلك طبقاً لرواية المسعودي[1]. وقد ذهب بعض الرواة إلى أن ماريه هذه هي التي ضُرب بها المثل بقِرطيها فقيل:" قرطا ماريه " و هي أم عمرو[2].

أمّا كُنيته فهي محرّق الحرب أومُسعر الحرب وهي تسميّات تدل على أنه كان محارباً شديد الاهتمام بالغزو شديد البأس عالي الهمّة[3]. ولا تكاد تُذكر الأخبار عن عمله شيئاً و لعلّ كُنيته السابقة تناقض ما ذهب إليه ظريف الأعظمي بوصف عهده بالسلم والرخاء فقال:"كانت أيامه أيام سلم ورخاءوعزوهناء"[4].وتختلف الروايات و تتضارب حول مدة حكم عمرو الثاني وملوك الفرس الذين عاصرهم .فمن رواية تقول أنه حكم خمسة وعشرون سنة ،وهي رواية كل من المسعودي ومن نقلوا عنه. إلى رواية أخرى تجعل من حكمه ستين سنة و هي رواية الطبري ومن نقل عنه أمّا في ذكرمن عاصره عمرو الثاني من ملوك الفرس فالطبري يذكر أنه بقي عمله بقيّة ملك سابوروجميع أيام أردشيربن هرمز بن نرسي و بعض أيام سابور بن سابور،ثم أضاف أن جميع مدة ملكه فيما ذكرابن الكلبي ثلاثين سنة ،و بالتالي تكون مدة حكم عمروالإجمالية طبقاً لرواية الطبري هي الستين سنة و بالتالي فإن سنة وفاته تكون 388 م. وهي سنة وفاة سابور ذي الأكتاف،أمّا إذا أخذنا بالرواية التي تقول أن حكمه دام خمس و عشرين سنة أو ثلاثين سنة فيجب أن تكون تاريخ وفاة عمرو،قبل 388 م أي في حكم سابور ذي الأكتاف سبعاً وثمانين سنة ثم وضع عمرو بن أمرو القيس ملكاً بعده و حكم حسب رأيه أربعين سنة .إلا أنّه وبعد المقاربات بين مُدد حكم امرئ القيس وعمرو الثاني ومن حكم بعده نجد أن ظريف الأعظمي يذكرأنّ عمرو الثاني حكم تسعاً و أربعين سنةً[5]،ويجعل سنة وفاته 377م.

2– أ– 4– أوس بن قلام (العمليقي) (من سنة 377 إلى سنة 382 م):

---

[1] – المسعودي(ابوالحسن علي)،المصدر السابق ،ص 115
؛جواد (علي)،المرجع السابق،ص 195.

[2] – نفسه؛الميداني(أحمدبن محمد)،مجمع الأمثال،تح،محمدبوالفضل،ج3،ط2،دار الجيل ،بيروت،1987،ص423.
؛Sedillot (L.A)., op,cit ,p23

[3] – الاعظمي (علي ظريف) ،المرجع السابق،ص 29 ؛ Hitti(Philip.K) ,op,cit, p45

[4] – نفسه.

[5] – الاعظمي (علي ظريف) ،المرجع السابق،ص 30.

هو أوس بن قلام بن بطينا بن جمهير بن لحيان العمليقي[1].و قيل أنه خلف عمرو بن امرؤ القيس. وأن الذي استخلفه على الملك سابورو يبدوا أنه من أسرة غريبة عن البيت اللخمي فتتفق المصادر التي تطرّقت إليه بالذكر أنه من العماليق و في الأغاني أن أوساً كان من أسره كانت تقيم في الحيرة و هي من بني الحارث بن كعب [2].و لم تذكر المصادر السبب الذي دعى إليه سابور إلى هذا التعيين أمابن خلدون فيجعل نسبه من بني عمرو بن عملاق[3]. إلا أن روايات المؤرخين تتفق على أن مدة حكمه دامت خمس سنين[4]. و أغلب المصادر التي تتطرق إلى أوس بن قلام بالذكراذ لا نجد بها ذكراً لما قام به ، لكنّ السياق التاريخي يجعل من الغريب عن البيت اللخمي ملكاً فعلاً استخلصه سابورعلى ملك الحيرة .و نحن إذ نورد ما أجمع عليه المؤرخون في أمر ذلك الاستخلاف، فإنه يحق لنا التساؤل عن الدّاعي لذلك الاستخلاف خاصة و أن فترة أوس بن قلام من الحكم قليلة تدوم خمس سنوات فقط ،مما يحدوا بنا إلى نفي الافتراض القائل إنما كان ذلك الاستخلاف كنوع من الوصاية لملكٍ من آل لخم كان لا يزال غير قادرٍ على الحكم بسبب صباه وهوما نجد مثله في تاريخ ملوك الفرس وغيرهم من الممالك القديمة كما أن المصادر تتضارب في مدة حكم سلفه في الملك عمرو الثاني، فإنها أيضا لا تذكر ظروف وفاة عمرو الثاني و التي بإمكانها إعطاءنا فكرة عن السياق التاريخي والظروف التي دعت لمثل هذه التعيين و فترةتملك أوس بن قلام قصيرة بحيث لم يسجل فيها المؤرخون شيئا يذكر،إلا أننا نجد نزراً غير يسير من المؤرخين يدّعون أنه مات .فبعدعمرو الثاني ظهرت الفتن بين أولاده و دبّ الخلاف بينهم ودراءً ا لذلك وحسمًا للخلاف قام سابور باستعمال أوس بن قلام ليعمل على توطين الأمن وحسم مادة الخلاف بين ورثة عمرو بن امرؤ القيس .

و لكن منّ هؤلاء المؤرخين من يذكروا أن من استعمل أوس بن قلام هو سابور ذو الأكتاف،إلا أنّه وبالنظرإلى اتفاق المصادرحول آخر ملوك الفرس الذين عاصرهم عمرو بن القيس فإنه يتضّح أن المقصود هو سابور بن سابور .

[1] – الأصفهاني (حمزة)،المصدر السابق،ص 87.

[2] – الاصفهاني (ابو الفرج)، المصدر السابق،ج2،ص 52.

[3] – ابن خلدون(عبد الرحمان)،تاريخ الرسل و الملوك،تح،محمد ابوالفضل ابراهيم،ج1،ط4 ،دارالمعارف،القاهرة ،1979 ،ص63.

[4] – ابن الاثير(علي بن محمد)،المصدر السابق،ص 233

؛الأصفهاني (حمزة)،المصدر السابق،ص 67 .

أما عن نهاية أوس بن قلام فإن الروايات تؤكد أنه مات مقتولا،ولكن المؤرخين يختلفون حول نسب من قتله .فحمزة يورد لنا اسمه و نسبه فيقول:"حججنا بن عبيل أحد من بني فاران،ثم يضيف،قال ابن الكلبي:"وهو فاران بن عمرو بن عمليق وهم بطن بالحيرة يُقال لهم بنو فاران وحججنا منهم،فقتل حججنا أوساًفرجع الملك إلى آل بني نصر"[1].أمّاالطبري فيروي عن ابن الكلبي روايةآخرى فيقول:حججبن بن عتيك بن لخم ثار بأوس بن قلام فقتله،فالروايتان وان كانتاعلى اختلاف تجعلان من حججا أو حججبن هذا مرةمن بني لخم ومرة من بني فاران بن عمروبن عمليق،وجُعل بذلك أوساً وقاتله من العماليق معاً .ومن العجب ان نجد هذا الاختلاف رغم ان الراويين نقلا عن مصدرواحد وهوابن الكلبي،ويعلق على ذلك جوادعلي قائلاً :اما هذا الاختلاف الذي نراه بين الرواة في كيفية ضبط اسم الثائر حججا او حججبن وفي عتيك او عبيل، فيمكن إرجاعه إلى خطاء و قع في تدوين الروايات إما سهوًا أو جهلاً بحقيقة الاسم، فمن هذانشأ لديناهذا الاختلاف،ومهما يكن فالمؤكّد أن قاتل أوسٍ هذا هومن عرب الحيرة. أما عن الأسباب التي دعته إلى ذلك، فلم يذكرها المؤرخون، وإن كان جوادعلي يَسِمُها بطابع الثورة[2] الا ان بعض المؤرخين يذكرون ان بنو لخم هجموا على اوس بن قلام فقتلوه وملكوا امرئ القيس بن عمرو الثاني فرجع الملك الى اهله[3]. أما آخرون فيرون أن هلاك أوس بن قلام كان في عهد بهرام بن سابور.وأن بهرام استخلف بعده في عمله امرئ القيس بن عمرو[4]. وملك أوس قبل مقتله خمس سنين منها ثلاث سنين في أيام سابور ذي الأكتاف وسنتين في عهد أردشير الثاني بن سابور.

2- أ- 5- إمرؤالقيس بن عمروبن امرئ القيس(امرؤالقيس الثاني)(من سنة 382-إلى سنة403م): امرؤ القيس الثاني بن عمرو الثاني،ملك بعد مقتل أوس بن قلام. أما أشهرألقابه فهومحرّق الأول،وأنما لُقب بذلك لأنه أول من عاقب بالنارأعداءه .

وكان هذا الملك عظيم الهيبة،بطّاشاً،قاسي القلب،وبذلك سُمي المحرّق. فهو أول من عاقب بالنار من هذه الدولة و به عنى الأسود بن يعفر النهشلي حيث يقول[5] :

---

[1] - الأصفهاني (حمزة)،المصدر السابق،ص 87

؛ Hitti(Philip.K) ,op,cit p46

[2] - جواد (علي)،المرجع السابق،ص 196.

[3] - نفسه ،ص187.

[4] - الاعظمي(علي ظريف)،المرجع السابق،ص 30.

[5] - نفسه .

ماذا أومل بعد آل محرّق تركوا منازلهم و بعد أيّاد

كما لقّب أيضا بالبدن، قال حمزة الأصفهاني:"فرجع الملك إلى آل بني نصر فملكهم امرؤ القيس البدن[1]" .

2- أ-6-النعمان بن امرئ القيس(النعمان الأول)(من سنة403إلى سنة 431 م):

هو النعمان الأول بن امرئ القيس الثاني بن عمرو الثاني . و يُجمع النسّابون على أن أمه هي:شقيقة بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة.وتكاد تجمع المصادرعلى أن النعمان الأول هو أول من ملك نستطيع أن نتحدث عنه من التأكيد والتحقيق والتفصيل اعتماداً على رواية الإخباريين المتشابهة.أماأشهر الألقاب التي عُرف بها النعمان الأول فهي:النعمان الأعور،وعُرف أيضا بصاحب الخورنق ولُقب أيضا بالسائح.اشتهربكونه من أشد ملوك العرب بأساً ونكايةً في أعداءه،و أبعدهم مغاراً و أكثرهم ثروةً و مالاً. و كان مُهابا جليل القدر، نافذ الأمر، شجاعاً مطاعاً،حازماً،ذاعقلٍ راجحٍ و همّة عاليةٍ .اجتمع له من الأموال الباهظة، والرقيق والخيل والجند والسلاح ،ما لم يجتمع لأحدٍ من ملوك الحيرة[2] .

وتورد لنا أخبارالرواة من سِبقه إلى الحزم وتدبير الملك و ضبطه،أنه أول من سنّ نظاماً للجيش وأنه جند الجند على نظامٍ عُرف به على سائر الجيوش في عصره.فقسّم الجيش إلى خمس كتائب و هي:

الرهائن:وعددهم خمسمائة رجل،وهم رهائن لقبائل العرب الذين يقيمون في حِمى المملكة وعلى باب الملك سنةً،ثم يخلفهم كل سنةٍ مثلهم،وإنما يُستدل من اسمهم أنهم كانوا يؤخذون كضمانٍ ودليل ولاءٍ للملك من قبائل العرب المقيمة في حدود المملكة .

أماعن مهامهم فإنها تدخل في شؤون الحرب ،فكان النعمان يغزو بهم ويوجّههم في أموره .

الصنائع : وهم بنو قيس وبنو تميم اللات بن ثعلبة وكانوا خواصّ الملك لايبرحون بابه والوضائع:وعددهم ألفُ رجلٍ من الفُرس يستخدمون لنصرة العرب ويضعهم الملك الفارسي بالحيرة ليستعملهم ملوكها.وكانوا يُستبدلون بمثلهم كل سنة والأشاهب : وهم وإخوة الملك وبنو عمّه ومن يتبعهم ،وإنما سُمّوا بهذا الاسم لأنهم كانوا بيض الوجوه .وهذا الاسم أُطلق على ملوك الحيرة منذ هذا العهد .أمّا حمزة فيرى أن الشهباء هي كتيبة تتكون من الفُرس[3]، والاختلاف اللغوي بين لفظ

[1] - الأصفهاني (حمزة)،المصدر السابق،ص 88.

[2] - جواد (علي) ،المرجع السابق،ص 197.

[3] - الطبري(محمدبن جرير) ،المصدر السابق،ج1،ص 239؛الاعظمي (علي ظريف) ، المرجع السابق ،ص 32.

الأشاهب وهي لقب الملوك المناذرة والشهباءوهي لقب الكتيبة تجعلنا نفرّق بين الاثنين،ويكاد يجمع رأي الإخباريين على أن لقب الكتيبة الحربية إنما هو (الشهباء) وهي تتكّون من رجال الفُرس.ويبدو أنهم يُختارون من الجيش النظامي للإمبراطورية الفارسية.وأنهم يُعيّنون بصفةٍ دائمةٍ ،لأن المصادر لا تتحدث عن استبدالهم مثلما تحدثت عن كتيبة الو ضائع .

ودوسر:وتتكوّن من رجال القبائل العربية ،ومن نُخَبهم وسُميت كذلك أشقاقاً من الدسر وهو الطعن.قال الشاعر[1]:

ضربت دوسراً فيهم ضربةً أثبتت أوتاد مُلك فاستقر .

ويُقال أنها كانت أخشن الكتائب السابقة وأشدّها بطشاً ونكايةً،و بها يضرب المثل في الشدّة حتى قيل:أبطشُ من دوسرٍ.وكان وجوه العرب وأصحاب الرهائن يفِدون عند رأس كل سنة وذلك في أيام الربيع،إلى النعمان وبقيّة من تولىّ الملك بعده وقد صيّر لهم أُكلاً عنده،وهم ذوو الآكال.فيبقون شهراً ويأخذون أُكلهم ويبدّلون رهائنهم ،وينصرفون إلى أحيائهم . وذوو الآكال هم سادة الأحياء وكانوا يأخذون الِمرباع ،أي ربع غنيمة في الحرب و الغزو[2] .وبلغت الحيرة في عهد نعمان الأول مجدها،وتفوّقت على غيرها من المدن العربية بالثروة والعمران.ويُنسب إلى النعمان الأول قصري الخورنق والسديرالشهيرين اللّذين هما من أعظم أبنية الملوك العرب في العراق.

و اقترن بناء الخورنق الشهير بمثل عربي له قصّة معروفةٌ وهو المثال المعروف:جزاءسِنمّار،كما يُنسب للنعمان أنه كان سبباً في معركة رحرحان المشهودة عند العرب . وفي عهده حدثت فتنة في الحيرة بين الوثنيّين و النصارى سنة 420م. فانتصر النعمان للمسيحية وحمى النصرانية على الوثنية . وذلك يقف دليلاًعلى عدالة هذا الملك وميله للحق . حيث أنتصر النعمان للنصرانية وحمى النصارى ، وهو على غير ملّتهم بل كان على ملة مناوئيهم من الوثنيّين .

وكان يومئذٍ في الحيرة جماعةٌ كبيرةٌ من النصارى العرب ومعهم أسقف ولهم ديارات عديدة[3] ،إلاأن هناك روايات تذكر أن النعمان الأول قد تنصّر ، ونسبت تنصيره إلى سلطان القدّيس سمعان

[1] – جواد (علي) ،المرجع السابق،ص 189.

[2] – نفسه .

[3] – الاعظمي(علي ظريف)،المرجع السابق،ص37 ؛

Noel.M,op,cit,p65؛Sourdel(Dominique),Histoire des Arabes,1ereéd,Presse de France,1976,p42
Tor(Andrea),LesOriginesde l'Islamet le Christianisme,tra, Jules Roche Adrien Maisonneuve, ,Paris,1955,p36

العمودي، symeon stylites .حيث أنه شفاه ببركته من مرضٍ كان ألمّ به . وهي رواية في حاجة إلى دليل . فلم يثبت أن آل لخم قد تنصّروا في هذا العهد[1]، كما أن بعض المؤرخين مثل الطبري وحمزة أطلقوا على النعمان الأول فارس حليمة نسبة إلى معركة حليمة ، أو يوم حليمة المعروف في أيام العرب. والتي دارت رحاها في عهد المنذر بن ماء السماء لا في أيام النعمان على روايات آخرين[2] .

أما لقب السائح فقد أكتسبه النعمان من قصّة مشهورةٍ وهي أنه جلس يرى الخضرة و النور و الأنهار، فقال لوزيره وصاحبه : هل رأيت مثل هذا المنظر قطٌ ؟ فقال : لا . لو كان يدوم ! قال : فما الذي يدوم ، قال :ماعند الله في الآخرة قال : في ما ينال ذلك ؟ قال: بترك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده فترك مُلكه من ليلته ولبس المسوح حتى لا يعرفه أحد ، ثم ولىّ هارباً لا يُعلم مجاله و أصبح الناس فحضروا بابه وهم لا يعلمون مجاله ، فلم يؤذن لهم عليه كما كان يُفعل ، فلما أبطأ الإذن عليهم،سألواعنه فلم يجدوه وساح الملك منذ ذلك الحين في الأرض، فلم يره أحد[3].

وفيه يقول عدي بن زيد. يخاطب النعمان الثالث بن المنذر :

وتدبّر رب الخور نق إذ أشـ ـرف يوماً وللهدى تفكير

سرّه ماله وكثرة ما يملـ ـك و البحرمعرضاً و السد ير

وفي رواية أخرى يرويها الطبري عن نهاية ملك النعمان الأول تناقض الرواية التي أسلفنا الحديث عنها وتنسب نهاية النعمان الأول لمقتله علي يد الحارث بن عمروبن حجر الكندي بن أخت تبّع بن حسان بن تبع ملكيكرب بن تبع الأقران. ملك حِجر. وذلك أن هذا الأخير أرسل ابن أخته هذاوهو الحارث بن عمرو بن حجر الكندي،في جيش عظيم إلى بلاد معد والحيرة وما والاها . فسار إلى النعمان بن امرئ ألقيس بن الشقيقة فقاتله ، فقتل النعمان وعدة من أهل بيته وهزم أصحابهم،وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر،وأمه ماء السماء،إمراة من النمرقال الطبري:"فذهب ملك آل النعمان وملك الحارث بن عمرالكندي ماكانوا يملكون[4]".ولاشك أننا إذا ذهبنا مذهب الطبري في هذا ووافقناه عليه فإننا نجد أن الملك آل نصراللخمين وملك الحيرة كله،قدولىّ بهلاك الحارث بن عمرو هذا. بينما

[1] – جواد(علي)،المرجع السابق،ص190

؛بروكلمان(كارل)،تاريخ الشعوب الاسلامية،تر،نبيه أمين،منيرالبعلبكي،ط6،دارالعلم للملايين،بيروت،ص24.

[2] – جواد(علي)،نفسه .

[3] – الأصفهاني (حمزة) ،المصدر السابق،ص 89؛ Huart.L, op,cit , p64

[4] – الطبري(محمدبن جرير)، المصدرالسابق،المجلد2،ص 86.

يناقض ذلك سيرورة الملك إلى ولده المنذر ولا نجد ذكراً لهذا الخبر وهذه النهاية إلاّ عند الطبري رغم أنه يستدرك دائما . فبعد روايته لنهاية ملك النعمان الأول وهلاكه، بل ونهاية ملك آل نصراللخمين كلهم نجده يذكر أنه ملك بعد النعمان بن المنذر ابنه المنذر، ويعلّق جواد علي على هذا التناقض بقوله:"وذلك دليلٌ على أن هذه رواية أخرى منسوبةً إلى ابن الكلبي أيضا،ولكنه – يقصد الطبري – أخذها من مورد آخر غير المورد الذي نقل عنه الرواية السابقة . و الروايتان منسوبتان لابن الكلبي[1].."من الإنفراد أيضا ما نجده في رواية المسعودي عن النعمان الأول المتعلّق باسم والدة النعمان فيقول إنها: الهيجمانة بنت سلول من مراد ويقال من إياد[2]. كما ينفرد بإطلاق لقب أخر ألصقه بالنعمان ولم نجد له أثراً عند باقي الرواة وهو قائد الفُرس.ولاشك أن هذا اللقب ذو معنى فبالرغم من اعتماد المسعودي على نفسه فما يرويه وعدم نسبته الحديث لغيره فيما يتصّل بالأخبار، فإن هذا اللقب نجده يقترب من منطق الأحوال و يتصّل به اتصالاً يجعله منه امرًابديهيًا وذلك بالنظر إلى ما بلغه النعمان من حنكةٍ جعلته يجند الأجناد من الفرس و ينظم الجيش،بالإضافة إلى تأثيره على البلاط الفارسي مما جعل يزد جرد الأثيم يدفع بابن بهرام جورو وليّ عهده إلى النعمان الأول ليتربّ ويصح في الحيرة عنده .وتكاد تجمع الأخبار على مدة حكم النعمان الأول ،حيث تقترب الآراء من الثلاثين سنة ، من ذلك قول حمزة:"كان جدّه ملك النعمان من يوم ملك إلى أن زهد في الملك وساح في الأرض ثلاثين سنة،من ذلك في زمن يزد جرد بن بهرام بن شابورخمسة عشرة سنة وثمانية أشهروفي زمن بهرام جور بن يزد جرد أربعة عشرة سنة وأربعة أشهر[3] ".

أما الطبري وابن الأثير فيقرّان بالقول أن مدة ملكه دامت تسعاً وعشرين سنةً وأربعة أشهر[4].أماالمسعودي فانه يبالغ ويطيل مدة حكم النعمان فيجعلها أكثرمن ستين سنة قوله:" ثم ملك النعمان ابن امرئ ألقيس قائدالفرس،خمسا وستين سنة[5]".

---

[1] – جواد (علي) ،المرجع السابق،ج 3،ص 205.

[2] – المسعودي(ابوالحسن علي)،المصدر السابق ،ص 199.

[3] – الأصفهاني(حمزة)،المصدر السابق،ص 88

؛ اليعقوبي ، المرجع السابق،المجلد1، ص 210.

[4] – ابن الاثير(علي بن محمد) ، المصدر السابق،ج1،ص 234

؛ الطبري(محمدبن جرير)، المصدر السابق،ج2،ص 89.

[5] – المسعودي(ابوالحسن علي)، نفسه .

ولا شك في أن هذا انفرادٌ من المسعودي الذي يجب التنبيه اليه من الانفراد في بعض الروايات،وفي مثل هذا وفي تعليقه على خبرانقراض ملك اللخمين وآل نصرالذي جاء به الطبري على يدي الحارث بن عمروثم سياقه من عقب النعمان الأول،يقول ابن الأثير:"وسبب هذا أن إخبار العرب لم تكن مضبوطة على الحقيقة فقال كل واحدٍ ما نقل إليه من غير تحقيقٍ وقيل غير ذلك في مقتل حجر بن عمرو والد امرئ القيس.والصحيح أن ملوك كندةعمروالحارث،كانوابنجدعلى العرب.أما اللخميون ملوك الحيرة المناذرة،فلم يزالواعليهاإلاأنملك قباذ الفرس وأزالهم واستعمل الحارث بن عمرو الكندي على الحيرة ثم أعاد انوشروان الحيرة إلى اللخميين[1] ".

2- أ- 7- المنذربن النعمان الأول(المنذر الأول)(من سنة 431 إلى سنة 473 م):

هو المنذر بن النعمان بن امرئ ألقيس وهو المنذر الأول ، وأمه هي هند بنت زيد مناة بن زيد بن عمر الغساني[2]،وهو نسب يتفق فيه أغلب الإخباريين فيما عداالمسعودي الذي يذكرأن أمه هي هند بنت الهيجمة من أل بكر[3].وكان شجاعاً حازماً، مضفراً، مهاباً، منصورًا نصربهرام جورفي حروب كثيرة منها حروبه مع الرّوم[4] ،وتنسب بعض الروايات المنذرالأول استعادة ملك بهرام جورمن مغتصبيه بعد وفاة يزجرد الأثيم ،وقد تبين لنا ان أمر تعهد بهرام جور بن يزدجرد كان في عهد النعمان الأول ، إلاّ أن روايات كثيرة تدل على أن المنذر الأول بن النعمان كان ذا شأن حتى قبل توليه الملك وقبل و فاة النعمان الأول . ودليل ذلك من قول الإخباريين أنه كان على رأس القوة العربية التي أرسلها أبوه النعمان إلى مدينة الملك في فارس لاسترجاع التاج لبهرام جوروالظاهر من روايات الإخباريين أن بهرام جوروالمنذرالأول قد نشأ معاً في بلاط ملك الحيرة النعمان الأول ، وأن المنذر كان يكبر بهرام جورلأن المنذر كان هو من تولى نقله إلى الحيرة ،ثم عاد على رأس القوة التي استنقذت الملك بهرام جورعلى خصومه .

---

[1] - ابن الاثير(علي بن محمد) ، المصدر السابق،ص 240.

[2] - الأصفهاني (حمزة) ،المصدر السابق،ص89

؛ الطبري، المصدر السابق،ج2،ص 87.

[3] - المسعودي(ابوالحسن علي)، المصدر السابق،ص 200 ؛ جواد (علي) ،المرجع السابق،ج 3،ص 206.

[4] - الاعظمي(علي ظريف) ،المرجع السابق،ص 40.

ولنا أن نستشفّ مدى القوة التي أصبحت تتمتع بها مملكة الحيرة على رأسها المنذر بن النعمان حيث وصلت تلك القوة ولأول مرة إلى إعادة الملك لبهرام جور الذي كان قد تربّى في أوساط العرب واكتسب أخلاقهم و تطبّع بطبائعهم،فنلاحظ بكل سهولة هذه الرابطة غيرالمسبوقة في تاريخ العلاقات بين الإمبراطورية الفارسية ومملكة الحيرة،التي جعلت من هذه المملكة عرّابة المملكة الإمبراطورية الفارسية منذ ذلك التاريخ على الأقل .

وما يدعم هذا القول أن بهرام جور وبعد وقت يسيرٍ من تولّيه الملك اصطدم بالروم وسبب ذلك أن بهرام جوركان قد واصل سياسة أبيه في اضطهاد النصارى الذين يقيمون في بلاده ، فنهض الرومان لنصرتهم واتخذوا من ذلك الاضطهاد والمعاملة السيئة حسبهم ،ذريعةً للحرب طمعاً في البلاد ، فنشبت الحرب بين الفريقين وحاصر الروم مدينة نصبين فاستنصراهلها بالمنذر،فزحف المنذر بجيشٍ عظيمٍ من العرب وانتصرعلى الروم وطردهم من نصبين،ثم زحف إلى سوريا فاستولى عليهاعنوة وافتكها من الروم واطنب جنوده في القتل والنهب، ثم زحف على القسطنطينية فوقع الرعب في قلوب الروم وخافوا خوفاً شديداً ، وقبل أن يصلها حدث اضطرابٌ في معسكره فاضطر إلى عقد الصلح معهم وعاد إلى بلاده بالغنائم[1] .

ولا تذكرالمصادرالتاريخية زمن وقوع هذا النصر،ولا المدة اليسيرة التي قضّاها بهرام جور قبل هذه الواقعة ،إلا أن جواد علي على لسان بعض المستشرقين يرون أن المنذر قد اشترك في الحرب بين الروم والفرس بعد مدّة قصيرة من تولي بهرام جورالملك سنة 421 م . ويجعلونها سنة 421م.واختياره بلاد الشام ساحة لهجومه والظاهر أن إسهامه في هذه الحرب كان بطلب من بهرام الذي لم يكن موقفه حسناً فيها،فكلّف المنذر مهاجمة بلاد الشام ليخفّف من شدّة ضغط الروم عليه،غيرأن التوفيق لم يحالف المنذر في هجومه هذا، فمُني بخسارةٍ كبيرةٍوهو يحاول مع جيشه عبورالفرات فغرق أكثرهم في النهر[2]. وهذه الرواية تشبه رواية أخرى تنسب خسارة أخرى للمنذر وتجعلها في السنةنفسها 421 م ،أوالسنة التي تلتها.

[1] – جواد (علي) ،المرجع السابق،ج 3،ص 206

؛ Sedillot .L.A , op,cit ,p21

[2] – جواد (علي) ، نفسه

؛ Sedillot .L.A , op,cit ,p22

وقد ذكر المؤرخ سقراط ، socrates المتوفّ في حوالي سنة 439 م،غرق زهاء مئة ألف رجلٍ من رجال المنذر في النهر و يعلّق جوادعلي على ذلك بقوله:" وهو عدد مبالغ فيه ولاشك[1] ".

وينسب علي ظريف الاعظمي للمنذر الأول بناء دير حنّة في الحيرة ويجعله من انجازاته وكان حسب قوله قد بناه لقوم من تتوخ يُقال لهم : بنو ساطع و أنفقوا في بنائه أموالاً طائلةً.

قال ظريف الأعظمي:"وكان ديار كبيرة جدا في غاية الحسن والانتظام[2] ".وتجمع روايتي الطبري وحمزة [3]. على أن حكم المنذر بن النعمان الأول دام أربعة وأربعين سنة ،ويكون قد عاصر من ملوك الفرس ، بهرام جور وحكم في عهده ثمانية سنيين وتسعة أشهر وفي زمن يزدجرد بن بهرام جور ثمانية عشرة سنة وثلاثة أشهر وزمن هرمز الثالث إلى زمن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور سبعة عشرة سنة.

2-أ-8-الأسودبن المنذرالأول بن النعمان الأول(من سنة 473 إلى سنة 493م):

تذكرالمصادر أن الأسود تولى الملك بعد أبيه المنذر الأول، وتنسبه بالقول: وهو الأسود بن المنذر الأول بن النعمان الأول . ولا تذكر إسماً لهذا الملك غير الأسود،وأمّه هي هرّبنت النعمان وهي من بني الهجمانية من لخم على رواية حمزة[4]. أمّا على رواية الطبري فهي هرّ بنت عمربن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان[5].

و ينسب إليه الرّواة ولداً اسمه شُرحبيل ويروى عن الأسود أنه اشتهر بحروبه الكثيرة مع الغساسنة وأنّه انتصرعليهم مراراً، وأسر منهم .

ويذكرظريف الأعظمي أنه قضى أكثرسني حكمه في الحروب مع بني غسّان للأخذبثأر ابن عمّ له،فانتصرعليهم وأسرعدّة من ملوكهم ،ثم أراد أن يعفوا عنهم فقام ابن عمّ له اسمه أبو أذينة.وقال:

ما لكل يوم ينال المرء ما طالبا ولا يسوغه المقدار ما وهبا

وأحزم الناس من أن فرصةً عرضت لم يجعل السبب الموصول مقتضبا

---

[1] -

Socrate.constatinople,Histoireecclésiatique,t_2,tra,Pierre.P,S.JetPied,Ged,Gerf,Paris,2004,p35;
Noel (M .desvergers), op,cit ,p 74

[2] - الاعظمي (علي ظريف) ،نفسه.

[3] - الأصفهاني (حمزة) ، نفسه

؛ الطبري(محمدبن جرير)، المصدر السابق،ج1،ص 248.

[4] - الأصفهاني (حمزة) ، المصدر السابق،ص 89.

[5] - الطبري(محمدبن جرير)، المصدر السابق،المجلد 1،ص 86.

فلماختم أبوأذينة قصيدته أمرالأسود بالأسرى فقُتلوا،وقد اشتهرهذه الملك بهذه المعركة الأخيرة لأنه تفوق فيهاعلى أعدائه الغسّانيين،وقتل منهم عدداً كبيرًا وغنم أموالاً كثيرة،وأسرجماعة من قادتهم ثم قتلهم بإغراء أبي أذينه كما تقدّم[1] .

ويجمع المؤرخون على أن مُلك الأسود قد دام عشرين سنةً . من ذلك في زمان فيروز بن يزدجردعشر سنين،وفي زمن بلاش بن فيروز أربع سنيين،وفي زمن قباذ بن فيروزست سنين[2] .

ويروي بعض المؤرّخين عن سبب وفاته أنه غزا الغسّانيين مرّة أخرى،في أخر أيامه فقُتل بالمعركة وتروي الأخبار عن ابن الأسود،وهو شُرحبيل،وعن مقتله ما يدل على قوة الأسود ونفوذه لدى القبائل العربية وهيبة كانوا يحفظونها له. ومن ذلك أنهم كانوا لا يجرؤون على من يجيره الأسود أو يقع في حماه.وقصّة مقتل ولده شرحبيل تمسّ هذا الجانب،فالرواية تذكر أن شرحبيل كان قد أرسله المنذر طفلاً مسترضعاً عندسنان بن أبي حارثة المرّي وقتله الحارث بن ظالم بن غيط بن مرة بن سعد بن ذبيان.وذلك أن الحارث هذا قتل خالد بن جعفر بن كلاب لأنه تحرّش به في مجلس الأسود بن النعمان.وكان خالد هذا في جوار الأسود فلما قتله نادى صاحبه : واجوار الملك فاقبل الناس وسمع الأسود الهتاف وقرّر الانتقام ممّن فرّق جوار الملك وهرب الحارث منه .

وجعل يتنقل بين القبائل فقصد،كندة ثم ولّى منها وجعل يفعل هكذا حتى أضمرته البلاد وضاقت عليه بما رحبت حتى استجار برجلٍ من بني عجل،يسمى زياداً فقام بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان،وهم قوم زياد، وقالوا له : أخرجوا هذا الرجل من بين أظهركم فانه لا طاقة لنا بالشهباء والدوسر.وأبت عجل قبيلة زياد عليهم ذلك فلما رأى الحارث ذلك آثر الرحيل على أن تقع الفتنة بسببه بينهم،وقام بجبل طيء ومكث عند قبيلة زيد نازليه مدة،ثم إن الأسود لما عجزه أمره أرسل إلى جاراتٍ كُنّ للحارث بن ظالم فاستخاقهن وأموالهن .

وبلغ ذلك الحارث فخرج حتى علم مكان جاراته فأتاهن ليلاً واستنقذهنّ واندسّ الى بلاد غطفان حتى أتى سنان بن أبي حارثه المري،وكان الأسود يسترضع ابنه شرحبيل عندهم كما أسلفنا فاستعارالحارث سرج سنان منه فأتى به سلمى امرأة سنان.وقال لها:يقول بعلك ابعثي شرحبيل مع الحارث وهذا سرجه لك آيةً،فدفعته إليه فأتى به فقتله،وهرب من فوره وهرب سنان لما سمع بخبر قتله .

[1] - الاعظمي (علي ظريف) ، المرجع السابق،ص 44.

[2] - الأصفهاني (حمزة) ، نفسه .

فلمّا بلغ الأسود قتل شرحبيل غزابني ذبيان فقتل وسبى واخذ الأموال،وأغارعلى بني دودان رهط سلمى،ثم وجد بعد ذلك نعلي شرحبيل في جانب الشرية حيث قتله الحارث عند بني محارب بن خصفه فغزاهم وأسرهم.

ثم أن سيّاربن عمرو بن جابر الغزاوي على رواية والحارث بن سفيان في رواية أخرى احتمل للأسود ديّة ابنه شرحبيل ألف بعير و رهنه بها قوسه فوفاّه بها[1].

2- أ- 9 – المنذربن المنذرالأول بن النعمان الأول(المنذرالثاني)،(من سنة493 إلى سنة 500 م): وهوالمنذر بن المنذر الأول بن نعمان ،وهو أخوه الأسود و شقيقه . و أمه هي هرّ بنت النعمان التي أسلفنا الحديث عن نسبها.و يلّقب المنذر الثاني تمييزاً له عن أبيه،وتجمع المصادر و رواة الأخبارعلى أن مدّة حكمه دامت سبع سنين[2].

وأنه عاصرمن ملوك الفرس قباذبن فيروز والملقب بقباذ الأول*ولم تنسب لهذاالملك حوادث تذكر.

2- أ- 10 – النعمان بن الأسود بن المنذرالأول بن النعمان الأول(النعمان الثاني) (من سنة 500 إلى 504 م): وهوالنعمان بن الأسود بن المنذر الأول بن النعمان الأول وهو بن أخي المنذر الثاني. وأمه هي أم الملك بنت عمرو بن حجرو هي من كندة و أخوها هو الحارث بن عمرو بن حجر الكندي[3].

وينسب المستشرقون إلى النعمان بن الأسود ،اشتراكه مع قباذ في حروبه مع الروم واصطدامه بهم في مواقع كثيرة،ومن هذه المواضع موضع بثراسبوس Bitherapsos،ويرى جواد علي انها موضع البئر،و يذكرأنها على ضفاف الفرات وقدأصيب النعمان في اصطدامه هذا بخسارة فادحة .

ثم يضيف:"...ولا تعرف على وجه التحقيق سنة وقوع هذا الحادث،والمضنون أنه كان حوالي سنة 498 م[4].." .وإلى جانب هذا الموضع وهذا التاريخ يطلعنا المستشرقون عن موقعه أخرى جرت بين الروم والفرس وشارك فيها النعمان بن الأسود و يذكرون تاريخها ، و يجعلونه سنة 502م .

---

[1] – جواد (علي) ،المرجع السابق،ص 211.

[2] – الأصفهاني (حمزة)،المصدرالسابق،ص 90 ؛الطبري، المصدر السابق،ج2،ص 94

؛ الاعظمي (علي ظريف) ، المرجع السابق،ص 45.

* قباذالاول(488-531 م)،وهوالملك العشرين في ترتيب ملوك الطبقة الأشغانية،اشتهربناء المدن الفارسية وفي عهده ظهرت المزدكية ، الأصفهاني (حمزة) ، المصدر السابق،ص51.

[3] – الأصفهاني(حمزة) ، المصدر السابق، ص91 .

[4] – جواد (علي)،المرجع السابق،ص 215؛ Boulos(Jawad) op,cit ,p25 ; Sedillot. L.A, op,cit ,p22

وتتحدث تلك المصادرعلى أن المبادرة بالهجوم كانت من النعمان بن الأسود بطلب من قباذ الأول فهاجم النعمان حدود الروم من الجنوب في قطاع حران،Carrhee واصطدم بالقائدين أوليمبيوس،Olympius وأويجنيوس،Eugenius فتغلباعليه،إلا أنه أعاد الكرة ولكنه في هذه المرة استطاع أن يتغلّب عليهما،ثم تذكر هذه المصادر موقعه أخرى وقعت قرب قرقيسياء Circesium،على الخابوروأصيب النعمان بهذه الموقعة بجرحٍ بليغ في رأسه كان سبباً في هلاكه .

ثم تسترسل المصادر في الحديث بالقول أنه في غياب النعمان بن الأسود عن الحيرة، كان قد انتهزبنو ثعلبةالفرصة فأغاروا على عاصمته و أخذوا كل ما أمكنهم أخذه، فاضطرمن كان قد تخلّف في الحيرة من جيش النعمان للفرار إلى البادية .و يعلّق جواد علي على هذه الروايات بالقول:"ويخيّل إليّ أن ذلك كان على إثر إصابة الملك بجرحه المميت[1] ".

إلا أن هناك من المؤرخين من يفصّل لنا سبب هلاكه بالقول أنه في سنة 504 م وهي سنة انتهاء ملك النعمان بن الأسود و كان قباذ قد حاصر مدينة الرها،وكانت ممتنعة حصينة فلم يتمكّن منها ،فاستنصر بالنعمان فسارلنجدته بجيش عظيم من العرب و نصره .و في أثناء المحاصرة لمدينة الرها توفي النعمان،ولم يعاصر غير قباذ المذكوروتضيف الرواية أنه في أخر أيام هذا الملك و التي هي أثناء سنة 504 م تعدّت بكروتغلب على حدود العراق عندما كان محاصراً لمدينة الرها مع قباذ فأرسل النعمان جيشاً ضعيفاً فاندحر جيشه و قتل جماعة من أهله[2].وتتفق أغلب المصادرو أخبارالرواة على أن مدة ملك النعمان بن الأسود قد دامت أربع سنين و بذلك يكون النعمان بن الأسود قد عاصرمن ملوك الفرس قباذ الأول فقط[3].

2- أ- 11-أبو يعفر بن علقمة بن مالك الذميلي(من سنة 504 إلى سنة 507 م): تتحدّث المصادر بعد وفاة النعمان بن الأسودعلى ما يشبه المرحلة الانتقالية في الحكم. حيث خرج الملك عن آل نصرللمرة الثانية و لكن في هذه المرة لم يخرج عن حوزة آل لخم .ولا تختلف الطريقة التي تمّ هذا الانتقال عن الطريقة التي انتقل بها من عمرو بن امرئ القيس إلى أوس بن قلام وهي طريقة

[1] - جواد (علي)،المرجع السابق،ص 216.

[2] - الاعظمي (علي ظريف) ، المرجع السابق،ص 46.

[3] - الأصفهاني(حمزة)، المصدر السابق،ص 90

؛ابن الاثير(علي بن محمد) ،المصدر السابق،ص 258.

الاستخلاف،حيث يقرّ معظم المؤرخين و رواة الأخبار وعلى رأسهم ابن الكلبي أن هذا الاستخلاف تمّ في زمن قباذ الأول .

و إذا ما تفحصنا نسب أبو يعفرهذا، وجدنا أن الملك لم يخرج عن اللخميين فهوعلقمة بن مالك بن عدي بن الذميل بن نمارة بن لخم[1] ،إذ ذميل من لخم حسب اتفاق أغلب الرّواة كما يتفق هؤلاء على أن مدة استخلافه هذه كانت ثلاث سنين.

2- أ- 12- إمرؤالقيس بن النعمان الثاني بن الأسود(امرؤالقيس الثالث)،(من سنة 507إلى سنة 514 م):هو امرؤ القيس بن النعمان بن المنذر،وهوالملقّب بامرئ القيس الثالث.

ولانجدذكرًالنسب أمّه عند النسابين،إلا أن ابن الأثيريجعلها ماوية بنت عمروبن جشم بن النمربن قاسط،ويذكرأنهاهي الملقّبة بماء السماء[2]،على خلاف باقي رواة الأخبارالذين يرون أن ماء السماءكانت زوجةً لأمرؤ القيس الثالث المشهور بقصتّه مع سنماروتذكر بناء حصن يسمى الصنبّروينسب إلى إمرؤ القيس الثالث أيضاً .

و يذكربن الوردي أنه من يقول فيه الملتمس[3]:

جزاني أبو لخم على ذات بيننا جزاء سنمار و مكان ذا ذنب .

و في ذات الحصن الصنبرينسب حمزة له شعراً يقول فيه :

ليت شعري متى تخب به الناقة نحو العذيب والصنبر[4].ويذكرالرواة أنه في قد ظهرت النصرانية في ايامه بالعراق واشتهرت،و حدثت فتنة في الحيرة بين النساطرة واليعقوبيةالأرمن،واشتد جدالهم و تتابعت ثوراتهم على الرئاسة الدينية.وأخيرًا فازالنساطرة وصارت لهم الرئاسة على النصارى في هذه المملكة كما يرى بعض المؤرخين[5].

واشتهر إمرؤ القيس الثالث، بحربه مع بكر في اليوم الذي اشتهر بين أيام العرب بيوم أوارة حيث تذكرالمصادرأنه غزا بكربيوم أوارة في دارها فهزمهم و قد كانت بكر تقيم أواصر الودّ وعلاقات وطيدةمع ملوك الحيرة حتى زمن إمرئ القيس الثالث الذي غزاهم وهزمهم في دارهم ولم يذكر سببٌ

[1] - الطبري(محمدبن جرير)، المصدر السابق،ج2،ص94 .

[2] - ابن الاثير(ابوالحسن بن علي)، نفسه .

[3] - ابن الوردي(زين الدين عمر بن مظفر)،تاريخ بن الوردي،ط1،دارالكتب العلمية ،بيروت،1996 ،ص 60.

[4] - الأصفهاني(حمزة) ، المصدرالسابق،ص 90.

[5] - العلي(أحمد صالح)، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية ،ص 125

؛أبو الفداء (اسماعيل بن علي)،المختصر في أخبار البشر،تح،محمود يوب،ج1،دار الكتب العلمية،بيروت، 1997،ص90.

واضحٌ يستدعي انفراط تلك الرابطة التي كانت تجمع هذه القبيلة بالمملكة،إلاّ قول حمزةالأصفهاني بأنهم كانوا أنصاربني آكل المرارالكندي[1].وتتفق المصادرعلى أن إمرئ القيس الثالث لم يعاصرمن ملوك الفرس سوى قباذ الأول وأن ملكه دام سبع سنين[2] .

2- أ- 13-المنذر بن امرئ القيس بن النعمان الثاني بن الأسود(المنذر الثالث)(من سنة 514 إلى 563 م):هو المنذر بن امرئ القيس بن النعمان الثاني بن الأسود ويلقّب بالمنذرالثالث وإشتهرعندالرواة والمؤرخين بلقبين آخرين هما:ذو القرنين و لقّب بهذا اللقب لضفيرتين كانتا له من شعره.كما اشتهر بلقب:بن ماء السماء و ذلك لنسب أمه و هي:ماوية بنت عوف بن جثم بن خزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط .وقد أوعزجواد علي الاختلاف بين الطبري وحمزة في اسم ماريه إلى خطأ من النساخ . فقد وُجد عند حمزة مدوناً اسم ماوية بدلاً من مارية[3]،وعنه أخذ ظريف البغدادي الذي يضيف:"...وأصل اسم أمه ماوية وكانت في غاية الحسن و الجمال فسُميت ماء السماء وهي بنت عوف بن جشم بن النمرين قاسط.وقيل لُقب بذلك -يقصد قاسط- لأنه ملأبجوده وعطائه الأرض كما يملأ قطر الأرض[4]..."ويذكرحمزة نسبا أخرلأم المنذرهذه،فيقول:"..ويقال: بل هي أخت كليب ومهلهل، سمُيت بماء السماء لجمالها وحسنها[5]..."وبهذا الإلحاق ينفردحمزة الأصفهاني عن بقية الرواة،ويذكربعض المؤرخين أن زوجته هي بنت الحارث بن عمر بن حجر الكندي.وفي رواية أنها:هند بن أكل المرار،وبالتالي تنحوا الروايات إلى القول أنها كِندية وأخرى تقول بأنها غسّانية،وأخرى تقول أنها كانت أيضا مسيحية[6].

ثم تجمع الروايات على أنها أنجبت للمنذر أولاداً منهم عمرو بن هند وقابوس ويذكر بعض المستشرقين أنه قبل تولى المنذر بن إمرؤ القيس الثالث الملك ،كان الوضع على الجبهة بين الفرس والروم هادئاً،وذلك أن قباذ قد فرض صلحاًعلى الروم في عام 506م،بعد حرب دامت أربع سنوات من سنة 502 إلى 506م وإبتداءاً من سنة518م يبدأ الخلاف بين الروم و الفرس من جديد. ومن ثمّة فقد

---

[1] - الأصفهاني (حمزة) ، نفسه .

[2] - الطبري(محمدبن جرير)،المصدرالسابق،ج1،ص 253

؛ ابن الاثير(علي بن محمد)، نفسه ؛ الأصفهاني(حمزة)، نفسه .

[3] - جواد (علي) ،المرجع السابق،ص 217.

[4] - الاعظمي (علي ظريف) ، المرجع السابق،ص 48.

[5] - الأصفهاني(حمزة) ، المصدر السابق،ص 91.

[6] - الاعظمي (علي ظريف) ، نفسه .

حرّض قباذ الأول،المنذرعلى التحرّش بحدود الروم .فقام المنذر بغزو تلك الحدود في سنة 519 م وتمكّن على إثرهذا الغزومن أسر قائدين هما:ديموستراتوس Demostratus أوتيموستراتوس،Timostratus.وأماالأخرفاسمه يوحنا Johnnes.كماتذكرتلك المصادران الامبراطورالبيزنطي جيستينيانوس يوسطينوس Justinianus أرادأن يفك أسرهذين القائدين ويعقدصلحا وحلفا بينه والمنذرفأرسل رسولاخاصا إلى المنذرواسمه إبراهيم ،Abraham ،ومعه شمعون الأرشامي symeonofbethArsham[1] ،وسيرجيوس ،Sergius أسقف الرصافة وقد وصل الوفد إلى المنذر سنة524م،وكان معسكرالمنذروقتذاك في البادية في موضع اسمه رملة أوالرملة[2]، ونجحت هذه الوفادة في فكّ أسرالقائدين .وتوردالمصادروعلى الخصوص منها الألمانية أن هذا الوفد قد تزامن مع وصول وفد أخر من اليمن،أرسله ذو نواس المعروف بتعذيبه نصارى نجران. و كانت مهمّة هذا الوفد هو مفاوضة المنذرعلى تعذيب من في مملكته من النصارى وأثبت شمعون الأرشامي و قوع التعذيب قائلًا أنه نقل ذلك من الكتاب الذي قُرئ على الملك،ومن أقوال من عرفه من الحاضرين ،دوّنها في صورة كتاب ليقرأ ويطلع عليه أتباعه.وقد نشر هذا الكتاب و طبعت ترجمته كذلك[3].

وكانت الفترة الممتدة بين 519 م إلى سنة 528 م .كانت فترة سلم بين المنذر والروم،حيث يذكرشمعون ان الامبراطورالبيزنطي كتب إلى المنذر بن النعمان طالبا منه إخراج من في أرضه القائلين بالطبيعة الواحدة ،وبعث إليه الجاثليق شيلاالذي عقد مجلسه من أجل ذلك ليجادلهم ويقيم الحجة عليهم.ويذكر أنه لما سمع هؤلاء بذلك هرب بعضهم إلى نجران و أقاموا هناك ،وذكرمن مؤيّديهم الحجاج بن قيس الحيري صاحب المنذر.إلا أنه وابتداءامن سنة 528 م نجدالمنذريعاودالكرة ويُغيرعلى الروم حتى يصل هذه المرّة إلى حدودأنطاكية،وتذكرالروايات أنه قتل عدداً كبيراً من السُّكان وخرّب الكثير من الأراضي وأنه اختار من بين الأسرى أربعمائة راهبةٍ أخذهنّ لنفسه .كما تذكرروايات اخرى تذكرأن المنذرقد ضحى بهذا العدد من الراهبات تقربا للعزّى و يذكرهوارت،Huart أن ذلك كان سببا في تنصيب الحارث الجفني من طرف يوسطنيانوس،Justinianus ،باسم فيلارخ Phylarque, Phylarch، .[4]

---

[1] - Huart. L, op,cit ,p67.

[2] - Huart. L , op,cit ,p80; Blachére(Régis), op,cit ,p49.

[3] - جواد (علي) ،المرجع السابق،ص 222 ؛

Procopius,la guerre contre les Perses,liv3,la roue à livres,les Belles Lettres,Paris, 1990,p30.

[4] - Huart. L , op,cit ,p19 ; Sedillot. L.A, op,cit,p30 ;Blachére(Régis) , op,cit ,p47

وكـان للمنذرالفضـل في سـنة531 م في إحرازالنصـرعلى القائـد الرومـاني بليزاريـوس،Bellisaris عندالرقة،Raqqa على الفرات[1]،ومنذ تنصيب الحارث من طرف الروم لم تنقطع المناوشات بينه وبين المنذر الثالث بالرغم من المعاهدة التي عقدت بين الروم والفرس سنة 545 م،واستطاع المنذرأسرأحد أبناء الحارث وقدّمه فداءاً للعزى، لكن الحارث انتصربعد ذلك انتصارًا جعله يأسرمن أبناء المنذراثنين و يقتل عدداً كبيرًامن جنوده . وكان من أمراء كندة من يتربّص بملوك الحيرة الدوائر،فبمجرد أن آنس قيس بن سلمة بن الحارث الكندي الضعف إثرهذه النكسة التي أليت بالمنذر،قام بغارة خاطفة اضطرت المنذرإلى الهزيمة والالتجاء إلى الخور نق مع ابنيه عمرو قابوس لكن المنذرعاد وانتقم من الكنديين شرّانتقام بعد عام واحد،وينُسب للمنذر يوم طخفة ويوم أوارة الأول. وهوصاحب الغريين المشهورين وظهرت المزدكية في عهده.وتكاد تجمع المصادرعلى أن مصرع المنذرالثالث ونهايته كانت في موقعه عين أباغ سنة 562 م[2].

وكانت مدة حكمه 49سنة مع مدة الحارث بن عمرالكندي سنتان وعاصرمن ملوك الفرس قباذ الأول وابنه كسرى انوشروان ومن قياصرة الروم يوستنيانوس ومن ملوك غسّان الحارث بن جبلة. والمنذرهو الذي بنى قصر الزوراءبالحيرة .

2- أ- 14- عمروبن المنذرالثالث،عمروبن هند(عمرالثالث)(من سنة 563إلى 578م):هو عمرو بن المنذر الثالث الملقب بعمرالثالث،كما لقّب بمضرّط الحجارة وهو لقب يدل على شدّة بأسه و قومه.كما يلقّب أيضا بمحرّق الثاني، ومُحرّق[3].تولّى الملك بعد مقتل أبيه،وكان من أكبر وأشهر ملوك الحيرة.فكان له من الهيبة في نفوس العرب والسلطان والمكانة ما جعل كل القبائل في خشيته من فتكه وبطشه.لذلك أطاعته جميع القبائل وإستتب له الأمرواتنظم له الملك[4].ويُنسب عمرالثالث،إلى أمه هند بنت الحارث بن عمر بن حجر أكل المرار الكندي وهي عمة أمرئ القيس الشاعرالمشهوربن حجربن الحارث،وفي روايةأخرى بنت عمّة امرئ القيس الشاعر[5].واشتهرعمربن هند بحروبه الكثيرة مع العرب والرومان،ويسترسل جواد علي في إبراز أوصاف عمرو بن هند وأخلاقه فيقول:"...و يظهر في هذه

---

[1] - Procopius, op,cit , p32.

[2] - الاعظمي (علي ظريف) ،المرجع السابق ،ص63 .

[3] - الأصفهاني(حمزة)،المصدرالسابق،ص93؛جواد (علي)،المرجع السابق،ص239؛ الاعظمي(علي ظريف)، المرجع السابق،ص 64.

[4] - الاعظمي (علي ظريف) ، نفسه .

[5] - الأصفهاني (حمزة) ، نفسه؛ الاعظمي (علي ظريف) ، نفسه .

* يقصدشعروهجاء طرفة بن العبدالبكري،جواد(علي)،المرجع السابق،ص241.

الروايات المذكورة عنه،وعن هذا الشعرالوارد اسمه فيه* ،أنه كان رجلاً سريع الانفعال يتألمّ بسرعةٍ مما يقال له،و لذلك حدثت له مشكلاتٌ عديدةٌ لم تكن لتحدث لولا هذا الحسُّ المرهف عنده الذي جعله عرضة لهجاء الشعراء. والشعراء ألسنة الناس وأبواق الدعاية في ذلك العهد،وقصّته مع طرفة بن العبد والمتلمس معروفة مشهورة[1]" .

ومن المفارقات ما نجده في وصف هذاالملك فتارةً نجده شديداً صارمًا،وأنه من شدّته لُقب بمضرّط الحجارة .وأنه أحرق تميمًافلُقب بمحرّق،ورواة آخرون ينسبون له هذا اللّقب لأنه أحرق نخيل اليمامة لماغزاهاوبالغوا في وصف قسوته فقالوا عنه أنه لا يضحك أو يبتسم .

إلى جانب هذه الأوصاف والمناقب التي تدلّ على انه كان جبارًاعاتيًا،نجدماينافرها تمامًا.فمصادرالمؤرخين تورد أنّ عمروبن هندهوالذي أصلح بين بني بكر وبني تغلب،وبصُلحه انتهت حرب البسوس المشهورة .

وينسب لعمربن هندأيضاً،يوم أواره الثاني المشهورفي أيام العرب.كماينسب إليه غزوة غزاها إلى بني تغلب لأنهم امتنعواعن مساعدته في غزوالغسّانيين قتلة أبيه ورويت على لسانه الأمثال فقدذكربعض المؤرخين أن البراجم،وهم أحياء من تميم تحالفواعلى أن يكونوا كبراجم الأصابع في الاجتماع . فسار إليهم بعدما قتل رجل منهم لأخٍ كان يقال له :سعدأوأسعد. قال آلى على نفسه أن يحرق منهم مئة فقتل تسعة وتسعون وأحرق القتلى بالنار فمرّرجلٌ من البراجم فلمامرّ على عمروقال له:ممّن أنت؟ قال:رجلٌ من البراجم،فقال عمرو:أن الشقّي وافد البراجم وأمرفقُتل وأُلقي في الناروبرّ يمينه . وجرى المثل:"أن الشّقي وافد البراجم "[2] .

وكان وجوه العرب وأمراؤها وشعراؤها وخطباؤها تفِد على هذاالملك فيُكرمهم أموالاً وإبلاً وخيلاً،فوفده اليه يوماً أوس بن حارسة بن لأم الطائي المشهور بجوده ومعه حاتم الطائي بن عبد الله المشهور بالكرم والجود أيضاً.فدعا الملك أوسًا فقال له:أنت أفضل أم حاتم؟فقال:أبيت اللّعن،ولوحلكني حاتم وولدي ولحمتيلوهبناه في غداةٍ واحدةٍ ثم دعا حاتما ، فقال له : أنت أفضل أم أوس؟فقال له: أبيت اللّعن،إنما ذكرت بأوس ولأحدٌ من ولده أفضل مني.فعجب الملك من مكارم

[1] – نفسه.

[2] – الاعظمي (علي ظريف) ،المرجع السابق ،ص67 .

أخلاقهماوأنعم عليهم بأموالٍ جزيلةٍ.عاصره كثيرٌ من شعراء العرب كطرفة والمتلمس والحارث بن حلزةوالمثقب العبدي والمنخّل اليشكري...و غيرهم .

ويذكر بعض المؤرخين،أن عمرو بن هندكان نصرانيًاوحجّتهم في ذلك أن أمه هند الكبرى مسيحية فثبتت المبادئ النصرانية فيه فنشأنصرانياً، قبل أن يتنصرأبوه و قد بنت أمه ديراً كبيراً مشهوراً في الحيرة يسمّى دير هند الكبرى[1] .

وتتحدّث بعض المصادرعن حروبه مع الرومان والغساسنة ونذكرأنه أغارعلى بلاد الشام في سنة563 م في عهدالحارث بن جبلة الغسّاني،وسبب تلك الغارة امتناع الروم على دفع ماكانوا يدفعوه سابقاً لعرب الفرس مقابل تخلّيهم عن مهاجمة حدودهم.وعقد الصلح بين الروم والفرس في سنة 562 م .

امتنع الروم على دفع ماكانوا يدفعوه لوالده فهاجم عمرو بن هندالروم وأعاد الغارة566م،و567م. وكانت غارته الأخيرة في 567 م،مبعثها سوء الأدب الذي أبداه الرومان في معاملة رسول ملك الحيرة إلى الامبراطوريوسطينوس ،Justinian لمفاوضتة على دفع المال.

وتسترسل المصادرفي الحديث عن علاقةعمروبن هندبإخوته . فتورد أنه قد جعل قابوس أخاه على البادية بينما أبعد أخوه الثاني عمروبن أمامه الذي نزح إلى اليمن فأطاعته مرادإلا أنها انكفأت و قتلته لما أراد غزو العراق. و يستدلّ رواة الأخبار أن عمرو بن هند كان يقرب إليه عدي بن زيد العبادي ويصحبه معه في الصيد[2] ويُروى عن نهايته،أنه استولى عليه الغرورو طغى وتجبّر،حتى خُيّل اليه أنه ليس في الناس أفضل منه وليس في أمير من أمراء العرب إلا تمنّ رضاه،ولا يأنف من خدمته. فقال يوماً لجلسائه :هل تعرفون أحدا من العرب تأنف أمه أن تخدم أمي؟ . قالوا:لا تفعلها إلا ليلى أم عمرو بن كلثوم، قال:و لما ذلك ؟ . قالوا لأن أباهامهلهل بن ربيعة وعمّها كُليب وائلٍ أعزُّ العرب وبعلها كلثوم بن مالك فارس العرب و ابنهاعمرو بن كلثوم التغلبي سيّد قومه فسكت عمرو على ما في نفسه وأرسل إلى عمرو بن كلثوم من الجزيرة في جماعة من بني تغلب و معه ليلى. فنزل على شاطئ الفرات،وبلغ عمرو بن هند قدومه فأمر فضربت خيامه مابين الحيرة والفرات وأرسل إلى وجوه مملكته فحضروا و دخل عمرو بن كلثوم رواق الملك عمرو بن هندودخلت ليلى بنت المهلهل على هند

---

[1] - نفسه،ص68

؛ Huart. L , op,cit ,p20

[2] - جواد (علي)، نفسه،ص241

؛ Hitti(Philip.K) ,op,cit p47 ؛ Sourdel (Dominique) op,cit,p25

قبّتها.وأُمر بصنع الطعام ودعي الناس إليه ،و قرّبه إليهم على باب السرادق وجلس هووعمرو بن كلثوم وخواصّ أصحابه في السرادق وأمرفقُدِّم لهم الشراب وكان قد قال: لأمه هندإذا فرغ الناس من الطعام ولم يبقى إلا الطرف،فنحي عنك الخدم فإذادنى الطرف فاستخدمي ليلى ومُريهافلتناولك الشيء بعدالشيء.ففعلت أمّه ما أراد فلمّااستدعى الطرف قالت ليلى:ناوليني ذلك الطبق .فأجابتها: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها،فألحّت عليها هندٌ، فغضبت ليلى و نادت وآذلاه يا آل تغلب فسمِعها ولدهاعمروبن كلثوم فثار الدّم في وجهه والقوم يشربون فعرف بن هند الشرفي وجهه و نهض بن كلثوم إلى سيف بن هندوهو معلّق في السرادق وليس هناك سيفٌ غيره. فأخذه فضرب به رأس الملك بن هند فقتله،وخرج ونادى في تغلب فإنتهبواجميع ما في السرادق وإستا قوا نحائبه وانهزموا نحو الجزيرة.وفي ذلك قال عمروبن كلثوم في معلّقته الشهيرة،و قام بها خطيباً في سوق عكاظ وموسم مكة ومطلعها[1] :

ألا هُبّي بصحنك فأصبحنا ولا تبق خمور إلاندرينا

وقدعاصرعمرو بن هند من ملوك الفرس كسرى أنو شروان فقط.ولثماني سنين وثمانية أشهرمن ملكه مضت،كان مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم[2] ،وعندحمزة الأصفهاني ثماني سنين وستة أشهر،وهوعام الفيل الذي فيه قصدأبرهة الأشرم ابو يكسوم مكة و معه الفيل .

2- أ- 15- قابوس بن المنذر الثالث(من سنة 578-581 م):هو قابوس بن المنذر الثالث وأمّه:هند الكِندية سالفة الذكر،وفي رواية للمسعودي تجعل هند بنت الحارث من آل معاوية بن معدي كرب . تولّى الملك بعد مقتل أخيه عمرو الثالث ويذكرحمزة ،أنه لم يملك وأنما سمّوه ملكاً لأن أباه وأخاه كانا ملكين وكان فيه لِينٌ وسمّوه فتنة العرس[3] .

و يفنّدجواد علي ذلك،ويذكرأن يوحنا الافسوسي،John of Ephesus في تاريخه الكنسي بمالكاأي ملك،ويضيف أنّ يوحناالأفسوسي من الرجال الذين عاشوا في القرن السادس الميلادي،وقد توفي في سنة 585 م تقريبًاولم ينعته بملكٍ لولم يكن قابوس ملكًا على الحيرة حقاً[4].

---

[1] - جواد (علي)، نفسه.

[2] - ابن الاثير(علي بن محمد)،المصدر السابق ،ص 258

؛ الطبري(محمدبن جرير)، المصدرالسابق، ج1،ص253.

[3] - الأصفهاني (حمزة) ، المصدر السابق،ص94.

[4] - جواد(علي)،المرجع السابق،ص 257.

و يُقال أنه كان ضعيفاً مهيناً فقتله رجلٌ من يشكروسلبه . لكنّ سياق الأخبار المتداولة بالأخصّ التواريخ السريانية،أنه كان على العكس من ذلك تمامًا،ويبدوا أن وضعه بتلك الصورة المهلهلة فتنة العُرس أوقينة العُرس إنما أخذها الرّواة رأسًا من شعرالهجاء المنسوب إلى طرفة بن العبدالذي عرّض بعمرو بن هندوأخيه قابوسأمعًا.وذلك مثل قوله :

يأتِ الذي لا تخاف سبتّه عمرو و قابوسا قينتا عُرسٍ.

في حين تفترض أقرب المصادرالسريانية أن قابوس،لمّا تولى الملك بعد أخيه عمروكان قد هرم وصار شيخاً وأشرنا أن عمروأخاه استعمله قائداًعلى الحملة الإنتقامية التي قادها ضد عرب الشام في سنة 566 م،و567 م. وتورد الكتب المؤرخين السريان عن حروب قابوس مع الروم ،فتذكرأنه انتصرفي أول حروبه مع المنذر بن الحارث الغسّاني .إلا أن المنذر كان يتعقّبه حتى هزمه واستنقذ الغنائم و انهزم قابوس ثانية لما أعاد الكرة في سنة 570 م[1].

وتُورد تلك المصادرالسريانية أيضاً،أن قابوس كان قد انتهز فرصة وجود قطيعة بين المنذر بن الحارث الغسّاني والقيصريوسطينوس، Justinianus .فأغارعلى حدود الروم و توغّل في الأرضين التابعة لهم حتى بل بلغ أنطاكية ودامت تحرّشات قابوس ثلاث سنين إلى وقت مصالحة الروم للمنذر بن الحارث الغسّاني وتذكر المصادرأنه قام بهجومٍ خاطفٍ عانت منه الحيرة الأمرّين . وأن الحارث أطلق من كان في سجون الحيرة من أسرى الروم،وتحدّد تلك المصادر سنة 578 م. إلا أننا نلاحظ ولا شك أن تلك الوقائع التي تنسبها تلك المصادر وقعت في زمن عمرو الثالث و إن كان الأمر لا ينف مشاركة قابوس في حملات أخيه على عرب الشام والجزيرة مشاركة فعالّة . ويُنسب إلى قابوس غزوة غزاها عرفت بيوم فخاذوأورده جواد علي و نسبه إلى البِكري عن شعر لأبي دؤاد[2] .

و تذكر المصادرأن ملك قباذ دام أربع سنين.كلها زمن كسرى أنوشروان وينسب إليه ظريف البغدادي أن كسرى طلب إليه كُتاباً و مُترجمين ليكونوا في البلاط الملكي فأرسل له عدي بن زيد العبّادي و أخاه .وكان قد برعا في العربية والفارسية فتقدّماعند كسرى وصار لهما منزلةٌ كبرى و نفوذاً تاماً[3].

ويذكر بعض المؤرخين وعلى رأسهم حمزة الأصفهاني أن الملك انتقل بعد مقتل قابوس إلى رجلٍ يبدوا أنه غريب عن البيت اللخمي.ويقال له فيشهرت أو السهرب أو السهراب و قد جعلوا مدة حكمه

[1] - Huart. L , op,cit ,p72

[2] - جواد(علي)،المرجع السابق،ص 261 .

[3] - الاعظمي (علي ظريف) ، المرجع السابق،ص 74.

سنةً واحدةً،وذلك في أيام كسرى أنوشروان، ولا تشير تلك المصادر إلى العلّة الكامنة وراء هذا الاضطراب في الملك اللخمي. ويفترض جواد علي وجود اضطرابٍ أو نزاعٍ حدث في المملكة بين أولاد قابوس أو بين أل لخم أدّى إلى تدخّل الفرس ، فقرّروا تعيّين رجلٍ غريبٍ لأمدٍ حتى تزول أسباب الخلاف وعيّنواواحداً منهم .فلمّا زالت تلك الوقائع،عُين المنذر ملكاً على الحيرة،وعاد الملك إلى آل لخمٍ.

2- أ- 16-المنذر الرابع بن المنذر الثالث(من سنة 581إلى سنة 585 م)[1]:

هوالمنذرالرابع بن المنذرالثالث،تولىّ الملك بعد وفاة أخيه قابوس . يُنسب إليه لقّب الأسود الثاني،ويُنسب إليه أيضاً الموقعة المشهورة بين المناذرة وآل غسان والمعروفة بموقعة يوم حليمة الذي عاد فيها النصر إلى الغساسنة.

وفيه كان مَهلك المنذرالرابع ويسمّى هذااليوم أيضاً بعض كتب التاريخ بيوم مرج حليمة،إلاّأن هناك رواية حول مقتل المنذرالرابع وهو أن الحارث الأعرج ملك غسّان خطب إلى المنذرملك الحيرة ابنته هند. وقصد انقطاع الحرب بين لخم وآل غسّان فندم المنذر على تزويجها فأمسكها وأرسل الحارث واعتذرالمنذر ابنته وكانت لا تريد الرجال فصفعت بجلدها شبيهاً بالبرص وقالت لأبيها :أناعلى هذه الحال و تزوجّني لملك غسّان . فندم المنذرعلى تزويجها فأمسكها وأرسل الحارث يطلبها فأعتذر المنذروأمتنع من إرسالهافحقد عليه الحارث .

واتفق أن المنذرخرج غازياً في بعض الأيام فسمع الحارث بذلك فأرسل جيشاً إلى الحيرة فانتهبها فبلغ ذلك المنذر فساربجيشه نحو غسّان فلقيه الحارث بجيوشه بمرج حليمة التي قُتل بها المنذروأسرمن آل لخم كثيرون من بني تميم وبني حنظله مائة أسيرو منهم شأس بن عبدة،أخوعلقمة بن عبدةالشاعرالذي توصّل إلى إطلاق سراح أخيه بعد استجداءٍ مشهورٍفي قصائده،وكان للمنذراثني عشرولدًا :

بنو المنذر الأشاهب بالحـ يرة يمشون غدوا بالسيوف

وكان النعمان أقبحهم لدمامته،وكان قددفعه المنذرإلى عدي بن زيد العبّادي الذي يعمل مترجماًفي بلاط كسرى وذلك ليربيّه من الرضاعة فما فوقهافربّاه عدي وعلّمه الكتابة والعلم و الأدب و بقي

[1] - نفسه، ص 80 .

عنده إلى أن شبّ.كمادفع بابنه الأسود إلى عدي من بني مرينا وهم بطن من آل لخم الذي كان ينتمي إلى بلاط كسرى وخاصّته[1].

2- أ- 17- النعمان الثالث(من سنة 585 – إلى سنة 613 م) :

هوالنعمان الثالث بن المنذرالرابع .كان يكنىّ بأبي قابوس اشتهر أيضاً بأبيت اللّعن،كما يكنّى بأبي قبُيس و أبي المنذر[2]. أماّ أمه فهي:سلمى بنت وائل بن عطيّة بن كلب أوسلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك[3]. كان من أوصافه أنه أحمرأبرش قصيرالقامة ذميمًا أشقرالشعر،ويعزو لدمامة خلقه تهكّم خصومه به يضاف إلى ذلك أصل أمّه وقد أثّر ذلك هذا النقص الذي لا يد له فيه في نفسيته، وسلوكه ولا شكّ.فصّيره سريع الغضب أخّاذاً بالوشايات فوقع من أجل ذلك في مشكلاتٍ عديدةٍ.

ويزيدجوادعلي على ذلك القول:"وقديكون اللّقب الذي لُقب به وهوالصّعب وصفًاًلتلك السجاياالتي اتصف بها الملك والتي تعبّرعن عقدةكانت ملازمةًله[4]،وهو قول يطعن في أدلّة الأخباروالتاريخ،إذ كيف يُعقل لرجلٍ أن يملك بيت اثنا عشر من أخوته ؟. بل وكيف يكون له الشأن الذي كان للنعمان الثالث وهو الذي وقف المواقف التي لم يجرؤغيره على ارتقائها.ورفض أمركسرى وسفهّه وناظرحكماء الفرس مدافعاً عن مناقب العروبة فأفحم بذي كل حقٍ وكل ذي وجهٍ ،غيرأنه لم يظهر سببٌ واحدٌ يعلّل إحجام المنذر الرابع على تعيّين و لي عهدٍ أو يوصي لأحد أبنائه الثلاثة عشربالملك.والظاهرأن المنذر كان عارفاً بالخلاف الذي كان بين أولاده فلم يشأ أن يزيده بتعيّين أحد أبنائه.ولا ندرِلما لم ينصّ على أكبرهم جرياً على السّنة المتّبعة في انتقال الملك ولعلّه سببٌ واحدٌ يعلّل إحجام المنذر الرابع على تعيّين و لي عهدٍ أو يوصي لأحد أبنائه الثلاثة عشر بالملك.ولعلّه كان عارفاً بحراجة الموقف و ضُعف مركز ابنه الكبير وعدم تمكّنه من فرض نفسه عليهم،إذا عيّنه ونصّبه لذلك وكل أمره كله إلى إياس بن قبيصة الطائي،الآتي ذكره فتولاّه أشهرًا،حتى انفرجت المشكلة.

---

[1] – جواد(علي)،المرجع السابق، ص 80.

[2] – نفسه .

[3] – الاعظمي (علي ظريف) ، المرجع السابق،ص81

[4] – جواد(علي) ،المرجع السابق،ص 262.

وحسب جوادعلي"...ولتملّكّ النعمان الثالث في كل هذه الظروف قصّة تثبتها أغلب روايات المؤرخين وعلى رأسهم الطبري فيما يرويه عن بن الكلبي[1]..".

وكان قابوس بن المنذرالأكبرعمُّ النعمان وإخوته،بعث إلى كسرى بن هرمزبعدي بن زيدوأخوته،فكانوافي كتّابه يترجمون له،فلمّا مات المنذربن المنذر،وترك ولده هؤلاء الثلاثة عشرة.جعل على أمره كلّه إياس بن قبيصة الطائي وملكّه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيه فكان عليه أشهراًوكسرى في طلب رجلٍ يملّكه على العرب، ثم إن كسرى بن هرمز دعاعدي بن زيد،فقال له: من بقي من بني المنذر؟،وماهم؟،وهل فيهم خير؟فقال:بقيّتهم في ولد هذا الميت المنذر. وهم رجالٌ فقال:ابعث إليهم فكتب إليهم فقدمواعليه فأنزلهم على عدي،يفضّل إخوة النعمان عليه في المنزل،وهويُري لهم أنه لايرجوه ويخلو بهم رجلاً رجلاً،ويقول لهم:إن سألكم الملك أتكفوني العرب؟ فقولوا نكفيكهم إلا النّعمان،وقال للنعمان: إن سألك الملك عن إخوتك فقل له: إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز .

وكان من بني مرينارجل يُقال له عدي بن أوس بن مرينا،وكان ماردًا شاعرًا،وكان يقول للأسود بن المنذرإنك قدعرفت أني لك راجٍ و إن طلبتي ورغبتي إليك أن تخالف عدي بن زيد.فإنه والله لا ينصح لك أبدًا فلم يلتفت إلى قوله،فلما أمركسرى عدي بن زيد أن يدخلهم عليه جعل يدخلهم عليه رجلاً رجلاً فيكلّمه،فكان يرى رجالاً قلّما رأى مثلهم،فإذا سألهم:هل تكفونني ما كنتم تلون؟،قالوا:نكفيك العرب إلاالنعمان. فلمادخل عليه النعمان رأى رجلاً دميمًا فكلّمه،وقال له أتستطيع أن تكفيني العرب؟ قال نعم. قال فكيف تصنع لإخوتك؟،قال: إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز .

فملّكه وكساه وألبسه تاجاً قيمته ستين ألفا درهم فيه اللؤلؤوالذهب فلمّا خرج و قد ملك . قال:عدي بن أوس بن مرينااللأسود:دونك،فإنك قد خالفت الرأي[2].

ثم أن عدي بن زيد صنع طعامًا في بيعةٍ ثم أرسل إلى بن مريناأن ائتني بمن أحببت،فإن لي حاجة. فأتاه في ناسٍ فتغدوا في البيعة وشربوا وقال عدي بن زيد لعدي بن مرينا:ياعدي إن أحقّ من عرف الحق لم يلم عليه من كان مثلك،إن قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذركان أحبّ إليك من نفسك،ما أعطيتك من نفسي فإن نصيبي من هذاالأمر ليس بأوفرمن نصيبك. فقام عدي بن زيدإلى

[1] – الطبري(محمدبن جرير)، المصدر السابق،ج1،ص 287.

[2] – نفسه ؛ جواد (علي) ،المرجع السابق،ص 262.

البيعة فحلف ألا يهجوه ولا يبغيه غائلةً أبدًا،ولا يروي عنه خبرًا أبدًا فلمّا فرغ عدي بن زيد قام عدي بن مرينا،فحلف على مثل يمينه:أن لا يزال يهجوهأبدًا ويبغيه الغوائل مابقي.

وخرج النعمان حتى نزل منزله بالحيرة فقال عدي بن مرينا لعدي بن زيد[1]:

ألا أبلغ عديًا بن عدي فلا تجزع و إن رثت قواك

هياكلنا تبزُّ لغير فقرٍ لتُحمد أو يتمّ به غِناك

ولا يزال عدي بن مريناكيد لعدي بن زيد.عندالنعمان وصارمن أكرم الناس على النعمان بسبب بذله ماله له بالهدايا ليتقرّب إليه ،حتى تآمرعليه فوضع كتابًاعلى لسان عدي بن زيدإلى قهرمان،فيه مؤامرة ضدّ النعمان.فلمّا أطّلع النعمان على تفاصيل الكتاب عزم على قتل عدي بن زيد،فطلب منه أن يزوره لاشتياقه إليه وكان عدي بن زيد في طيسفون فاستأذن كسرى فأذن له،فلمّا وصل إلى الحيرة أسرع بالتوجّه إلى قصرالنعمان إذ كان متلهفًالرؤيته فلم يكد يدخل عليه حتى أمر به فأدخل سجنًا بصنين*.لا يدخل عليه فيه أحدٌ،فكتب في سجنه أشعارًا تضرّع بها إلى النعمان. وممّا قاله:

ليت شِعري عن الهُمام ويأتيك بخبرالأنباء عطف السؤال.

إلا أن تلك الأشعارغيّرت عندالنعمان شيئاً قليلاً حتى كاد يطلقه.و يذكرالطبري أنه ندم على حبسه إيّاه. فجعل يرسل إليه و يعده ويمنّيه[2].

إلا أنه كان يخاف إن هو أطلقه فيكيد له المكائد عند كسرى. و يُستفاد من شعرعدي بن زيد في سجنه أن الغساسنة قد أغارواعلى الحيرة لما كان النعمان بالبحرين وعن ابن الكلبي أن المغيرهوجفنه بن النعمان الجفني،فقال زيد بن عدي في ذلك وكان في سجنه :

سما صقرٌ فأشعل جانبيها و ألهاك المروح و الغريب .

ولما لم تجدِ أشعاره مع النعمان،كتب إلى أخيه أبيُّ بن زيد،وكان مع كسرى يستصرخه.فقال: أبلغ أبيًّا على أبيه فهل ينفع المرء ما قدعلم .

بأن أخاك شقيقُ الفؤاد كنت به والهاً ماسلم .

وردّعليه أخوه يَنصره.وكلّم كسرى فكتب وبعث معه رجلاً،وكان للنعمان نائبًا عنه عند كسرى،فكتب إليه يخبره بخبرالرسول. وأرسل إلى أعداءعدي أيضاً وهم بنو بقيلة ولما علم هؤلاء أسرعوا إلى النعمان

[1] – الطبري(محمدبن جرير)، المصدر السابق،ص 288 .

* الصنين:بلدبظاهرالكوفة بقرب(السيلحون)من منازل(كسرى)بين الكوفة والقادسية،الحموي(ياقوت)،المصدرالسابق،ج3 ،ص208 .

[2] – الطبري(محمدبن جرير)،المصدر السابق،ص288.

وطلبوامنه أن يقتله في التوّ واللحظة،قبل أن يصل إليه رسول كسرى وحذّروه من خطر الإبقاء عليه،فأذن لهم بقتله فقتلوه .

لكن الطبري يورد أن رسول كسرى يكون قد وصل بالفعل إلى سجن الصنين وزارعديًاقبل أن يدخل إلى النعمان،وأن عديًا قال لرسول كسرى لما جاءه :"..لا تخرجّن من عندي وأعطني الكتاب حتى أرسل به،فإنك والله إن خرجت من عندي لأُقتلنّ، فأبى الرسول ذلك. وقال له:لاأستطيع إلا أن آتي الملك بالكتاب[1]..".

ولماوصل النعمان ذلك ،أذن لأعداءعدي فغمّوه حتى مات،ولما دخل الرسول على النعمان وأعطاه الكتاب أظهر له النعمان الإذعان لأمركسرى وحباه وأكرم وفادته،ولما كان الصباح دخل الرسول السجن فبهته السجّان وأخبره أنه قدمات منذ أيامٍ فلمّااحتجّ الرسول عندالنعمان،آخذه على الدخول على عدي قبل أن يأذن له واتهمه بالابتزاز،ثم رشاه وزاده جائزةً وأكرمه استوثق منه إلا بخبركسرى.

ثم مالبث النعمان أن ندم على قتل عدي وزاد ضغط بني بقيلةوحلفهم عليه فهابهم وخاف أن يشوابه عند كسرى ويخبروه خبرعدي وخرج يوماً في بعض صيده فلقي ابنًا لعدي يُقال له:زيد بن عدي: فلمارآه عرف شبهه فقال:"...من أنت؟ قال:أنازيد بن عدي بن زيد،فكلّمه فإذاغلامٌ ظريفٌ،ففرح به فرحًاشديدًا وقرّبه إليه واعتذرله من أمرأبيه،ثم أرسله إلى كسرى وأعطاه كتابًا يحمله إليه أشارفيه إلى مكانةعدي منه والى خسارته بوفاته ثم وصّى كسرى بزيد بن عدي،فلمّا مَثُل زيد أمام كسرى وطالع كسرى كتاب النعمان قلّدهوظيفة أبيه عدي،وارتفعت منزلته عنده[2]...".

وهناك أخذ ينسج خيوط المكيدة لانتقام من النعمان وينسب النعمان انه غزاقرقيسا CIRICESIUS ،من بلاد الشام، ضدّالروم ولم ينسب إليه المؤرّخون غارةً غيرها ضدّ الروم،إلا أن امؤرخين لم يحددّوازمنًالهذه الغارة،ولم يتحدّثوا عن نتائجها وفي عهده تتحدث الرويات تأريخاً لهذه الغارة في 600 م،وهوزمن الذي كان قد عقد بين الفرس والروم معاهدة صلحٍ ويرجع،كما ينسب للنعمان يوم طخفة ضدبني يربوع كمايُنسب إليه يوم السلان ضدّ بني عامر بن صعصعة.

[1] – نفسه،ص 289.

[2] – نفسه.

ويذكربعض المؤرخين أن النعمان دخل النصرانية وكان قبل ذلك وثنيًا. وأنه خرج معه ذات يومٍ فوقف بظاهرالحيرة على مقابره مما يلي النهر فقال له عدي بن زيد: أبيت اللّعن،أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال: لا، قال: إنها تقول :

أيها الراكب المخبّون على الأرض مُجدّون

مثل ما أنتم حيينا وكما نحن تكونون

فقال عدي :أعد ما تقول، فقال[1] :

رُبّ ركبٍ قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال .

ثم أضحو لعب الدهر بهم و كذاك الدهر حالا بعد حال.

قال حمزة :"... فارعوى وتنصّر منذ ذاك[2]...". أماروايةأخرى فتروي عن سبب تنصّره غيرذلك،فتقول أن النعمان ولع به الشيطان وأصيب بلوثة ووسوسة فحاول الشفاء منها بالالتجاء إلى كهنة الأصنام ،فلماعجزواعن شفائه أشير عليه الاتجاه إلى آباء الكنيسة فلجأ إلى شمعون بن جابرأسقف الحيرة وإلى سبريشوع أسقف لاشوم وأيشوغرخاالراهب فانتفع بهم.فغيّر دينه فتنصّرواعتمدوحسن إيمانه.وطردواليعاقبة من سائرأعماله وقويت بذلك النسطورية.وتعطي الروايات سنة 593م،كتاريخ لتنصّرالنعمان حيث صاريعدُّ نفسه من حماة المذهب النسطوري.

وينسب للنعمان بناء ديراللُّج وقدعُي:دير اللُّجة في تأريخ سعرت ونسبه إلى اللُّجة بنت النعمان. وذكرأن هذا الدِّير قبرماريا أبا الكبيرالجاثليق[3].

و لم يكن في ديارات الحيرة أحسن منه بناء أولا أنزه موضعاًو فيه قال الشاعر:

سقى الله دير اللُّج غيثاً فإنه على بعده مني إلى حبيب

قريب إلى قلبي بعيد محله وكم من بعيد الدار وهو قريب

وينسب المؤرخون شقائق النعمان إلى النعمان بن المنذر،ذلك أنه خرج يومًا إلى ظهرالحيرة وقدأعتم نبته بين أحمر،وأخضروأصفر،واذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير،فقال: ما أحسنها،أحموها .فسميّت شقائق النعمان،وذكرأن النعمان كان يهتم بتربية الخيل والإبل والماشية فكان يشتري خيرفصائلها

[1] – جواد (علي) ،المرجع السابق،ص 285.

[2] – الأصفهاني(حمزة)، المصدر السابق،ص 95.

[3] – جواد(علي)،المرجع السابق،ص 286

؛ غنيمة(يوسف رزق الله) ، المرجع السابق،ص32.

ويحميها لنفسه ولايسمح لأحدبالحصول عليهاأوتلقيح نعمهم أوخيولهم منهاإلابإذنه واشتهرت اليحموم والرفوف أوفوف من بين خيوله ونسب حمزة إلى النعمان أربع بنات هن:هند،حرقة،وحريقة،عنفقير[1].

وكان تحته جملة نساءهنّ:زينب بنت أوس بن حارثة،وفرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم،مارية الكِندية والتي هي أم هند التي تزّوجها عدي بن زيد.

وتذكرالروايات أن وفود العرب كانت تفد على النعمان بن المنذر فيكرمها ويحبوها ويقضي حوائجها،فيحكّمون في أفضلهم وقدتتحوّل تلك المفاخرات إلى مخاصمات و مهاترات بسبب ترجيح الملك لرئيس على آخر .وينسب إلى زوجة من زوجات النعمان بن المنذرقصائد عرفت في كتب الأدب بالمتجرّدة وينسب إلى النعمان دار في الحيرة عرفت بالزوراء و قد بقيت قائمة إلى أيام أبي جعفر المنصورفأمر بهدمها ولم يذكر السبب الذي حمله على ذلك.

وقدذكرها النابغة*،فقال:بزوراء في أكنافها المسك كارع.وينسب إلى النعمان أيضًافي العمران بناءه مدينةالنعمانيةعلى ضفّة دجلة الغربية،وهي الآن بلدةٌ صغيرةٌ إلى جنوب بغداد . وفي أيام النعمان بلغت الحيرة منتهى الرُّقي والعمران،ونبغ فيها جماعة من العلماء والحكماء والفلاسفة والخطباء.وتهافت الشعراء إليها والأدباء.و قدكان مولعًا بالشعروالشعراء فأمركتّابه فنسخواله شِعرالعرب ودونّوها في الكراريس فجعلهافي خزائن قصره وكان من ندمائه وشعرائه حاتم الطائي المشهوربالكرم والجودوالشعروقدقصده الشعراءوقدكان مولعاًبالشعرمن بلادٍ بعيدةٍفبالغ في إكرامهم و أجزلهم العطاء ومن جملتهم النابغة الذبياني فإنه كان مقرّباً عنده خاصٌّ به لا يفارقه[2]،حتى سُمي بصاحب النابغة. ودام ملك النعمان بالمنذر اثنتي وعشرين سنة .

---

[1] – الأصفهاني (حمزة) ، نفسه

؛جواد (علي)،نفسه.

* هوزياد بن معاوية وكنيته ابو أمامةاوأبو تمامة،ولقب بالنابغة لطول باعه في الشعروهومن الطبقة الاولى المقدمين على سائرالشعراءوكان تضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراءفتعرض عليه أشعارها،وستأتي ترجمته،جواد(علي)،نفسه.

[2] – الأصفهاني(ابوالفرج علي بن الحسين)،كتاب الأغاني،تح،احسان عباس وآخرون،ج1،ط2،دارصادر،بيروت،ص34

؛ الاعظمي(علي ظريف) ،المرجع السابق،ص83.

من ذلك في زمن هرمز بن انو شيروان سبع سنين وثماني أشهر،وفي زمن كسرى بن هرمزأربعة عشرسنة وأربعة أشهر[1].حيث قتل من طرف كسرى بسبب كيدزيد بن عدي بن زيدالعبادي أنه لماصارزيد بن عدي محضياًعندكسرى قرّبه إليه .احتاج كسرى تزويج أولاده وكان الأكاسرة يبعثون إلى ولاّتهم ومن يوادون،يطلبون نساءهم على أوصاف مخصوصةٍ .

ولكنهم لم يكونوا يلتمسون ذلك من العرب،لعلمهم بخلهم بكرائمهم فقال عدي بن زيدلكسرى:اني لا أعرف عشرين أمرأَةً و قدجمعن أوصاف الجمال وهنّ على الصفة التي تريدهاوهن عند النعمان ملك الحيرة من بناته وبنات عمه،وأثنى على جمالهن وهويعلم أن النعمان يضنُّ بذلك ليقع التنافر بينه و بين كسرى فيتمكن من أخذ ثأر أبيه. فقال له كسرى:أكتب للنعمان فيهن .

قال أيها الملك إن شرّشيئ في العرب وفي النعمان أنهم يتكرّمون بأنفسهم على العجم . فأنا أكره أن يغيبهن عمّن تبعث إليه أو يعرض إليه غيرهن،وان قدمت أنا عليه لم يقدرأن يغيبهن، فابعثني وابعث معي رجلاً من رجال حرسك يفقه العربية حتى أبلّغ ما تحبه. فبعث معه رجلاً،فخرج به زيد فجعل يكرم ذلك الرجل و يطعمه حتى بلغ الحيرة.فلما دخل عليه عظّم الملك،وقال:إنه احتاج إلى نساء أهله وولده وأراد كرامتك بصهرك فبعث إليك.فقال:وما هؤلاء النسوة ؟فقال:هذه صفتهن قدجئنا بها،فشقّ عليه النعمان فقال لزيد والرسول يسمع:أماله في عين السواد وفارسٍ ما تبلغون حاجتكم،فقال الرسول لزيد مالعين...؟قال زيد:البقر. فقال زيد للنعمان:إنما أراد كرامتك ولوعلم أن هذا يشقّ عليك ما بعث إليك.فأنزلهمايومين ثم بعث إلى كسرى إن الذي طلب الملك ليس عندي وقال لزيد:أعذرني عنده،فلمارجع إلى كسرى قال زيد للرسول الذي جاء معه أصدق الملك الذي سمعت منه فإني سأحدثه بحديثك،ولاأخاف فيه فلمّا دخلاعلى كسرى قال زيد: هذاكتابه فقرأه عليه .

فقال له كسرى:فأين الذي كنت أخبرتني عنه؟قال كنت أخبرتك بضنهم نسائهم على غيرهم،وأنّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعُري على الشبع والرِّياش واختيارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه .حتى أنهم ليسمّونها السجن،فسلْ هذا الرسول الذي كان معي عن الذي قال وأني أكرم الملك عن الذي قال وردّعليه أن أقوله،فقال للرسول:ما قال؟ قال أيها الملك: أما في بقرالسواد وفارس

[1] – الأصفهاني(حمزة) ، المصدر السابق،ص 96

؛ Hitti(Philip.K) ,op,cit p48

مايكفيه حتى يطلب ماعندنا،فعُرف الغضب في وجهه ووقع في قلبه منه ما وقع.ولكنّه قال:رُبّ عبدٍ قد أراد ماهو أشدّ من هذا المصير أمره إلى التباب[1].

وشاع هذاالكلام فبلغ النعمان،وسكت كسرى على ذلك شهرًاوجعل النعمان يستعدّ ويتوقّع حتى أتاه كتابه أن أقبل فإن للملك إليك حاجةٌ . فانطلق حين آتاه كتابه فحمل سلاحه وما قوى عليه ثم لحق بجبل طيء،فأرادالنعمان طيئاً أن يدخلوه بين الجبلين ويحموه لكونهم صهره فأبوا ذلك عليه،وقالوا:لولاصهرك لقاتلناك فإنه لاحاجة لنا في معاداة كسرى ولا طاقة لنا به.

فأقبل يطوف على القبائل العربية ليس من أحدٍيقبله غير أن بني رواحة بن سعد من بني عبس قالوا:إن شئت قاتلنا معك،لمنّة كانت له عليهم،فقال:لاأحب أن أهلككم فإنه لا طاقة لكم بكسرى .فأقبل حتى نزل بذي قارفي بني شيبان سرًا فلقي هانئ بن مسعود بن ذهل بن شيبان،وكان سيدًا منيعًاًوكان للنعمان عليه فضلٌ ،فرحّب به هانئ وقال:أني مانعك مماأمنع نفسي وأهلي وولدي ولكنني لاأرى في ذلك نفعًالأنه مهلكي ومهلكك،فإذا أذنت لي فأني مُشيرعليك بالذهاب إلى كسرى مستعطفًا واحمل إليه الهدايا،فإذاصفح عنك عدت ملكًا،وإلا فالموت خيرٌمن أن يتلاعب بك صعاليك العرب[2] .

فأستحسن النعمان الرأي ولكنه قال ك ما أفعل بحرمي،قال هانئ هنّ في ذمّتي ولا يخلص إليهن حتى يخلص إلى بناتي فقبل بذلك النعمان وأودع أهله وماله وفيه أربعة ألاف شكّة[3]،وتوجّه إلى كسرى حتى أتى المدائن فلقيه زيد بن عدي فقال له:"...انج نُعيم إن استطعت النجاة.."فقال النعمان:"...فعلتها يازيد،أماوالله أن انفلت لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربيٌ قطٌ ولأحقنّك بأبيك..."."فضحك زيدوتوعّده وقال : امض نعيم قد والله أخّيت لك آخّية،لا يقطعها المهرالأرّن.فلمّا بلغ كسرى أنه بالباب،بعث إليه فقيّده و صفّ له ثمانية ألاف جاريةٍ عليهن المصبغات صفيّن.فلماساربينهن قلن له:أما فينالملك غنىً عن بقرالسواد أدرك النعمان أنه غيرناجٍ منه. فأمركسرى بالنعمان فسُجن حسب بعض المؤرخين بساباط المدائن[4].

---

[1] - جواد (علي) ،المرجع السابق،ص291.

[2] - الطبري،المصدرالسابق،ص 294.

[3] - الشكة :سلاح الفارس كله ،الزبيدي،المرجع السابق،ج8،ص29.

[4] - Boulos(Jawad) , op,cit ,p 347

أماآخرون فإنهم يرون أنه بعث به إلى خانقين.وفي ذلك ذكرالطبري أنه بعث إلى خانقين فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه،والناس يظنون أنه مات بساباط لبيت الأعشى[1] :

فذاك و ما أنجى من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محرزق .

وقيل أن كسرى أمربه فرُمي تحت أرجل الفيلة فداسته ومات وفي ذلك يقول هاني بن مسعود الشيباني:

إن ذا التاج لا أبالك أضحى في الورى رأسه تخوت الفيول

إذ كسرى عدا على الملك النعمان حتى سقاه مرّ البليل

و النابغة الذبياني من قصيدة يرثي بها النعمان يقول فيها :

ألم تر خير الناس أصبح نعشه على فتية قد جاوزوا الحي سائرا

ونحن لديه نسأل الله خلده يود لنا ملك و للأرض عامرا

2- أ- 18- إيّاس بن قبيصة الطائي (من سنة 613 ، إلى سنة 618 م)[2] :

هو إياس بن قبيصة بن أبي عفراء بن غوث بن طئ*. وهو رجلٌ غريبٌ لم يكن من لخم ولكن من طيء . ذلك أنه لما مات النعمان بن المنذر انهزم أولاده من الحيرة خوفاً من كسرى أبرويزو تشتّتوا في البلاد.فوليّ اياس بن قبيصة ونقل الملك من لخم إلى طئ .

ويعتبرحكم النعمان بن المنذر البداية الفعلية لنهاية حكم اللخميين في الحيرة .ولذا يعتبر آخر حكام اللخميين،على الرغم من وصول بعض أفراد إلى الحكم بعد موته بسنوات لكن حكم هؤلاء لم يستمرإلا أشهرًا قليلة،قبل نهاية الدولة بشكلٍ نهائي[3].وآل قبيصة من الأسرالمعروفة في الحيرة وأنه قد سبق لإياس بن قبيصة،أن عهد إليه إدارة المهمات بعد وفاة المنذر.

فمكث شهراً ملكاً يديرأمور الملك إلى أن أعطي التاج للنعمان أبي قابوس.ويروي الطبري أن كسرى لماهرب من بهرام مرّبإياس بن قبيصة،فأهدى له فرسًا وجزورًا فشكرله كسرى ذلك .

---

[1] – الطبري(محمدبن جرير)،نفسه ؛المسعودي(ابوالحسن علي)،المصدرالسابق ،ص209 ؛ السيد (عبد العزيز سالم)،المرجع السابق،ص276.

[2] – الاعظمي(علي ظريف) ،المرجع السابق،ص84.

* طئ ولخم من أصل واحد لان القبيلتين منبني قحطان،وكان منزل طئ يومئذ في اعالي نجد في جبلي أجا وسلمى ،البغدادي(عبدالقادرعمر)،المرجع السابق، ج2،ص52 .

[3] – جبران(نعمان محمود) وسحيم(روضة)، المرجع السابق،ص236.

**ساتيدما:نهربقرب(ارزن)،وكان(كسرى أبرويز)وجّه(اياس بن قبيصةالطائي)لقتال الروم فهزمهم،الحموي (ياقوت)،المصدرالسابق،ج3،ص7.

وأنه كان قدعاون كسرى أيضافي نزاعه مع الروم وكان ذلك في وقعة ساتيدما **ومن ذلك قول أبي نواس مفتخرًا:ويوم ساتيدما ضربنا بني الأصفر والموت في كتائبها.

فما كان من كسرى و الحال هذه إلاأنه تذكّرفضل إياس فعينه ملكًاعلى الحيرة بعد هلاك النعمان وتشتت أبنائه،وعيّن معه رجلاً فارسيًا اختلفوا في اسمه فقالوا الهمرجان والبحرجان والنخرجان والتخرجان.قال جواد علي:"...وهو اختلاف يسير يعود سببه على ما يظهر إلى عدم تمكّن النُسّاخ أو الروّاة من ضبط الكلمة ويضيف .والظّاهر أنها وضيفة ومركزحَسَبها الرّواة اسم علم فأطلقوها على شخصٍ نقلا عن المستشرقين : روتشتين ROTHESTEIN ونولدكه NOLDEKE [1]..".

ويذكرالرواةأيضًا،أن إيّاسا كان قدعيّنه كسرى على عين التمروماوالاها من الحيرة. وأطعمه ثلاثين قريةً على شاطئ الفرات.ويذهب جواد علي إلى أنه يفهم من رواية وفاته في عين تمر ووجود أخيه فيها،أنها كانت من مناطق نفوذ أسرة إياس حتى في أيام ملك آل لخم[2]،و هو قول فيه مبالغة في الاجتهاد،إذ ما يمنع وجود إياس بن قبيصة على ولاية عين تمرفي حياة النعمان بن المنذروأنه كان واليًاعليه من قبله.

ويتفق أغلب المؤرخين على أن ولاية إياس بن قصيبة للحيرةكانت حوالي ثماني سنوات،ويجعلهاحمزة سبع سنوات،ولسَنةٍ وستة أشهرلملكه بُعث النبي صلىّ الله عليه وسلم[3].وجاوزبعض المؤرخين هذه المدّة فقال بعضهم أن حكم إياس دام تسع سنين.ويبدوامن اتفاق الرواة،أنه لم ينسب لإياس بن قصيبة أية غارةٍ قام بها ضد الروم،ماعداماحدث في ساتيدما،أو ضدالغساسنة إلاأن أهم شيء و قع في عهده يعتبرالأهم في تاريخ مملكة الحيرة كلّها،بل وفي تاريخ العرب قبل الإسلام قاطبةً، ألاو هي وقعة ذي قار،أوما أشتُهربتسميته في التاريخ العربي القديم بيوم ذي قار. ولانكادنعثر في خضمّ روايات المؤرخين عن هذه الوقعة المهمّة في التاريخ عن حديثٍ يتناول مصيرإياس بن قبيصة. فرواية بعض الروّاة يُفهم منها أنه لم يشارك في تلك الواقعة، وأن العرب ظلّت تنقِم عليه مشاركته للفرس ضدّهم[4].بينماتذكررواية أخرى أنه قد قُتل في تلك الواقعة.بينما تذكرروايات أخرى أنه عُزل من طرف كسرى،إلا أن تلك الرواية لا تتحدث عن سبب هذاالعزل[5].إلى جانب هذا الاختلاف في مصير

[1] - جواد (علي)،المرجع السابق،ص 292.

[2] - نفسه.

[3] - الأصفهاني (حمزة) ، نفسه.

[4] - الاعظمي (علي ظريف) ، المرجع السابق،ص 114.

[5] - نفسه،ص 115 .

إياس بن قبيصة،فإننا نجدالاختلاف ظاهراً بيّناً في مدة حكمه،فنجدابن الأثيريمدّد حكمه إلى أربع عشرة سنة[1]،رغم أنّه كثيرُ النقل عن الطبري الذي يجعلها تسع سنينٍ[2].وتضطرب رواية ابن قتيبة في كتابه المعارف،نحو ذلك فتارةً يذكرأن مدّة حكمه دامت ثمانية أشهرٍ،وتارةً يميل إلى رواية الطبري ويذكرأن حكمه دام تسع سنواتٍ[3].إلاّ أن أغلب تلك المصادرالتاريخية تتفق على و فاة إياس كانت بعين التمرويُنسب لإياس شعرٌ قاله زيد للخيل، إذ يقول[4] :

فان يك رب العين خلى مكانه فكل نعيم لا محالة زائلٌ.

2- أ- 19-المنذربن النعمان الثالث(المنذرالخامس):(من سنة 631 إلى سنة 632م):

هوالمنذربن النعمان الثالث،المعروف بالمنذرالخامس)،وسمّته العرب المغرور،وحسب بعض المؤرخين والمحدّثين،فان مصرع النعمان بن المنذرعلى يدي كسرى كان نهاية حكم اللخميين في الحيرة،إلاأن هؤلاء المؤرخين يذكرون دائمًافي آخرقائمتهم ملكًامنهم،هوالمنذربن النعمان الأخيرويدعونه الغرورأو المغرور،إلا أن تلك المصادرتضطرب في في حقيقة توليه الملك على الحيرة،حيث نجدارتباط الحديث على توليه الملك في أثناء الحديث عن فتح خالدبن الوليد-رضي الله عنه-الحيرة.ولاتذكرتلك المصادراسم المنذرالخامس الامقترنًابالبحرين،ويذهب في تعليل ذلك جوادعلي حدّالتأكيدعلى أن المنذرالخامس لم يحكم الحيرة وإنما حكم البحرين في إثناء الردة،ويوسّع في ذلك إذ يذكر بأن قبيلة ربيعة حينماارتدت عن الإسلام،قالت:نردالملك،فلماحارب المسلمون المرتدّين مُنيوا بهزيمةٍ منكرةٍ،وسقط المنذرأسيرًا في أيدي المسلمين،ويُقال أنه أسلم على أثر ذلك وسمّى نفسه المغروربدلاً من الغرور[5].

ولعلّنانلتمس من خلال روايات المؤرخين،بعض التوافق للسياق الموافق لسيرالأحداث،إذتدل أقرب الروايات على أنه لماقدم خالدبن الوليد- رضي الله عنه- حين زحفه على العراق بأمرالخليفةأبوبكر- رضي الله عنه— فعرض على المنذرالإسلام أو الجزية أو الحرب،فاختار الجزية وصالحةعلى مايدفعه كل عام.وهي أوّل جزيةحملت في الإسلام من العراق،وأوّل جزية أخذت من بلاد فارس.وكانت قيمتها مائة وتسعين ألفاً.إلا أن رواية أخرى تذكرأن الذي تلقى خالد كان المرزبان قائد جيوش الحيرة كان

[1] - ابن الاثير(علي بن محمد) ، المصدر السابق ،ص 292.

[2] - الطبري(محمدبن جرير)،المصدر السابق، ج 1،ص 293.

[3] - ابن قتيبة(ابومحمدبن مسلم الدينوري) ،المصدر السابق،ص 219.

[4] - جواد(علي)،المرجع السابق،299.

[5] - نفسه،ص300.

قد أرسله ملك الفرس للدفاع عنها،لكنّه انهزم في وجه خالد بن الوليد. لكن السياق العام للإحداث يدلّ على حدوث مصالحة خالد بن الوليد لأهل الحيرة على الجزية المذكورة،كما تدلّ أن ذلك تمّ في السنة 12هالموافق631 م.

لكن الروايات تدلّ على أنه لمااستقام أمرالفرس نوعاما،وعندماسارخالدبن الوليدواستخلف المثنى بن الحارثة نقض أهل الحيرة العهدونكثوه.إلى أن جاءسعدبن وقاص إلى العراق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أما نهاية المنذرالخامس فكانت بالبحرين حسب الروايات السالفة في يوم جواثاوبه انتهت دولة ملوك الحيرة وكان أخرملك من آل نصراللخميين،وذلك في سنة13هـ الموافق لسنة 632 م.

أمّاعن مدّةحياةهذهالمملكة العريقة فنجداختلافًاغيريسيربين المؤرخين،ولاعجب مادام قدوجدناهذاالاختلاف بيّناً في ذكرهم لتوالي ملوك الحيرة،واختلافهم في بعض ملوك الحيرة.فنجدبعضهم يميل إلى القول أن هذه المملكة،قددامت ستمائةوثلاث وعشرين سنةًوأحدعشر شهرًا[1]،أوستمائة وأثنين وعشرين سنةٍ و ثمانية أشهر[2] .بينماتذكرروايات أخرى أن مدة جميع ملوك آل نصرومن أُستخلف من العُبّاد والفُرس، كانت خمسمائة و اثنان وعشرون سنةً وثمانية أشهر[3].وتذكررواية أخرى أن مدة جميع من حكم هذه المملكة هو أربعمائة وأربع وتسعون سنة[4].

[1] - المسعودي(ابوالحسن علي)، المصدر السابق،ص 213.

[2] - الأصفهاني (حمزة) ، المصدر السابق،ص 96.

[3] - الطبري(محمدبن جرير)،المصدرالسابق، ج1،ص294.

[4] - الاعظمي(علي ظريف)،المرجع السابق،ص 118.

الفصل الثاني

الحياة الإجتماعية والإقتصادية

1- الحياة الاجتماعية .

2- الحياة الاقتصادية .

1 – الحياة الاجتماعية :

1– أ – السُّكان :

تدُّل المصادرالتاريخية وتتفق،على أن المجتمع الحيري هوخليطٌ متمازجٌ من عناصرعربيّةٍ تكوّنت من قبائل قحطانية وأخرى عدنانيةٍ.وكان هذاالتمازج بين العناصرالعربية تلك بالتدريج وذلك انطلاقاًمن الرواية القائلة باجتماع القبائل العربية التي كانت قدسكنت الأنبارمن بني قحطان،ثم الذين إنضمّواإليهم من باقي قبائل عدنان عندما كثُرعدد أولادمعدعدنان وملأوابلادهم من تهامة وما يليهم،ثم فرّقتهم حروبٌ وقعت بينهم وأحداثٌ حدثت فيهم[1]، وقد أتينا على تفصيل تلك الرواية وتحليلها في المبحث الخاص بنشأة مملكة الحيرة آنفاً فأغنى عن الذكرعنه في هذا المبحث.وأطلقت تلك العناصرالعربية على نفسها اسم تنوخ واشتهرت مختلف القبائل العربية من قحطانية وعدنانية وأوضحنا أن اسم تنوخ كان منشؤه اصطلاحاً باجتماع تلك القبائل على التآزروالتناصرفصاروا يداًواحدةً على الناس وضمّهم اسم تنوخ[2].

ويُفهم من روايات المؤرخين،أن نزول هذه القبائل أوّل منزلٍ كان بالأنبار،لكن امتزاجهم واستقرارهم كان حقاً بالحيرة،لذلك نجدعندكثيرٍ من المؤرّخين الشرقيّين الذين يعتمدون استقاء معلوماتهم التاريخية من مصادرغيرعربية يونانية ومسيحية. أن اسم الحيرة مقرونٌ باسم الأنبارعلى الأقلّ في مرحلة التأسيس لمملكة الحيرة وبالمقارنة بين تلك المصادر وما جاء به الرواة العرب ودرجوا على روايته عن الطبري خصوصاًوالذي أُخذأكثرورواياته عن ابن الكلبي أن هذا التمازج بين القبائل العربية ظهرجلياًعندماتأسّست فعلاًمملكةالحيرة،في منتصف القرن الثالث الميلادي[3]،وأن تمصيرالحيرة وإعمارهاكان قبل ذلك،أن هذه القبائل العربية لم تجدالحيرة فلاةً خاليةً من السّكان،بل أن

---

[1] – الطبري(محمدبن جرير)، المصدرالسابق،ج1،ص 209
؛ ابن الجوزي،المصدر السابق،ص 48.

[2] – جواد (على)، المرجع السابق، ص 167.

[3] – Huart.L, op,cit ,p63
؛ العلي(أحمد صالح)،المرجع السابق،محاضرات في تاريخ العرب،ص65
؛ برو (توفيق) ، المرجع السابق،ص 124؛غنيمة (يوسف رزق الله)،الحيرة ،المدينةو المملكة العربية،مطبعة المعارف،بغداد،1936،ص8.

أكثرالروايات تدلّ على أن هذه القبائل قدوجدت من سبقها إلى استيطان الحيرة وسكن فيها من الأرمانيين والأردوانيين قبائلٌ غيرعربية تدين بالولاء وتعيش تحت لواء ملوك الطوائف.

ويدل ذلك أيضاًعلى فعل الهجرة التي قامت بها القبائل العربية من البحرين إلى الحيرة والتي ذكرهاالمؤرخون،الذين أسهبوا في تفصيل أسماء تلك القبائل وأسماء الطلائع الأولى منهم،وأن الذي حصل عندماضعفت وتضعضعت سلطة ملوك الطوائف على تلك المناطق واحتدم الصراع فيما بينهم وتطلّع العرب إلى الاستقرارفي سَوادما بين النهرين،لخصب أرضه وطيب هوائه ولعلّ هذا التمازج بين القبائل العربية من الإرمانيين والأردوانيين هو الذي ساعد على إيجاد القواعد الحضارية الملائمة للتأسيس لحضارة مبدؤهاملكة الحيرة فيما بعد . إن هذا التمازج الحضاري حسب ما يفهم لم يكن يسيراً ولن كان تدريجياً، كما أشرت إذ يدلُّ قول الطبري[1]رواية عن لسان ابن الكلبي قوله:"ونزل كثيرمن تنوخ الأنبار والحيرة،وما بين الحيرة إلى طفّ الفرات وغربيه إلى ناحية الأنباروما والاها في المقال والأخبية. لايسكنون بيوت المِدرولا يجامعون أهلها فيها،ولدينا مايشير إلى أن هذه المنافرة،من تنوخ التي أبدوها حيال من كان يستوطن الأنبار والحيرة،إنماكانت في بداية التأسيس لمملكة الحيرة ابتداءاً من مالك بن فهم واستمرت تلك الحال حتى إعتلى الحكم عمرو بن عدي اللخمي الملك،وفي عهده استتّب أمرملك الفرس لأردشير بن بابك مؤسّس الدولة الساسانية.قال ياقوت الحموي[2] :"...إلى أن قدم أردشرين بابك يريدالإستبدادبالملك وقهرملوك الطوائف فكره كثير من تنوخ المقام بالعراق وأن يدينوا لأردشير،فلحقوا بالشام وانظموا إلى من هناك من قضاعة،وجعل كل من أحدث من العرب حدثاًخرج إلى ريف العراق ونزل إلى الحيرة،فصار ذلك على أكثرهم هجنة...".ويعضدهذاالقول الرأي القائل أن هذاالتمازج بين المجتمع الحيري والتأسيس له كان في فترة حكم عمروبن عدي وأن ذلك تمّ بين العناصرالعربية والعناصر الأخرى التي سبقتهم إلى إستيطان ريف العراق بالحيرة،قول الطبري أيضا:"...وكان أناس من العرب يحدثون في قومهم الأحداث أو تضييق

[1] – الطبري(محمد بن جرير)، المصدرالسابق ،ج1، ص 210.

[2] – الحموي (ياقوت) ، المصدر السابق،ج2،ص 203.

بهم المعيشة فيخرجون إلى ريف العراق وينزلون الحيرة[1]...". وتبعاً لذلك يميّز المؤرّخون في تكوين المجتمع الحيري ثلاثة أقسامٍ هم:تنوخ والعُبّاد والأحلاف[2].

ولا نجداختلافاً بين روايات المؤرخين حول هذا التقسيم للمجتمع الحيري بل إننا نجد كثيراًمن المستشرقين قد اخذوا هذا التقسيم واتفقوا عليه في مجمل رواياتهم لكن اللافت في هذا التقسيم هو المعيار الذي اتخذعلى أساسه ذلك التقسيم ، و تبعا لهذا نجد اختلافاً في الاصطلاح على تسمية هذا التقسيم فآخرون يطلقون عليه أصناف[3].أما بعضهم فيطلقون عليه مصطلح طبقات[4]،بينما يذهب بعض إلى إطلاق مصطلح العناصر*على ذلك التقسيم ،ولعلّنالا نشطط اذاما اكتشفنا ان هناك من الفرق بين هذا المصطلحات الشيء الكثير،ولا تمدُّنا المصادر التاريخية بالأ سس التي بُني عليها هذا التقسيم ،عرقيٌ كان أو مذهبٌي أو دينٌي أو أي تقسيمٍ آخر، الا اننا نكتشف من اشتقاق تنوخ أن ذلك التقسيم بين تنوخ وعبّاد وأحلاف،إنما كان محض اصطلاحٍ درج عليه المؤرّخون والإخباريون قبلهم. ومهما يكن فان تنوخ[5]،هم القبائل التي سكنت بيوت الشعر والمظال والوبر غربيّ الفرات بين الحيرة والانبار فما فوقها .(الملحق رقم 08).

والظاهرمن روايات المؤرخين أنهم كانواينزلون حول الحيرةالمدينة وذلك لطبيعة نشاطهم الأساسي والذي يتمثّل في ممارسة الزراعة،أمّاالقسم الثاني: فهم العُبّاد،واختلف المؤرّخون والإخباريون حول سبب إطلاق هذاالاسم عليهم وكثرت الروايات المنسوبة لهذا الاختلاف،إلا انه يمكن تلخيص ذلك الاختلاف في، ثلاثة آراء :

---

[1] – الطبري(محمد بن جرير)، نفسه .

[2] – الأصفهاني (حمزة) ، المصدر السابق،ص 86

؛ الطبري(محمدبن جرير)، المصدر السابق،ج1،ص 230 ؛الحموي (ياقوت) ، المصدر السابق،ج2،ص 203 ؛

Hitti (Philip) ,Précis d'histoire des Arabes,tra,Maurice allais ,Payot,Paris,1950,p24

[3] – الطبري(محمدبن جرير)، المصدر السابق ،ج1، ص 209

؛ ابن الجوزي، المصدر السابق،ص 48.

[4] – L.Huart , op,cit ,p 62 ; Tor. Andrea , op,cit ,p32

* أطلق عليهم اسم عرب الضاحية ،جواد(علي)،المرجع السابق،ص168 .

[5] – حسن (إبراهيم حسن) ،تاريخ الإسلام ، ج1 ، ط15، دار الجيل،بيروت،2001، ص32.

فرأي يرى أنهم سموّا كذلك لان وفداً منهم كان قد وفد على كسرى ،فلما سألهم عن أسمائهم ذكروا: وعبد المسيح وعبد ياليل،وسأل الثالث،فقال :عبد يسوع والرابع فقال :عبد الله،وقال الخامس:عبد عمر. فقال كسرى:انتم كلّكم عبّاد[1]، فسمّوا كذلك .

أما الرأي الثاني : فيعزو سبب هذا التسمية،إلى ان العبّادهم خدّام الله –عزّ وجلّ– وان هؤلاءكانواكثيري العبادة لله.

والرأي الثالث:أنهم تنادوايوم قاتلهم شابورالاكبرواتخذوا شعاراً لندائهم هو:يآل عبّاد[2] .

ومهمايكن من أمرالاختلاف الحاصل في تعليل تسميتهم بذلك،فان اغلب المؤرخين يتفقون على أن هؤلاء نصارى على المذهب النسطوري . وان هذاالاسم لم يميّز عرقاً معيناً في مملكة الحيرة أو فصيلا قبلياً معيناً إنما كان يشير الى طائفةٍ دينيةٍ مسيحيةٍ ،اتخذت هذا الاسم تمييزاً لها عن باقي النصارى العرب الآخرين وكذا عن سكان الحيرة نفسها من الوثنيّين .

واحتفظ كثيرٌ من هؤلاء العبّاديين بدورريادي في مملكةالحيرة ، يدلّ على ذلك نخبة من اشتهرمنهم في البلاط الحيري بل وحتى في البلاط الفارسي،مثل:أسرة زيد بن عدي العبادي ،وكذابنو مريناالتي اشتهرت كأسرةٍ من الأسرالثريّة والمؤثّرة في أوضاع المملكة،وكذا الأمرمع بني بقيلةالذين نجدهم يلعبون دوراًأساسياً في تسليم الحيرةلجيش خالد بن الوليد– رضي الله عنه–، دون كثير اراقة دماءٍ .وهذا ما يدلّ على أن كلمة العباديين لم تكن تعني قبيلة معينةانما تعني مجموعة من القبائل جمعت بينها وحدة الدين ووحدة الموطن.

امّاعن مضاربهم فانهم سكنوارقعة الحيرة فابتنوا بها[3]،فهم بالتالي حضرمستقرّون وتُنسب قصورالأثرياء التي كانت بظاهرالحيرةغالباً إلى هؤلاء والظاهرأنهم اشتغلواالحرف والتجارة،ويربط جواد علي بين مصطلح العباديين ومصطلح: Abadidiالمتصل بالحضارة الاشورية،فيقول:"...لااستبعد ان يكون

---

[1]– جواد(علي)،المرجع السابق،ص170

؛الألوسي (محمود شكري) ،بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب،شرح،محمدبهجة الأثري،ج 1، دار الكتب العلمية،بيروت،ص64.

[2] – الأصفهاني (حمزة) ،المصدر السابق،ص 86.

[3] – جواد (علي)،المرجع السابق،ص 172.

العباد والعباديون هم بقي Abadidi أوإباديدي الذين تحدثت عنهم في اثناءكلامي عن الاشوريين[1]..".

وكان العباد يين أكثرأهل الحيرةثقافة ،ولهذا السبب اختارالفرس تراجمتهم ومن كان يتولىّ المراسلة بينهم وبين العرب من هؤلاء.كمامرّبنا مع زيد العبادي والد(عدي) وإبنه أيضًا عدي،وحذق بعضهم في بعض الصناعات التي اشتهرت بها الحيرة دون غيرها ،ودرس بعضهم العلوم ،وفاق بعض آخر في اللغات وتعلّم الفارسية وكانوا يتقنون لغة بني ارم خصوصاً ، باعتبار ان النصارى كانوا يقدّ سونها و يحرصون على تعلّمها لأنها لغة الدين، وكما أسلفنا فان هؤلاء العباديين قد تبوأوا مكانةً ووجاهةً ومقاماً مرموقاً في الحيرة .

أما القسم الثالث : فهم ما يطلق عليهم المؤرّخون اسم الأحلاف . وقدتميّز هؤلاء عن تنوخ والعباديين.إذْهم يختلفون عنهم بالانتماءلمملكةالحيرةويعرّفهم المؤرخون،بأنهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا بها،وهم من غيرتنوخ والعباد . والظاهر من اشتقاق أسمهم أنهم في غالبهم من القبائل العربية،حالفواالمناذرة واعترفوا بسيادتهم . ويُرجّح أنهم كانوا واسطة اتصالٍ سياسيٍ وحضاريٍ بين الفرس ومملكة الحيرة .

إضافة إلى هذه الأقسام الثلاثة فإن لسكان الحيرة جماعات متفرّقة، فكانت من بينهم جماعة من النبط وهم من بقايا قدماء سكان بلاد ما بين النهرين . وكان بعضهم يتكلّم العربية برطانةٍ ظاهرةٍ لتأثّرهم بلغة النبط والتي عرفت عند المسلمين فيما بعد فأطلقوها على لسان هؤلاءوتأثّر بعض عرب الحيرة كما يقول بعض المؤرّخين برطانة هؤلاءولحْنهم ويعزون ذلك لاختلافهم بتلك البقية التي كانت تتكلّم أساساً بلهجة بني أرم[2] .

إلى جانب هذه الفئة فهناك جماعاتٌ من الفرس واليهود ، ومن خلال إطّلاعنا على الروايات المتواترة في كتب الإخباريين تجد اتفاقهم على تقسيم المجتمع الحيري بالتساوي،ثلاثة أثلاثٍ موزّعة بين الأقسام الثلاثة المذكورة آنفاً وهم تنوخ والعباد والأحلاف كما تتبين من خلالها تضاربهم في شأن دولتهم

[1] – نفسه.

[2] – الطبري(محمدبن جرير)، المصدر السابق،ج1، ص 230 ؛ الأصفهاني (حمزة) ، المصدر السابق، ص86.

وتبعيّتهم لاردشير بن بابك مؤسّس الدولة الساسانية. فيذهب الطبري إلى أن العباد قد دانوا لأردشير بينما ينفي ذلك عن تنوخ[1] .

ويذهب حمزة الأصفهاني مذهبه،إلاأن ياقوت ينفي عن العباد كما تنوخ أنهم دانوا لأردشيروقصرذلك على من أطلق عليهم إسم الأحلاف . وهناك من المؤرخين من يذكر أن الأحلاف قد لحقوا بالعباد بعد نزولهم الحيرة،فحالفوهم وانضمّوا إليهم وشاركوهم أمرهم. وذكرأن منهم بنولحيان من بني الحارث بن كعب وبنو عبد القيس بن أفصى ومن بني جرموز من طيئ وهم رهط اياس بن قبيصة الذي استعمله كسرى،ومن حنيفة ونمير بن عامروبيتٍ من أسد بن خزيمة هم بنو شجرة،بل وذهب إلى أن بني مريناكانوا من الأحلاف أيضاً قبل أن يمتزجوا بالعباد.

وقيل أن اسم الأحلاف بالحيرة كان يجمع قوماً من أربعة عشر حياً[2] ،إلى جانب ذلك فإن اليهودالذين استقرّوا بالحيرةهم من يهودالسبي البابلي فبقوا في هذه المنطقة بعد انتهاء السبي وأنشأوا لهم مدارساً. وقد كان لجاليتهم رئيسٌ خاصٌ يدعى رأس جالوت وفي هذه المنطقة كُتب التلمودالبابلي الذي يعتبر أهم ما كتب في اليهودية – وكذا مدرسة بمباديتاوهي أهم مراكزهم الدينية. وبامتداد التجارة الحيرية أنشأ الحيريون في مختلف البلاد ويروي بعض الاخباريين:"...أنك لا تر بلداً في الأرض ليس فيه حيري[3]..."مما يدل وبلا شك على أن أهل الحيرة كانوا يجوبون المناطق المحيطة ببلاد مابين النهرين على الأقل . ولعلّ هذا الانتشار قديم ولكن معوماتنا عنه قليلة. وقد درج الدارسون على تقسيم المجتمع الحيري الى قسمين متبايين ، يمكننا ان نفصل هذا التقسيم بايجاز فيما يلي :

1- ب – مجتمع الملك وبلاطه :

---

[1] – الطبري،نفسه.

[2] – العلي (أحمد صالح) ،المرجع السابق،ص120.

[3] – الطبري(محمدبن جرير)، المصدر السابق ،ج1، ص 209 ؛ ابن الجوزي، المصدر السابق،ص 48.

وإذ امكننا ان نلقي نظرة على تكوين المجتمع الحيري بصفة عامة من خلال ما سبق ذكره يجدر بنا أن نبدأ الحديث عن اهم خصائصه وتقسيماته انطلاقا من تناول مجتمع الملك وبلاطه وذلك بإعتبار الأهمية التي يكتسيها هذا المجتمع لكونه مجتمعا قائدًا من جهة ولأنه مجتمع يختلف اختلافا كبيرا عن مجتمع العامة في الحيرة وسنتاول هذا التفصيل من خلال ابرازأهم الخصائص والظواهرالاجتماعية التي تكون منها هذا المجتمع،وكذا العادات والتقاليد التي كانت تحكم هذه العناصر في علاقتها بعضها مع بعض من ناحية وفي علاقتها بمجتمع العامة في الحيرة وخارجها.وذلك من خلال تصويرالمجتمع الذي كان يحيا فيه ملوك الحيرة، ووصف حياة مجتمع البلاط الملكي من حيث نفوذ الملك وسلطانه،وأثر ذلك على علاقاته بالآخرين من القبائل العربية التي تقع تحت دائرة نفوذه، أو تربطه بها صلات الجوار،وحظ مجتمع الملك وبلاطه من الترف والبذخ والإغداق على الوافدين إلى بلاطه، ولاسيما الشعراء المادحين،ومظاهر اللهو والعبث التي كان ينغمس فيها بعض ملوك الحيرة من الإسراف في الشراب والمنادمة، ومعاودة الصيد والطرد.

لقدكان لملوك الحيرة عبر تاريخهم الطويل مكانة عليا في نفوس العرب، الذين كانوا يجلونهم ويحكمونهم في خلافاتهم وحل مشكلاتهم والتوسط في منازعاتهم التي لا تكاد تنتهي حتى تنشب من جديد. ومن أبرز شواهد التاريخ على ذلك ما فعلته قبيلتا: بكر وتغلب،وهما من أكبر قبائل العرب،حيث توسلت كل منهما إلى المنذر بن ماء السماء أن يسعى للصلح بينهما، وقد استجاب الملك لهما، وعقد بينهما صلحا يكون بمقتضاه، أن تكف كل منهما عن قتال الأخرى، واشترط أن أي رجل يوجد قتيلا في دار قوم فهم ضامنون لدمه،وإن وجد بين محلتين قيس ما بينهما،فينظر أقربهما إليه، فيضمن ذلك دمه[1].

وقد عادت القبيلتان إلى النزاع في عهد عمرو بن هند، حتى دقتا بينهما عطر منشم لولا أن عقلاء القوم تداركوا مغبة نشوب حرب جديدة بينهما يكون لهما خطرها وويلاتها، وقد تحاكم هؤلاء إلى عمرو بن هند[2]. فطلب إليهم سبعين رجلا من أشراف بكر ليجعلهم في وثاق عنده، فإن كان الحق

[1] – الأصفهاني(علي بن الحسين ابوا لفرج)،المصدر السابق، ج11،ص383.

[2] – الزوزني(الحسين بن احمد)،شرح المعلقات السبع ،تح،محمد محيي الدين عبد الحميد،ط3،مطبعةالسعادةومنشورات دار البيان،بيروت،1973، ص22.

لتغلب دفعوا إليهم هؤلاء السبعين رجلاً، ليأخذوا بثأرهم منهم،وإن لم يكن الحق لهم رجعوا إلى قبيلتهم بعد أن يخلي الملك سبيلهم،وإنما فعل عمروا بن هند هذا لأن أناسا من تغلب جاؤوا إلى بكر يستسقونهم فطردتهم للحقد الذي كان بينهم،فرجعوا عطاشا حتى مات منهم سبعون رجلاً. وهذا يدلنا على مدى النفوذ الذي كان يتمتع به ملوك الحيرة بين القبائل العربية التي كانت تقع تحت سيطرتهم،وقدكان ملوك المناذرة بالذات من القوة والسلطان بحيث لم تستطع هذه القبائل أن تنقض شيئا من العهود والمواثيق التي كان يبرمها هذا الملك أو ذاك،وإن كان هؤلاء الملوك أنفسهم ولم يحترموا مواثيقهم وعهودهم في كثير من الحالات.ومن ذلك أن عمرو بن هند لما غزا اليمامة وقفل راجعا إلى الحيرة،حرضه بعض أصحابه،فأغار على طيء وكان قد عاهدهم على ألا يغزوهم ونهب إبلهم، وأسر منهم سبعين رجلا، وذهب بهم إلى الحيرة معه،حتى توسط في فك إسارهم حاتم الطائي[1].ولم يقف بهم الامر عند هذا الحد من نقض العهد، وخلف الميثاق، وإنما كانوا يسرفون في ضروب الظلم والبطش، ويتخذون منهما اداة يستخدمونها عند الحاجة للتأديب والردع، حتى تجاوزا في ذلك حدود العقل فينزلون أقسى أنواع العقوبات ويبلغون المدى في القتل. وكان من أقسى هؤلاء الملوك وأشدهم"عمرو بن هند" الذي لقب بـ"مضرط الحجارة"لقسوته.

وقد وصفه الرهاب العجلي[2]،في معرض وصفه للسدير بقوله :

أبى القلب أن يهوى السدير وأهله وإن قيل عيش بالسدير غرير

فلا أنذر الحيّ الذي نزلوا به وإني لمن لم يأته لنذير

به البقّ والحمّى وأسد خفية وعمروا بن هند يعتدي ويجور

وبلغ من فرط ظلمهم أن حرقوا بالنار تلك القبائل، التي كانت تخرج بين الفينة والأخرى معبرة عن تظلمها الصارخ.وكان أول من حرق بالنار "امرؤ القيس بن عمرو بن عدي" وقد لقب بالمحرّق، لأنه من حرق العرب في ديارهم[3]،ثم جاء بعده محرق آخر هو امرؤ القيس بن عمروا بن امرئ القيس، وقد

[1] – محمد(أبوالفضل إبراهيم) وعلي(محمد البجاوي) ،أيام العرب في الجاهلية،المكتبة العصرية، بيروت، 2004 ،ص102.

[2] – إبن الأثير(علي بن محمد)،الكامل في التاريخ،ج1،ط4،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1983. ص229.

[3] – ابن منظور(أبو الفضل محمد بن مكرم)، لسان العرب، ج10،دار صادر،بيروت، 1956،ص42.

ذكر بعضهم: أنه أول من حرق بالنار، وأنه المحرق الأول[1]وكان "المنذر بن امرئ القيس بن النعمان" المعروف "بابن ماء السماء" محرقا أيضا، كما سبق. وقد كان عمرو بن هند ملكا جبارا ذا بأس قوي ونفوذ واسع وشخصية مرهوبة، وكان له يوم بؤس ويوم نعيم، كما كان جبارا عنيدًا ويسمى كذلك محرقا، لأنه حرق بني تميم في يوم أوارة الثاني[2] .

1- ب-1 – من مناقب ملوك الحيرة :

كان ملوك المناذرة إلى جانب ماعرفوا به من بطش وقوة نفوذ يتحلّون بكثير من الشيم العربية الأصيلة، التي عرف بها المجتمع الجاهلي، قي أخص خصائصه ومقوماته الاجتماعية. ومنها: أنهم كانوا يجزلون العطاء للناس،وبخاصة الشعراء الذين كانوا يفيضون في مديحهم،ويسجلون مآثرهم ومناقبهم،وقدكان هذا من العوامل القوية الفعالة في نهوض الأدب في مجتمع الحيرة. فكان النعمان الثالث بن المنذر كريمًا يغدق عطاياه على الناس ويبسط يده في توزيعها، كما يجزل عطاياه للشعراء ،كما مر من اكرامه للشعراء الذين انشدوه يوم تتويجه . قال الأعشى قيس يصف السيلحون وهو ثغر من ثغور الحيرة في شعره ،وكان النعمان الثالث بن المنذر يرتاده :

ولا الملك النعمان يوم لقيته بأمته يعطي القطوط ويأفق

ويجبى إليه السيلحون ودونها صريفون في أنهارها تتدفق[3]

وكان النعمان بن المنذريكرم النابغة الذبياني،ويجزل له العطاء وقدأمرله مرة بمئة ناقة وبجام وآنية من فضة[4]. وكان الناس إذا حبا الملك بعضهم بنوق، يعزّون في أسنمتها ريش النعام ليعلم أنها حباء الملك.ذكر حسان بن ثابت أنه وفد على النعمان بن المنذر فمدحه وأجازه الملك على مدحه وأكرمه،وبينما هوجالس عنده ذات يوم إذا النابغة يدخل قبة الملك،وكان يوم ترد النعم السود ولم يكن بأرض العرب نوق سود إلا له ،فأنشد قصيدة يمدحه بها، فدفع إليه النعمان مائة ناقة من النوق السود

---

[1] – إبن قتيبة(الدينوري عبد الله مسلم)،المصدر السابق،المعارف، ، ص272.

[2] – نفسه، ص104.

[3] – الزبيدي(محمد مرتضى الحسيني)،تاج العروس من جواهر القاموس ،ج5،تح،عبد العزيز مطر،ط2،مطبعة حكومة الكويت ،1994 ،ص209 ؛مصطفى السقاوسيد كيلاني،مختار الشعر الجاهلي،ط4،مطبعة البابي الحلبي،ص226.

[4] – ثعلب(احمدبن يحي)،مجالس ثعلب،تح،محمدهارون،ط3،دار المعارف،مصر1956، ص35.

فيها رعاؤها، قال: فما حسدت أحدا حسدي النابغة،لمارأيت من جزيل عطيته وسمعت من فضل شعره[1].

وذكر المسعودي:" أن النابغة دخل على النعمان يوما وعنده خالد ابن جعفر الكلابي،وكان ممن يعطف على النابغة،فمدح النعمان بشعر،فتهلّل وجه النعمان بالسرور، ثم أمر فحشى جوهرا، ثم قال: يمثل هذا فلتمدح الملوك"[2] .وكان يحظى من النعمان وغيره بمثل هذه الجوائز والعطاياكثير من الشعراء الذين وفدوا على البلاط الملكي،واتصلوا بالنعمان كالمنخل اليشكري،والمثقب العبدي،والأسود بن يعفر،وحاتم الطائي،وغيرهم.

وكان ملوك الحيرة،من آل نصر،كسائرالعرب الآخرين،يتعصّبون لأولهم ويحافظون على سلامة أنسابهم ويعتزون بهذا النسب العربي الأصيل،الذي يربطهم بأسلافهم وفي سبيل ذلك أنفوا من أن يزوجوا الفرس أو يتزوجوا منهم حتى لا تختلط أنسابهم بأنساب غير العرب من سكان الحيرة، بل لقد كانوا يضحون أحيانا بالجاه والملك وحتى بالروح أيضا من أجل الحفاظ على نسبهم العربي الأصيل. وقصة النعمان بن المنذر مشهورة مع كسرى أنو شروان، حينما تقدم لخطبة فتاة من آل المنذر والتي أوردتها كتب التاريخ على هذا النحو:

"كانت الملوك العجم صفةمن النساء مكتوبة عندهم فكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة، فإذا وجدت حملت إلى الملك، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب،ولا يظنونها عندهم، ثم إنه بدا للملك طلب تلك الصفة، وأمر فكتب بها إلى النواحي المختلفة، ودخل عليه زيد بن عدي وهوفي شغل بذلك الأمر، فخاطبه فيما دخل إليه فيه، ثم قال:إني رأيت الملك قد كتب في نسوة يطلبن له،وقرأت الصفة،وقدكنت بآل المنذر عرافا، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثرمن عشرين امرأة على هذه الصفة،قال: فاكتب فيهن،قال: أيها الملك إن العرب والنعمان خاصة يتكبرون على العجم، فأنا أكره أن يغيبهن عمن تبعث إليه، أو يعرض عليه غيرهن، وإن قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك فابعثني وابعث رجلا من ثقاتك يفهم العربية حتى أبلغ الحيرة فلما دخل عليه

[1] – جمعة (محمد ابراهيم) ،حسان بن ثابت، دار المعارف ،مصر، ص30.

[2] – المسعودي(أبوا الحسن علي)،مروج الذهب ومعادن الجوهر،تح، يوسف أسعد داغر،ج2،ط4،دار الأندلس،بيروت،1981،ص25.

أعظم الملك وقال: إنه قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته وأراد كرامتك بصهره، فبعث إليك، فقال: ما هؤلاء النسوة؟فقرأ زيد على النعمان صفتهن فشقت عليه، وقال لزيد والرسول يسمع: أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى ضالته؟ فال الرسول لزيد بالفارسية: ما لهما والعين؟ فقال له بالفارسية: كاوان، فأمسك الرسول، وقال زيد للنعمان: لو علم الملك أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به، فأنزلهما يومين عنده، ثم كتب إلى كسرى.إن الذي طلب الملك ليس عندي، وكان من نتيجة رفضه طلب كسرى أن هرب عن الحيرة بنفسه وولده وسلاحه حتى وقعت معركة يوم ذي قار بين العرب والفرس[1].

وهذه القصة تصورمدى اعتزاز النعمان بأصله العربي،وأنفته وخوفه على هذا الأصل من أن يمتزج بعنصرأعجمي،مهماكلفه ذلك من المشاق،أوعرضه للتضحية بملكه،وعلى شاكلة النعمان كان ملوك الحيرة يحافظون على عروبتهم وأصولها ومقوماتها.

ومن العادات التي كان يحرص عليها ملوك الحيرة، ويعدونها من مفاخر وقوتهم ومنعتهم مغالاتهم في الثأر ممن يبغي عليهم،وإسرافهم في ذلك اسرافًا بّينًا،وذلك من منطق العقيدة الجاهلية التي كانت تعدّ ذلك من دواعي الفخر.

وسبق ان ذكرنا أن المنذر بن ماء السماء قتل اثني عشر أميرا من بني حجربن عمرو بن كندة في سبيل الاخذ بالثأر. وفي يوم أوارة الاول امر بذبح الأسرى من بكر على قمة جبل أوارة، وفي يوم أوارة الثاني في عهدعمرو بن هند ألقي هذا الملك بالرجال في النار،وذلك انتقاما لمقتل أخيه سعد وفي بعض الروايات ابنه مالك،من بني دارم.وسمي لذلك بالمحرّق.

وكانت تنتشرفي المجتمع الحيري بعامّته،وفي مجتمع ملوكها بصفة خاصة حانات كثيرة تستخدم للسكر والفجور واحتساء الخمور. وقد أكثر الشعراء من ذكر الخمر والقائمين على حاناتها ووصفوا الغلمان والفتيان والسقاة ومجالس الشرب. يقول أبو الفرج الاصفهاني:"كان النعمان يركب في كل عيد ومعه أهل بيته خاصة من أهل المنذر ومن ينادمه من أهل دينه عليهم حلل الدنيا المذهبة،وعلى رؤوسهم

[1] – محمد(أبوالفضل إبراهيم) وعلي(محمد البجاوي) ،المرجع السابق،ص27
؛ صالح مهدي غماش ، من ذي قار إلى القادسية ، ص349،وزارة الإعلام العراقية ، 1971،ص349 .

أكاليل الذهب، وفي أوساطهم الزنانير المحلاة بالذهب المفضضة بالجوهر، وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان الذهب، فإذا قضوا صلاتهم انصرف إلى مستشرفة على النجف، فيشرب فيه بقية يومه إلى أن يمسي"[1].

وكانوا يتفننون في مزج الخمرة بالماء،أو شربها صرفة صافية،وفي شعرعدي بن زيد وصف لمجالس الشراب ومزجه وصورته، منه قوله :

ثم صاروا إلى الصبوح فقامت قينة في يمينها إبريق

قدمته على عقار كعين الدّ يك صفّة سلافها الراووق

مرة قبل مزجها فإذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق

وطغت فوقها فقاقيع كالد رّصفاء يثيرها التصفيق[2]

وكان أهل الحيرة يشتغلون بالزراعة،حيث كانت تنتشرالبساتين من حولها وللزراعة قدركبيرفي نفوس الحيريين،فهي مصدرمن مصادررزقهم وعيشهم بما تغله من غلات وفاكهة وثمر. ويبدوأن العنب كان من أكثرأنواع الثماررواجا وعناية عندهم،لأنهم كانوايستخدمونه في صناعة النبيذوعمل الخموربالصورة التي أتيحت لهم،وكذلك كان النخيل يكثرفي بساتينهم،وكانوايهدون منه إلى الملوك والأمراءمن أصدقائهم،وذلك كماكان من عمروبن عدي أول ملوك الحيرة،الذي بعث إلى الزباء بهداياه الكثيرة،ومنهاالتمرالجيدالي عرف به العراق.

ذكرأبوالفرج هذه البساتين فقال:" أصابت بني شيبان سنة ذهبت بالأموال فخرج رجل منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرة،فقال لهم:كونواقريبامن الملك حتى يصيبكن من خيره إلى أن أرجع إليكن قال:ثم عدت إلى الحيرة بمئة بعيرفلقيني نبطي،فقال لي:ياأعرابي أيسرك أن لك بإبلك بستانامن هذه البساتين؟فقلت وكيف ذلك؟ فقال:يأتي الإسلام فيحول بين هذه البساتين وأصحابها حتى لا يساوي ثمن بعير،قال: فأسلمنا وما مضت الأيام حتى اشتريت بثمن بعير من ابلي بستانا بالحيرة[3] .

وفي مواسم معينة كانت الأرض تزدان بحلل سندسية تكسبها جمالا وبهجة، بعد هطول المطرعليها في

---

[1] – الأصفهاني(ابوالفرج)، المصدر السابق، ص385.

[2] – الهاشمي(محمد علي) ،عدي بن زيد العبادي، المكتبة العربية ،حلب، 1967، ص183.

[3] – الأصفهاني(ابوالفرج)، المصدر السابق، ص386.

الربيع، وكان ملوك الحيرة يقضون هذه المواسم في اللهو والصيد والقنص، ويخرجون إلى الأماكن الجميلة الاستمتاع بمناظرها البديعة والتطّيب بهوائها.ومن هذه الأماكن البديعة التي كان يقصدها الملوك الحيريون منزلة "ماوية" وهو مكان يقع بين مكة والبصرة، وذكر أن النعمان كان إذا رغب في الأنس والاستمتاع بحلل الربيع والماء خرج إلى النجف وإلى البادية، فتنصب له ولأصحابه القباب، ويمضون هناك أياما يقضونها في الصيد والطرد، وينعمون بمنظر الشقائق ذوات الألوان الزاهية.ويرى بعض الرواة أن هذا النوع من الزهور إنما سمي بشقائق النعمان نسبة إلى هذا الملك،الذي جاء إلى موضع وقد اكتظ بنبته من أصفر وأحمر،وفيه من الشقائق ما راقه ولم ير مثله. فقال: ما أحسن هذه الشقائق! احموها،وكان أول من حماها فسميت شقائق النعمان لذلك[1] .

وكما كان ملوك الحيرة يستمتعون باللهو والصيد وشرب الخمر، كانوا كذلك يستخدمون المضحكين لتسليتهم،وكان النعمان بن المنذر يستخدم "سعد القرقرة" يقص عليه ويسليه ويضحكه[2].ومن وسائل لهوهم كذلك غير ما ذكرنا السماء إلى المغنين والمغنيات،وكان النعمان بن المنذر شغوفاً بالطرب،ولوعاً بالغناء، يحبه حبا شديداً.ولا أدل على ذلك من قول لبيد في رثائه النعمان:

لبيك على النعمان شرب وقينة ومختبطات كالسعالى أرامل*

ويبدوأن هذه الظاهرة الاجتماعية لم تكن مقصورة على الملوك وحدهم،وإنما كان أهل الحيرة ومن حولها شغوفين باستماع الغناء،ويميلون إلى الطرب.فهذا طرفة بن العبد يصف مجلس غناء في بيت يفوح المسلك من حجراته،ومغنية قد أصقل السكرسوتها،وهي تنحني على عود عتيق تحرك أوتاره بأناملها الناعمة،لتطرب من حولها يقول طرفة :

وبيت يفوح المسلك من حجراته تسدد من بين سر ومحطوب

ومسمعة قد أضحل الشرب صوتها تأوي إلى أوتار أجوف محنوب[3]

---

[1] – مصطفى السقا و محمد سيد كيلاني، المرجع السابق، ص240.

[2] – نفسه .

* شرب:جماعةمن الشارؤبين وقينة:مغنية،مختبطات:اللواتي يسألن معروفًا،والسعالى:جمع سعلاةأوسعلاء:القول أوساحرالجن،والسعالى:نوع من النبات يتخذ علاجًا للحرب.نفسه،ص241.

[3] – القالي(ابوعلي اسماعيل بن القاسم) ،الامالي،ج1،دارالفكر ،بيروت،ص239.

وليس لطرفة من بيوت يرتادهاسوى بيوت الحيرة، مما يرجح أن يكون هذا البيت واحدا من بيوتها.
وهذه أبيات لعمروبن الأطنابةقالهاوهوفي الحيرة،وهي تصورخصائص هذا المجتمع الذي كان يميل إلى الغناء والطرب ومجالس اللهو والأمس يقول فيها :

عللاني وعللا صاحبيا واسقياني من المروق ريّا
إن فينا القيان يعزفن بالدف لفتياننا وعيشا رخيا
يتبارين في النعيم ويصبين خلال القرون سكّا ذكيا
إنما همهن أن يتمايلن فأحسن بحليهن حليّا[1]

ولماكان ملوك الحيرة يسرفون في الشراب واللهوكانوا يلتمسون العذرلمن كان على شاكلتهم،على خلاف ماكان عليه أمراء القبائل والعشائر،فقدذكرالمؤرخون أن بعض العشائر كانت تتبرأ من أحدرجالها وتخلعه لفجوره وفسقه.
ومن ذلك أن البرّاض بن قيس بن رافع أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة من كنانة سكيرا فاسقا خلعه قومه وتبرؤوا منه،فشرب في بني الديل فخلعوه.
فأتى قريشا فنزل على حرب بن أمية فحالفه فأحسن حرب جواره،وشرب بمكة حتى هم حرب أن يخلعه،فقال لحرب:إنه لم يبق أحد ممن يعرفني إلا خلعني سواك وإنك إن خلعتني لم ينظر إلى أحد بعدك،فدعني على حلفك،وأنا خارج عنك فتركه وخرج،ولحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة[2] .

1- ج - مجتمع العامة :

يشكّل مجتمع العرب في شبه الجزيرة العربية وحدة اجتماعية واحدة تتشابه في مختلف الظواهر الاجتماعية التي تسري في هذه الرقعة الجغرافية المترامية الاطراف،وينحصر تكوين المجتمع العربي تقسيما في عرب بادية وعرب حاضرة،فعرب الباديةهم أهل الوبروهم سكان الريف،وعرب

[1] - نفسه،ص 240.
[2] - الحوفي (أحمد)، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ،ط5،دار نهضة مصر،القاهرة،1972، ص285.

الحاضرة هم أهل المدر،وهم سكان القرى والمدن،يستوي في ذلك عرب الشمال والجنوب وعرب الحجاز ومختلف أنحاء جزيرة العرب في هذا التقسيم الاجتماعي .

الا اننا نلحظ ان سكان الحيرة وما قاربها من بلاد العراق لم يكونواعربا خلصا في مجموعهم وإنما كانوا خليطا من العرب والفرس وغيرهم من اعراق مغمورة اخرى، وذلك ما دلت عليه المصادر التاريخية الاخبارية والاثرية .

ومن ذلك قول الطبري :"لما فتح خالد بن الوليد الحيرة قال لعدي بن عدي بن زيد العابدي:ويحكم ما أنتم؟ أعرب،فما تنقمون من العرب؟أوعجم فما تنقمون من الإنصاف والعدل. فقال عدي:بل عرب عاربة وأخرى مستعربة،فقال خالد:لوكنتم كما تقولون لم تحادوننا وتكرهون أمرنا ؟ فقال له عدي: ليدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية،فقال صدقت[1] ".

وكلمة عدي هذه عرب عاربة وعرب مستعربة لا تعني التقسيم المألوف عند المؤرخين من عرب عاربة أي: قحطانية،وعرب مستعربة أي عدنانية.وإنما تعني كلمة عاربة،العرب الخلص،وتعني كلمة مستعربة،من كان من أهل فارس والعراق،ثم سكن الحيرة وتأثر بأهلها العرب وتكلم بلسانهم،وأصبحت العربية لغته التي بها ينطق ويتحدث.

ومعنى هذا أن سكان الحيرة كانواخليطًا من العرب وغيرهم،الذين تخلقوا بأخلاقهم وتعلموالغتهم.ولم تكن الحيرة وحدها على هذه الشاكلة،بل كان سكان العراق كذلك،فيهم العرب الخلص،وفيهم العرب المستعربة،التي تنتمي إلى أصول ليست عربية الأصل،ولكنهم تطبعوا بطباع العرب،وأخذوا عنهم لغتهم بحكم المخالطة وطول أمد الجوار،حتى نسي معظمهم لغته الأصلية،وأصبح في عداد العرب المقيمين في هذه الأرض،متأثرين بالحضارة اليمنية الأصلية، لهؤلاء السكان[2].

وبذلك يمكننا ان نجمل القول ان سكان الحيرة كانواخليطا متمازجا من العناصر التي ذكرنا سابقًا وان كان اغلبهم من العرب بقسميهم الذين كانوا يسكنون الحواضرالمحيطة بالحيرة والذين يسكنون البادية.ويمكننا ان نلخص الحديث عن اهم مميزات مجتمع العامة في الحيرة بتناول طباع هؤلاء

---

[1] – الطبري(محمد بن جرير)،تاريخ الطبري،مراجعة ، نواف الجراح،ج2،دار صادر،بيروت ، 2005 .ص560.

[2] – الجاحظ(ابوعثمان عمرو بن بحر)، الحيوان،تح،عبد السلام هارون،ج 6،ط2،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصر،1965،ص 22 ؛ الشريف المرتضي (علي بن الحسين)،أمالي المرتضى ،تح،محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار احياءالكتب العربية،1954،ص 261

وأخلاقهم وأمزجتهم وتقاليدهم وسلوكهم وقيمهم وبعض الخصائص الاجتماعية الخاصة بهم التي راجت وانتشرت فيما بينهم بشيء من التفصيل، وأثرالعنصرالعربي وغيرالعربي في تلك البيئة.وتؤكد المصادر أن كلا من الحواضر الثلاث:الحيرة، اليمامة،والبحرين كانت تعد حواضر،فكل من سكنها أو جاورها من الأعراب قد تأثر بمظاهر الحضر وطباعهم وعاداتهم .

كما تؤكد تلك المصادر أن هذه الحواضر،كانت تعيش عيشة مستقرة هادئة،وكان سكانهايقيمون في أماكن ثابتة،وقد ساعد ذلك على أن يظلوا مخلصين لعنصرهم متمسكين بتقاليدهم،محافظين على عشائرهم وأنسابهم،وكانوا يتألفون من بطون وبيوت وأفخاذ وقبائل، ولهم عصبية لآلهم وعشيرتهم كعصبية الأعراب تمامًا، ويطلق على سكان هذه الحواضر والمدن "عرب" ومفردهم "عربي "*.

و ماعدا هؤلاء العرب من السكان،كان يطلق عليهم اسم البدو والأعراب،وكانوا يتسمون بالغلظة والقسوة والعنجهية والكبر،متأثرون في ذلك بالبيئة في تكوينهم وغلظة طباعهم،وقدجاءالإسلام ليرقق من هذه الطباع النافرة والقلوب القاسية لذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن "العيبة"وهي الكبروالفخر،فقال:"إن الله وضع عنكم العيبة الجاهلية وتعظمها بآبائها".ومنه قولهم: هذه عيبة قريش) لتكبرها[1].

يقول صاحب اللسان :"وكان الأعرابي إذا قيل له يا عربي فرح بذلك وهش له،والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب له"[2] .

كمايختلف العرب عن الأعراب في بنيتهم وتكوينهم،كاختلافهم عنهم في طباعهم وأمزجتهم فالعربي تراه ممتلئ الجسم بالقياس إلى الأعرابي الرشيق القليل اللحم الدقيق العظم وتظهرهذه النحافة في وجه الأعرابي أيضاً،فوجهه ممشوق قليل اللحم،دقيق ممتد ذو ذقن بارز وأنف دقيق وعينين براقتين،وتعد الرشاقة في جسم العربي من محاسنه،لأنها تجعله معتدل القوام خفيف الحركة[3].

---

* عرب: اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين مفردبالياء،وقديفرق بين اسم الجمع ومفرده بالتاء كنخل ونخلة،ابن منظور(ابوالفضل محمدبن مكرم)، المرجع السابق،ج8،ص63

؛ جواد علي،المرجع السابق ،ج1،ص169.

[1] – الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني)،المرجع السابق،ج5،ص 222.

[2] – ابن منظور(ابوالفضل محمد بن مكرم)،المرجع السابق،ج8،ص65.

[3] – لوبون (غوستاف)،حضارة العرب،تر،عادل زعيتر،ط3،دار الحياء الكتب العربية القاهرة،1956،ص70.

وقدوصف امرؤ القيس الغلام الخف أي الخفيف الجسم،السريع الحركة،الذي يزل عن ظهر جواده ويلوي بأثواب العنيف المثقل في قوله :

يزل الغلام الخف عن صهواته ويلوي بأثواب العنيف المثقل

وقد هابت العرب أصحاب الطول في الجسم،والكبر في الرأس،واحترموا أصحاب الهيئة والتأثير في النفس،ورموا القصر بالمكر والخديعة،وعدوا القصر في الجسم من العيوب،ولاسيما إذا كان ذوالجسم القصير غليظ البطن،وقدعرف الإنسان الموصوف بهذه الصفة بالدحداح[1].

وعندالعرب كذلك طول العنق من سمات المدح،ولذلك وصف رؤساء العرب بطول العنق،وعبرعن الرؤساء والكبراء والأشراف بـ"الأعناق " و "أعناق ".

وقدذكرالشاعرعروة بن الورد عنق الآرام في شعرله يصف فيه الناشئات اللائي يمشين بتبخترإذ قال:

والناشئات الماشيات الخوزرى كعنق الآرام أو في صرى[2]

والعرب تصف ألوانها بالسمرة،ويعدون هذا اللون من مفاخرهم،وقد افتخر بذلك الفضل بن عباس بن عتبة اللهبي.

فقال :

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب[3]

وأما الموالي،فقدكان العرب يطلقون عليهم لفظة "الحمراء " وينعتونهم بها لاختلاط البياض والشقرة في ألوانهم،والعرب إذا قالوا: فلان أبيض،وفلانة بيضاء،فمعناه الكرم في الأخلاق لا لون الخلقة،وإذا قالوا:فلان أحمروفلانة حمراء،عنوا بياض اللون وتسمى العرب الموالي الحمراء[4].

ومن صفات الأعراب في البادية إضافة الى ما ذكركثرةالحركة،وقوة التحمل والقدرة على الحياة القاسية،بما فيها من شظف وخشونة،فقد قيل لأعرابي:كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ،وانتعل

[1] – الزبيدي(محمد مرتضى الحسيني)،المرجع السابق،ج5،ص225.

[2] – ابن منظور(ابوالفضل محمد بن مكرم)،،المرجع السابق،ج5،ص318.

[3] – الجاحظ(عمرو بن بحر)،المرجع السابق،ج3،ص 428 .

[4] – الزبيدي(محمد مرتضى الحسيني)،المرجع السابق،ج3،ص158 .

كل شيء ظله؟قال:وهل العيش إلا ذاك؟ يمشي أحدنا ميلاً فيرفض عرقًا، ثم ينصب عصاه ويلقى عليها كساءه،ويجلس في فيئه يكتال الريح فكأنه في إيوان كسرى[1] .

وبعدهذه الإشارات يمكنناالقول:إن مجتمع الحيرة الذي أسهمت في تكوينه عناصرشتى من العرب والبدووالموالي من الفرس وغيرهم،كانت قيمه وشيمه وسلوكه وتقاليده تنبع كلهامن نماذج هذه العناصرالمتشابكة،التي ألفت في مجموعها لوحة من اللوحات الدالة المعبرة عن تقاليد المجتمع الجاهلي وسلوكه وأنماطه مهما تعددت طوائفه،وتفاوتت عناصره ففي هذا المجتمع كان يعيش البدوي الذي كونته البادية وطبعته بطابعها،ثم قذفت به شؤون الحياة إلى هذه الإمارة عله يجد فيها ما يحفظ عليه حياته وحياة ذويه ويقيم أوده وأودهم،فعول فيها على نفسه،وأقام بين آلها مقام العزيز المتمنع الذي يحافظ على أصالته ويصون قيمه،ويعتز بتقاليده التي توارثها عن البادية من المروءة والنجدة والكرم والشجاعة،ونصرة الضعيف وإغاثة الملهوف،وإكرام الضيف،ونجدة الجار،وما إليها من قيم عاشت في ظل البادية وباتت محمية بين تلالها ونجادها وسهولها.ولكن ليس له بدٌ من ان يتطبّع ببعض الطباع التي لا تصطدم بطبعه الذي هو فيه فطرة وسجية .

والعربي الذي سكن القرى والمدن بمافيهامن وسائل تحضر،تغايرنسبيًاماألفه الأعرابي في باديته،وقد أقام في الحيرةكذلك،وهوشديدالحفاظ على سلوكه وعاداته وظواهرمجتمعه التي عاش عليها،ولا يضيره إذا وقعت عينه على مظاهرالمجتمع الجديد،الذي انتقلت إليه سبل الحضارة والرقي من المجتمع الفارسي،الذي كانت تطل عليه مملكة الحيرة تلك المملكة العربية التي كانت من وسائل الاتصال بين الفرس والعرب كماذكرنا،والتي أثرت بدورها في هؤلاء السكان النازحين إلى الحيرة،أوالمقيمين فيهاأوالوافدين إليها لغرض أو لآخر[2].

ولعلناندرك هذاالأثرالفارسي قويًا باديًا في شعر الشعراء الذين وفدوا على الحيرة،ومدحوا ملوكها وصوّروامجتمعهافي شعرمصوّرمعبّرعن خصائص هذا المجتمع وأنماطه،ومن هؤلاء الشعراء الأعشى الذي يصف مجلس الشراب بقوله:

---

[1] – الجاحظ(ابوعثمان عمرو بن بحر)،رسائل الجاحظ،تح،عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي بالقاهرة،1965،ص 393.

[2] – الحوفي(احمد محمد)، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ط3،دارنهضة مصر،1978،ص 43 .

* السلافة:ما سال قبل العصر، والقنديل:عسل السكر، هو فارسي معرب، مختم :سد بالطين،نفسه، ص 50.

بِبابِلَ لمْ تُعْصَرْ، فجاءتْ سُلافَةً تُخَالِطُ قِنْدِيداً وَمِسكاً مُخَتَّمَا *

وهذه الصورالشعرية التي أتى بها الأعشى ذوات دلالة اجتماعية لهاخطرها حيث ترسم لوحة دقيقة معبرة لمجتمع الحيرة،الذي هوفي احدى صفحتيه صورة لما كان عليه المجتمع الفارسي من تحضّروما اتسم به من سلوك.وهذه الصورة الشعرية المترفة تدل على تحضر المجتمع الحيري ورقيه، وتأثره بالمجتمع الفارسي في كثير من ظواهره وأنماطه وعاداته وتقاليده، وقد تأثر العرب بهذه الظواهر كلها عن طريق الحيرة،التي كانت همزة الوصل التي تصل العرب بالفرس بالعرب.

1- د – دور المرأة :

تدل على دور المرأة وأهميتها ومكانتها في المجتمع الحيرة عدة حقائق ووقائع روتها المصادر التاريخية ،ومن ذلك :

ارتباط اسماء عدد من ملوك الحيرة وورودها بأسماء امهاتهم بدلاً من اسماء آبائهم ومثل ذلك المنذر بن الشقيقةوالنعمان بن هندوالمنذربن ماء السماءوعمروبن هندوالاسود بن هر،وهومايؤكد ان هؤلاء النسوة كن أشدارتباطًابعشيرة ابيها من عشيرة زوجها،كما ان النعمان بن المنذركان من سبب فقده عرشه ولجؤه لدعم القبائل العربية،رفضه تزويجاي ابنة من بناته او احدى شقيقاته لكسرى ملك الفرس[1].

وان زوجته قد اشارت عليه ان يواجه كسرى خير من ان يظل لاجئاً بين القبائل.كما تذكرالمصادران الملك الحيري عمروبن هند فقد حياته بسبب رفض ليلى التغلبية خدمة امه هند حين قتله ابنهاعمرو بن كلثوم،كما ان ملك جذيمة الابرش لم يكن ليؤول الى عمرو بن عدي بن نصر لولا رقاش اخت الملك التي زوجها عديا وكان ثملا فولدت عمرو بن عدي وآل الملك الى آل نصر اللخميين ،كماتتحدث المصادر عن مشاركة المرأة الحيرية في الحياة العامة بل وفي شؤون الملك ومن ذلك ان هند ام عمرو بن هند حضرت المساجلة التي جرت بين الشاعرين عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة ،وقد اعجبت بشعر الحارث بن حلزة حتى قالت من وراء الحجاب:تالله،ما رأيت كاليوم قط رجلاً

[1] – المسعودي(أبوالحسن علي)،المصدر السابق،ج2،ص76.

يقول مثل هذا القول،يُكلم من وراء سبعة ستور،فقال الملك :إرفعواسترًا سترًا وادنوا الحارث،فما زالت هند يزيد اعجابها والملك يقول ارفعوا سترًا حتى ازيلت الستور[1] .

فهذه المشاركة العامة كانت امام مشهد من الناس وعددهم كثير ،وفي ايوان الملك وعددمن زعماء القبائل،وذلك يعني ان ام الملك كانت تجلس مع كبار الضيوف وربما كانت الى جنب ابنها،ومثل هذا الموقف يدل على ان المرأة في مجتمع الحيرة كانت تتمتع بقدر كبيرمن الاحترام والحرية وكانت تشارك في الحياة العامة .

ولعبت المرأة دورًاواضحًا في ادخال النصرانية الى قطاع عريض من المجتمع الحيري،رغم ان ديانة ملوكها كانت وثنية ،وتشكل خطرًا على انسجام المجتمع ،الانها كانت تمتُّ بصلة لديانة اعداء الحيرة من البيزنطيين وتجلى اسهام وتأثير المرأة الحيرية في ذلك ان النعمان بن المنذر كان قدغدا قريبا لاعتقاده بالنصرانية واعتناقها وفي بعض الاخبار انه اعتنقها فعلاً،ووسمت الكثير من الاديرة والكنائس المسيحية بأسماء بنات وزوجات ملوك الحيرة[2] .

ولم تختلف العادة التي درج عليها العرب منذ القديم لدى مجتمع الحيرة،والتي تقوم على ارسال اولادهم للرضاعة ولينشأوا نشأة البادية التي تكسبهم صحة في الجسم وأدبًا وفصاحة في اللسان وكان ملوك الحيرة يرسلون اولادهم لمثل ذلك فيودعونه لدى قبائل عربية عريقة موالية لملكهم ومن ذلك شرحبيل بن المنذر بن ماء السماء وعمرو بن هند ومالك بن المنذرالذي قتل حين كان مسترضعًا عند سلمى،كما وجدت لدى مجتمع الحيرة عادة التبني،ومثل ذلك ان النعمان بن المنذر وضع ابنتين له عند هانئ بن مسعود الشيباني[3] .

ويمكننا القول عمومًا على ضوء ماسبق،ان المرأة الحيرية تمتعت بحرية اثّرت في تفتح المجتمع وسيادة الامن والدعة فيه ،فكان هذا التأثير كبيرًا في الكنائس والاديرة وحتى الحانات،وما قصة ابنة قيس بن

---

[1] – الأصفهاني(علي بن الحسين ابوا لفرج)،المصدر السابق،ج6،ص127.

[2] – جرجي(زيدان)،تاريخ التمدن الاسلامي،ج5،دارالهلال،القاهرة،ص62

؛ المبرد(ابوالعباس محمدبن يزيد)،الكامل في اللغة والادب،تح،ابوالفضل ابراهيم وزميله،دار نهضة مصر،ص278.

[3] – العسكري(الحسن بن عبد الله أبو الهلال)،كتاب جمهرة الأمثال،تح،أحمدبن عبد السلام ومحمد سعيدزغلول،ج2 ،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، 1988،ص313.

عاصم إلا دليل آخرعلى تأثير ودور المرأة الخطير الذي كانت تلعبه المرأة في المجتمع العربي القديم وفي مجتمع الحيرة خصوصًا ،حيث ان المصادر تذكر ان النعمانبن المنذر جرّد جيشًا الى قبيلة تميم لعدم دفعها الاتاوة،فسبى العديد من النساء،ثم جاء وفد تميم يطلب افتداء الاسرى ويطلب النساء فخيّرت النساء بين البقاء أوالعودة للاهل ففعلن ماعدا ابنة قيس بن عاصم التي فضّلت البقاء عند آسرها عمرو بن المشمرج،وهوماحدا بوالدها ان يئدكل بنت عنده[1]،فانتشرت هذه العادة عند العرب .

وليس ادل على مكانة المرأة وحساسية دورها في المجتمع الحيري ،المهور التي كان يدفع بها الرجال للنساء اذا أرادوا الزواج،حيث تذكرالمصادر،ان اهل الحيرة من العبّاد كانوا يتزوّجون بـ ستين مثقالاً دراهم ،وثمانين مثقالا دراهم ومائة مثقال دراهم[2].وكان للمرأة دورفي كسب ودّالقبائل لصالح المناذرة،حيث انهم تزوجوامن العديد من القبائل بغية كسب ودّ هذه القبائل .

2 – الحياة الاقتصادية :

2– أ – الزراعة : شكّلت الزراعة عبر العصور رافداً مهمّاً من روافد التمكين الحضاري وكانت عاملًا رئيسيًا في كثير من الأحيان لقيام الحضارات واستقرارها،ولعلّنا لا نخطئ القول في أن معظم الحضارات القديمة قامت بفضل هذه الحِرفة وبها ازدهرت اقتصادياً. إلا أن الزراعة تتطلّب شروطاً مناخيةً مناسبة يحددّها موقع واستقرارالعنصر البشري الممارس لها،اذْ شكّلت الزراعة حرفةً من الحرف الهامّة لدى العرب منذ القديم في جنوب الجزيرة العربية،ساعدهم في ذلك خصوبة الأرض وطيب الهواء وكثرة مصادرالمياه،فقامت باليمن حضارةٌ زراعيةٌ قديمةٌ،تمثّلت في الاهتمام بإقامة السدود حفاظاًعلى أراضيهم من خطرالسيول واستصلاحهم للاماكن المرتفعة،التي زرعوهاعلى هيئة مدرّجات وجعلوا بها المحاصيل بما يتناسب ودرجة حرارتها ولشدّة اهتمامهم بزراعة المحاصيل كثرت منتجاتهم الزراعية ،التي كانوا يعتمدون على قسطٍ كبيرٍ منها في تجاراتهم[3].

كمااهتمّ أهل الحيرة بالزراعة،وهم أبناء جنوب الجزيرة في معظمهم ومن اليمن بالتحديد.الذين شكّلواالأساس البشري الأول لمملكةالمناذرة،في أعقاب استقرارهم بها بعد هجرتهم من اليمن،وأملت

---

[1] – جرجي(زيدان)،المرجع السابق، تاريخ التمدن الاسلامي،ج5 ،ص64.

[2] – البلاذري(احمد بن يحي)،فتوح البلدان،تح،صلاح الدين المنجد،ط1،دار النهضة المصرية ،القاهرة ،ص655.

[3] – أبوشارب(مصطفى فتحي)،العلاقة بين العرب و الفرس و آثارها في الشعر الجاهلي،ط1،دارعالم الكتب ،الرياض،1996،ص121.

على سكان الحيرة طبيعة المكان وجغرافيته وقابلية نشوء هذا النشاط فيه والاهتمام به[1]،فالحيرةتتبوأ مكاناً يؤهّلها إلى تطوير هذا الجانب.وجغرافيتها تسمح بذلك،فهي تقع في ارض السواد الخصبة،ويتخلّلها فضلاً عن ذلك انهرٌوودياناٌ،كنهركافر .

كما اشتهرت الحيرة بطيب هوائها وملائمة مناخها للنشاط الزراعي ،حتى ضُرب المثل بصحّة هوائها وطيبته،وقيل:" يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة[2]"مما جعل أهلها وهم من أصل يمني في معظمهم يأنسون حياة الدَّعة والاستقرار الذي تتطلبّه حرفةٌ كحرفة الزراعة، فامتدّت مزارع النخيل والأعشاب والبساتين والجنان من النجف حتى الفرات، إلا انه من الواجب توضيح نقطة درج المؤرّخون على تداولها حتى جعلوها من الحقائق المسلّم بها ،تخصّ الجانب البشري ولتقريب المعنى مايتعلق بالفئة التي كانت تشتغل في مثل هذا النشاط وموقعها في المجتمع الحيري، وليس من الغريب أن نجد تلك المصادر التاريخية تجنح إلى القول بأن الإنسان العربي كان يأنف من العمل بالحرف كالزراعة والصناعة وهو مادعى بعض الدارسين إلى القول بأن المصادرالإخبارية لم تسعفنا بشيءٍ له أهمية بالنسبة للزراعةغير أن العرب كانوا يتأفّفون من العمل بها،لأن الحروب والغزوات كانت شغلهم الشاغل[3].

أما الزراعة فهي حرفةٌ مزدراةٌ في نظرهم،لذلك كانوا يجلبون أعداداً كبيرةً من الرّقيق في كل عامٍ من أسواق العراق وبلاد الشام ويوكلون إليهم القيام بأعمال الزراعة والأعمال الأخرى التي تحتاج إلى خبرةٍ ومهارةٍ فنيةٍ،إلا أن السياق التاريخي العام لايدلُّ على مثل هذا الغلو في الحكم على أن العرب كانوا مثلما ذكر وان انطبق على بعضهم فلم يكن ينطبق على كل العرب.

فلا شكّ أن الزراعة القائمة في حواضرالعرب الجنوبية لم تكن من انجاز طبقة الرقيق والأسرى وحدهم ،يعزّزهذا الكثافة التي وجد عليها نشاط الزراعة في اليمن،والاهتمام الذي وصل إلى حد الإبداع في طرق الزراعة، من ذلك استخدام زراعة المدرّجات في الجبال- كما اشرنا انفاً- ويدحض ذلك حقيقة أن أهل الحيرة في غالبهم كانوا ممّن هاجر من جنوب شبه الجزيرة العربية بالإضافة إلى ذلك فان الاستقرار يقترن اقتراناً بممارسة نشاط مثل الزراعة، والمصادرالتاريخية تدلّ على أن العرب قد

[1] - غنيمة(يوسف رزق الله) ، المرجع السابق ، ص 72.

[2] - الأصفهاني (حمزة) ، المصدر السابق،97.

[3] - جواد (علي)، المرجع السابق،ج 8،ص 701.

استقروّافعلاً على تخوم الدولة الساسانية الناشئة في ذلك الوقت،بعد نزولهم من البحرين ولاشكّ أن حياة الاستقرار تلك قد ساعدتهم على ممارسة نشاط الزراعة ويعلّل بعض المؤرخين في قولهم أن العربي يأنف العمل في الزراعة،ظهور مصطلحات آرامية وفارسية ونبطية في لغة زُرّاع المناطق العربية،وهوقولٌ يحتاج إلى سند أكثرإحكاماً . فالتمازج الحضاري الحاصل في الحيرةمثلاً،يؤدي بلا شكٍ إلى دخول مثل تلك المصطلحات، بما يثري لغة الوافدين إلى تلك المناطق جراء اكتشافهم منتجاتٍ وطُرقٍ زراعيةٍ لم يكونوا يعرفونها.ويذكر لنا الشعراء في خضمّ تفاضلهم وفخرهم وحماستهم تعصّباً لقبائلهم،بعضاً من مظاهر النشاط الاقتصادي الذي كانت تمارسه بعض القبائل العربية ، ومن ذلك قبيلة إياد التي يسكن جزءٌ كبيرٌ منها سواد العراق وفي الحيرة،واشتهرت إيادبممارسة نشاط الزراعة،حسب ماتضمّنه وذكرهالأعشى في هجائه لهم وتعريضه بهم لأنهم يعملون بالزراعة ويقعدون بجوار مزارعهم ينتظرون حصاد المحاصيل،فيقول[1] :

لسْنا كَمَن جعلت إيادٌ دارها تِكْرِيت تنظِر حَبّها أن يُحصدا

كما تضمّن ذلك،شعرلقيط بن يعمرشاعرايادياذّرقومه غزوكسرى ويلومهم على أنهم أصحاب زرعٍ تعوّدواالقعود وصارالحرث شغلهم الشاغل في الوقت الذي يتأهّب الفرس لهم ويعدّون لهم العدّة ليلاً ونهاراً،حيث يقول في قصيدته المشهورة[2] :

جلا الحَرْث يشغلهم بل لايرون لهم من دون بَيضتهم رياً ولا شَبعا

لم تحدّدالمصادرالتاريخية محصولاًمعيناً اختصّت به الحيرة أو اشتهرعنها ولكنّها توردفي سياق الحديث عن نشاط الزراعة،محاصيل معروفة تقليديةبالنسبة للمنطقة كالنخيل والزيتون،والقمح،والشعيرالذي عرفتها المنطقة الشمالية للحيرة،وكذا السمسم والقطن وقصب السكرو النُّقل * .

على أن بعض هذه المحاصيل كان يُستغلّ في تنشيط التجارة خاصّة وأن الحيرة تحتلّ موقعاً يؤهّلها لذلك.بالاضافة الى المنتجات الزراعية التي كان الفلاحون يهتمون برعايتها وانتاجها كانت بعض المنتوجات التي تنبت بشكل طبيعي دون تدخل من البشر كالكمأة حيث كانت تجنى من قبل قطاع

[1] – الأعشى(ميمون قيس)، المصدر السابق ، ص 47.

[2] – لبيد (بن ربيعة العامري)،ديوان لبيد،تح،إحسان عباس،وزارة الارشاد،الكويت،1962،ص62.

عريض من الناس وبطلب من الملوك انفسهم[1]،ورغم ذلك يعيب بعض المؤرخين على عرب الحيرةإهمالهم وعدم اعتنائهم بالجانب الزراعي .

ويعلل جوادعلي ذلك بأثر الجغرافيا فيقول:"وقد نشأ عن هذا الوضع ضيق في مساحة الارضين المزروعة ،لشح الماء وعدم كفايته لارواء الانسان وارواء ماشيته واسقاء ارضين واسعة ...وهو ضيق صيّر العرب قومًا يكرهون الزراعة وينفرون منها[2]"ومَردُّ ذلك حسب قولهم أنهم لم يدركوا أهمية الزراعة إدراكاً واعياً مثلما فعل الفُرس،فلم يعملواعلى تنشيطها بل احتقروها ونفروا منها،ولوأنهم اخذوابأنظمة الفرس في الزراعة كمسح الأرض الزراعية والاهتمام بها،وعدّواالنخيل والزيتون والجِمام وأحصواالجربان**. ووضعوا الخراج على كل جريب أرض لاستفادواكثيراً من ذلك لربما قامت لديهم حضارة زراعية لامثيل لها.

2- ب - التجارة :

كانت التجارة من الحرف الرئيسية الهامّة للعرب عامة،وعند عرب الحيرة على وجه الخصوص،حيث شكّلت وسيلةً من أهم وسائل الاتصال بالأمم والأقوام المجاورة لهم وخاصة امة الفرس،وتكاد تكون التجارة الحِرفة الوحيدة عند العرب التي لم ينظروا إليها نظرة ازدراءٍ أواحتقارٍ أو انتقاصٍ،بل صارت عندهم من أشرف الحرف قدراً ومنزلةً ،ونُظرإلى التاجرنظرة تقديرٍ وتجلةٍ،مع أنها حرفةٌ مثل سائر الحرف تتطلّب عملاً وجهداً[3].

وقدساعدتهم في ذلك الظروف الطبيعية ونمط المعيشة على أن يكونوا تجاراً في الغالب شرّفوا التجارة على غيرها من الحرف حتى بعد ظهور الاسلام،وكان لازدهار التبادل التجاري بين الفرس والحيرةخصوصاًماجعل هذا التبادل موضع تنويهٍ في كثيرٍمن كتب الأدب والتاريخ ونقلت لنا تلك المصادرصوراً من إسهام ملوك الفرس والعرب على حدٍّ سواءٍ ،في التمكين لذلك التبادل وتدعيمه،

---

* النقل،ماينتقل به الشراب من فستق وتفاح ونحوه ، الاصفهاني(علي بن الحسين ابوا لفرج)،المصدر السابق،ج2،ص352.

[1] - ابن مسكويه،تجارب الامم ،ج1،مكتبة المثنى ،بغداد،ص130.

[2] - جواد (علي) ،المرجع السابق، ج7،ص 6.

** الجربان ،جمع جريب وهو من الارض مقدار معلوم ،وهو عشرة اقفزة ، والقفيز من الارض،مائة واربعة واربعين ذراعا، ابن منظور،المصدر السابق،ج3،ص257.

[3] - جواد (علي)،المرجع السابق،ج7،ص 507 .

وقدتحدّثت كتب التاريخ على أن بعض الملوك كانوا يرسلون القوافل بأسمائهم إلى مراكز التجارة في وسط شبه الجزيرة العربية[1]،وخاصّة إلى مكةوفي جنوبها إلى اليمن ويحملونها إلى أسواق العرب وبشراء سلعٍ من هذه الأسواق يحملونها إلى أسواق العراق.

وكان ملوك الحيرة يكِلون حراسة قوافلهم الى جماعة يختارونهم عن سادات القبائل العربية المهابين مقابل جُعْلٍ يدفعونه لهم، فكان النعمان بن المنذر اللخمي يبعث الى سوق عكاظ كل عام لطيمةً تكون في جوارشريف من أشراف العرب،يجيرها له حتى تُباع هناك ويشتري له بها من أدم الطائف مايحتاج اليه،وكانت هذاللطيمة تتعرّض في بعض الاحيان للاعتداء فتُنهب مما تسّبب في نشوب حروبٍ كثيرةٍبين ملوك الحيرة والقبائل العربية،كحرب الفجاربين قريش وكنانة وهوازن كلها ومثل يوم السّلان بين بني عامربن صعصعة والنعمان بن المنذروذلك لأن العامريين اعتدواعلى قافلة لكسرى ابرويزكانت متّجهة إلى سوق عكاظ.

ولم تكن مهمّةحراسة القوافل تسندإلا لاشخاصٍ يخُتارون بعنايةٍ تامةٍ من بين من عرف بشجاعته وبأسه وكانت المواثيق والعهود تؤخذ على القبائل حتى لايعتدوا على القوافل المارّة على أراضيهم وذلك نظيرالجُعل الذي يفرضونه.

ويظهرمن المصادرأن هناك جماعة من تجارمكّة تخصّصت في الاتجار مع العراق وقدكان لهم تعامل مع كسرى وربما مع كباررجال دولته الذين مارسوا التجارة ونزلوا الأسواق ،ومن ثمة عرف تجّارمكّة قانون التجارة والنُظم والقواعد التجارية التي لم تكن مألوفة لديهم وكان أبو سفيان بن حرب على رأس هؤلاء التجارالذين وفدواعلى كسرى والى العراق،كما أدّى النشاط التجاري الى انشاء طرقٍ تجاريةٍ تسير فيها القوافل التجارية عبرمواضع يتوفّر فيها الماء والكلأ غير بعيدٍ عن حاضرة العراق وبلاد الشام.(الملحق رقم 05).

ولإستبيان أهميّة مركزالحيرة التجاري،يجدر بنا إلقاء نظرة على أهم مراكز التجارة الاقليمية في ذلك الوقت،حيث كان في جزيرة العرب طريقان تجاريان رئيسيان،الأول شرقي:وهو الطريق الذي يمتدّ من

[1] – ابن الاثير(ابوالحسن علي)،المصدرالسابق،ج 1، ص639

؛ عوض الله(أحمد بوالفضل)،مكة في عصر ماقبل الاسلام،ط2،دار الملك عبد العزيز،1980،ص142.

عُمان إلى العراق والحيرة تحديداً،حيث يتّجه عبره غرباً متنقّلاً إلى البادية وينتهي به المطاف في اسواق الشام . ومن خصائص هذا الطريق ان بضائع اليمن والهند وفارس تنقل براً بواسطته ويمرُّالتجَّار من خلاله على كل اسواق اليمن والحيرة وتدمروسورية وهناك يجري تبادل السلع فيبيعون مامعهم ويشترون ماتحتاج إليه بلادهم[1].

الطريق الثاني:غربي يمتدّمن اليمن الى بلادالشام مجتازاًبلادااليمن والحجاز.ومن هذاالمنطلق تبرزلدى الباحث أهمية المراكزالحضارية التي أُنشأت متأثرةً بهذا المطلب ومؤثرة فيه،حيث كان تكوين الإمارات والممالك في المواضع التي تتّصل بها طرق القوافل . ويتقاضى سادات تلك المواضع إتاوات عن التجارة التي تمرُّ بها وعن التجارة التي يحمل إليها لبيعها في أسواقها[2]. فاجتمع لديهم دَخل لابأس به من هذه الجباية،إلى جانب هذه الطرق البرية التي تبرز فيهاالحيرة وسطاً متميّزاً يصلح لأن يكون سوقاًمفتوحاًوفي نفس الوقت همزة وصلٍ هامّة في التجارة الدولية القديمةوهناك الطرق البحرية أيضاً.

واللافت للنظرأن الحيرة في ذلك كانت تحوز الأهمية ذاتها وتبرزروايات المصادربمعرفة العرب الأكيدة بالملاحة وركوب البحر،كماعرف العرب المتاخمين للبحر التجارة البحرية وركبوا السفن وبرعوا في الملاحة وجسّدت معرفة العرب بالتجارة وممارستهم لها في أنهم لم يكونوا نقطة عبور تجاري فحسب بل كانوا مساهمين في تطويرها وتنشيطها،ودلّت على ذلك كثرة أسواقهم التي مثّلت مراكز تجارية دولية،تلك الأسواق منهاسوق حباسة التي كانت تقام في ديار بارق،وهي التي وفد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم مرسلاً من قبل خديجة .

وفي أخبارالشنفرى الشاعرالمشهورأن اعداءاً له تربّصوا به وهوعائدٌ من هذه السُّوق،ومنها أيضاً سوق دَمَافي منطقة عُمان ومنها سوق دير أيوب وبُصرى عاصمةحوران،ومنهاسوق أذرعات التي عرفت بخمورها الشهيرة وهي بالشام . أمابالحيرة فقد وُجدت سوق ذكرهاحمزة الأصفهاني بقوله: "...كان بالحيرة سوق يجتمع اليها الناس كل سنة[3].."، ولا تقدّم كتب المؤرخين الكثيرعن سوق الحيرة،وأشارت إليه إشارة عابرةٌ ،وطبيعي ان يكون للعرب سوق موسمية بالحيرة يجتمع الناس اليها كل عام،وترحل

---

[1] - حمور(عرفان محمد) ، أسواق العرب ، دار الشورى ، بيروت ، ص19 .

[2] - Strabon,Géographie,tra,ATradieu,liv3,ed,Hachette,Paris,1890,p34.

[3] - الأصفهاني (حمزة) ، المصدر السابق،98.

اليها قبائل العرب وقوافقلهم،مثلما كانوا يرحلون الى الاسواق العربية الاخرى في الشام والجزيرة[1] . فقدكان قرب الحيرة عن الفرات يتيح لأهلهاركوب السفن في الفرات حتى الأُبلة * ، ثم يركبون السُّفن الكبيرة من هناك فيطوفون بالبحار الى الهند والصين من جهة الشرق،والى البحرين وعدن من جهة الغرب.وكانت تتوارد على الحيرة تبعاً لهذا النشاط السلع المختلفة،ثم تحمل الى تدمروحوران . وظهرت نتائج ممارسة اهل الحيرة للتجارة بان تدفقت عليهم الثروات،فأقاموا القصورواستمتعوا بالحياة واستقدموا المغنيّين والمغنّيات،واتخّذوا في دورهم نفيس الأثاث والرِّياش واستعملوا الكؤوس والصِّحاف من الذهب والفضة،وناموا على فُرش الحريرفوق اسرة مجلّلةٍ بالكلل واتّخذوا الطيور والبخورتُحرق في المجامر قبل النوم،وضمّخوا ذفاريهم بالمِسك والعنبرولبسوا فاخر الثياب[2].وعُرف عن اهل الحيرةحذقهم في الصيرفة وفي بيع النقود وتصريفها[3].

ويجنح أغلب المؤرخين الى الاعتقادبأن ملوك الحيرة لم يقوموابضرب النقودبل كانوا يتعاملون بالعملات الفارسية،وسبب ذلك عوامل سياسيةٌ واقتصاديّة فارسية وكانت الدّراهم المستخدمة في الجاهلية على نوعين مختلفين:بغلية وعليها نقش فارس وطبريةوعليها نقش الروم،وهذا النقد من الفضّة كان من وزن الدِّرهم البغلي،ثمانية دَوانيق،ومن الدِّرهم الطَّبري أربعة دَوانيق .

وظهرت عنداهل الحيرةمصطلحاتٌ والفاظٌ تجاريةٌ لم تكن من ابداعهم في غالبها،بل كانت متداولة بين العرب،وهي ذات اصل فارسي من ذلك مصطلح السَّمسرة،والسِّمسارهوالمتوسط بين البائع والمشتري لإمضاءالبيع،ويسميّه الناس الدلاّل لانه يدلّ المشتري على السلع ويدلّ البائع على الأثمان وسَمسرة معرّبة من الأصل الفارسي سَفْسِير،ويذكرالأعشى في قوله :

وأصبحت لاأستطيع الكلام سوى أن أراجع سِمسارها

---

[1] – حمور (عرفان محمد) ،نفسه ، ص 203 .

* الأُبلة : بلدكانت به امرأة خمّارة في زمن النبط وهو على شاطئ دجلة ،ياقوت الحموي،المصدرالسابق،ج1، ص71 .

[2] – السيد (عبد العزيز سالم) ، تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، ص 8 .

[3] – جواد (علي) ، المرجع السابق ،ج 7 ،ص 296 .

فالسِّمسارهو الرجل الحاذق المتبصِّركان له دور ترويج السلع،كما عرف العرب عموماً واهل الحيرة خصوصاً الضرائب وهي قيمة عينيّة أو نقدية يأخذها الملوك وسادات القبائل والمتنفّذون،الذين تمرّ قوافل التجارة بمناطق نفوذهم أو تقوم الاسواق في بلادهم.

وعرفت تلك الضريبة بمصطلح المكْس الذي أصبح مرادفاً لها،يذكرالجاحظ ذلك بقوله :"...ان ملوك العرب كانت تاخذ من التجار في البر والبحر وفي اسواقهم المكس، وهو ضريبة كانت تؤخذ منهم وكانوا يظلمونهم في ذلك[1]..." واستقى الجاحظ حكمه ذلك من قصائد الشعراء الذين كانوا يتظلّمون فيها من هذه المكوس ومردُّ ذلك طبيعة العربي التي تأنف الخضوع وتحبُّ الاستقلال والحُرية،لذا فقد كان الشعراء الناطق على ألسنة هؤلاء الذين كانوا يتضجّرون من كثرة المكوس ومن قسوة من يطالبون بها،من ذلك قول الشاعر التغلبي جابر بن حني :

ويوما لدى الحَشّار*من يَلْوِ حقه يُبزّبْز ويُنزع ثوبه ويُلطّم

إلى جانب المكس نجدفي ثناياكتب التاريخ مصطلحاًذوأصل فارسي اقترن بالضرائب والمكوس،وهولفظ الشّمْرج فلمّاعُرِّبت صارت الكلمة السَّمرج وهواستخراج الخَراج في ثلاث مرّات. وبذلك نرى أن نظام الضرائب كان موجوداً في عصرالجاهلية وأخذه العرب من أهل الحيرة من الفرس تحديداً،دلّت على ذلك اقتباساتهم وتعريبهم لمصطلحاتٍ هي في الأصل فارسية.

وإذا ماانجلينا النظرفي تنظيم الأسواق فإننا نجدها تنقسم إلى نوعين:احدهما الذي يقع في المناطق التي تخضع لسلطان وسيادة الملك أو رئيس القبيلة مثل ذلك،سوق الحيرة المذكورانفا حيث يمكّن الأمن في هذه الأسواق من ملاحقة المجرمين ومنع الاعتداءات ويضمن الحق لأصحابه، ولم يكن التجّار في هذه الأسواق بحاجةٍ إلى خِفارة تمنع عنهم الأذى .وكانت الحكومة ومن يوكل له سلطة تسيير هذه الأسواق وتنظيمها تقوم بخدمات الأمن تلك،نظير ضرائبٍ محدّدة هي عُشُورتجبيها من التجارالوافدين إلى تلك الأسواق[2]. فلم يكن من حق الفلاح حصاد زرعه وحمله إلى مخزنه أوجني ثمره ونقله إلى

---

[1] – الجاحظ(ابوعثمان عمرو بن بحر)،المصدر السابق،الحيوان،ج6، ص148.

* الحاشر : هوجابي المال إذاأراداحدأن يمطله حقه اضطره إلى الدفع بالعنف والاهانة،بوشارب(مصطفى)،المرجع السابق،ص139.

[2] – أبوشارب(مصطفى)،نفسه .

* صَراري : ملاحون، أبوشارب(مصطفى فتحي) ، نفسه ، ص140.

الأسواق والتصرّف فيه ما لم يره جباة الضرائب لأخذ عُشُر المحصول منه،وهوحصّة الحكومة العينّية ،ونتج عن هذا النظام تعيين عددٍ كبيرٍ من جباة الضرائب وإنشاء مخازن لنقل حصص الحكومة إليها .وتستهلك الحكومة جزءًا من هذه المحاصيل وتدفع قِسماًمنها إلى موظّفيها مقابل عملهم وبدلاً عن مرتّباتهم،أما الباقي فيُباع في الأسواق أو يصدر لبيعه في المناطق الخارجية،واشتهرملوك الحيرةبكثرة جبايتهم للضرائب،من ذلك مانراه في قصيدة ليزيد بن الحذاق،يثورفيهاعلى النعمان بن المنذرفيقول له مخاطباًبن المعلّى صاحبي سيّدعبد القيس :

ألآ ابن المعلى خِلتنا وحَسبتنا صَراري* نعطي الماكسين مُكوسا

ويُستدلُّ من هذاالبيت أن تلك الضرائب والمكوس، لم تقتصرعلى تجارة البر،بل شملت ايضا تجارة البحرحيث كان الملاّحون يعطون المكس عن البضائع التي تحملها سفنهم حين وصولها الى الموانىء ودلّت على اشتهار ملوك الحيرة مانقله المؤرخون ايضا في قصّةسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه،مع حرقة بنت النعمان عندمادخلت عليه فقال لها:آنت حرقة بنت النعمان،قالت:نعم،إنا كنا ملوك هذه البلاد يجبى إلينا خراجها ويدين لنا اهلها مدى الدهر[1] .

وفي تبيان ذلك مادلت عليه أشعاركثيرمن الشعراء،ومنه ماذكره الأخنس بن شهاب التغلبي اذْ يقول:

وغارت إياد في السواد ودونها براز يق عجم تبتغي عن تضارب

ولَخْم ملوك الناس يجبى اليهم إذا قال منهم قائل فهو واجب

ومنهاايضاشعرعبد المسيح بن عمروبن بقيلة الغساني،وكان من أشراف أهل الحيرة وأغنيائها وقد عمّرطويلاً إلى مابعد زوال ملك الحيرة ومجيء الإسلام فيقول مرثياً :

أبعد المنذرين أرى سواماً تروح بـ الخورنق والسَّدير

2- ب-1- النقود :

[1] - الأعظمي (علي ظريف) المرجع السابق ،ص 68
؛ الطبري ، المصدر السابق ، ص191.

تـدل المصـادرالتاريخية علـى ان العـرب في الحجازوشمـال الجزيـرة العربيـة قـد اكتفـوا بتـداول النقدالبيزنطي والفارسي .بخلاف الممالك العربية الجنوبية،ولم يرد تداول نقدٌخاصٌ بالحيرة حتى عهد الملك النعمان الثالث بن المنذر.

حيث تذكرالمصادرنقدًا اختصّ به في الحيرة وهوماعرف بـ:النُمّي[1]،وهودرهم مكون من معدن النحاس اوالرصاص[**]،وقد ذكراوس بن حجروهو يصف الناقة :

وقارفت وهي لم تجرب وباع بها من الفصافص بالنمي سفسير[2]

أي انها قدأصابها شيء من الجرب فابتاع لهاالخادم بعض العلف.

كما وردت الاشارة ان الذهب كان عملة نقدية معروفة في الحيرة،من ذلك ان النعمان الثالث بن المنذر أمر بإعطاء رسول كسرى الذي قدّم لإطلاق سراح عدي بن زيد اربعة آلاف مثقال ذهب وجارية[3].

وذكرالمؤرخون أن العبّادمن اهل الحيرة،كانوايتزوجون على مائة وزن ستة،يقصدون وزن ستين مثقالا[*] دراهم،وعلى وزن ثمانية،يقصدون ثمانين مثقالا دراهم،وعلى مائة وزن خمسة،يقصدون بذلك وزن خمسين مثقالاً دراهم وعلى مائة وزن مائة مثقال[4] .

وذكرأن ايوب بن محروف،أحد أجدادعدي بن زيد وكان يسكن اليمامة في بني امرئ القيس بن مناة،فأصاب دمًا في قومه فهرب الى الحيرة حيث اشترى له اوس بن قلام وكان صديقا له،موضع دار له بثلاثمائة أوقية من ذهب،وانفق عليها مائتي اوقية ذهباً[5] .

أما عن عموم ماكان متداولا من عملة في الحيرة مما عرفه العرب وتعاملوا به في أسواقها،فيذكر المؤرخون ان مسكوكات الروم والفرس هي الاكثر تداولا ،فعرفت بين العرب الدنانير القيصرية نسبة

---

[1] – ابن منظور(ابوالفضل محمدبن مكرم)،المرجع السابق،ج8،ص 343.

** نقدالنعمان المؤ رخ بـ80الرقم62.63 ص17 من كتلوك برلين،المازنداني،تاريخ النقود الاسلامية ،ط3،دارالعلوم،بيروت،1988،ص98.

[2] – الاصفهاني(علي بن الحسين ابوا لفرج)،المصدر السابق،ج2،ص121.

[3] – نفسه،ج2،ص121.

* المثقال يساوي عشرين قيراطًا،جواد (علي) ،المرجع السابق،ج 7،ص 498 .

[4] – المازنداني،المرجع السابق،ص78.

[5] – الاصفهاني(علي بن الحسين ابوا لفرج)،المصدر السابق،ج2،ص98.

الى قيصر الروم ،كما عرفت لديهم الدراهم الكسروية نسبة لكسرى الفرس،وكان العرب يطلقون على النقود الذهبية لفظ:العِين،وعلى النقود الفضية اسم :الوِرْق [1].

وكان الحجازيون واهل مكة خاصة وبعض اهل الحيرة يتعاملون في تجارتهم بنقود اهل اليمن،كما اشتهرالى جانب ذلك نجد النقود النحاسية التي اشتهرت عند العرب ،ومنها:الحبة والدانق .

وصنفت الدنانير الى صنفين:دنانيرهرقلية أورومية ودنانير كسروية أوفارسية وكذاالأمر بالنسبة للدراهم ولكن غلب عليهم استعمال الدنانير الرومية والدراهم الفارسية،وكانت الدنانير الهرقلية اعز عندهم وارغب،حتى ضربوا المثل بجمالها وزهوها.وهوما ينطبق على الحيرة التي اشتهرت بسوقها في الجاهلية .

2- ج – الصناعة :

تُعتبرالصّناعة من الروافد المهمّة لأي اقتصاد يمكن أن تقوم عليه الدّولة أو المملكة،وعنصر الصناعة مجال ليس كغيرهمن المجالات الاقتصادية الأخرى كالزراعة والتجارة،ومبعث هذا الاختلاف والتميّزفي ذلك أنه يتطلّب شروطاً إضافية عن تلك الشروط التي تتطلّبها الزّراعة أو التّجارة .

فبالإضافة إلى الاستقرار والأمن الذي يتطلّبه،نجد الصناعة تتركّز أيضا على وجود الموارد الأولية والمواد الخام اللازمة لقيام صناعة من الصناعات،هذا بالإضافة إلى ذلك يلعب العنصر البشري دوراًمهمًّافي ذلك،فالمناطق الحضرية تشجّع على وجودمثل هذا النشاط،أما المناطق البدوية فحاجتها إلى الإنتاج والتصنيع قليلةٌ،لبساطة الحياة فيها وسهولة التعامل بين الناس،ولذا تكون الصناعة فيها بسيطةً تتناسب مع بساطة ذلك المجتمع البدوي .ولهذا تتفاوت مستويات الصناعة البدوية بتفاوت مستوى البداوة وبتفاوت درجة حاجتها إلى الأشياء[2].

إضافة إلى هذاماسلفناه في حديثناعن النشاط الزراعي،والى التكوين الاجتماعي والأدبي لدى الإنسان العربي في ازدرائه واحتقاره لنشاط الزراعة فذلك الحكم ينطبق انطباقاً أكثرتأثيرًا ووضوحًا على نشاط الصناعة ايضاً،الذي كان حظّه أقلّ من النشاطين سالفي الذكر، إلا أن المصادر تحدّثنا عن وجود بعض الصّناعات بالحيرة.

---

[1] – جرجي (زيدان)،المرجع السابق،ص97.

[2] – الطبري(محمدبن جرير) ، المصدر السابق،293.

حيث اختصت الحيرة في عهد المناذرة بعدد من الصناعات التي تتطلب الدقة والمهارة،مثل صناعة المنسوجات الحريرية والكتّانية والصُّوفية .ونسبت هذه المنتوجات في كُتب السيروالتاريخ إلى الحيرة،حتى أصبحت مرادفة لها.

حيث يُذكر أن قصرالخورنق كان يضمّ عدداً من القيون والنساج.وكان من أزياءالحيرة:السّاج والطَيلسان واليَملق والدِّخدار[1]،يقول زيد بن عدي العبادي:

تلوح المشرفية في زراه ويجلو صفح دِخْدار قشيب

وكان من أزياء اهل الحيرة ايضاًالشُّرعْبية،وهي ضربٌ من البُرُود الطويلة التي تصنع من الحرير الأحمر،يقول الاعشى :

والبغايا يركضن اكسية الأضريج والشُّرعبي ذا الأذيال

كما اشتهرت من ازيائهم السّيراء،وهي ثيابٌ مُسيرة،أي فيها خيوطٌ من الحرير كالسُّيور،يقول الشمّاخ بن ضرار الذبياني :

ازار شرعبيٌ واربعق من السُيراء او أواقٍ نواجز

كماعرفت الحيرة ملابس ذات أصلٍ فارسي مثل:الخَسرواني* ،والدَّيابوذ** والجودياء*** وذلك لطبيعة الاتصال الوثيق بين المجتمع الحيري ونظيره الساساني الفارسي .

واشتهرت الحيرة بصناعة الأسلحة من سِهام وسُيوف ونِصال الرِّماح،أما صناعة التُّحف المعدنية فكانت من أرقى الصناعات في الحيرة وكان الصَّاغة الحيريون يتفنَّنون ويبدعون في صناعة أدوت الزِّينة من ذهبٍ وفضّةٍ،يرصّعونها بالجواهر واليواقيت،وذاعت شهرة الخزف الحيري والجلود الحيرية والتُّحف المصنوعة من العاج .وليس غريبا ان يأخذ الحيريون جراءاحتكاكهم بالفرس،ثم يبدعوافي صناعة السجاد ذات الزخارف الحيوانية والتي اختصت بصناعتها الحيرة قبل الاسلام واشتهرت بها.

كما عرفت في الحيرة صناعة الفرش التي اطلق عليها الحيريون اسم الطنافس اقتباسا ومحاكاة لما عرف عند الروم بكلمة: Tapeste ومنها جاءت طنافس[2].واشتهرت بها مدينة النعمانية من حواضر الحيرة

---

[1] – غنيمة (يوسف رزق الله) ، المرجع السابق ،ص 93 .

السيد (عبد العزيز سالم)، المرجع السابق ،ص 12 .

* الخسرواني: نوع من الحرير الرقيق، مطلوب(أحمد)،معجم الملابس في لسان العرب،ط1،مكتبة لبنان ناشرون،بيروت،1995،ص35.

وذاع صيت هذه الطنافس ونسبت الى الحيرة واصبحت تعرف بالطنافس الحيرية التي امتازت برسومها وصور الحيوانات من خيل وجمال وسباع وطيور[1].

ويشيرالقالي إلى وجود فن الصناعات الخفيفية الطريفة عند أهل الحيرة في قوله: "خرج خمسة من شيء من ذوي الحجا والرأي يريدون سواد بن قارب الدوسي ليمتحنوا علمه...ثم صاروا إليه فأهدوا له إبلا وطرفا من طرف الحيرة [2] ".كماذكرأبوالفرج الاصفهاني ما ينبئ عن وجود بعض صناعات النسيج ، حيث يقول:" وأما قضاعة فقد نزلوا عبقر من أرض الجزيرة،فنسج نساؤهم الصوف وعملوا الزرابي،فهي التي يقال لها "العبقرية"،وعملوا البرود التي يقال لها التزيدية والزيدية[3]".

ومن مظاهرحضارة الحيرة وتقدمها،إنتاجهم بعض الأدوات الصناعية التي كانوا يحتاجون إليها في شؤونهم الترفيهية،وقدعرف عن ملوك الحيرة أنهم كانوا يروحون عن أنفسهم بارتياد الحدائق،ووسيلتهم في الاستمتاع القوارب المصنوعة بأيدي محلية والتي كانت تتناثرحول الحرة على نهرالفرات،وتسطع أنوارها ويستغلهاالملوك والأمراءفي نزهاتهم،يتمتعون بجمال الطبيعة وهدوء البحر،ومعهم أمهر المغنيين والموسيقيين،وفي هذا ما يدل على أن ملوك الحيرة كانوا ينافسون أكاسرة الفرس وقياصرة الروم في نظاهرالترف والأخذ بوسائل الحضارة [4] .وذكرت صناعات ثانوية اخرى وحرف كانت تشهدها حتى نسب اليها بعض من كان يمارسها،ومن ذلك حرفة الاسكافي وقداشتهر من الاسكافيين الحيريين:حُنين الاسكافي[5].كماعرفت الحيرة صناعة الكُحل اوالإثمد،قال عمرو بن معد يكرب : كأن الاثمد الحاري منها يسفُّ بحيث تبتدر الدموع[6]

** الديابوذ : (دوبوذ) أو (دبوذ) : ثوب نسيج على نيرين (خيطين)، نفسه ،ص43.

*** الجود ياء :بالنبطية أو الفارسية وهو الكساء ، نفسه ، ص37.

[2] – مطلوب(أحمد)،نفسه ،ص39.

[1] –آدم متز،الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري،تر،محمدعبدالهادي،ط5،ج2،دارالكتاب العربي،بيروت،ص361.

[2] – القالي(ابوعلي اسماعيل بن القاسم) ،المصدر السابق، ص 289 .

[3] – الاصفهاني(علي بن الحسين ابوا لفرج)،المصدر السابق،ج2،ص201.

[4] – الحوفي (أحمد)، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط5،دارنهضة مصرللطبع والنشر،1972، ص120.

[5] – ابن قتيبة (الدينوري)،عيون الاخبار ،ج3،دار الكتب المصرية ،ص141.

[6] – الحموي (ياقوت)،المصدر السابق، ج2،ص 328 .

ومن ذلك كله يتضح لنا الاهمية التي كانت تتبوؤها الحياة الاقتصادية لدى اهل الحيرة في الحياة العامة لديهم ويبين تاثيرها في المحيط الاقليمي المجاور لها خاصة والوقوف عليها يوضّح مدى تاثرها بمثيلتها الساسانية الفارسية .

ان الاتصال الحضاري الذي وقع بين حضارتين مختلفتين ولكنهما توصّلتا الى التّكامل والتعايش واستطاعت ان تبني كياناً مثّلته مملكة الحيرة بدون شك الكيان العربي لمرحلة ماقبل الاسلام ،والذي نظر اليه العرب ككيان قائدٍ ومتقدّم في الحضارة،احتكّوا بهم وأدّى بهم في واقع الامر الى أن يُسهموا فيه وان اقتبسوا من غيرهم فقد اجادوا وطوّروا بعضه.ولئن كانت أنفة العرب عن الولوج الى الزراعة منصوُصٌ عليه في المصادر التاريخية التي تحدثت عن ترفع العربي ونأيه بنفسه على ان يكون فلاحًا يزرع القمح وينتظره حتى يحصد .

وقدجاءت العديد من القصائد الشعرية التي تقيّد ذلك وتسجّله.ولكن هذاالعربي نفسه اتقن الكثير من الصناعات آنفة الذكر،وان لم تكن وليدة بيئته،لا أنها اصبحت جزءًا من اهتماماته فهو يحتاج صناعة الالات التي تسهل له حياته اليومية،وفي الملمّات الصعبة .

وشكّل التماس الحضاري بين العرب والامم الاخرى في دولة المناذرة،وخاصة ذلك التماس والاحتكاك الحضاري بين العرب والفرس على أرض المناذرة،زخمًا أدّى في النهاية للأخذ بأسباب الصناعة لدى العربي .

الفصل الثالث

الحياة الدينية والثقافية والفكرية

1- الحياة الدينية .

2- الحياة الثقافية والفكرية .

3- العمران في الحيرة .

4- الطب والبيطرة .

5- معرف أخرى .

1- الحياة الدينية :

عرفت حياة الجزيرة العربية في عصرالجاهلية وفود الأعاجم بمختلف فئاتهم،ولم يمنع مناخ الصحراء وعزلة هذه المنطقة جغرافياَ من أن يفد إليها التجار من مختلف الملل وكان منهم من غيرالتجارمن أمّ هذه المنطقة لأسباب مختلفة و منهم من أطال المقام فيها،و منهم من جعلها موطن هجرة له و أقام بها حياته كلها خاصة في منطقة الحيرة،وتباينت أجناس هؤلاء الوافدين واختلفت مقاصدهم و أهدافهم .

كما تباينت وتيرة تلك الحركة من زمن لآخر تبعاَ لظروف مرت بها المنطقة ،لكن الملاحظ أن منطقتي الشمال والجنوب في الجزيرة العربية هما اللتان كانتا المعنيتان بشكل مميز أكثر من غيرهما بهذه الحركة،بسبب وجود المدنية التي كانت أرقى من مثيلتها في عمق الجزيرة العربية،و تبعًا لهذا الاتصال التي تنوعت دواعيه وأسبابه،زيادة على أن هؤلاء الوافدين قد تنوعت دياناتهم طبقاً لانتمائهم الجغرافي والحضاري،فمنهم من كان على المجوسية ومنهم من كانوا صابئة و منهم النصارى و منهم الوثنيين،و يفصّل ما جاء في آيي القرآن الكريم اختلاف الملل والنحل التي كانت الجزيرة العربية تحتويها و تزخر بها من ذلك قوله تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَادُوا وَ الصَّابِئِينَ وَ النَّصَارَى وَ اَلمجَوُسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ "[1] .

ألا أن المتواترعن روايات المؤرخين،أن الوثنية هي الدين الغالب للعرب قبل ظهورالإسلام ،وإذا أردنا تفصيلا في هذا الاعتبار فإننا نلمس في الشمال حيث الكيان العربي المتحضر وكذا مثيله في الجنوب،قدوجدت الديانات الأخرى التي أسلفنا ذكرها من مجوسية ويهودية ونصرانية وصابئة.

ولعل ذلك مرده إلى امتزاج سكان هذه الكيانات والمسالك بالحضارتين الكبيرتين المعاصرتين لهما ونقصد الحضارة الشرقية متمثلة في الفرس الساسانيين والغربية متمثلة في البيزنطيين لذلك فمن الثابت أن سكان الحيرة كانوا إما وثنيين يعبدون الأصنام أو صابئة يعبدون الكواكب أو مجوسًايعبدون النارأونصارى أو يهودا[2] .

---

[1] - سورة الحج ،آية 17 .

[2] - ابن الكلبي(أبو المنذر بن هشام) ، الأصنام ، تح،أحمد زكي،الدارالقومية للطباعة و النشر، القاهرة،1924، ص 6 .

1- أ- الوثنية :

و عن أصل نشأة الوثنية في الجزيرة العربية،ما أورده ابن الكلبي في كتابه الأصنام من أن إسماعيل عليه السلام، لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى اكتظت بهم مكة ونفوا من كان بها من العماليق،ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاَ فانتشروا في البلادإلتماسًاللمعاش.ويفصّل ابن الكلبي أن بعدهذاالانتشاركان سبب اتخاذهم أصنامًايعبدونها ،إنما كان بفعل حبهم الشديد لمكة وبالضبط الكعبة.حيث يروي أنه كان لايرتحل منهم أحد أو يغادر مكة الاحمل معه حجرًامن حجارة الحرم تعظيمًا وصبابة بمكة و الحرم،فحيثماحلّووضعوه وطافو به كطوافهم بالكعبة وذلك تيمنًامنهم وتعلقًابالحرم،إلاأن ذلك أدى بهم إلى أنهم نسوا مع مرورالوقت ماكانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم عليه السلام،غيره وعبدوا ما استحبوا، فعبدوا الأوثان[1].

على أن أول من أدخل عبارة الأصنام إلى داخل الجزيرة العربية وخاصة مكة كان عمرو بن الحي فحين هزم جرهم وأجلاهم عن البيت الحرام و نفاهم عن مكة وتولى مكانهم حجابة البيت،و كان أول من تولى ذلك من خزاعة لما كان رئيسهم وكان قد نشأ على أمرعظيم من المعروف والصدقة والحرص على أمور الدين فأحبه الناس ودانو له ضنًا منهم أنه من أكابرالعلماء و أفاضل الأولياء[2].

ثم مالبث أن مرض مرضًاشديدًافقيل له:أن بسقاءمن الشامبركة إن أتيتها برأت،فأتاها فاستحم بها فبرء ووجدأهلها يعكفون على الأصنام يعبدونها فقال:ما هذه فقالوا نستسقي بهاالمطرو نستنصربها على العدو،فسألهم أن يعطوه منهافعلو،فقدم بها مكة ونصبهاحول الكعبة .و كان أول صنم هو ما جاء به عمرو بن لحي وكان يسمى:هُبل،ثم انتشرت بذلك الوثنية على كامل الجزيرة العربية .ولماكان من سكن الحيرة من الذين وفدوا من عمق الجزيرة العربية ومن جنوبها فقدكان الدين المتعارف عندهم عبادة الأوثان .

ولعلّ من أشهرالأصنام التي عبدها أهل الحيرة،ذكرالمؤرخون صنمان يعرفان بالضيزنان اللذان كانالجذيمة الوضّاح(208-268 م)،وهوالملك الثاني في ترتيب ملوك الحيرة من تنوخ.وهوما يبيّن أن ديانة الوثنية قديمة الرسوخ جاء بها من هاجرإلى الجنوب وعمق الجزيرة العربية-كماأسلفنا- ولم يختلف أهل الحيرةمن الوثنيين في تقاليدهم التي كانوا يجعلونها في أعيادهم وصلواتهم وبيَعهم من مراسم في عبادة

[1] - ابن الكلبي،المصدر السابق، ص7.

[2] - المباركفوري (صفي الرحمان) ، الرحيق المختوم ، المكتبة المصرية ، بيروت، 2003 ، ص 28 .

الأصنام،وقدنسب أكثرها الى عمروبن لحي الذي يُرجع إليه المؤرخون إدخال عبادة الأصنام إلى الجزيرة،وكانويظنون أن ما أحدثه بدعة حسنة[1] .

فكانوايعكفون عليهاويلتجئون اليهاويهتفون بهاويستغيثون بهافي الشدائد ويدعونها لحاجتهم معتقدين أنها تشفع لهم وتحقّق لهم ما يريدونه.فكانوايتقربون إليها بأنواع القرابين،وكانوايذبحون وينحرون لهاويذكرون اسم آلهتهم عليها من أسماء أطلقوها على تلك الأصنام،فكانوايحجون إليها في مواقيت معلومة ويطوفون حولها،ويتذلّلون عندها ويسجدون لها.وورد في القرآن الكريم من ذكرتلك المراسيم والمظاهرفي قوله تعالى:"**وَلاَ تَأكُلوُا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِاسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وإنَّهُ لَفِسْقٌ**"[2].وفي قوله تعالى:"**وَمَا ذُبِحَ عَلى النُّصُبِ**"[3] .

كما كانوا يتقرّبون إلى أصنامهم بالنُذر في الحرث والأنعام،وجعلوا مما كسبوا ملكًا خاصًاالله حسب اعتقادهم ومقتصرًاعليه،قال تعالى:"**وَجَعَلُوا لِلهِ مِمّا ذَرَأ مِنَ الحَرْثِ وَ الأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالوُا هَذَا لِله بِزَعْمِهِمْ وَهَذا لِشُرَكَائِنَافمَاكَان لشُرَكائِهِم فَلا يَصِلُ إلى اللَهِ وَمَا كَانَ للهِ فَهُو يَصلُ إلى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُون**"[4]،وقال تعالى:"**وَقَالَوُا هَذِه أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهاَ إلاَّ مَا نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَ أنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُوُرهَاوَ أَنْعَامٌ لاَ يَذْكُرُونَ اِسْمَ اَللهِ عَلَيْهَا اِفْتِرَاءًا عَلَيْهِ** "[5].

وكانت من هذه الأنعام ما اصطلحوا عليه إصطلاحًا منها،البَحيرة،والسّائبة،وهي الناقة إذا تابعت عشر إناث ليس بينهن ذكر.تُركت فلم يُركب ظهرها ولم يُجز وبرهاولم يُشرب لبنها إلا ضيف وكان منها البَحيرة و هي بنت السائبة، فتُشقّ أذنها ثم يخلى سبيلها ترتع مع أمها وجرى فيها ما يجري على أمها.

و كان من اصطلاحهم على الأنعام ذكر الوصيلة وهي الشاة إذا جاءت بتوأم عشر إناث في خمس مرات ولم يكن بينهن ذكر.فقالوا:وصلت،فكان ما ولد بعد ذلك خالصًاللذكورمن دون نسائهم أو الإناث عموماَ إلا أن يموت من تلك المواشي،فاذا ما مات منهااشتركوا في ذلك مع نسائهم وإناثهم

[1] - أمين (أحمد)، فجر الإسلام،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،2004 ، ص29.

[2] - سورة الأنعام ، الآية 121.

[3] - سورة المائدة، الآية 3.

[4] - سورة الأنعام ، الآية 136 .

[5] - سورة الأنعام ، الآية138

.ومن اصطلاحهم على الانعام التي كان يتقربون بها ذكروا أيضًا الحامي ،وهوالفحل الذي أنتج له عشر إناث ليس بينهن ذكر، فقالواحُمي ظهره فلم يُركب و لم يُجزّ وبره .

وفي ذلك أنزل الله تعالى :"**مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرةٍ وَلاَ سَائِبةٍ وَ لاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ علَى اللَهِ اَلْكَذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلوُنَ**"[1] ،وهم في ذلك يعتقدون أن تلك الأصنام تقرّبهم إلى الله .كماعُرف لدى عرب الحيرة مثلما عرف لدى العرب عمومًا،من الاستقسام بالأزلام،والزلم قدح لا ريش عليه كانوا سيتقسمون بها فيما يريدون من العمل من سفرأونكاحٍ أوغيرها،ومنه ما فيه منكم،أو،لامن غيركم أو،مُلصق فكانوا إذا شكّوا في نسب أحدهم ذهبوا به إلى الصنم:هُبل،وهوأول صَنم عظيم لدى العرب،و جيء بمائة ناقة فأعطوها صاحب القُدّاح ،فلو خرج "منكم"كان منهم الولد وسيطاً فيهم وان خرج عليه"من غيركم" كان الولد حليفاً لهم،وإن خرج عليه" مُلصق"،كان على منزلته فيهم ،لا نسب،و لا حلف . وقدذكرأن جذيمة الأبرش قدتكهّن وعُرف بالصنمين المذكورين آنفًا،وهما الضيزنان .وقد ظلّ هذان الصَنمان حتى أيام المنذربن ماءالسماء(514-563م) ينحني لهما الداخلون إلى المدنية،وهذان الصنمان المشهوران في كتب الأخبار أن إيادًابعثت قومًا فسقوا سدنتها خمرًاوسرقوا الصنمين[2]. وكان من نتائج ذلك أن عاهدهم جذيمةعلى ترك غزوهم مقابل إرجاع الصنمين مع عدي بن زيد .

كما اشتهر عند أهل الحيرة صنم آخر،كانوا يحلفون به و يعظمونه و يدعى:سَبد فيقولون:"حق سبد[3] ".كماورد في المعارك التي وقعت بين المنذر بن ماء السماءوالحارث بن جبلة الغساني قرب قنسرين Quinsrin،سنة554م،حيث مُني الغسانيون بخسارةٍ فادحةٍ ألحقها بهم المنذربن ماء السماء،ومن ذلك أنه أسرنحو 544 امرأة[4]، ضحىّ بهن قربانًا للعُزى،ما يدل على اشتهار آلهة العزى بين أهل الحيرة أيضًا.

كماروى ابن الكلبي أنه كانت لإياد كعبةٌ غيركعبة مكّة،وكانت سِنداوهي بين الحيرة والأبُلة،وهي التي ذكرها الأسود بن جعفر النهشلي الشاعر في قوله :

أهل الخورنق والسَّد يروبَارق والقصر ذي الشرفات من سِنداد

---

[1] - سورة المائدة، الآية 103 .

[2] - غنيمة (يوسف رزق الله) ،المرجع السابق،ص36 .

[3] - Procopius , op,cit,liv3,p33

[4] - ابن الكلبي،المصدر السابق، ص7.

إلا أنه ذكر مستطردًا الشك فيه، فقال:"...وقد سمعت أن هذا البيت لم يكن بيت عبادة و إنما كان منزلا شريفًا فذكره[1].." وهوما أوردناه في تصنيفنا للقصور في الحيرة،وعرفت لديهم معتقدات لازمت دينهم الوثني ،ومن ذلك أنهم كانوا يؤمنون بالكَهانة والعَرافة و التّنجيم . وكان من الكهنة من يزعم أن له تابعًامن الجن يُطلعه على أخبارالماضي والحاضر والمستقبل، كما شاعت لديهم أخلاق صارت طباعًا منها الطِيرة.على أن دين إبراهيم علية السلام بقيت منه فيهم بقيّة ولم تُترك الحنيفية كلها،مثل ذلك تعظيم البيت والطّواف به ،والحجّ والعُمرة والوقوف بعرفة و المزدلفة و إهداء البُدن .

1- ب - المسيحية :

عرفت الجزيرة العربية دين النصرانية منذ340 م،وهوتاريخ احتلال الحبشة لليمن،ومنه بدأ التبشيرالمسيحي في داخل اليمن في فكان ذلك أن رجلاًزاهدًا يسمى فيميون إلى نجران فدعاهم إلى الدين المسيحي فرأى أهل نجران من امارات صدقه و دينه مالبّوالأجله المسيحية واعتنقوها[2] .وتعتبر المسيحية أهم الديانات الوافدة والتي انتشرت في الحيرة،ولا شك أن بداية التبشير المسيحي في بلاد الرافدين ترجع إلى القرن الأول الميلادي،حيث جاء إثنان من تلامذة المسيح لنشرالدعوة فيه وأنشاءا لهما قصرًا في كسكر* ،ومنه انتشرت المسيحية ولكن ببطء نظرًاللعقبات التي كانت تواجهها،حتى وصلت الحيرة[3] .

ويروي الطبري عن ابن الكلبي أن امرئ القيس البدءالذي ينسب إليه قبرالنمارةهو أول من تنصّرمن ملوك الحيرة. فذكرأن امرئ القيس البدء بن عمر بن عدي كان قدخلف أباه على الملك،و كان أول من تنصّرمن ملوك نصر بن ربيعة[4].غير أن السياق التاريخي يوحي لنا أن هذا التنصّرإن تمّ فإنه اقتصرعلى شخص هذا الملك وحاشيته،وفي أبعدالأحوال لم يسود نشاط التنصير ذلك سوى مدة حكمه.ويذكر ظريف الأعظمي،أن امرئ القيس كان على عبادة الأوثان كما كان كأسلافه الذين كانواعليها في اليمن والعراق، فلما تولى الملك هذا الاخيروعظمت سطوته وخالط الرهبان والنصارى

---

[1] -نفسه؛جواد(علي)،موارد تاريخ الطبري،مجلةالمجمع العلمي العراقي،ج1،السنة1،مطبعة النقيض،بغداد،1950،ص143 ؛ Noel.(M, Desvergers),op,cit ,p77 ; Haourani (Albert), op,cit ,p31

[2] - الطبري ، المجلد الأول ، ص 234.

* كَسْكربالقرب من واسط،حسين العودات،العرب النصارى،ط،1،الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1992،ص45.

[3] - نفسه.

[4] - الطبري (محمدبن جرير)،المصدر السابق،ج1، ص 234.

الذين في العراق الشام وقدّمهم فتمكنت فيه الديانة النصرانية فتنصّرونشرالنصرانية في قومه وحمى دعاتها ونصرهم مدة حياته[1] .

وقدأسلفنا في تحليلنا لفرضيات تفسّروجودقبرهذاالملك في حدودمناخية لنفوذ الروم بالشام،إلى احتمال وجودعلاقات سياسية مميزة لهذا الملك مع البيزنطيين وقدتكون هذه العلاقات هي سبب اعتناقه النصرانية إلاأن ذلك يبقى مجرد افتراض دلّت الكتابة الموجودة على قبره على عكسه. فلفظ"التاج"ينحو به ميلا للفرس أكثر من البيزنطيين،لكن بعض الروايات توردأن النعمان السائح(403- 431م)هواول من تنصّرونسبت تنصّره للقديس نعمان العمودي وكان يقوم بالتبشيرفي أهل الحيرة،وذكرأنه شفاه ببركته من مرض كان به فتنصّر[2]،إلا أن أغلب الروايات تتجه إلى تفنيد ذلك وعقّب على ذلك جوادعلي بالقول:"وهي رواية في حاجة إلى دليل فلم يثبت أن آل لخم كانوا قدتنصّروا في هذا العهد[3]"،إلاأننا نصل إلى آثارالمسيحية إبتداءًامن حكم المنذربن ماءالسماء(514-563م).

وإن لم تشرتلك المصادرصراحة إلى تنصّرهذا الملك غيرأنها تذكرأن زوجته هند بنت الحارث بن عمروبن حجرالكندي كانت مسيحيةوتلقّب بهند الكبرى التي لها ينسب الدير المشهور[4]،وتذكرالمصادرأن الذي بناه لهاهوالمنذر بن ماء السماءزوجها ولاتحوي كتب الأخبارالكثيرمن اسماءالأديرة التي كانت قد بنيت لنشر المسيحية وكانت مظهرًامن مظاهرهذا الانتشار في الحيرة ،حتى وصل عدد تلك الأديرة المذكورة فيهاإلى أكثرمن عشرين ديرًا،كمادلت بعض الآثار فيهامرجعها المسيحي،وظهرت تلك الأديرةكمراكزللتعليم الديني فتخرّج منها عدد من رجال الدين المسيحيين الذين برزوا في تاريخ الكنيسة،وبلغ نشاط التنصيرحدالمنافسة بين النساطرةالقائلين بتعدّد الأقانيم من الشرقيين واليعاقبةالقائلين بالطبيعة الواحدة .

وعمل كل فريق إلى استمالة أكبرعدد من أهل الحيرة إلى مذهبه،ولكن الظاهرأن النساطرةهم الذين تفوّقوافي هذا الصراع بدليل أن النعمان بن امرئ القيس قد انخرط في سلك الكنيسة السورية الشرقية

[1] - الأعظمي (علي ظريف) ، المرجع السابق ، ص 27.

[2] - Instut Français de Damas, op,cit ,p25

[3] - جواد (علي)،المرجع السابق،ج3، ص204.

[4] - Instut Français de Damas, op,cit ,p26.

النسطورية،وتقبّل معموديتهاكما ذكرنا آنفًا،وهي أقل كنائس النصرانية كراهيةعند الفرس،وإن بقي تنصّرالنعمان نفسه غامضًاولم يثبت بالدليل.

وخلافًا لأغلب من سُمواالعُبّاد،فقداعتنق بعض أهل الحيرة المسيحيةعلى مذهب اليعاقبة،واشتهربين الحيريين مذهب النساطرةأكثر،دلّ على ذلك وجود الأسقفيةالتي ذكرتها كتب التاريخ.واشتركوا في المجامع الكنسيةالتي كانت تعقد في طيسفون مركزالبطريركيةالنسطورية الشرقية،كماأنشأ اليعاقبة مركزًا مضادًا في عاقولاغيربعيدعن الكوفةشرق الحيرة [1].

واكتسى التعليم الديني المسيحي بصفةٍعامةٍأهمية حضارية مؤثّرةأكسبت الحيرة شهرةًوجعلتهامركزًاعلميًاوقف على أهميّته الفاتحون المسلمون للحيرة،وكان لتطوّره معنىً في هذاالمجال جعل المؤرخون يثنون عليه،وعُرف باستعمال المختصرات وطريقة الأسئلة والأجوبة .

كماكان التعليم الديني يتطلب معرفة الفلسفة ومباحثهاالتي تعرفه على الخالق واسمائه وصفاته وكذاطرق المعرفة الاخرى،لذلك أخذوايتداولون الأبحاث الفلسفية و يدرسون الفلسفة اليونانية،لذلك فانهم درسواوترجموا الكثيرمن الكتب الفلسفية والدينية إلى اللغة السريانية التي كانت شائعة عندهم .

ويرى بعض المؤرخين أن سريان الحيرة كان لهم دورهم في حركة الترجمة إلى العربية في العصر العباسي الأول [2] .

1 – ج – المزدكية :

ظهرت كحركة اجتماعية في قالب ديني على يدمزدك،وتجمع روايات المؤرخين على أن زمن ظهورهاكان في فترة ملك قباذ وأنها ظهرت في فارس ثم حمل قباذ من والي الفرس أن يعتنقوها ومن ذلك عرب الحيرة هذه الحركةالتي كانت سببًافي جلاءالمنذر بن ماء السماء(514-563 م)عن ملك الحيرة إلى حين.ويختلف المؤرخون في زمن ظهورها فمنهم من يقول بظهورهاسنة487م [3].

ومنهم من يجعلها في زمن سالف لذلك ويرجع بها إلى أصولها الأولى فالمزدكية تصنف كفرقة من

---

[1] – Miquel(André),L'Islam et sa civilisation,7éme édition,Armand Colin,Paris,2004,p38

؛ وهيب(بوفاضل)،موسوعة علم التاريخ والحضارة، ج2،ط1،دار نوبليس،2003،ص86.

؛أوليري،مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب،تر،تمام حسان،عالم الكتب،القاهرة،2002،ص140.

[2] – العلي(أحمد صالح)،المرجع السابق،تاريخ العرب القديم والهجرة النبوية 2003، ص 126 .

[3] – أمين(أحمد) ، المرجع السابق ، ص112.

فرق الثنوية*،الذين يتفقون على أن للعالم أصلين هما نوروظلمة وهما قديمان،ومزدك هوالذي أظهردين الإباحةوهورجل من إقليم يقال له مرزيةو نسبوه فذكروا أنه مزدك بن بامدانان،وأنه دعى إلى مذهب ثنوي فكان يقول بالنور والظلمة أيضًاو لكنه زاد على ذلك تعاليمه الاشتراكية[1].

ويرى أن الناس ولدوا سواسية وإنما أوجدهم الله ليعيشواسواءَ ًا وأهم ما يتوجب عليهم المساواة فيه المال والنسوة وقال أن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتآسي ولكن الناس تظالموا فيها[2]،ينهى الناس عن التخالف والتباغض والمقاتلة،وإنمايقع أكثر ذلك بسبب النساء والأموال،فأخذالنساء وأباح الأموال وجعل الناس فيهم مشتركون كاشتراكهم في الماء والناروالكلأ وزعم إنمايأخذ للفقراء من الأغنياء ويرد من المكثرين على المقلّين.

قال الطبري:"...وأنه من كان عنده فضل من الأموال و النساء والأمتعة فليس هو أولى بها من غيره فافترض السفلة ذلك واغتنموه وكانفوامزدك وأصحابه وشجّعوه فابتلى الناس بهم وقوي أمرهم،حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله لايستطيع الامتناع منهم .وحملوا قباذعلى تزيين ذلك ووعدوه بخلعه فلم يلبثوا إلاقليلا حتى صاروالايعرف الرجل منهم ولده ولا المولود أباه ولا يملك الرجل شيئا مما يتسع به[3] " .

ويعلّق أحمدأمين ذلك بقوله:"...فترى من ذلك أن تعاليمه الاشتراكية من أسبق الاشتراكيات في العالم[4].."،ويقول نولدكه :"...إن الذي يميز مزدك عن الاشتراكية الحديثة مالتعاليمه من الصبغةالدينية[5]."

ولماحمل قباذأهل فارس على اتباع المزدكية حمل من كان يوالي الفرس أيضاَ على إتباعه .وكان من ذلك أن ترك المنذر الثالث حكم الحيرة و أبى أن يتبع دين المزدكية حمية وأنفة –كما أسلفنا الحديث عنه– وملّك قباذ مكانه الحارث بن عمرو بن حجرملك كندة لماكان من تنافس بين ملوك كندة والمناذرة على سيادة عرب الشمال وكان ذلك إلى حين.ولم تستمرالمزدكية غيريسيرحتى قضى عليهاوتولى

* الثنوية ، أربع فرق ، المانوية و الديمانيةو المرقونية و المزدكية،
Belyaev(E.A),Arabs, Islam and the Arab Caliphate,Pellmall Press,London,1969,p17.

[1] - أمين(أحمد) ، المرجع السابق ، ص113.

[2] - الطبري(محمدبن جرير) ،ج1، ص 249 .

[3] - نفسه .

[4] - أمين (أحمد) ،نفسه .

[5] - نودلكه (تيودور) ،أمراء غسان،تر، بندلي خوري،قسطنطين رزيق،دار العلم للملايين،بيروت،1933،ص43.

الأمربعدذلك كسرى أنوشروان في531م،وأعادالمجوسيةالقديمة دين الفرس وأقبل عليه المنذرالثالث لملكه بالحيرة.فإذاعرفنامن مصادر المؤرخين أن ظهورهذه الحركةالدينيةكانت بين 487إلى531م حسب قول أغلبهم[1]،في إقليم فارس فإننا نرى أن انتشارالمزدكية وسط العرب انتشارًاكبيرًالأن الحيرة هي همزة الوصل بين الفرس والجزيرة العربية لم تتأثر.بدليل ما ذكره المؤرخون في العلاقة بين المنذر الثالث وقباذ،منذ ساءت هذه العلاقة عندمااعتنق قباذ المزدكية واتخذها دينًارسميًالدولته وحاول أن يفرضها على المنذرلكنه أبى وأن ملك الحارث بن عمرولم ينتسب ورفضه العرب من أهل الحيرة بدليل فراره منهابعدأن قضى على قباذ.

1- د – معتقدات أخرى :

1- د -1- المجوسية :

كان الفرس يدينون بالمجوسية،واختصّت هذه الديانةعبدةالتثنية أوالثنويةوهوإثبات أصلين اثنين مدبّرين اثنين يقسمان الخيروالشروالنفع والضروالصلاح والفساد.يسمون أحدهما:النوروالآخر:الظلمة،ويزعمون أن الخيرمن فعل النور،وأن الشرمن فعل الظلمة[2].

وكانوايعظمون النارلمعان يعتبرونهامتضمنةفيها،ومنها ضنهم أن التعظيم فيها ينجيهم من المعاد من عذاب الناركما أنها قبلة لهم ووسيلتهم وإشارتهم،وقدعرفهاالعرب ومارسها بعضهم بدليل ذكرها في القرآن الكريم خاصة العرب الذين كانوا قريبين للنفوذ الفارسي في العراق من أهل الحيرة وشرقي الجزيرة واليمن ،لأن أغلب عمل الأكاسرة على هذه الأماكن كانواعلى هذه الديانة إلى جانب الفرس أنفسه الذين استوطنوا في اليمن وعمان وغيرها من المناطق الخاضعة لنفوذهم.

ولعلّ السبب في ذلك أننا لم نجد أمرًاعن المؤرخين أشارإلى أن ملوك الحيرة أوالولاة الذين عينهم الفرس على الأرضين العربية الخاضعة لهم دخل المجوسية مع علاقتهم الوطيدة بالفرس واتصالهم الوثيق بهم بالرغم من وجودأجناسٍ فارسيةٍ مجوسيةٍ عاشت واستوطنت معهم في هذه البلاد ولعل سبب ذلك أن الفرس لم يكونوالمعرفون لنشردينهم في فتوحهم على هذه البلاد بل كان هدفهم سياسيًا بحتًامردّه التنافس القائم بين الفرس والروم.

---

[1] - بلياييف(ي.م)،العرب قبل الاسلام و الخلافة العربية في القرون الوسطى،تر،أنيس فريحة،الدار المتحدة للنشر،بيروت، 1973،ص48.

[2] - الشهرستاني(محمد بن عبد الكريم)، الملل و النحل ،تح،محمد سيد الكيلاني،ج1،دارالمعرفة للطباعة والنشر،بيروت،ص 232.

ولذلك نجدمعظم العرب الذين عاشوافي الحيرة أوالمناطق التابعة لهاكانواوثنيين أونصارى ولم يعترض ملوك الفرس على ذلك بل قد نشرالمذهب النسطوري في الحيرة وغيرهاوغض ملوك الفرس النظرلأنه لم يكن من النصرانيةالمتشيّعة للبيزنطيين.وقدذكرالمؤرخون أن النعمان الأول بن امرئ القيس(403-431م)انخرط في سلك الكنيسةالشرقيةالنسطورية،وتقبل عموديتها وهي أقل كنائس النصرانية كراهية عند الفرس[1] .

1- د -2- الزندقة :

أطلق هذاالاسم اشتقاقاَمن كتاب يسمى: اليسنا،كان للفرس أتاهم به زرادشت في زمن الفرس الأول،وكان له شرح يسمى:الزند،فمن أتاهم بزيادة على ما في كتابهم يسمونه:زنديًا،وأطلق اسم زندين،على ماني ،وسمي أصحابه:الزنادنة،لأنهم زادوا في شرعهم الذي شرعه لهم زرادشت وألحق هذاالاسم بسائرمن اعتقد القدم وأنكر فشكل العالم والبعث بعد الموت فأخذت العرب هذا المعنى فعربته فقالت زنديق[2]،فأصبح من وسم بذلك يعتقد بوحدانية الخالق لكنه لا يؤمن بالآخرة والبعث بل يؤمن بدوام وبقاءالدهرويعتبرالزنديق من الثنويةأيضاَ،وذكرالإخباريون أن الزندقة كانت في قريش أخذوها من الحيرة[3]،ونظرًالما كانت تمثله الحيرة من كيان سياسي وحضاري ارتبط بعلاقات وطيدة بالفرس،يمكن أن نلمس فيها بعض التأثرلماكان منتشرًافي بلاد فارس من اعتقاد الثنوية ولايمكن القول غيرأن المقصودمن أن العرب قدأخذت الزندقة من الحيرة فإن المقصود بتلك الزندقة هي الثنوية فعلاً .

1- هـ - الأديرة و الكنائس :

شكّلت النصرانية دينًا لعددٍ غير يسير من المجتمع الحيري،ونُسبت طائفةٌ كبيرة من ذلك المجتمع إلى تبني النصرانية على المذهب النسطوري عرفت باسم العَبّاديين ساهمت هذه الطائفة في تنشيط حركة بناء الأديرة والكنائس ولعب منتسبوها دورًا كبيرًا في التبشيربالمسيحية على المذهب النسطوري،ليس في الحيرة فقط بل وفي شبه الجزيرة العربية برمّتها،خاصةالأقاليم الجنوبية،ويذكرالمؤرخون أسماء كثيرٍ من هذه المنشآت المسيحية التي أقيمت في فترةحكم المناذرة بعدأن أصبحت الحيرةأسقفيةًتابعةًلكرسي

[1] - حتي(فيليب) ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 113 .

[2] - المعري ،رسالة الملائكة،تح،محمد سليم الجندي ،دارصادر،بيروت،1991، ص 249 .

[3] - الحموي(ياقوت)،معجم البلدان،تح،عبدالرحمان المرعشلي،ج2،داراحياءالتراث العربي،بيروت،ص358 ؛الأمانة العامة لاتحادالمؤرخين العرب،المرجع السابق،ص106.

جاثاليق المدائن[1]،وتنقسم الأديرةالتي أنشأت في الحيرةإلى نوعين:منهاما يُنسب إلى ملوك الحيرةوأمرائها،ومنهاما ينسب لأفراد من الأشراف و الأغنياء خاصّة من العُبّاد.

1-هـ -1- أديرة ملوك الحيرة : وهي الأديرة التي تولّى انشاؤها ملوك و أمراء الحيرة وأهمّها أربعة وهي :

1-هـ-1 - أ- دير اللُّج :

وهومن بناءالنعمان بن المندرأو قابوس(585- 613م)،ولم يكن في ديارات الحيرةأحسن بناءًامنه ولاأنزه موضعًا[2] ،وكان يركب في كل يوم أحدٍإليه و في كل عيدٍومعه أهل بيته خاصة ومن آل المنذر،عليهم حُلل الديباج المذهّبة وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب و في أوساطهم الزنانيرالمفصّصة بالجوهر،و بين أيديهم أعلامٌ فوقها صُلبان وإذاقضوا صلاتهم انصرفوا إلى مستشرفة على النجف فشرب النعمان وأصحابه فيه بقية يومه، ووَهب وحَمل ووصَل[3]. و فيه قيل :

سقى الله دير اللج غيثاً فانه على بعده مني إلي حبيب.

و فيه يقول اسماعيل بن عامر الأسدي الشاعر :

ما أنس سعدة و الزرقاء يومهما باللج شرقية فوق الدكاكين.

و فيه يقول جريرالشاعرالمعروف :

يا رب عائذة بالغور لو شهدت عزت عليها بدير اللج شكوانا.

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيينا قتلانا.

1-هـ-1- ب - ديرهند الكبرى :

وهو من بناءهند أم عمرو بن هند،وهي:هند بنت الحارث بن عمروبن حجربن آكل المرارالكندي.ويقع هذاالديربالقرب من ديراللج على طفّ النجف وكتب في صدره:"...بَنت هذه البيعةهندبنت الحارث بن عمرو بن حجر،الملكة بنت الأملاك وأم الملك عمرو بن المنذر،أم المسيح وأم عبده وبنت عبيدة في ملك الأملاك خسروانوشروان في مارافريم الأسقف فالإله الذي بَنت له هذاالديريغفرخطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبل بها وبقومها إلى إقامة الحق ويكون الله معها

[1] - الحموي(ياقوت) ، نفسه .

[2] - البكري (عبد الله بن عبد العزيز)، معجم ما استعجم ،ج 2،دار المعارف، القاهرة ،1945، ص 596.

[3] - نفسه.

ومع ولدها الدهر الداهر[1] ...".وكان موضعًانزهًاوأقامت فيه هندحتى ماتت بعدالفتح الاسلامي ودفنت فيه.ويروي ياقوت الحموي عن عبدالله بن مالك الخزاعي،أن يحيي بن خالد البرمكي خرج مع هارون الرشيدإلى الحيرةلمشاهدة آثار قبرالنعمان فرأى في جانب حائطه شيئًا مكتوبًافدعى بسُلّم وأمربقراءته وكان فيه مكتوب[2]:

إن بني المنذر عام ان قضوا بحيث شاد البيعة الراهب

كنفح بالمسك ذفاريهم و عنبر يقطبه القاطب

1- هـ -1 – ج – دير مارت مريم :

من بناءآل المنذربنواحي الحيرةبين الخورنق والسدير،وبين قصرأبي الخصيب،وكان مشرفًاعلى النجف وظلّ هذاالديرقائماً إلى زمن الواثق العبّاسي فزاره ومعه إسحاق بن إبراهيم الموصلي وأُعجب بموقعه وعمارته[3]،وفيه يقول الثرواني[4] :

بمارت مريم الكبرى و ظل فتائها ثقف فقصرا في الخصيب المشرّق.

المفي على النجف فأكتاف الحوزنق و السـ ـدير ملاعب السّلف.

1-هـ -1 – د – ديرهند الصغرى:

و يُنسب إلى هند بنت النعمان أبو قابوس،و كان في موضعٍ نَزِهٍ بالحيرة وهويقارب خطّة بني دارم بالكوفةممّايلي الخندق في القادسية، وهند الصغرى هي المعروفة بالحُرقة .

قال هشام الكلبي:"...كان كسرى قدغضب على النعمان بن المنذرفحبسه،فأنذرت ابنته هندعهدًا لله،إن ردّه الله إلى مُلكه أن تبني ديرًا تسكنه حتى تموت فخلىّ كسرى عن ابيها النعمان فبنت الديرو أقامت به إلى أن ماتت و دفنت فيه...[5] " .

وتناقلت كتب الأخبارقصّتها مع خالد بن الوليد رضي الله عنه، لماّ فتح الحيرة فسلّمت عليه فقال لها لما عرفها:أسلمي حتى أزوجك رجلاً شريفًا مسلمًا فقالت له : أما الدّين فلارغبة لي في دينٍ غيردين آبائي،و أمّا التزويج فلو كانت لي بقيّة لما رغبت فيه .فكيف وأناعجوزهرمةٌ أترقّب المنية بين اليوم

---

[1] - الحموي (ياقوت) ، المصدر السابق ،المجلد الثاني ، ص 358.

[2] - نفسه .

[3] – السيد (عبد العزيز سالم) ، المرجع السابق، ص 307 .

[4] – الحموي (ياقوت) ، نفسه .

[5] – ابن الكلبي،المصدر السابق، ص25.

وغدٍ،فقال: سليني حاجةً فقالت:هؤلاء النصارى الذين في ذمتكم تحفظونهم .قال هذا فرضٌ علينا أوصانا به نبينا محمّد صلى الله عليه و سلم،قالت:مالي حاجة غيرهذا،فاني ساكنةٌ في هذاالدير الذي بنيته ملاصقًا لهذه الأعظم البالية من أهلي،حتى ألحق بهم.قال فأمرلها بمعونةٍ ومالٍ وكسوةٍ قالت:أنافي غنى عنه لي،عبدان يزرعان مزرعةً لي أتقوّت بها يخرج منهامايمسك الرمق،وقداعتددت بقولك فعلاً وبعرضك نقدًا،فقال لها:أخبريني بشيءٍ أدركتِ،قالت:لقدطلعت الشمس بين الخورنق والسدير،إلاّعلى ماهوتحت حكمنا فما أمسى المساء حتى صرنا خُولا لغيرنا ثم أنشأت تقول [1]:

فبينا نسوس الناس و الأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة ننتصف

فتباً لدنيا لا يدوم نعيمها تقلّب تاراتٍ بنا و تصرّف

ثم قالت :اسمع مني دعاءًا كنا ندعوا به لأملاكنا : شكرتك يدٌ إفتقرت بعد غنىً ولا ملكتك يدٌاستغنت بعد فقرٍ،وأصاب الله بمعروفك مواضعه،ولا أزال عن كريمٍ نعمةً إلا جعلك سبباً لردّها إليه ،ولاجعل لك إلى لئيمٍ حاجةٌ . قال فتركها و خرج فجاءها النصارى وقالوا ما صنع بك الأمير فقالت:

صان لي ذمتي و أكرم وجهي إنما يكرم الكريم الكريم

وقدأكثرالشعراءمن ذكرهذاالديرفقال فيه معن بن زائدة الشيباني الأميروكان منزله قريبا منه[2] :

الا ليت شعري هل ابيتنّ ليلةً لدى دير هند والحبيب قريب.

فنقضي لبانات ونلقى أحبةً ويورق غصن للسرور رطيب.

1-هـ -1 – و- دير الجَماجِم :

وهو بظاهرالكوفة على سبعة فراسخ منها،وسمي بذلك لأن بني تميم وذيبان لما واقعت بني عامروانتصرت بنو عامروكثر القتلى في بني تميم،بنوعامر بجماجمهم ديرًاشكرًاعلى ظفرهم،وينفي ياقوت الحموي صحّةهذه الرواية المنسوبة لهشام الكلبي ويدلّ على ذلك بقوله :"...وهذا عندي بعيد عن الصواب وهو يقول على ابن الكلبي وليس يصحّ عنه، فإنه كان أهدى إلى الصواب من غيره في هذا الباب ،لأن وقعة بني عامر وبني تميم وذبيان كانت بشِعب جبلة وهو بأرض نجدوليس بالكوفة ...ويضيف مصحّحاًبقوله: ولعلّ الصواب ماحكاه البلاذري عن ابن الكلبي إن بلاد الرمّاح وبعضهم

[1] – الحموي (ياقوت) ،المرجع السابق،ج2،ص 367 .

[2] – نفسه .

يقول بلال الرُّماح،وهواثبت بن محرزالأيادي قَتل فرقًا من الفرس ونصب رؤوسهم عند الدّير فسُمي بذلك[1]....".

والروايات حول تفسيراسم الجماجم كثيرة ولكنها تتراوح بين الروايتين السابقتي الذكر .وفي هذا الدير يقول جرير[2]:

ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا وشدات قيس يوم دير الجماجم

فحرّض بن القين قيسا ليجعلوا لقومك يوماً مثل يوم الأراقم

1-هـ -1 -ز - دير بني مَرينا[3] :

ويُنسب إلى أسرةبني مرينا،وهي من أشراف الحيرة ولبنائه قصّة،حيث أن قيس بن سلمة حجرآكل المرارأغارعلى ذي القرنين ،المنذربن النعمان بن امرؤ القيس فهزمه حتى التجأ إلى الخورنق،وكان معه أبناؤه قابوس وعمرو،ولم يكن وُلدله يومئذٍالمنذربن المنذرفمكث ذوالقرنين حولاً،ثم أغارعلى بني آكل المراربذات الشقوق فأصاب منهم اثني عشرشاباًمن بني حِجربن عمرو،كانوا يتصّيدون وافلت امرؤ القيس الشاعرعلى فرسٍ شقراء،فطلبه القوم فلم يقدروا عليه وقدم المنذرالحيرة بالفتية فحبسهم في القصرالابيض شهرين ثم ارسل اليهم ان يؤتى بهم فخشي ان لايؤتى بهم حتى يؤخذوامن رُسله.

فأرسل اليهم ان اضربوا اعناقهم حيث ماتاكم الرسول،فآتاهم الرسول وهم عندمكان يسمى الجِفرفضربوا أعناقهم فيه،فسُمي بذلك جِفرالأملاك وهوموضع ديرابن مرينالمذكور.

وقال امرؤ القيس الشاعر يرثي فتية بني حجر قومه :

الا عين تبكي لي شنينا وبكي لي الملوك الذاهبين

ملوك من بني حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا

فلو في يوم معركة اصيبوا ولكن في ديار بني مرينا

1-هـ -1 -ح - دير عبد المسيح بن عمرو:

[1] - نفسه،ص 338 ؛السيد(عبد العزيز سالم)، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص308.

[2] - الحموي (ياقوت) ،نفسه.

[3] - نفسه ،ص339 .

ويقع بظاهرالحيرة بموضعٍ يقال له الجُرعة و ينُسب إلى عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغسّاني ويقال: إنه سمي بقيلة لأنه خرج على قومه من حلّتين خضراوين فقالوا: ماهذا إلا بُقيلة!و كان أحد المعمرين،وهو الذي لقي خالد بن الوليدرضي الله عنه،لماغزاالحيرةوقاتل الفرس،فبعث رجلاً يستدعي منهم عاقلاً فجاءه عبد المسيح بن عمرو.و قام هذاالأخير بابرام الصلح،قال:وبقي عبد المسيح في ذلك الدير بعدما صالح على مائة ألفس حتى مات، وخرب الدير بعد مدة. فظهر فيه أزَج معقودمن الحجارة فظنوه كنزًا ففتحوه، فإذا فيه سريررُخام عليه رجلٌ ميّتٌ وعند رأسه لوحٌ فيه مكتوبٌ : أنا عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة وفيه هذه الأبيات :

حلبت الدهر أشطره حياتي ونلت من المنى فوق المزيد

فكافحت الامور وكافحتني فلم أخضع لمعضلةٍ كؤودٍ

وكدت أنال في الشرف الثّريا ولكن لا سبيل الى الخلود[1]

إلى جانب هذه الديارات المشهورة هناك ديارات أخرى ذكرها أغلب الأخبارين ونسبوها إلى الحيرة موقعًا ونسبوا أغلبها لأشراف وأغنياء الحيرة و منها :

1-هـ -1 – ط – دير حنّة :

ينسب إلى بني ساطع من تنوخ وهو دير قديم ، يذكر ياقوت الحموي أنه كان من أيام بني المنذر.وكانت تقابله منارةعالية كالمرقب تسمّى القائم وهي:لِبني أوس بن عمروبن عامروكانوامن اشراف الحيرة، و في ديرحنّة يقول الثرواني[2] :

يادير حنة عند القائم الساقي على الخورنق من دير بن براق

و منه أيضا دير حنة بالأكيراح * و فيه يقول أبو نواس:

يادير حنة من ذات الأكيراح من يصح عنك فاني لست بالصاحي

و في هذا الموضع أيضاً يقول بكر بن خارجة :

دع البساتبن من آس و تفاح و اقصد إلى الشيح من ذات الأكيراح

إلى الدساكر فالدير المقابلها لدى الأكيراح او دير بن وضاح

1-هـ -1 – ي- دير السَّوا *:

[1] – عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص60.

[2] – الحموي (ياقوت) ، المرجع السابق،ج2،ص 340 .

* أُكَيراح،هوموضع بظاهر الكوفة كثير البساتين والرياض،ياقوت الحموي،المرجع السابق،ج1،ص194.

وهو منسوب إلى رجلٍ من إياد، وقيل : إن السَّوا، إمرأة من إياد نسب لها الدير،و قيل : منسوبٌ إلى بني خذافة[1]،وفيه قال أبو دؤاد الإيادي[2]:

بل تأمل و انت ابصر مني قصد دير السوا بعين جليه

1-هـ -1 – ك- دير الأساقف[3] :

والأساقف هم رؤساءالنصارى،وهي ديارات بظاهرالكوفة بالنجف،وتقع في مدخل الحيرة،عرفت بقبابهاوقصورهايجتازخلالها نهريعرف بالغدير. الذي يشرف عليه قصرأبي الخصيب من جهة اليمين،وعن شماله قصرالسديرالمذكورين.وفي هذا الديريقول محمدبن جعفرالعلوي اليماني :

كم وقفة لك بالخورنـ ـق ما توازي بالمواقف

بين الغدير إلى السدير إلـ ـى ديارات الأساقف

فمدارج الرهبان في اطمـ ـارخائفةٍ وخائف

1-هـ -1 – ل- دير حنظلة [4]:

وهومنسوبٌ إلى حنظلة بن عبد المسيح،عمّ إيّاس بن قبيصة الذي كان قد ملك الحيرة.وفيه قيل :

بساحة الحيرة دير حنظلة عليه أذيال السرور مسبلة

أحييت فيه ليلة مقتبلة وكاسنا بين الندامى معملة

1-هـ -1 –م- دير بن وضاح (دير مرعبدا)[5]:

و يقع بنواحي الحيرة وهو بذات الأُكيراح،وينسب إلى:معبد بن حنيف بن وضاح اللحياني و كان من سادات الحيرة .

1-هـ -1 – ن- دير علقمة [6]:

منسوب إلى علقمة بن عدي بن الرميك بن لخم،وفيه يقول عدي بن زيد العبادي:

نادمت في الدير بني علقما عاطيتهم مشمولة عندما

---

* ديرالسوا،أي ديرالعدل،لأنهم كانوايتحالفون باليمين عنده فيتناصفون،ياقوت الحموي،المرجع السابق،ج2،ص348.

[1] – الحموي(ياقوت) ، المرجع السابق ،ج2 ، ص348 .

[2] – عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص69.

[3] – الطريحي(محمدسعيد)،الديارات والامكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها،ط1،دار صادر،بيروت،1981،ص201.

[4] – عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص53.

[5] – الحموي(ياقوت) ،المرجع السابق،ص348.

[6] – عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص61.

كأن ريح المسك في كأسها اذا مزجناها بماء السّما

1-هـ -1 – س- ديرمارفاثيون[1] :

ويُنسب الى مارفثيون وهومن أشراف بلاشبار،وقد دان بالنصرانية على يد عمّه يزدين،وأخذ يبشربالانجيل فقبض وقتل سنة 446م،فبنيت باسمه عدة ديارات وكنائس منها الديرالذي في الحيرة

ويقع أسفل النجف من الحيرة،وفيه يقول الثرواني[2]:

قلت له و النجوم طالعة في ليلة الفصح أول السحر

هل لك في مارفايثون وفي دير بن مزعوق غير مقتصر

1-هـ -1 – ع- ديرابن مزعوق[3] :

ويقع هذا الديروسط الحيرة،وغير بعيد عن ديرمارفاثيون المذكور،وهوديركثير الرهبان،حسن العمارة ،يعتبر أحد المتنزهات المقصودة والاماكن الموصوفة يقول فيه الثرواني[4] :

يفيض هذا النسيم من طرف الشام ودرِّ الندى على الشجر

ويقول فيه علي بن محمد الحمّاني:

ماأنسَ لا أنسَ أيام لهوت بها لاأنسَ يومي في دير ابن مزعوق

1-هـ -1 – ف - دير الأسكون[5]:

ويقع بالحيرة،مشرف على النجف قال ياقوت:"...وفيه قلالي و هياكل وفيه رهبان يضيفون من وردعليهم وعليه سورعال حصين وعليه باب حديد ومنه يهبط الهابط إلى غدير بالحيرة،أرضه رضراض ورمل أبيض وله مشرعة كالحوض مقابل الحيرة،إذا انقطع النهر كان منها شرب أهل الحيرة[6]....".

واسفرت الحفريات التي أجراهاعلماءالآثار،وعلى رأسهم:رتلنكر،وتالبوت رايس،في أطلال الحيرة،على آثاركنيستين مسيحيّتين من الآجروالّلبن،واتضح ان كنائس الحيرة لم تكن مزوّدة بحنياتٍ،وإنما كانت تنتهي بفتحات مربّعة الشكل على النحو الشائع في معابد آشوروبابل[1].

[1] – الطريحي(محمدسعيد)،المرجع السابق،ص133.

[2] – عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص74.

[3] – الطريحي(محمدسعيد)،المرجع السابق،ص231.

[4] – عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص46.

[5] – الحموي(ياقوت) ،المرجع السابق، ص349 .

[6] – نفسه، ص 333 .

ووجد الأثريان ان معظم الغرف مزينّة بزخارفٍ من جصّ منقوشٍ نقوشاً جميلةٍ ومصبوغٌ بألوانٍ لطيفةٍ بهيّةٍ وأغلبها زخارف من رسوم الأزهار و الفواكه والبقول وهي مزيج من الطراز الفارسي والبيزنطي[2]، وعثرت البعثة الأثرية على صُلبان من البرونزوقناديل من الزجاج،وكانت الجدران مكسوّة بكسوة حصينة نُقشت فيها زخارفٌ نباتيةٌ تنجلي فيها التقاليد البيزنطية و الساسانية وكانت الزخارف المدهونة في الجدران بالألوان الزاهية و الأصباغ يتكرّر فيها عنصر الصليب محاطاً بدائرة لكن هذه المكتشفات لا تحتوي رسوماًأو صوراً للإنسان اوالحيوان،مع ان النصوص والأشعار تدل على وجود مثل هده الصور فالأخطل الشاعر يقول مثلا:

حلى يشبُّ بياض النَّحر واقدةً كما تُصوّر في الدير التماثيل.

كما ثبت لدى الأخباريين وجود مثل ذلك ،حيث يذكرياقوت الحموي:"..وكان اهل ثلاثة بيوتات يتبارون البيع وربما أهل المنذربالحيرة وغسان بالشام وبنوالحارث بن كعب بنجران وبنواديارهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجروالرياض والغدران،ويجعلون في حيطانهم الفَسافِس وفي سقوفها الذهب والصّور[3]..."ويدلُّ ذلك على استعمال التصويرويعزّزما ذكره الأخطل في وصفه للدير .

2 – الحياة الثقافية والفكرية :

2– أ – اللغة: تعتبر اللغة عنصراً مهمّاً في التكوين الحضاري لأمة من الأمم أو حضارةٍ ما. ويعتبرالاعتناء بها تطويرها لكونها أداة من أدوات البناء الحضاري بل وتعكس اللغة مقدار التطور الفكري الذي وصلته تلك الحضارة .

ذلك التطّورالذي يعدّأساس أي حضارةٍ وقاعدةً له .كما يعكس الاهتمام باللغة السِّمة والطابع لحضاري المميّز بين الأمم. وإذا كانت الحيرة قد دانت بالتبعيّة السّياسيةالطَوعية في فتراتٍ من حياتهاللتأثيرالفارسي،فإنها ضلّت مستقلّة ومحافظة على طابعها الثقافي العربي الأصيل،على مدى وجودها وكانت في عهدالمناذرة اللخميّين من المراكزالحضاريةالهامّة في مختلف الميادين،وازدهرت الحياة العلميّة ازدهاراً لم تشهده عاصمةٌ عربيّةٌ في العصرالجاهلي. إذ كانت تزخربمعاهد العلم ومدارسه،واشتغل أهلهابتعليم القراءة والكتابة،وكانوارواداً لها وواضعي أصولها في بلاد العرب،إذ يعتبرالخط الحيري أساس

[1] – السيد (عبد العزيز سالم) ، المرجع السابق ، ص 310 .

[2] – العلي(صالح أحمد) ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص 78 .

[3] – الحموي (ياقوت) ،المرجع السابق ،ج2، ص 365 .

الخط العربي،وهوأقدم أشكال الخط العربي .وقد اشتق الخطّ الحيري من الخطّ الآرامي[1] وذكرالبلاذري،عن الكلبي أن ثلاثةنفرٍمن طيء اجتمعوا ببقّة،وهي بلدة بالحيرة وهم مرامر بن مرة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة،فوضعوا الخطّ وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلّمه منهم قوم من أهل الانبارثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الانبار[2].

إلاّأن هناك من المؤرّخين من يذهب غيرهذا المذهب ويخالف رواية ابن الكلبي ويرى أن أول من كتب بالعربية هم عرب اليمن وكتبوهابخط المسندبحروف منفصلةٍ،وقدلقّنةأهل الحجازالكتابة من الحيرةولقّنهاأهل الحيرة من الانبارأومباشرة من اليمن موطنهم الأصلي فالخط المسند الحميري حَسبهم هو أصل الخط العربي وذلك لأن حروف الروافد وهي :ث ،خ، ذ ،ض، ظ ،غ، لا توجد في النبطي الذي يذكر بعض المؤرّخين انه أصل الخط العربي وبذلك يمكن القول حسب هذا الرأي أن الخط العربي اشتقّ من المسند وتأثر بالخط النبطي المتأخر[3].

وكان لأهل الحيرةعناية بالعلوم والفنون والصنائع،وهم أول من استنبط الخط العربي بالجزم وسُمي كذلك لأنه جزمٌ،أي قطعٌ عن خط غيره.ويسمىّ بالخط الحيري وهو مجزوم عن المسند خط حميروقدانتقل إلى الحيرة بواسطة ملوكها بني قحطان،وزعم بعضهم أن أول من كتب الخط العربي وجزمه أهل الانبار ثم أهل الحيرة،ومنها انتشرالى مشارق الشام والحجاز،نشره بشربن عبد الملك السكوني أخوأكيدرصاحب دومة الجندل،وكان هذاالاخيرأتي الحيرة فيُقيم بها مدّةً فتعلّم الخطّ من أهلها ثم سارإلى مكة والطائف وديار مصر والشام،فتعلّم الخطّ منه وممّن تعلّم منه أهل تلك البلاد.

ومن المؤرّخين من يذهب إلى أن الحجاز قدعرفت الكتابة عن طريقٍ آخرغير طريق الحيرة وهو طريق البتراءعاصمةالأنباط،حيث كان عرب الحجاز يستخدمون الكتابة النبطية في شؤونهم التجارية ،بسبب خضوعهم للأنباط. ومن الحجاز انتشرت في نهاية القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الميلادي ،كما أن

---

[1] - السيد (عبد العزيز سالم)، المرجع السابق ،ص 296 ;
Wiet(Gaston),Introduction a la littérature Arabe,èd,GPmaison neuve et larose,Paris,1966,p30;
Sourdel(Dominique) , op,cit ,p48.

[2] - البلاذري، فتوح البلدان،ج3، القاهرة، 1956،ص 579
؛رشيد(يوسف عطاءالله)،تاريخ الآداب العربية،تح،علي نجيب عطوي،ط1،مؤسسةعزالدين،بيروت،1985،ص18
؛فاخوري(حنا)،تاريخ الأدب العربي،ط6،المكتبةالبوليسية،بيروت،ص26.

[3] - السيد (عبد العزيز سالم)،نفسه .

الكتابة النبطية التي عرفها عرب الحجازتطوّرت تطوّراً سريعاً تبعاً لحركة التجارة ونتيجةً للحركة الأدبية والتجارية حتى أصبح لها الطابع العربي الأصيل في أوائل القرن الخامس لميلادي.

إلاّ أن هذاالاعتقادلا ينهض دليلاً –حسب السيد عبد العزيز سالم–إذلايعتمدهذا الرأي إلا على الدراسة القائمة على المقارنة بين الخط النبطي الاول والتطوّرالذي أصابه في بلاد الأنباط و النقوش الكتابية التي تمّ العثور عليها في نواحي مختلفةٍ من بلاد العرب في القرن الثالث والرابع والخامس من الميلاد. كما أن هذا الرأي يخالف ما تشيرإليه المصادرالعربية التي يؤكّد بان العرب في الجزيرة العربية تعلّموا الخط من الحيريين[1].

والخطّ الكوفي،كماأسلفناالحديث عنه،هوتطّورعن الخط الحيري الذي عرفه عرب الحجازعن طريق احتكاكهم وتعاملهم مع سكان الحيرة قبل ظهورالإسلام.

والأجدربالاستيعاب أن عرب الحجاز اقتبسوا الخطّ العربي المعروف بالكوفي من الخطيّن النبطي والحيري على السّواء،والخطّ الحيري تقليدي عن الخط السطر نجيلي السرياني .

وممّاتذكره المصادرأن الحيرةكانت غنّيةً،بمعاهدالعلم ومدارسه.فقدتلقّى إيلياالحيري مؤسّس ديرمارايليا في الموصل،دراسته الدينية في مدرسة بالحيرة.كما تلقّى مارا الكبيردراسته في إحدى مدارس الحيرة[2].كما يذكرياقوت الحموي في مسيرة خالد بن الوليد رضي الله عنه ،من عين التمرحيث وجد في كنيسةٍ صبياناً يتعلّمون الكتابة في قريةٍ من قرى عين التمر،يُقال لها:النقيرة،وكان فيهاحمران مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه[3]. اشتهرت الحيرة بكثرة المعلّمين،فكانوا يعلّمون الأطفال القراءة والكتابة وأحياناايذهبون إلى بيوت الأطفال يعلّمونهم إن شاء أهلهم أو يعلّمونهم في الكتاتيب،ومن الكتاتيب من كانت تعلّم بالعربية،ومنها من كانت تعلّم بالفارسية . فكان جدُّعدي بن زيد العبادي ممّن تعلّم في دار أبيه وخرج من أكتب الناس في يومه،وكان كاتباً للنعمان الأكبر. كما كان زيد بن عدي والدعدي بن زيد العبادي ممن حذق الكتابة و القراءة،ولما بلغ عدي و أيفع طرحه أبوه في الكُتّاب لتعليم العربية،فلما حذقها أرسله المرزبان مع ابنه شاهان مردإلى كتاب الفارسية فكان يختلف مع ابنه ويتعلّم الكتابة و الكلام بالفارسيةحتى كان من أفهم الناس لها،كما كان أفصحهم بالعربية ، فقال

[1] - السيد(عبد العزيز سالم)،المرجع السابق،ص297

؛ عوض الله(أحمد بوالفضل)،مكة في عصر ماقبل الإسلام،ط2،دارالملك عبدالعزيز،1980،ص182

Sourdel (Dominique),op,cit,p48 ;

[2] - عاقل(نبيه) ،المرجع السابق ،ص201.

[3] - الحموي (ياقوت) ، المصدر السابق،ج4، مادة نقيره، ص400 .

الشعر وذهب إلى بلاد فارس وولي ديوان المراسلة وكان من تراجمة كسرى ابرويز وتولّى هذا المنصب ابنه زيد من بعده[1].

وذُكرفي قصّةالشاعران الملتمس وطرفةمع ملك الحيرةعمروبن هند،عندما أرسل هذاالأخيرإلى عامله بالبحرين بقتلهماجزاءهجاءطرفةعمروابن هند.

وكان المتلمّس صديقًا وفيًا لطرفةفأشاربعضهم إلى قتل الاثنين معًا فلمّا وفداعليه حباهماهديةً من عنده وحمّلهمازاعمًا انه كتب لهما حباءً ا فأقبلاحتى نزلا الحيرة وارتاب المتلمس[2]بأمرالصحيفة واستقبال عمرولهما،ففكّ ختمها،وعرضهاعلى غلام من أهل الحيرة فقرأهافإذا فيهاأمرٌبقتلهما،فاخذالصحيفةفقذفهافي البحيرةوقال:

وألقيتها بالثني من جنب كافرٍ كذلك ألقي كل رأي مضلّل

ثم أشار على طرفة بفكّ خاتم صحيفته ايضًا ليقرأهاالغلام له فأبى فذهب إلى صاحب البحرين فوجد هناك نهاية وقتل[3]،وممّا يستدلّ من هذه القصّة المبلغ الذي وصلته الحيرة في ميدان التعلّم والتعليم،ويستدلّ منها أن غلمان الحيرةكانواعلى درايةبالقراءة والكتابة،ولاسيماالعباديين منهم،كماذُكرت قبيلةإيادفيمن ذُكرمن القبائل بمعرفة القراءة والكتابة،واشتهرمن هذه القبيلة ذكرلقيط بن يعمرالايادي وكان يعمل في ديوان كسرى بعث إلى قومه صحيفةً يحذّرهم فيها من غزو كسرى – وكان يكتب بالفارسية و العربية – يقول في مطلعها :

سلامٌ في الصحيفة من لقيطٍ إلى من بالجزيرة من إياد

بان الليث كسرى قد أتاكم فلا يشغلكم سوق النقاد

وفي خبرفتح عين التمرأن خالدًا رضي الله عنه،لما فتحهاوجد في بيعة من بيعاتهم وهي الكنائس،أربعين غلامًا يتعلّمون الإنجيل،عليهم بابٌ مغلقٌ فكسره عنهم وقال:ما انتم ؟. قالوا رَهن في أهل البلاء[4].

وفي سياق متّصلٍ عن الفتوحات التي قام بهاخالدبن الوليد رضي الله عنه،انه لما نزل الانباروجدأهلهايكتبون بالعربيةويتعلّمونها فسألهم:ماأنتم؟،فقالوا:قوم من العرب،نزلناإلى قوم من العرب

[1] - البستاني(بطرس)،العصر الجاهلي،المجلد1،مؤسسة الحضارة العربية،دارصادر،ص215

؛ سوسة (أحمد)،حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور،وزارة الإعلام العراقية،بغداد،1979،ص56.

[2] - جواد (علي) ، المرجع السابق ،ص 243.

[3] - نفسه،ص244 .

[4] - الطبري(محمدبن جرير)،المصدر السابق ،ج2 ،ص 512.

قبلنا.فكانت أوائلهم نزلوهاأيام بختنصرحين غزى العرب،فقال:ممّن الكتّاب؟ فقالوا:تعلّمنا الخطّ من إيادوانشدوه قول الشاعر[1] :

قومي إياد لو أنهم أمم ولو اقاموا فتهزل النعم

قوم لهم باحة العراق إذا ساروا جميعاً والخطّ والقلم

ومايدلّنا على ازدهارالقراءة والكتابة في الحيرة،الكمُّ غيراليسيرمن الشعراء الذين كانوايعيشون فيها،وبخاصّةٍ أولئك الذين احتكوابلاط ملوكها.وكانواعلى علم بالقراءة والكتابة كما كان لهم اطلاع على الثقافات واللّغات الأجنبية[2].

وقدظهرذلك واضحاً في أشعارهم ومنهم لبيد بن ربيعةالذي يشبه الأطلال وما بقي من رسمها بعد أن عريت. مثل ما بقي من الكتابة والأحجار، فيقول :

فمدافع الرّيان عُري رسمها خلقاً كما ضمن الوحى سلامها

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبرٌ تجدُّ متونهاأقلامها

ولعلّ هذا الوصف لا يصدر إلا عن شاعرٍ له علمٌ بالكتابة أو يدوّن شعره ويحفظه عنده وصارت مدوناته مثل هذه الأطلال . ومن هؤلاء الشعراء أيضاًالربيع بن زيد العبسي،الذي نادم النعمان بن المنذر بن امرؤ القيس،وعاش في بلاطه .

ومن ابرزهؤلاء وفيهم من علا شأنه من شعراءالحيرة:عدي بن زيد العبادي،وأمية بن الصلت،والأعشى ميمون بن قيس،والنابغة الذيباني .

3- العمران في الحيرة :

شهدت الحيرة في عهدالمناذرةاللخميين ما لم تشهده حاضرةٌعربيةٌفي شمال الجزيرة العربيةمن قبل،وحازت من عوامل المجد باحتكاكها بحضارتي الفرس والبيزنطيين،ماأهّلها إلى أن تصبح مركزًا علميًا بيّنت الدلائل التي أشرنا إليهاسابقًا، صفة الرّيادة والتفرُّد،على أن احتكاكها بالحضارة الفارسية كان أكبر من غريمتهاالرومانية،بحكم التنافس السياسي بين هذين الإمبراطوريتين وانعكاسات

[1] -بلاّ(شارل)،تاريخ اللغة والآداب العربية،تر،رفيق بن وناس وصالح حيزم والطيب الشاش،ط1،دار الغرب الاسلامي، بيروت،2000،ص95.

[2] - B.Lewis,v,l.Ménage,Ch.Pellat et J.Schacht, The Encyclopadia of Islam,3 rdpr ,v3, B.J.Brill,Leiden,Luzac&Co,London ,p479; Bergé(Mark),LesArabes,ed,Lidis,Paris,1983,p37.
؛ العظمة(نذير)،عدي بن زيد ،دار المكتبة العصرية ودار مجلة الشعر،بيروت1960،ص24 .

هذا التنافس على العلاقة بين المناذرة في الحيرةوالغساسنةفي الشام. ولعلّه من نافلة القول أن دولة المناذرة قدأبدت من السيطرة وبسط نفوذها على معظم القبائل العربية في المنطقة الشّمالية بل وصولاً إلى الحجازونجد اليمامةوالبحرين مايؤهّلها إلى السّبق الحضاري ليس في الجانب العسكري و السياسي فحسب،بل في المجال العلمي خاصّة،حيث أظهرالمناذرة من التفوّق والرّقي فيه،ما جعل أغلب الروايات المتواترة من طرف الإخباريين تؤكّد هذا التفوق،وهو مادرجنا على تبيّنه في معظم المجالات التي تناولناها بالدراسة . وإذا كان الازدهار العلمي لا يقتصر فقط على الجانب الثقافي منه وحسب،بل تعدّاه إلى مجالات الفن والعمران أيضا،على أن الجانب المعماري يمتُّ بصلةٍ وثيقةٍ في جانبه التِّقني ويعطي الطابع المميّز لثقافة وفن حضارةٍ معيّنة.

وهي علاقةٌ طبيعيةٌسببها انتشارالعلم والثقافة،وشيوع التَّفتح على ثقافات وعلوم وفنون الشعوب الأخرى،وهوماحدابعرب الحيرةإلى تجسيده فعلاً من خلال ما تمّ انجازه في مختلف المجالات،خاصّة في مجال العمران وفي اعتقادناأن انتشارالعلم والثقافة وتطعيم ذلك بخبراتٍ وتجاربٍ وانجازات أمم أخرى من خلال الاقتباس من منجزات،يعتبر باعثاًورافداً الى تطوّرتلك الأمة تطوراًحضارياًشاملاً .

ويكاد يشبه ذلك النسغ في النبتة النامية.تتفرّع أغصانها بغنى ذلك النسغ حيث كان عرب الحيرةآنذاك في رخاءٍيحسدهم عليه غيرهم من العرب،لخصب أرضهم وغنى اقليمهم[1]،كماكان لاتصالهم بالفرس وبما جُبلواعليه من تفتّح العربيّة وصفاء الذّهن والقُدرةعلى الإبداع،ساعدتهم على أكتساب تلك العوامل النفسية بيئتهم العربية،وهوماجعلهم ينهلون من مدينة الحضارة الفارسية الساسانية مع بقائهم محافظين متأصّلين لم يندمجوا اندماجاً في تلك الحضارة،بل اقتبسوا منها وطبعوها بطابع عربي خاصٍّ بهم،ولم يكن ذلك وليد فترة زمنيةٍ قصيرةٍ،انماتمّ ذلك بالتدريج والتطّور،ولم يكن ذلك ليكون لولاالاحتكاك بحضارة الفرس خاصّة وبصفة أقلّ بحضارة البيزنطيين.

ذلك أن نظرةً تدلّنا على أن بيوت العرب تختلف في شكلها وفي طريقة صنعها باختلاف موقعهم من الحضارة والبداوة،وأبنية الأعراب الذين يقطنون البوادي في منأى عن المناطق الحضارية هي البيوت التي تقوم على هيئات متعدّدة فقد تكون قبةً من أديم أو مظلّة من شعرٍأوخباءٌ من الصُّوف أومن وَبرٍأو غير

[1] – غنيمة (يوسف رزق الله) ،المرجع السابق،ص 17
؛أمين(أحمد)، المرجع السابق ، ص28.

ذلك وهي بذلك ليست مباني ثابتةيُعتمدعليها في الاستقرارولا تتماشى و حياةالتِّرحال والتُّنقل التي يعيشها العربي الذي يعيش في البوادي .

أماعرب الحواضر فإن مبانيهم ثابتةً تُبنى من الحَجروالطِّين وغيرها. وأغلبها مأخوذٌمن طريقة بناءالعجم،وبذلك فقدأوجدعرب الحيرةفي بدايةاستيطانهم وتمصيرهم الحيرة. ذلك النوع من الأبنية التي تظهربوضوح تأثّرهم بالعجم من الفرس. ويسوق لنا بعض المؤرخين أن سبب ذلك و مبعثه كان في البداية نفسياً حيث أن العرب اختارواالشِّعر لتخليد مآثرهم في الجاهلية ثم أنهم تأثّروابالعجم فخلّدوا مآثرهم بالبنيان.وفيه يقول الجاحظ[1]:"...كانت العرب في جاهليتها تختار في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون،والكلام المقفّى،وكان ذلك هو ديوانها ...وذهبت العجم على أن تقيّد تأثّرها بالبنيان،ثم أن العرب أحبّت أن تشارك العجم في البناء،و تنفرد بالشّعر، فبنواغمدان وكعبة نجران،وقصرمارد..." ومن الثابت تأثّرعرب الحيرة بالطراز الفني المعماري الفارسي،إلا أن ذلك لا يجعلنا نذهب بذلك مذهب التقليدانما كان ذلك اقتباساً. و لعلّ من النتائج المهمّة التي خرج بها علماء آثار استعملوا المقارنة بين الطراز الذي بُنيت به بعض القصور الباقية أطلالها في شمال الجزيرة. أنه في النهاية قد توصّل عرب الحيرةو ليس غيرهم. إلى وضع الميزات الأساسية لما أسماه بعض المستشرقين الفن العربي[2]،الذي يُقصدمن خلاله الفن المعماري لعرب الجاهلية ولنكون أدقّ تفصيلاً، نقول الطرازالمعماري الحيري .

والذي أخذعنه الطرازالمعماري الإسلامي بصورةٍ جليةٍ .ويذكرالمسعودي أن المتوكّل العبّاسي اتبع في بناء بعض قصوره نظام البناء المعروف بالحيري إلا أنه من سوء حظ هذا الطراز المعماري المتميّز حتى و أن ظلّ محافظاً على إسمه الى غاية الدولة العبّاسية بعدالإسلام،إلاأن ذكره كطرازٍمستقلٍ ظلّ يمثّل الطِراز العربي الجاهلي من طرف الدّارسين ظلّ مُلحقاً،ويُنظر إليه كنوعٍ من الطِّراز الإسلامي كتابعٍ له،مع أن الأصل هو وجود هذا الطرازقبل ظهورالإسلام وتشابه ذِكره لدى الإخباريين والمؤرّخين بذكر الخطِّ الحيري الذي عانى الإهمال .

أرجع بعضهم ذلك إلى إعتماد قريش لغة حمير– كما ذكرنا آنفًا– ويتمثّل الطراز الحيري في مايعرف اصطلاحًا بالجاري ذي الكمين،وهومكّون من رواقٍ وجناحان كالكّمين يكوّنان طرفي الرواق .

---

[1] –الجاحظ(ابوعثمان عمروبن بحر)،المصدر السابق، الحيوان،ص75.

[2] – المسعودي(ابوالحسن علي)،المصدرالسابق،ج2،ص53

؛الرفاعي(أنور)،الإسلام في ونظمه ،ط4، دارالفكر المعاصر ،دمشق،2002،ص18

وهوالطرارالذي ظلّ مميزاًللقصورالتي بُنيت بلاشك بالحيرةوالتي لم تُبقِ صروف الدهرمنهاأثراً.فلمّاعظمت الكوفةسنة17هـ في عهدالخليفةعمربن الخطاب رضي الله عنه،أخذت الحيرة في الانحطاط شيئًا فشيئًا،مع ذلك فقدقاومت الدّهر إلى أيام المعتضدالعبّاسي المتوفّى سنة289هـ،فاستولى عليها الخراب وصارت قريةً صغيرةً . فلمازالت الدولة العباسية من العراق سنة656هـ خربت تمامًا ولم يبق فيها إلا الأطلال[1].

وابتنى ملوك الحيرةالدِّيارثم لما صارت ودانت لهم العرب بنو القصورالتي اشتهرت بهاالحيرة دون غيرها حتى ضُربت بها الأمثال من العظمة السؤددمثل:قصري الخَوْرنق والسَّديراللّذان أطنب الشعراء في وصف جمالهما والأبهةوالترف.واشتهرابالاحتفال الذي كان يقام بهما من طرف ملوك المناذرة،كما اشتهرت الحيرة أيضا بأديرتها الكثيرة مع انتشارالمسيحية بين أهلها .

3- أ- القصور :

إشتهرت الحيرة بالمنجزات العمرانية كحاضرة عربية تميّزت عن سكنى البدو كما اختلف عمرانهاعن عمران حواضرالفرس المتصّلة بهاواكتسى طرازها المعماريّ أهميّة جعلته محطّ اهتمام العرب المسلمين إلى عهد الدولة العباسية ، ولاشكّ أن الحيرة اشتهرت أكثر ما اشتهرت في عمرانها بالقصور الكثيرة . لكنّ قصران غطيا بشهرتهما و سدّا الآفاق ذكرهما،وعلى شأنهما على بقية المباني و العُمران . وهما: قصرا الخَوَرْنق والسَّدير.

3- أ - 1 - قصر الخَوَرْنقِ :

وهومن الإنجازات الحضارية التي ارتبطت شهرته باسم الحيرة دومًا.والخَوَرْنَقُ بفتح أوله وثانيه وراءٍساكنة ونون مفتوحةوآخره قاف.ويشيرأغلب المؤرّخين في تعليل تسمّيةالخورنق على أنهاكلمةمعرّبةعن الفارسية،وأنماهوفي الأصل الخُوْرَنْقاه ويعني موضع الأكل والشرب بالفارسية فعرّبته العرب فقالت:الخَوَرنق ردّته الى وزن:السَّفَرْجَل[2].

وينسب بناؤه إلى النعمان بن امرئ القيس الملقّب بالنعمان الأعوروالسائح والأول(403-431م) وقدتولىّ بناؤه،حسب ما تؤكّده أغلب الروايات بناه روماني يُدعى سِنمَار.واقترن إسم سنماربالمثل السائرفي التراث العربي عن جزاءالحسنى بالسُّوء وهوالمثال القائل جَزاءسِنمار.

[1] - المسعودي(ابوالحسن علي) ، نفسه،ص141.

[2] - المسعودي(ابوالحسن علي)،المصدر السابق،ج2،ص141.

يذكرياقوت الحموي،أن سنماركان يبني السنتين والثلاث ويغيب الخمس سنين وأكثرمن ذلك وأقل فيُطلب فلا يوجد ثم يأتي فيحتج.فلم يزل يفعل هذاستين سنةحتى فرغ من بنائه فصعدالنعمان على رأسه ونظرالى البحرتجاهه والبرخلفه فرأى الحوت،قال:وكان هذاالقصر قائما بظاهرالحيرةعلى مسافة تبعدبنحوميل،مما يلي الشرق كما رأى النعمان الضبّ والضّبي والنخل فقال:مارأيت مثل هذاالبناء قط،فقال له سنمار:إني أعلم بوضع أجره لو زالت لسقط القصركله فقال النعمان:أيعرفه أحدغيرك قال:لا،قال:لاجرم لأدعنّها ومايعرفها أحد ثم أمربه فقُذف من أعلى القصر الى أسفله فتقطّع فضربت العرب به المثل[1].

فقال الشاعر[2] :

جزاني جزاه الله شرّ جزائـه جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

فقال إقذفوا بالعُلج من فوق رأسه فهذا لعمر الله من أعجب الخطب

وفي رواية الطبري أنه دام عشرين سنة في بنائه. أما عن سبب بنائه، فترجع روايات المؤرخين المتواترة أن سابورذي الأكتاف كان لايبقَ له ولد فولد له بهرام،فسأل عن منزلٍ برئيٍ مرئي صحيحٍ من الأدواء و الأسقام فدُلّ على ظاهر الحيرة،فدفع ابنه بهرام جورالى النعمان الأول وأمره ببناء مسكنٍ له،فكان قصر الخورنق مسكناً له . وانزله اياه،كما أمره بإخراجه الى بوادي العرب ، كما ذكر بعض المؤرخين أن سبب قتل سنمارأنه عندما أتمّ بناءالخورنق ورأى تعجّب آل النعمان من حُسنه وبنائه،قال: لوعلمت أنكم توفونني أجري وتصنعون بي ما أنا أهله،بنيته بناءاً يدورمع الشمس حيث دارت فقال النعمان: وإنك لتقدرعلى أن تبني ما هو أفضل ثم لم تبنه فأمر به و طُرح من الخورنق .

وقدأكثرالشعراء في وصف ذلك الجزاء و تلك القصّة حتى أصبحت مضرب المثل كمانسب إلى النعمان أنه جلس في مجلسه من الخورنق فأشرف عليه من النجف ومايليه من البساتين والنخل والجنان والأنهارمايلي المغرب وعلى الفرات مما يلي الشرق. وهوعلى متن النجف في يوم من أيام الربيع فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والأنهار،فقال: لوزيره وصاحبه،هل رأيت مثل هذا المنظر قط ؟ فقال:لالوكان يدوم .فقال: فما الذي يدوم ؟.فقال : ما عند الله في الآخرة . فقال: فيما يُنال ذلك

[1] – الحموي(ياقوت) ،المصدر السابق،ج2 ،ص 257

؛ Huart. L,op,cit. p 65

[2] – الشمس(ماجد عبد الله)،حفريات مقبرة الحيرة،مجلة سومر،ج1وج2، ج45،السنة1987-1988،دائرة الأثاروالتراث،وزارة الثقافةوالاعلام، الجمهورية العراقية،ص45.

؟.قال: بتركك الدنيا وعبادة الله ،والتماس ما عنده فترك ملكه من ليلته ولبس المسوح وخرج مستخفيًا هاربًا لايعلم به أحدوكان سبب في هجر النعمان لملكه وبذلك سمي بالسائح[1].

أماعن نوع الطرازالذي بني به قصرالخورنق،فلم يخرج عن نطاق الطرازالجاري بكُمّين الذي غلب واتسم به الطرازالحيرى،وكان يتكوّن من ثلاث قباب،وأيوانٍ ينتهي إلى رواق وعلى جانبيه غرفتان كمثل الجناحان،والدّليل على روعة القصر وحسن بنائه ،أننا نجد المسلمين الذين استولوا على الحيرةوأثناء الفتح الإسلامي للعراق،هالهم قصرالخورنق بما كان فيه من بهاء فسيحة واتخذه الخلفاء بعد ذلك موضعا ينزلون فيه أثناء خروجهم للصيد.وتعرّض هذاالقصرلإضافاتٍ مختلفةٍ في العصرالأموي وأقطع القصرفي العصرالعباسي لإبراهيم ابن سلمة الداعي فأحدث فيه قبة جديدة.وذلك في خلافةأبي العباس[2].

وتهدّم قصرالخورنق في القرن الثامن الهجري ،فيما شاهده ابن بطوطةأثناء رحلته من مشهد علي إلى البصرة،فقال عنه:"..فنزلنا الخورنق موضع سكني النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بني ماء السماء وبه عمارة بقايا وقباب ضخمة في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات[3]...".

3- أ -2 - قصرالسَّدير:

اقتران قصرالسَّديربذكرقصرالخَوْرنق فلايذكرأحدهما إلاملازمًا للآخر،والسَّديركلمة معرّبة من الفارسية أصلها:سه دل،وتعني ثلاث قباب متداخلة،وقيل أصلها:السدلي،ومعناهاله ثلاثةأبواب،وقيل سمي السديربكثرة سواده وشجره،وقيل إنماسمي السديرلأن العرب حين أقبلواونظروإلى سواد النخل سدرت فيه أعينهم بسواد النخل فقالوا:ماهذاإلاسديرًا.

وأغلب الذي ذهب إليه المؤرخون في تفسيراسم السد ير،هوالأول ويعني القباب الثلاث،أسوةبالطرازالحيري المتمثل في الجاري بكُمين[4].يقع قصرالسديرمابين نهر الحيرةإلى النجف في وسط البريّة،وكان يقابل الخورنق الذي لا يبعد إلا ثلاثة أميالٍ من الحيرة[5].

---

[1] - الطبري (محمدبن جرير) ، المصدر السابق ،ص241 .

[2] - السيد (عبد العزيز سالم) ،دراسات في تاريخ العرب،ج2،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية ، ص303.

[3] - ابن بطوطة ، الرحلة ، مطبعة بيروت ، 1900 ، ص 182.

[4] - الحموي(ياقوت)،المصدرالسابق،ج3،ص 31؛علي(محمود)،المرجع السابق،ص30

؛ Haurt.L ,op,cit,p22

[5] - جواد (علي) ، المرجع السابق ، ص 301.

ويظهرمن الروايات المتواترة،وعن طريق الأشعارأن قصرالسديركان أقدم عهدًامن الخورنق،وأن ملوك آل لخم كانوا يقيمون فيه،ويُنسب بناؤه إلى النعمان السائح،(403-431 م)،ويذكربعض المؤرخين أن بناؤه تمّ ليتخذه النعمان الأكبرلبعض ملوك العجم[1]،ويقصد بذلك الفرس.ولايختلف قصرالسديرفي طرازه المعماري عن الطرازالحيري المعروف بالجاري ذي الكُمين،وهوعلى نفس هيئة قصرالخورنق،إلاأنه يمكننا تميزًا من إسمه المنسوب الى الكلمة الفارسية:سهدل إختصاصه بوجود ثلاثة أبواب،فضلاً عن قبابه الثلاثة،وأشتهر الطراز الحيري عمومًا بطريقة الفن الساساني في تزييّن جدران القصوروالبيوت ونقشها الثلاثة وينسب الى ملوك الحيرة من بني نصرأنهم أحدثوا عمرانًاخاصًّابهم وجعلوا الحيرة على صورة الحرب وهيئتهاوذلك من شغفهم بالحرب وأعمال القتال فجعلوا البنيان في القصوردليلاًعلى ذلك الشغف والحب،لئلا يغيب عنهم ذكرها في سائر أحوالهم فكان الرّواق هو مجلس الملك وهوالصّدروالكُمّان وهما الميمنة و الميسرة و بهما من يقرب الملك من خواصّه،وفي اليمين منهاخزانة الكسوة،وفي الشمال ما أحتيج إليه من الشراب،ورواق قدعمّ فضاؤه الصدروالكُمّين والأبواب الثلاثة على الرواق فسُمي منذ ذلك الوقت هذا البناء بالحيري،إضافة إلى الحيرةلأنها امتازت به ويضيف المستشرق غوستاف لوبون قصورالحيرة،فيقول:"...وكانت قصورالحيرة مؤثّثةبأثمن الأثاث وكانت حدائقها مكسوة بأعزّالأزهار،وكانت قواربهاالأنيقةالساطعةالأنوارتشق الفرات ليلاًحاملة الأمراء وأمهرالموسيقيين أطلق العرب لأنفسهم عنان الخيال فقصوا علينا أنباء القصورالساحرة العجيبة التي أضحت،لاريب أجمل مساكن الشرق وأطيبها[2].."

وهوبذلك يقصدأن إستقاءه تلك الأنباء من ثنايا قصائدالشعراءالذين أبدعواورققوافي وصف تلك القصوروخاصةمنهاالخورنق والسدير،من ذلك قول عدي بن زيد:

وتبين ربُّ الخورنق إذ أشرف يوماً وللهدى تفكير

ويقول عبدالمسيح عن عمرو بن بقيلةعند دخول خالد بن الوليدرضي الله عنه الحيرة :

أبعدالمنذرين أرى سواماً تروح الخورنق والسد ير

ويقول أحدشعراءالكوفة وهوعلي بن محمدالكوفي المعروف بالحماني:

سُقياً لمنزلة وطيب بين الخورنق و الكثيب

[1] - الحموي (ياقوت) ،نفسه .

[2] - لوبون (غوستاف) ،المرجع السابق،ص 93.

بمدافع الجرعات من أكناف قصرأبي الخصيب

يقول أيضًا: فأرعوى قلبه وقال فما غبـ ـطة حيٍ إلى الممات يصير.

أما الاسود بن جعفر النهشلي فيقول :

ماذا أومّل بعد آل محرّق تركوا منازلهم و بعد أياد

أهل الخورنق و السّدير و بارق و القصرذي الشرفات من سنداد[1]

ومن قصورالحيرة المشهورالذي كثر ذكره في أشعار الشعراءالجاهليةالعرب قصرسنداد.

3- أ -3- قصر سِندَاد :

وكان يقع بين الأُبلة والحيرة وفي سبب تسميته ماأورده ياقوت الحموي عن حمزة الأصفهاني في قوله:"...وكان قد تملك في القديم من الفرس على مواضع متفرقة من أرض العرب ستة عشرمرزبانًا،وهم:سخت،تملك على أرض كندة وحضر موت وما صاحبهما دهرًا،ولا ادري في أي زمان وأي ملك كان تملّك سنداد على عمل سخت،وطال مكثه في الريف حتى بنا فيه أبنية وهو صاحب القصرذي شرفات من سنداد وفيه يقول الأسود بن جعفر النهشلي:

أهل الخورنق والسدير وبارق و القصر ذو الشُرفات من سنداد[2] .

وهوبذلك يجعل سنداد مكان أطلق نسبة إلى أحد المرازبة الفرس،وفي رواية أخرى،أن سنداد منزل من منازل إياد،وقيل كان نهرسنداد فيما بين الحيرة والأبلة وكان عليه قصرتحجّ العرب إليه،ولاشك أنه مختلف عن قصري الحيرة الشهيرين يدل على أن بنائه كان في زمن وجوددولة المناذرةوملوكها،فهومن الناحية المعماريةحيري واشتهرهذاالقصربكثرة شرفاته.

3-أ-4-قصرأبوالخصيب:

من قصورالحيرة المشهورة،وهوبظاهرالكوفةقريب من السديروكان بين السديرودياراتالأساقف.وكان على يمين نهريسمى:الغدير،وهويقابل السديرفي الطرف الأخر للنهر،وهوينسب إلى أبوالخصيب بن ورقاء،وهوقول المنصورأبوجعفرالخليفة العباسي،فيما ذكره ياقوت[3]،على ما في ذلك من الإبهام فقد اقترن ذكر هذا القصر بذكرالسديروالخورنق وفي اعتقادناإنما نسب لأحد أثرياء الحيرة.وفيه

[1] - الحموي(ياقوت) ،المرجع السابق،ج2،ص258 .

[2] - أبو الخير(محمود)، المرجع السابق ، ص 127.

[3] - الحموي (ياقوت)، ج4 ،ص55.

يقول علي بن محمد بن جعفرالحماني ويوضح البلاذري أن القصر الذي بني في العصرالعباسي كان على أنقاض قصرأبي الخصيب[1]:

كم وقفة بالخور نق ماتوازي بالمواقف

بين الغدير والسدير إلى ديارات الأساقف

3- أ- 5- قصرالعَدْسِيين :

هوقصركان بظاهرالكوفة جنوبي الحيرة وكان لبني عماربن عبد المسيح بن كلب بن وبرة،فهومن بني كلب وانمانُسبوإلى عدسةأمهم وهي بنت مالك بن عامربن عوف الكلبي،وكان قصرالعدسيين أول قصورالحيرةالتي وقعت في أيدي المسلمين.

3- أ- 6- قصر بن بَقيلة :

يُنسب بنائه إلى عبد المسيح بن بقيلة،أحدأثرياء الحيرة ،وكان في الوفد الذي فاوض خالد بن الوليدرضي الله عنه،في طلب الأمان لأهل الحيرة،وكان من العبّاديين المسيحيين.

3- أ- 6- قصرالزّوراء : من قصورالحيرةالمشهورة،يذكرالمؤرخون أن المنذر الثالث بن إمرئ القيس الثالث(514 – 563م)،هوالذي بناه وسمّاه بهذا الإسم.

وفيه يقول النابغة الذبياني[2] :

وتسقى إذا ماشئت غير مصرّد بزوراء في أكنافها المسك كارع

ومن القصورالتي كشف بعض بقاياها المادية،ماتوصل إليه علماء الآثاروالمنقّبون من أثارهاعلى تخوم الشام واطراف الجزيرة الغربية،وأشارإليه عدد من المستشرقين ومنها :

3- أ- 7- قصرالمشْتى:يذكررينيه ديسو،أن بروسيا قدحصلت من الحكومة العثمانيةعلى منحة نادرة،هي أن تنقل جزءاًمن واجهةقصرالمشتى حجرًاحجرًا لتقيمه في المتحف الجديد لقيصرفريدرك ببرلين،وقدأصبح موضع إعجاب الزائرين منذشهرأكتوبرمنذ عام1904م،لذافقد أتيحت للمستشرقين الألمان فرصةٌ كبيرةٌ لدراسة هندسة قصرالمشتى،واكتشاف الطرازالمعماري الخاص به وإمكان نسبته نسبةً صحيحة.

[1] - السيد(عبد العزيز سالم)،تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،2002،ص305.

[2] - الحموي (ياقوت)، نفسه.

إذكـــان الاعتقادإلحـــاق هذاالقصـــربالعثمانيين،أوالروم إلاأن الدراســـة بينّـــت غيرهـــذا،وجاءت بالجديد،فالسورالخارجي لقصرالمشتى يضاهي الحصون الرومانية المقامة في الشام،وبداخله كان ينطوي مثلها على الفناء يمتاز بخصائص هامة. ففي أبعد موضعٍ من الفناء،تقوم غرفة كبرى ذات ثلاث مقصوراتٍ تنتهي ببناء على شكل عقد مثلّث الأركان تغطيه قبّة،ويوجد هذا الشكل المثلّث في أقصر غرفة مستطيلةٍ واسعةٍ ،ربما كانت مقصورات ثلاث.ويفترض شترزيجوفسكي أن قصرالمشتى،امتداد للتقليد القديم ويرجع في أسلوبه المعماري إلى قصربيت المقدس،وسورالمشتى مبني بالأحجار،وطابع البناء فيه هوبالضبط الطابع الذي أقيمت عليه الحصون الرومانية في ذلك الإقليم.

فالوجهة قد زينت في الموضعين مجموعة من النقوش يذكرنا تصميمها بمجرد النظرإليهابالأجزاء المنقوشة في قصور معروفة تنتمي إلى الطراز الحيري.بحيث يكون النقش منصبًا إلى الباب العام للدخول،غيرأن قصرالمشتى قدعُمد في بنائه إلى نوع من الترف لم يكن معروفًا من قبل،حسب رينيه ديسو[1].أمافي الداخل فإن أسفل الجدران ورؤوس العواميدوالركائزقد بُنيت جميعها بالحجارة وبُنيت الأجزاء الأخرى من الجدران والقِباب بالآجر،واستعمال الآجر في بناءالمشتى لم يكن متوقّعاً ويخالف طرق البناء في الأقطار السورية الحضرية المجاورة .

واستعماله في البناء نجد في الجهات الشمالية ولكننا نجده أيضا في بادية الشّام وبالضبط في أندرين*،وفي قصرابن وردان،ويذهب شتر يزيجو فسكي إلى أن المشرفين على بناءأندرين وقصربنوردان هم الذين كانوا قد استدعوا عمالهم من قصرانطاكية،بينما يكون المشرفون على قصرالمشتى قد عملوا بعد ذلك في أعالي ما بين النهرين بالعراق،وهذا لأن حجم الآجر الذي يختلف من جهة لأخرى يؤخذ كدليلٍ على هذاالإستنتاج،لكن طريقة بناءالمشتى تتمثل في أن الجدران كانت تقام بواسطة وجهتين من الأحجار كان بعضها يمتد من وجهة الأخرى لتكون بمثابة رباط للمباني،أماالفراغ الذي يوجدبين الوجهتين فكان يملأبالحجارة والبلاط.

ويمكنناأن نتساءل عماإذا كان استعمال الآجر في التخوم الصحراوية للشام ليس تقليديا جرى عليه سكان البادية بل هو تقليد أقدره دون ريب عن سكان الجزيرة ومابين النهرين الذين كانوا يستعملون تلك الطريقة في البناء .

---

[1] - ديسو(رينيه)، العرب قبل الإسلام،تر،عبد الحميد الدواخلي،محمد مصطفى زيادة ،لجنة التأليف والنشر بوزارة التربيةوالتعليم،دمشق،1959، ص42 .

* أندرين : بالفتح ثم السكون ،إسم قرية في جنوب حلب ،وفيها بناء يرجع تاريخه الى سنة 558 ،الحموي(ياقوت)،المرجع السابق،ج1،ص208.

ومن المفيدأن نلاحظ أن كلمة:آجركانت كثيرةالشيوع عند شعراء العرب الجاهلين غيرأنها كلمة فارسية أو على الأصح جزيرية،وهذه الروابط الفارسية من حيث البناء بالآجر قد أخذ بها منذ البداية في قصرالمشتى،على أنها تقوى وتؤيد في العقد بالقباب وهذا الطابع ليس رومانيا ولا إغريقيا بل هو طابع شرقي يرجع إلى عهد قديم،وقد دخل فن العمارة البيزنطي منطقة الجزيرة من العراق غيران الفن العربي هوالذي اصطفاه بوجهة خاصة.

وإذاانتقلنــاإلى زخــرف الوجهــة الــذي نقــل إلى برلين،فإننانجدأيضًــاأن الزخرفةالفارســية تقــدم لناالعناصرالأساسيةللمقارنة،فهناك مجموعـةمن المثلثـات المزخرفـة البـارزةنقش علـى أحجارهـازخرف لا نعجـب إذا رأيناه على بسـاط فارسي.كماكـانوا ينقشـون على الخشـب وأغصـان الكـرم ذات الفـروع الدقيقـة يتـدلى عـن إنـاء وقـد مـررت فيهـا مجموعـة كبـيرة مـن الحيوانـات بعضـها حيوانـات خرافية،وقـد استغل الفـن والتعـاريج والزخـارف في معظـم العمـران،ولكن الفـن الفارسـي هوالـذي يسـتعملها جـزءًا مكمّـلاً لواجهـات المبـاني .وقـد أوضـح ديولافواهـذه النقطة،واسـتنتج أن قصرالمشـتى يرجـع إلى أصـل ساساني[1].

والمقارنـات الدقيقـة المنعقـدة بـين النقـوش البـارزة والزخـارف المنقوشـة وحلي ذات أغصـان الكروم،تـدل علـى مهـارةٍ وعلـم مـدروس،لأننانعثرعلى نفـس النقـوش العديـدة وقـد أثقلـت بـالزخرف،وترى نفـس الزخرف النباتي وقدأحاط بحيوانات قد نُقشت بنفس الطريقة التي يستخدمها الحفارون الفارسيون.

ويتوصّل شترزيجوفسكي بعدمقارنة ومقاربة الحالة السياسية في تلك المنطقة إلى القول أن قصر المشتى بُني في القـرن الرابـع أو على الأكثـر القـرن الخـامس.وإذاخرجنـا عـن دائـرة الطرزوطريقـة البنـاء والناحيـة الفنية لهذاالقصر فإننا نجد دليلاً تاريخيًا يؤيّد أن قصرالمشتى لم يبن قبل هذا التاريخ.

وهوبـذلك ينفـي كـل صلةللغساسـنةبه،إذْ لم يظهرهـؤلاء كقـوةٍ سياسـيةٍ ذاتُ ملـك إلا في نهايـة القـرن الخـامس وبدايـة القـرن السـادس،هذاالبرهان هـو الطـابع الـوثني الـذي لا مِـراء فيه.إذْنجـدفي نفـس البهوالكبيروالذي يعرض فيه متحف القيصرفيرديريك ببرلين،تلك الوجهةالرائعة بقصرالمشتى،نرى أسدًا مقعيًـا وثلاثـة أجـزاء مـن تمثـال امـرأة عاريـة تمثّـل الرأس،الصـدر،الحوض،وقدوُجد الـرأس والصـدرفي البهــوالكبير ذي المقاصــيرالثلاثة ووُجــد الأســد وحــوض الجســم النســائي في الزخــرف المستديروالحجرالكلسي المنحوت فيه هذاالمثال يشبه تماماً الحجر المصنوع من الأسد الجاثي.

[1] – ديسو(رينيه)، المرجع السابق،ص 32.

والكلس مأخوذ من الحجرالذي أخذت فيه كتل الأحجارالتي بنيت بها وجهةالقصر،فكيف يفسرأن الغساسنةوهم المسيحيون المتعصّبون لدينهم،الذين أقاموا الأديرة ،قد أقاموا الأصنام في قصرهم[1] ؟ .

وتجلّت وثنية هذا القصربوضوحٍ في الوجهة نفسها،ذلك أن كليرمون جانوقد تعرّف في الزخرفة على أنواع من النصوص يعبّرعنه بالرسوم،ويقرأعلى الطريقة الشرقيّة من اليمين إلى اليسار،حيث يقول في وصفها:"...وشجرة الكروم قد رسمت أول الأمرتحمل ثمارها ثم تتطورتدريجيًا وفقاً لحالات النضج المختلفة لهذه الثمار حتى يحين أوان نضجها فتقبل عليها حيوانات العالم تأكل من عناقيدها.ويظهر لنا أن المقصود بالشجرة بين حيوانين متقابلين في عدة لوحات لم يكن مجرد باعث خرافي، و يمكن أن يكون أن الباعث على ذلك هو أن توصف"شجرة الحياة"، مادام هذا الموضوع مشتركًا بين الساميين والفرس[2]...".

وبصفةٍ عامةٍ فإننا نرى أن طرازهذا القصر، وطريقة بنائه يدلاّن على أنه يرجع إلى ما قبل القرن السادس ، وتدلّ زخرفته على أن مشيديه كانوا مُشركين،ولهذين السببين لا يمكن أن يكون الذي بناه غسّانياً،إنما هو أمير من أمراءالحيرة .

ونوع البناءالمتأثّر بالفن الساساني، كان نوعاً من البناء يمارسه العرب في الحيرة وهذابناءًاعلى السّلطةالتي اعترفت بهاالإمبراطوريةالبيزنطيةلبعض ملوك الحيرةالذين تمكّنوا من أن يمدّوا سلطانهم على بعض القبائل العربية المقيمة على مقربة من التخوم السُّورية،والخصائص التي ذكرناها في هذا المباني ليست إلا خصائص قد جلبها العرب إلى سوريافاقتبس منها هؤلاء ونحن نرى التآلف بين الفن الفارسي والصياغة السورية بلغ الصورة الكاملة للفن الإسلامي فيما بعد[3] .

ومصطلح"الفن العربي"الذي يحاول البعض تسميته بالفنون الإسلامية ليدخلوا فيه فنونًامتباعدةً في زمانها ومكانها،ليس خاليًاتمامًامن كل معنى كما كان يظن قبل ذلك،ويجب أن حفظ هذه التسمية له،للدلالة على الفن الذي كان يستعمله العرب في بادية الشام قبل الإسلام .

3- أ- 8 - قصرالأبيض :

[1] - نفسه .

[2] - نفسه،ص52.

[3] - عارف(عبدالغني)،تاريخ الحيرة،دار كنان ،دمشق،1993،ص39.

استمدّهذاالقصراسمه من البَياض،وهوالاسم الذي اشتهرت به الحيرة وذلك لبياض جدرانها[1].وتدلّ البقاياالمكتشفة،أن هذاالقصريُنسب إلى ملوك المناذرةاللخميين،وهومبنى مربّع الشكل وبه أبراجٌ ذات زواياوفي وسطه استحكامات،وجدارالسّورمكوّن من واجهتين مرصوصتين قدملئ بينهما بالأحجاروالملاط،وبه برجٌ عالٍ يتصل بجدارالسور،ولكن لا يبرزمنه في الخارج،وهذاالبناء يشرف على البناءكله والملاحظ في موقع هذا القصر،أنه بعيد عن عاصمة المملكة الحيرةعلى غرارقصرالمشتى،وهو يقع في خط الحصون الرومانية الصغيرةويتميزالقصرالأبيض بمدخلٍ واحدٍ،ومبانٍ داخلية بامتداد جدران السور وأبراج بارزة ذات زوايا في الوسط،وفي الجوانب .

وكان هذاالطّرازمماثل للطرازالحيري الذي تحدثناعنه في قصرالمشتى وإذا كانت المباني والحصون الموجودة على هذا الحظ ترجع في نظام بنائها الى نوعٍ واحدٍ فان القصرالأبيض يختلف في زخرفته عنها فباب الدخول محاطٌ بنوع من الزّينة كثير الانتشار في الشام وخاصّة في حوران،ويمثّل في أغصان الكرم تطل من أوانٍ،والجزء الأعلى من السّكفة،الباب فيه مزيّن بإفريزٍ من أوراق نبات شوك العقول والجزءالأسفل منهاقدزُين بمجموعةٍ من الدوائرالمتداخلة بعضها في بعضٍ وقدظهرفيهاعددٌكبيرٌمن الحيوانات:طيورمختلفةٌ،خيلٌ،أبقارٌوحشيةوسبعٌ،ثورٌ ذوسنام،وربماوُجدمن بينهاالفيول والأسماك أيضًا.وبين إفريزأوراق العقول والدوائرالمتداخلة يمتدّإلى غصن كرم ويتكرّرنفس النقش فوق الحوائط العمودية،كما توجد بهذا الأثر،أسكفةٌ لباب آخرمزّينة بالدوائرخيرزينةٍ بنفس الأسلوب ولكن لاتوجد بها حيوانات. أما وسط هذه الدوائر فتشغله زينة لولبية ثلاثية الفصوص،و تنتمي لهذه الأثر، قطعةٍ مزينةٍ من مقبرة ذات أعمدةٍ صغيرةٍ محدّبةٍ حلزونيةٍ وقد رسم في كل عقد حيوانٍ أو زخرفٍ من الأزهار[2] .(الملحق رقم 06،الملحق رقم 07).

وينحُ رينيه ديسو،إلى نسبةهذاالأثر بنسبة القصرإلى ملوك الحيرة بعدمرافعةٍ وتحقيقٍ و مقارنةٍ فالأثرالفارسي الزخرفي حسبه الذي يطبع هذاالقصرلا شكّ فيه إطلاقًا ،ويقارنها بذلك بزخرفة الأثرالمكتشف في عُمان،فيلادلفيا.التي تُنسب إلى الفن الساساني و ينفي علاقة القصر الأبيض بالغساسنة .

[1] – رينيه ديسو، المرجع السابق،ص 52.

[2] – الأمانة العامة،عن أديرة النصارى في العراق، مجلة المؤرخ العربي،العدد 6،اتحادالمؤرخين العرب،بغداد،1981،ص107.

حيث يقول"..وكان الاعتقادأنه يمكن تفسير خصائص القصر الأبيض بافتراض أن البناء يرجع لأمراء غسان الذين كلفوا من قبل الرومان بحكم العرب البدو الذين كانوا يختلفون إلى الشام،وبمقاومة نفوذ المملكة العربية في الحيرة. لقدعارضنا من قبل هذاالافتراض[1]..".يخلص رينيه ديسوإلى أن امتدادنفوذ ملوك المناذرةووصوله إلى الحدود المتاخمة للحدود السوريةالبيزنطية التي أصبحت فيما بعد580 م مناطق استيطان الملوك الغساسنة .

ويؤيّدنسب هذه الآثار الموجودة في هذا الموضع البعيد عن مركز الحكم وعاصمة مملكةالحيرة.النص المكتشف في النمارة والتي دلّت الأبحاث التاريخية على نسبه إلى أمريءالقيس بن عمرو،ملك جميع العرب،وقدفصّلناالقول فيه فيما سبق،ويستشهدالمؤرّخ بذكرالصراع الدائربين المناذرةوالغساسنة،والذي تواترت المصادرالتاريخيةبين العرب على تناوله وكانت تخوم الشام مسرحًاله،ما يؤيّد جانب القوة لدى أمراءالحيرة في السيطرة على هذه التخوم في غالب الأحيان،ويمكن ربط ذلك بما أقامه الفرس من معسكرحيرته،الذي حلّ محل قلعة حظرة، أي بناها العرب من أبناء الحيرة،وهومكان حصين في صحراءالجزيرة ما بين دجلة والفرات.

وقدتمكّن عرب الحظرةمن لعب دورالحاجزبين الرومان والفرس،ثم بين الروم و الفرس الساسانيين،وعرفوا كيف يحافظواعلى استقلالهم من أن يعتدي عليه أولئك أوهؤلاء.ويمكننا أن نسوق حجةً تدلّل على أن إنشاءالحيرة يرجع إلى ترك العرب موقع حظرة،لأن موقعها في الشمال جعل من العسيرعلى العرب الدفاع عنها لكونها بعيدة عن امتدادهم الطبيعي والمفتوح على الصحراء،ولعل انحصارهم إلى الشمال كثيرًاجعل هامش المناورة العسكري قليلاًوهو الذي يعتبرأساسيًا في وجود العرب ،ككيان شكّلته دولةالمناذرة[2] .

ومن قصورالحيرة أيضاً:قصرالعَذيب،والصُّنبر،وقصربني مازن،وفي مواضع بني مازن وقصرالطين،وقصرالفُرس،و قصرمُقاتل،وكذادارالمقطع.

وليس أدلُّ على رقيّ المدينة والحضارة في الحيرةذكرکل تلك القصور،التي وردت في ثنايامؤلفات المؤرخين العرب وماكشفت عنه حفريات واكتشافات علماء الآثار،وماستخلصه المؤرّخون المستشرقون من نتائج كشفت النّقاب على تلك المدنية والحضارة،وذلك الكمُّ من القصوريدلّناعلى

[1] - ديسو(رينيه)،المرجع السابق،ص53 .

[2] - رنيه ديسو، المرجع السابق ، ص 33.

تبلورالطرازالمعماري الحيري القائم بذاته والذي سبق وان أثبتناه آنفا،الذي أخذ يتطورباطرادٍ أدى إلى انشاء تلك القصورآخذًامن الاقتباس في مجال الزخرفة من الفن الفارسي الساساني شيئًاغير يسير،وظلّ الطرازالحيري مثلاً يُقتدى في البناء،كنموذجٍ عربيٍ خاصٍ حتى في العصورالإسلاميةالمتأخّرة،ولم يقتصرتطوّرالعمارة في الحيرةعلى القصورفحسب،بل شمل ذلك انشاءالأديرة والكنائس والتي اتّسمت بالطابع الخاص بالحيرة.(الملحق رقم 03).

4- الطب والبيطرة: من المعارف التي راجت في بلاد الحيرةالطب والبيطرة،وقد عرفوا بعضهما بالتجربة والممارسة،وبعضه الآخر عرف من الأمم المجاورة لهم كالفرس.وإذاذكرناالطب، فإنه ينبغي ألا يتبادر إلى الذهن،أن معرفتهم به كانت تستند إلى أصول علمية دقيقة، وإنما كانت هذه المعرفة لا تتجاوز عندهم الكي بالناروبترالأعضاء بالشفار المحماة،والتداوي بشراب العسل،وعصارات بعض العقارات النباتية،والعزائم والرقي التي اشتهر بها الكهان والعرافون[1].

ولقدتوافرهذا اللون من لأطباء في بلاد المناذرة، فقدكانوا يعالجون مرضاهم ويتوفرون على الرعاية الصحية لسكان الحيرة،وبخاصة أفرد الأسرة المالكة وكان للنعمان بن المنذر أطباؤه الذين يعالجونه بهذه الطريقة البدائية، فمثلا نجد الكيّ بالنار يستخدمه النعمان في معالجة مسافر بن عمرو بن أمية،الذي كان يحبّ هند بنت عتبة وتحبّه حبًا شديدًا،وقدخرج إلى الحيرة وأتى التعمان بن المنذر،ثم أقبل عليهما أبو سفيان بن حرب،وكان قد خرج إلى الحيرة في بعض ما يأتي إليه القادم فلقي مسافر،فسأله مسافرعن حال قريش والناس فيهافأخبره،وقال له فيما قال: تزوجت هند بنت عتبة. فدخله من ذلك ما اعتلّ منه حتى استسقى بطنه وقال:

ألا إن أصبحت منك محرمًا وأصبحت من أدنى حموتها حما

وأصبحت كالمقمور جفن سلاحه بقلب بالكفين قوسا وأسهما

فدعاالملك النعمان الأطباء فكووه فمازادإلا ثقلًا،فخرج يريد مكة،فلما انتهى إلى موضع يقال له:"هبالة" مات فدفن هناك[2].

وقد وصف أحمد أمين هذا اللون من التحضّرالبدائي عند العرب الجاهليين جملةً بقوله"...يمرض أحدهم ويتألّم من مرضه فيصفون له علاجًا، فيفهم نوعًامامن الارتباط بين الدواء والداء، ولكن لا

[1] - الحوفي (احمد)،المرجع السابق،الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص120.

[2] - الحوفي (احمد)،الغزل في العصر الجاهلي، ط3، ، دار نهضة مصر للطبع والنشر،1973 ،ص215 .

يفهمه فهم العقل الدقيق الذي يتفلسف، يفهم أن عادة القبيلة أن تتناول هذا الدواء عند هذا الداء، وهذا كل شيء في نظره. لهذا لا يرى عقله بأسًا من أن يعتقد أن دم الرئيس يشفي الكَلَب، أو أن سبب المرض روح شريرٌحلّ فيه فيداويه بما يطردهذه الأرواح،أو أنه إذا خيف على الرجل الجنون نجسوه بتعليق الأقذار وعظام الموتى[1]...".

كما علّق عبد الحميد سند الجندي على كلام أحمد أمين:" وقد نجم عن هذا الضعف في التعليل أن كصرت لديهم الخرافات والأساطير، التي امتلأت بها كتب الأدب في حياتهم الجاهلية، وكلها تدل على أنهم لم يكونوا يحسنون تعليل الحوادث ولا يرتبطون المسببات بأسبابها ربطا محكما.ولم يكن هذا بدعا عند العرب، فقد مرّ غيرهم بمثل هذا الطور، وأثر عنهم كثير من الخرافات، وعجزوا عن إدراك الارتباط بين العلة والمعلول، وأظهر الأمم في هذا الباب اليونان، وقدأصبحت هذه الأشياء وغيرها موضوعا لما يسمى"علم الميثولوجيا"[2]. وذكرأن النعمان بن المنذرتنصّربسبب مرض ألمّ به،وكان هذا المرض شبه مستعصٍ،غيران احد الرهبان عالجه فأخرج الشيطان من جسده [3] .

والخلاصة في ذلك أن دولة المناذرةوإن شاركت المجتمع الجاهلي بعامّة في بعض مظاهره وأنماطه،فقد تفوّقت عليه في كثيرٍمن المظاهرالحضاريةالأخرى،وبدت في شكل أكثر تحضرًا،وأقوى رقيًا من غيرهامن العرب الشمالية.

يقول النابغة: والأدم قد خيّست فتلا مرافقها مشدودة برحال الحيرة الجدد

وقال آخر: عقما ورقما وحيريا يضاعفه على قلائص أمثال الهجانيع

وقال امرؤ القيس: فلما دخلناه أضفنا ظهورنا إلى كل حيريّ جديد مشطب[4]

5- معارف أخرى :

وقف أهل الحيرة على مجموعةمن المعارف التي كانت وليدةالحاجةوبنت التجارب الصادقةوالمشاهدات المتكررة،وهم في ذلك يشتركون مع شتى عرب الجزيرةالعربية،الذين اشتهروافي جاهليتهم بهذه المعارف.ومنها: معرفتهم بالنجوم ومسالكها ومواقعها ليهتدوا بها في أسفارهم ورحلاتهم،وفي

[1] - أمين(أحمد)،المرجع السابق، ص48.

[2] - الجندي (عبد الحميد سند)، زهير بن أبي سلمى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ،ص39.

[3] - عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص356.

[4] -العلي(صالح أحمد)،المرجع السابق،محاضرات في تاريخ العرب،ص79.

شعرهمونثرهم كثير من أسماء الكواكب الأخرى، كالفرقدين والسماكين والشعرى والجوزاء وغيرها مما يدل على معرفتهم بها.

وكان للعرب بوجه عام وللحيريين منهم بوجه خاص علم بالتاريخ والأخبار،وإن كان وقع لهم فيه ما وقع لغيرهم من الأمم القديمة من الدرس والتحريف إلا ما تظاهرت الروايات على صدقه، كقصة الفيل وكأكثر أيامهم المشهورة، مثل حرب البسوس، وحرب داحس والغبراء، ويوم ذي قار وحروب الفجار، وغير ذلك من الوقائع المشهورة. كما تسرب إلى العرب كثير من أخبار الفرس وملوكهم وحكمهم ومعارفهم عن طريق إمارة الحيرة، التي كانت حلقة اتصال بن معارف الفرس والعرب.وقد أكد على هذه الظاهرة ابن خلدون في مقدمته إذ يقول في فصل عنوانه: فصل في أن الحضارة في الأمصار من قبل الدول وأنها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها[1].

ثم إنهإذااتصلت تلك الدولة وتعاقب ملوكهافي ذلك العصرواحدًابعدالاخر استحكمت الحضارةفيهم وزادت رسوخًا،وقدضرب لذلك مثلاًبحضارة العراق قديمًا،وللعرب فوق ذلك معارف أخرى يدخل بعضهافي جملةالمعتقدات الباطلةكالكهانة والعرافة والعيافةوالزجروالطرق بالحصى،والكهانةيرادبهاتعرف الغيب من الأمور المستقبلة والعرافة الأخباربالأحوال الماضية،والزجر هو أن يرمي الرجل الطير بحصاة أويصيح به،فإن طارميامنا تفاءل به، وإن طار مباشرا تشاءم منه. والعيافة والطرق بالحصى يشبهان الزجر.

ونجدهذه المعارف كلها مع بدائيتهاوبطلان معتقداتها مسجلة في شعرهم،ومن ذلك قول النابغة في قصيدته المشهورة التي قالها في المتجرّدة وزوجة النعمان بن المنذر[2] :

زعم البوارح أن رحلتنا غدًا وبذاك خبرنا الغراب الأسود

على أن بعض الشعراء الجاهليين كان لايؤمن بهذه المعتقدات مثل لبيد بن أبي ربيعة يقول[3] :

لعمرك ما تدري الضّوارب بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع.

وعندمجيءالإسلام بسماحةمبادئه وصفاءتعاليمه،أحدث تغييرًا كبيرًافي محيط الفكروالفن والأدب والاجتماع،وقدشُغل به الناس واستعانوابجملةالمعارف التي حذقوهاوالثقافات التي وعوها،لأنهافي

[1] – ابن خلدون(عبد الرحمان)،المقدمة،ج1،ط2،دارالكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت،1961 ،ص656.

[2] – النابغة (الذبياني)،ديوان النابغة الذبياني،تح،محمد الطاهر بن عاشور، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع ،الجزائر،ص89.

[3] – لبيد (ابن ابي ربيعة)، ديوان لبيد بن أبي العامري ،تح،احسان عباس، وزارة الارشاد ،الكويت ،1962 ، ص75.

جملتهاقدتغيرت مفهومًاواتجاهًااتجاه الدين الجديد،الذي أتى ليستأصل العقائدالباطلة،ويقضي على المعارف المضطربةالتي لم تنبع من صميم البيئةالعربيةالأصلية،كبعض معارف الفرس والروم وغيرهما.

الباب الثاني

الشعر في دولة المناذرة وقيمته التاريخية

الباب الثاني

الشعر في دولة المناذرة وقيمته التاريخية

1- الفصل الأول :الشعروأهميّته التاريخية وأسباب ازدهاره في دولة المناذرة.

2- الفصل الثاني :موضوعات الشعر في بلاط المناذرة.

3- الفصل الثالث :خصائص الشعر وتراجم نماذج من الشعراء.

الفصل الأول

الشعر وأهميّته التاريخية وأسباب إزدهاره في دولة المناذرة

1- تعريف الشعر .

2- الاهمية التاريخية للشعر ومكانته عند العرب .

3- جهود النقّاد والشرّاح في توثيق الشعر .

4- مراحل تطور الشعر عند العرب .

5- أسباب ازدهار الشعر في دولة المناذرة .

1- تعريف الشعر:

1-1- لغــة : كلمــة "الشعر"مشــتقة مــن مصــدر الفعــل "شَــعَر" بفــتح العــين والــراء،ويعني "أحسّ"،وشَعَرالرجل يَشْعُرُ شِعْرًا،وشَعُرَ. وقيل : شَعَرَ قال الشعر،وشَعُرَ اجادالشعرورجل شاعروالجمع شعراء[1] .

1-2- اصـطلاحًا : يعتـبر موضـوع تعريـف الشـعر اصـطلاحا مـن المواضـيع الـتي اختلـف المؤرخـون والدارسون على اعطائها تعريفا موحدا وشاملا ،سواءا من العرب او من غيرهم وذلك لكونه متشعب وعالمي .لذا لم يكن ممكنًا الاتفاق على تعريف دقيق يحوز الاجماع . وعرّف الازهري الشعر بقوله :الشعر القريض المحدود بعلامات لايجاوزها ،والجمع اشعار،وقائله شاعرلانه يشعر مالا يشعر غيره اي يعلـم [2] .وفي الاصـطلاح اللغـوي ان لفظـة " الشـعر " مشـتقة مـن مصـدر الفعـل " شـعر " وهـو الشعوركما اسلفنا ، ولما كان ذلك فهو ليس ملكا لأمة دون اخرى،وليس حكرًا على قوم دون غيرهم ،يقول ابن خلدون :" واعلم ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط، بل هو موجود في كل لغة سواء اكانـت عربيـة ام اعجميـة، وقـد كـان في الفـرس شـعراء، وفي اليونـان كـذلك،وكان في الحـيرة شـعراء متقـدمون"[3]. ولـذلك لا يمكـن ان تحتكـره امـة لنفسـها دون غيرهـا فتطوعـه للـذي ترضـاه مـن تعريـف ومعنى، بل هو ادب عالمي، وفن انساني وللجميع الحق في ان يتناول تعريفه ومبناه وفق ما يعبر به عن مكنون مشاعره، وكوامن عواطفه واحاسيسه . وسنعرض فيمايلي اهم الاصطلاحات على تعريف الشعر بحسب الفترات التاريخية التي مر بها .

1- 2-1- اصطلاح الشعرعند الاعاجم :

كانت الحضارة الاغريقية من اولى الحضارات الاعجمية التي تصدت بالفكر والمعالجة لمختلف القضايا الفكرية الـتي يمكـن ان تطرح على محـك العقـل والدراسـة لمعرفـة كنههـا وسـبر اغوارهـا ومعرفـة مبـدئها ومنتهاها ،فتشكلت لدى هذه الحضارة مجموع معارف لم يسبقهم فيها قبلهم سابق ،وعرفوا اصول مختلف العلوم والفنون والابداع وتعمقوا في فهمها ،وكان على راس تلك العلوم والمعارف الفلسفة اليونانية الـتي حـاول منظروهـا مـن الفلاسـفة المعروفين الاجابة على الاسئلة الـتي تطرحهـا ،مهمـا بلـغ تعقيدها وغموضها .ومن الموضوعات التي حاول فلاسفة اليونان معالجتها وتعريفها موضوع الشعر ،لما

[1] – ابن منظور(ابوالفضل محمد بن مكرم)،المرجع السابق،ج6،ط1،ص77.

[2] – نفسه .

[3] – ابن خلدون (عبدالرحمان)،المصدر السابق،ص678.

كان له من اهمية في فكر وحياة الاغريق آنذاك ،ليس كنوع فني وادبي وابداع فحسب ،ولكن لما يلعبه من دور بارز في اضفاءهالة القداسة والاعتبار في بعض الاحيان لابطال الامة ومنافيحها والتصدي بالدفاع على مقومات ومعتقدات ومكاسب تلك الامة في احيان اخرى وكان الشعرالاغريقي بذلك رافدا مهما من روافد كتابة التاريخ ،شعر كاتبوه ومبدعوه بذلك أولم يشعروا.ويمكننا ان نميزرأيين مختلفين في تعريف الشعر عند اليونان لدى فيلسوفين يعتبران من ركائز الفلسفة والمعرفة الاغريقية والعالمية وان كان احدهما استاذالآخرومعلّمه وهما:أفلاطون وأرسطو.

1-2-1-1- تعريف الشعر عند أفلاطون (427- 348 ق م):

يرى أفلاطون ان الشعرليس سوى محاكاة لما في الواقع،وهوما ينطبق على الشعرالقصصي والتمثيلي،لكن الواقع في تجلياته قاصروغيرمكتمل بالنسبة لما يجب ان يكون،في المجتمع المثالي الذي يجب ان تتحقق فيه الاشياء بإكتمال ودون ان يشوبها نقص مثلما هو في الواقع،لذلك فمحاكاة ماهوناقص لا يفض الى شيء حسبه ما دام ماهو محاكى في الاصل ناقص وقاصرعما يجب ان يكون .

لذلك لا يؤمن أفلاطون بجدوى الشعرفي الحياة لأنه قائم على المحاكاة،والشاعر حينما يحاكي بشعره شيئا ما فانه يتمثل صورته كما يراها وتقع تحت مشاهدته،فهذه الصورة التي يحاكيها ناقصة عند أفلاطون، فلابد ان يكون في عالم المثل صورة اكثر اكتمالا منها لم يستطيع الشاعر ان يؤلف عناصرها في ذهنه ولذلك فان محاكاته هذه ضرب من العبث، ولون من الوان الخمول والكسل،فلو كان هؤلاء الشعراء على علم بما يتحدثون فيه لقاموا بجهد في تحقيقه، واسهموا في ذلك التحقيق[1]. كما يرى ان محاكاة الفنون الجميلة للاشياء اقل مرتبة من العلم ومن الصناعة، لان فيها بعدا عن ادراك جوهر الحقائق، ولان جهدها ينحصر في نقل خيالاتها الحسية.

وعلى خلاف حكمه فيما يخص الشعر التمثيلي والقصصي،نجده يرحب في جمهوريته المثالية بنوع خاص من انواع الشعرالتي كانت معروفة لدى الاغريق وهو الشعر الغنائي الذي يمدح ويمجد الابطال والقادة الذين يشكلون القدوة الحسنة في المجتمع ،وبذلك يجد مخرجًا لما يجب ان يكون عليه الشعر كإسهام في المجتمع امام ماوضعه من مبادئ اخلاقية وعلمية في جمهوريته المثالية. فبعدان طرد

[1] – غنيمي(محمدهلال)،النقد الادبي الحديث،دارنهضة مصرللطبع والنشر،القاهرة، ص 34.

الشعراءمن هذه الجمهورية باسم المبادئ العامة للنظرية الميتافيزيقية والخلقية والعلمية تراجع على ذلك فأدخلهم من باب اخر،هو التغني بالفضائل وأصحابها [1].

1-2-1-2- تعريف الشعر عند ارسطو(384-322ق م):

يرى أرسطوفي تعريف الشعروجدواه نقيض ماكان يراه ويؤمن به استاذه افلاطون اذ يعرف الشعر بأنه محاكاة فقط.ويعدّ المحاكاة اعظم من الحقيقة ومن الواقع وتبعًا لهذا التعريف فهو يعتقد ان الملحمة والملهاةأوالكوميديا والمأساةاو التراجيديا هي الشعرالحقيقي.ويرى ان الفنون تحاكي الطبيعة، فتساعد على فهمها وان الشعر مثل الموسيقى والرسم في محاكاته الطبيعة. فالرسم يحاكي الاشياء التي يصورها بالالوان والرسوم،والموسيقى تحاكي الاصوات ايقاعًا وانسجامًا والشعريحاكي افعال الناس[2].وهوبذلك يختلف اختلافاً جوهرياً مع أستاذه افلاطون،كماتختلف نظرته على مفهوم الشعرعندالعرب،وذلك بإلحاقه للشعرالغنائي القائم على الوزن والقافيةبالموسيقى[3]،ولايراه ذاأهميةكالشعرالتمثيلي اوالقصصي الذي يمكن تجسيده من خلال الفنون المسرحية المختلفة .

1-2-2- إصطلاح الشعر عند العرب:

الشعر في الاصطلاح العربي هو الكلام الموزون المقفّى المعبر عن الاخيلة البديعة والصور المؤثرة البليغة ،وقد يكون نثرًا كما يكون نظمًا.وهو اقدم الاثار الادبية عهدًا لعلاقته بالشعوروصلته بالطبع وعدم احتياجه الى رقي في العقل او تعمق في العلم او تقدم في المدنية ،ولكن اوليته عند العرب مجهولة فلم يعرف في التاريخ الا وهو محكّم مقصّد[4]. ويعرف ابن رشيق الشعر ويفصل عناصره بالقول انه مكوّن من اربعة عناصر ،وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية ،فهذا هو حد الشعر لان الكلام قد يكون موزونًا مقفّى وليس بشعر لعدم الصنعة والنية .كالذي انزلت في القرآن ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم مما لم يطلق عليه شعر[5] ويقول شوقي ضيف بعد ان تحدث عن الشعر عند اليونان و العرب : " فالشعر في رأي العرب كما هو في رأي اليونان، صناعة معقدة تخضع لقواعد دقيقة صارمة في دقتها

---

[1] – نفسه.

[2] – ارسطو،فن الشعر،تر،عبدالرحمان بدوي،دارالثقافة،بيروت،1973،ص9

؛غنيمي(محمدهلال)،المرجع السابق،ص34.

[3] – ارسطو، نفسه،ص 3.

[4] – الزيات (احمد حسن)،تاريخ الادب العربي ،دار نهضة مصر،القاهرة ،ص30.

[5] – ابن رشيق(ابوعلي الحسن القيرواني)،العمدة في محاسن الشعروآدابه ونقده،تح،محمدمحي الدين عبدالحميد،ج1،دارالجيل،بيروت،1972،ص77.

بحيث لا ينحرف عنها صناع الشعر الا ليضيفوا اليها قواعد اخرى ما تزال تنمو مع نمو الشعر وتتطور مع تطوره "[1].

وسواءًا كان الشعرصناعةً اوطبعًا،فلابدمعه من وجود الموهبة والاستعداد الفطري فالشعر العربي صناعة و موهبة ، وليس طبعا يصدر من غير جهد او اعمال فكر. الا انها ليست صناعة معقدة ، لان كل شيء في متناول فطرة الشاعر ولان اللغة العربية نفسها لغة شعرية غنائية تساعد على نظم الشعر، وقد عبر عن هذا المعنى محمد هاشم عطية بقوله : " وانما كانت صناعتهم،وكان اهتمامهم مصروفين إلى هذا الفن الجميل من الكلام، ولم يزدما أثرعنهم من ضروب الحكم على أن يكون في جملته أشبه بالحقائق المجردة لاتبتعدعن متناول الفطرة وإنتاج التجربة والمشاهدة،وكان الذي أعان هذه الموهبة الفنية على مثل هذا الإنتاج الغزير: أولا هذه اللغة العربية،وهي بإجماع علماء اللغات،لغة شعرية غنائية ذات جرس ورنين في مفرداتها وتراكيبها،غنيةبمافيهامن دقة التعبيروأساليب الكنايات وكثرة الترادف المعينة على تنوع القافية وتسهيل النظم،وثانيا تلك الحياة البدوية وهو أمرله خطره،التي من شأنها أن تجعل الطبائع البشرية أقوى وجودًا وأشدّ التهابًاوأكثر تأثرًا،يُهيجها الحب،ويطيش بها الغضب،وتهزها الرغبة ويثيرها الطرب وهذه كلها تعتبرمن أقوى فواعل الشعر ودواعيه" [2].ومن الدارسين من يرى أن الشعرصورة لطبيعة الشاعرنفسه خَلقا وخُلقا،وقدكان القوم يختلفون في ذلك وتتباين فيه أحوالهم،فيرق شعرأحدهم،ويقسى شعرالآخر،ويسهل لفظ أحدهم ويتوعّرمنطق غيره،وذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخَلق،فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع،ودماثة الكلام بقدردماثة الخِلقة.

ولذلك نجد شعرعدي بن زيد العبادي وهوشاعرجاهلي من عرب الحيرة أسلس من شعرالفرزدق وهومن اهل البادية،لملازمةعدي الحاضرةوبعده عن الريف،وجلافة البدووجفاءالاعراب،وترى رقة الشعرأكثرماتأتيك من قبل العاشق المتيّم والغزل المتهالك،فان اتفقت لك الدماثة والصبابة وانضاف الطبع الى الغزل فقد جمعت لك الرقة من اطرافها"[3].

واختلف الدارسون و النقّاد في الاحاطة بتعريف اصطلاحي للشعر العربي كمااختلفوا كذلك في أولية هذا الشعر كما اسلفنا ،وتحديد اطار زماني لبدايته ،وفي هذا الصدد يقول الجاحظ ،محاولاً الخوض في ذلك :

---

[1] – شوقي (ضيف)،الفن ومذاهبه في الشعر العربي،ط9،دار المعارف،مصر، ص16.

[2] – عطية(محمدهاشم)،تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي،مطبعة العلوم،القاهرة،1932، ص 94.

[3] – الجرجاني(علي بن عبد العزيز)،الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد شعره،ج1،دارالازهرللنشر،،مصر،ص 18.

" واما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق اليه،امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة. فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له الى ان جاء الله بالاسلام، خمسين ومائة عام ، و اذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام"[1] ،وأيّد شوقي ضيف قول الجاحظ هذا بقوله : " وهي ملاحظة دقيقة ،لان ما قبل هذا التاريخ في الشعر العربي مجهول"[2]،ويرى ان من يبحثون في تاريخ الادب الجاهلي لا يتّسعون في الزمن بهذه الدراسة كل ما يخيّل انه يدخل في العصر الجاهلي من حيث تعريف هذا العصر زمنيًا بأنه يشمل كل ما سبق الاسلام ويخلص بذلك للقول:" من اجل هذا كلّه نقف بالعصر الجاهلي عند هذه الفترة المحدودة أي عند مائة وخمسمائة عام قبل الاسلام، وما وراء ذلك يمكن تسميته بالجاهلية الاولى، وهو يخرج عن هذا العصر الذي ورثنا عنه الشعر الجاهلي واللغة الجاهلية والذي تكامل فيه نشوء الخط العربي وتشكّله تشكّلًا تامًا ، كما قدمنا في غير هذا الموضع . فذلك العصر المتميّز الواضح في تاريخ العرب الشماليين هو العصر الجاهلي"[3].

ويبدوان الجاحظ لم يوفّق فيما ذكره من ان امرأالقيس الذي توفي سنة 565 م[4]. هو اول من نهج سبيل الشعر،اوأنه ذكر ذلك قصدًا لانه يعرف بان امرىء القيس كان راويًا لأشعار ابي دؤاد الايادي،اي ان هذا الاخير كان سابقًا له،ولذلك نجده يستدرك بقوله :" واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام "[5] . يقول السيوطي في ذلك محلّلاً ،" وكأنه منع ابا دؤاد من ان تكون له افضلية السبق في ذلك ولكنه لا يريد ان ينسب هذا الفضل الى الحيرة التي تحوّل فيها مركز الحضارة والعلم بعدالاسلام الى الكوفة،وعلماءالبصرة لا يتفقون مع علماء الكوفة حول رواية الشعرالجاهلي وحول شعراء ذلك العصر"[6]، ومنهم الجاحظ كما ذكرنا،وان ادباء البصرة وشعراءها وكذا بعض مؤرخيها الذين تناولت دراساتهم اصول الشعر وأولياته نجدهم يتحاملون على شعر ابي دؤاد وعدي بن زيد وهم من الحيرة .

---

[1] – الجاحظ(عمروبن بحر)،المرجع السابق،الحيوان، ج1،ص 74.

[2] – شوقي(ضيف)، تاريخ الادب العربي في العصر الجاهلي،ط8،دار المعارف،مصر،1960، ص 38.

[3] – نفسه .

[4] – لويس(شيخو)،المرجع السابق، ص6.

[5] – نفسه، ص 39.

[6] – السيوطي(جلال الدين عبدالرحمان)،المزهر في علوم اللغة وانواعها ،تح،محمد احمد جاد المولى وآخرون، ج1،مطبعة عيسى البابي الحلبي،ص406 ؛ابن سلام(محمد الجمحي)،طبقات فحول الشعراء،شرح،محمود محمد شاكر، ج1،مطبعة المدني،القاهرة،1974،ص61.

من ذلك ما يذكره الجاحظ رواية عن الاصمعي بقوله :"ان العرب لا تروي شعر ابي دؤادوعدي بن زيد لان الفاظهما ليست بنجدية"[1]،وكيف يكون ذلك وهذا معاوية يفضل عديا على جماعة الشعراء.وسئل الحطيئة :من اشعرالناس،فقال الذي يقول:

لاأعدُّ الاقتارعُدمًا ولكن فقدُ من رزئته الاعدام.

من رجال من الاقارب ماتوا من حذاق هم الرؤوس الكرام[2]

وهو بيت لابي دؤاد". ونرى ان الجاحظ يقدم الكوفة على البصرة لانها تتميز بحضارة اصلية لان سكانها في الاصل يمنيون فتميزت بالخيال المبدع حسبه ونقل الجاحظ عن الاصمعي قوله : اني لأعجب كيف اخذ الناس عن حماد ،وهو يلحن ويكسر الشعر ويصحف ويكذب* .

ويشير ابن رشيق في كتابه العمدة الى ان المنثور اقدم من المنظوم عند العرب[3] ولكنه لم يتطرق بالذكر أو التلميح الى اولية الشعر العربي.

ويذكرمحمد هاشم عطية حول موضوع تحديد اطار زماني واضح لاوليات الشعر فنجده ينكر ذلك الاطار التقليدي المتعارف عليه ويشكك فيه بقوله : " يكاد يستقر الرأي على التاريخ المعروف للشعر الجاهلي ينسب اقدم مطولاته الى عدي بن ربيعة اخي كليب في حرب البسوس التي اثارها مقتل اخيه بين بكر وتغلب. وينتهي اقدم مقطوعاته الى شعراء اخرين منهم من عاصره واكثرهم لا يبعدون عنه طويلا كدريد بن زيد بن فهد والافوه الاودي وعمرو بن قميئة وزهير بن جناب الكلبي وابي دؤادالايادي ومن غيرالمعقول ان يكون عدي والذين تبعوه كامرئ القيس وعبيد بن الابرص وطرفة وغيرهم هم الذين وثبوا هذه الوثبة بالشعر"[4].

ومنه يمكننا ان نستنتج ان اولية الشعر العربي ترجع الى ما قبل سنة 328 م، وهو اقدم تاريخ وصل الينا والذي يؤرّخ لوفاة ملك الحيرة، وهو امرؤ القيس بن عمرو بن عدي اول ملوك ال نصر،وهو الذي شاعت شهرته شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية ، دلّ على ذلك النقش المعروف " بنقش النمارة"[5].وبالتالي فقد اقترح بعض المؤرخين سنة 250 م على الاقل كبداية لتزمين نشأة الشعر،حين

[1] – الجاحظ(عمروبن بحر)،البخلاء،شرح،احمد العوامري وعلي الجارم،ج1،مطبعة دار الكتب المصرية،1938،ص14.

[2] – الجرجاني(ابوالحسن علي بن عبد العزيز)،المرجع السابق، ص 51.

* هوحماد بن هرمز الديلمي ،احد رواة الشعر ومنتحليه ، السيوطي،المصدر السابق،ج2 ،ص 306.

[3] – ابن رشيق،المصدر السابق،ج1،ص20.

[4] – عطية(محمدهاشم)،المرجع السابق،ص91.

[5] – الاسد(ناصرالدين)،مصادرالشعرالجاهلي وقيمتها التاريخية ،ط8،دارالجيل،بيروت،1996،ص 27.

كان عمرو بن عدي شابًا فتيًا يقرض الشعر وينشده لخاله جديمة الابرش ملك الحيرة آنذاك،مثلما اشرنا اليه في موضعه ،وكان جذيمة يفعل ذلك ايضًا. الا ان شعرهما يبدو وكأنه المحاولة الاولى لنظم الشعر[1] . وبذلك فقد تطور الشعر في الفترة الممتدة فيما بين سنة 250م وصولًا الى فترة ازدهاره في عهد امرئ القيس الشاعر الى وفاته سنة 545 م ،وظهر شعراء لا يقلون مرتبة عن شعراء عصر امرئ القيس بعد هذه الفترة ،الا ان المرجح ضياع شعرهم لقدم العهد بهم[2].

وفي ذلك تعليلات كثيرة ساقها من ارادالبحث في هذا المجال،وتناقلوها منذ زمن بعيد من ذلك ما قاله عمربن الخطاب رضي الله عنه : كان الشعرعلم قوم لم يكن لهم افصح منه فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولَهت العرب عن الشعرورروايته .فلما كثرالاسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعرفلم يؤلوا الى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب وألّفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ،فحفضوا أقلّ ذلك وذهب عنهم منه كثير[3] ،لذلك فالاقتصار على عهد امرئ القيس او من سبقوه بقليل فيما يخص الاطار الزمني لنشؤ الشعر يعدّ ضربًا من الاختصار لقرون سبقت وساهمت في وجود الشعر.وطالما امكننا فهم ذلك عرفنا حقيقة هي اجابة على السؤال المحتوم والمتمثل في : كيف وصل الشعر الجاهلي الى هذه المرحلة من الاكتمال التي تعتبر ذروة الابداع والنضج لدى الكثير من الشعراء في ذلك العصر؟. وفي صدد ذلك ايضًا يشير ابن سلام الجمّحي في حديثه عن الطريقة التي نشأ بها الشعر الجاهلي بقوله :"ولم يكن لأوائل العرب من الشعرالا الابيات يقولها الرجل في حاجته وانما قصّدت القصائد وطُوّل الشعرفي عهدعبد المطّلب او هاشم بن عبد مناف[4]،وهو تاريخ قريب الى ما افترضناه .

ويعقّب السيوطي على ذلك بقوله:"وذلك يدلّ على اسقاط عاد وثمودوحميروتُبّع"[5] ويرى ان بين نشاةالشعروبين ظهورالاسلام اربعمائة سنة[6].قال ابوعمروبن العلاء:"ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقلّه،ولوجاءكم وافرًالجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير"[7] .

---

[1] – الطبري،المصدر السابق،المجلد1،ص214.

[2] – السيوطي(جلال عبد الرحمان)،المصدرالسابق،ج2،ص477.

[3] – ابن سلّام(محمدالجمحي)،طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين،تح،محمود محمد شاكر،ط2،ج1،مطبعة المدني،القاهرة،1957،ص10.

[4] – نفسه .

[5] – السيوطي(جلال الدين عبدالرحمان)،المصدرالسابق،ج2، ص424.

[6] – نفسه،ص477.

[7] – جواد (علي)،المرجع السابق، ج9، ص251.

وليس من المصادفة ان يتطورالشعرعلى يدي احد اشهرشعراء الحيرة وهوابو دؤاد الايادي،فراينا يعرض علينا اغنى تنوع عروض في الشعرالعربي القديم لانه جاء على اثني عشر بحرا"[1]،وقدكان عند آل النعمان بن المنذرمن اشعارالشعراء ديوان فيه اشعارالفحول وما مُدح به هوواهل بيته [2]

2- الأهمية التاريخية للشعر ومكانته عند العرب :

شكّل الشعرفي الحياة العربية عامة وفي حياة عرب الحيرة خاصة المحور الذي قامت عليه سياستهم وفكرهم وقضايا مجتمعهم .ولايمكن ان نتصور تلك الحركية الاجتماعية والسياسية بدون وجود هذا المكوّن الذي اصبح يطبع شخصية الفرد والمجتمع .ولا ادل على اهمية الشعرفي حياة العرب من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي لم يتطرّق اليها التزييف ونقلت الينا متواترة الرواية صحيحة التوثيق ،بل ان القرآن الكريم المنزّل من السماء أفرد لهذا النوع من الفنون والفئة التي اختصّت به سورة من سوره هي سورة الشعراء .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف منزلة الشعر ومكانته عند العرب فقرّب اليه الشعراء وكافأهم وسمع لهم واستنشدهم ،بل اتخذ له شعراء يؤيدون الدعوة ويردّون على هجاء خصومها وامرهم بذلك ودعا لهم بتأييد الله .

يقول أنس بن مالك : قدم علينا الرسول المدينة وما في الانصار بيت الا وهو يقول الشعر[3] .ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الشعر ويُمدَح به فيثيب عليه ويقول :هو ديوان العرب مصداقا لذلك ما حدّث به سُنيد بن محمد الازدي عن ابن الاعرابي عن مالك بن انس عن هشام بن عروة عن ابيه ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"ان من الشعر لحكمة ،وان من البيان سحرًا "[4]

وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: " لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين "[5] وقال صلى الله عليه وسلم :"ان من الشعر لحكمة فاذا أُلبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر

---

[1] – غرونباوم(فون غوستاف)،دراسات في الادب العربي،تر،احسان عباس وآخرون،منشورات مكتبة الحياة،بيروت،1959،ص265.

[2] – السيوطي(جلال الدين عبدالرحمان)،المصدرالسابق،ج2،ص425.

[3] – خفاجي(محمدعبدالمنعم)،الحياة الادبية بعد ظهورالاسلام،دارالجيل،بيروت،1990،ص64.

[4] – القرشي محمد(ابوزيد بن ابي الخطاب)،جمهرة اشعارالعرب،دارصادر،بيروت،ص30 .

[5] – ابن رشيق(الحسن القيرواني)،المصدرالسابق،ج1،ص30؛قدامة(ابو الفرج بن جعفرالبغدادي)،نقد النثر،تح،طه حسين وعبد الحميد العبادي،دار الكتب العلمية،بيروت،1980،ص81.

فانه عربي "[1] ، وعن عمروبن الشريد عن ابيه قال :ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا فقال :هل معك من شعر امية بن ابي الصلت شيئًا ؟قلت :نعم ،قال :هيه*،فانشدته بيتًا ،فقال:هيه ،ثم انشدته مائة بيت ،قال:ان كاد ليسلم "[2]. وقال صلى الله عليه وسلم : الشعر كلام جزل تتكلم به العرب في نواديها وتسلُّ به الضغائن بينها[3] .وقال ايضا :"اشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد :ألا كل شيء ما خلا الله باطل "[4] .

لذلك فقد مثّل الشعراء في العصر الجاهلي مرآة البيئة العربية الجاهلية وصوتا صادحًا لمظاهرها، وترجماناً صادقا عن أحوالها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية،نظير ماكانت تزخم به تلك الحياة من أحداث ووقائع وأيام وحروب وشكّل الشعر وسيلة فعّالة من وسائل التعبير عن صورومظاهر الحياة العربية ،كما مثّل الارشيف التاريخي الذي تضمّن مختلف صور الحياة لدى العربفي الجاهلية سواءًا في البادية أوكانوا مستقرّين في الحواضر المترامية في اطراف شبه الجزيرة العربية آنذاك فكان يصف حياة هؤلاء توصيفًا دقيقًا لما يعيشونه في حياتهم اليومية ،بل ويكشف عن مشاعرهم واخلاقهم التي تطبع اوصافهم الشخصية ليعطي صورة متكاملة عما عاشوه .

وتبعًا لذلك ولما كان الشاعر يمثل ذلك الصوت الصادح المعبرعلى كل مايدور في مجتمعه فقد احتل مكانة رفيعة في عصره، وبلغت عناية القبائل العربية به حدا كبيرا، فإذا نبع في إحداها شاعر أتت القبائل الأخرى مهنئة، اما النساء فانهن يلعبن بالمزاهر، كما يفعلن في الاعراس، تعبيرا عن افراحهن بنبوغ هذا الشاعر[5].

وروى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ،وكان ممن يحتكم اليه الشعراء في عهده في الشعر قوله : " نِعم ما تعلمته العرب،الابيات من الشعر يقدمها الرجل امام حاجته فيستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم،مع ما للشعرمن عظم المزية وشرف الابية وعز الانفة وسلطان القدرة "[6] ، وعن ابن عباس

---

[1] – الصعيدي(عبدالمتعال)،زعامة الشعرالجاهلي بين امرئ القيس وعدي بن زيد،ط1،المطبعة المحمودية ،1924،ص8؛ابن منظور،المرجع السابق،ج6،ص78.

* هيه : فعل امر يفيد الاستزادة والاستطراد ،النووي(يحي محي الدين بن شرف)،صحيح مسلم بشرح النووي،ج8،مكتبة الايمان ،المنصورة ،ص13.

[2] – نفسه .

[3] – القرشي(ابوزيدمحمد بن ابي الخطاب)،المصدرالسابق،ص30.

[4] – النووي(يحي محي الدين بن شرف)،المصدرالسابق،ص13.

[5] – ابن رشيق(الحسن القيرواني)،المصدر السابق،ج1،ص65؛الجاحظ(عمروبن بحر)،البيان والتبيين،تح،عبدالسلام محمد هارون،ط3،ج1،مكتبة الخانجي،القاهرة،1968،ص136.

[6] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج9،ص65.

رضي الله عنه قال:" اذا اعياكم شيء من تفسير آية من كتاب الله ،فاطلبوه في الشعر فانه ديوان العرب،وبه حفظت الانساب وعرفت المِآثر،ومنه تعلمت اللغة ،وهو حجة فيما أُشكل من كتاب الله وغريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث صحابته والتابعين"[1]،وقال الجاحظ مبينا اهمية الشعرفي حياة العرب واوليته على النثر "وكان الشاعر ارفع قدرًامن الخطيب وهم اليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم،فلماكثرالشعراءوكثرالشعرصارالخطيب اعظم قدرًامن الشاعر"[2].

ويقول مستطردًاحول ذلك في مجال آخرفي سياق حديثه عن الشعروتقديمه على النثر:"فكل امة تعتمد في استبقاء ماثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الاشكال،وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعرالموزون والكلام المقفى وكان ذلك هو ديونها"[3].

وغالى البعض في قدرالشعرواهميته حتى عدوه من السحر،وجعل بعض الباحثين الشعرفناً من الفنون التي كان يمارسها السحرة في التأثيرعلى مشاعرالناس،اذ كانوا يتخذونه وسيلة من وسائل التاثيرفي النفوس لما يستعملونه فيه من كلام مؤثرساحريترك اثرًاخطيرًافي نفس سامعه،ولهذاعدّوالسحرة في جملة اوائل من كان ينظم الشعرمن القدماء،كماذهب بعض الباحثين الى ان الشعراء كانواهل المعرفة والفهم لما كان لهم من ذكاء وصفاء ذهن في فهم تجارب الحياة وفي نظم خلاصة تلك التجارب على شكل علم او حِكم تفيد في التهذيب والتوجيه وفي وعظ الناس،ولهذا كان لهم رأي في السياسة اوقات السلم والحرب[4] .

اما ابن قتيبة فانه يسمو بمنزلته حتى يبلغ بها درجات الادبية والخلود، فيقول: " ان الله جعله لعلوم العرب مشفوعًا،ولآدابها حافظًا،ولأنسابها مقيدًا،ولأخبارها ديوانًا لا يرث على الدهر،ولاييدعلى مرالزمان"[5].كما عبرالشعراءالجاهليون عن مقدار تعظيمهم للشعرومدى عنايتهم به ،حتى ان بني تغلب كانوا يعظمون قصيدة عمرو بن كلثوم المعلقة،وكان يرويها صغارهم وكبارهم حتى هجاهم بعض شعراء بكر بن وائل وكانوا خصومهم فقالوا:

---

[1] – نفسه، ج1،ص68.

[2] – الجاحظ(عمروبن بحر)،المرجع السابق،البيان والتبيين ج4،ص83.

[3] – الجاحظ(عمروبن بحر)،المرجع السابق،الحيوان، ج 1، ص72.

[4] – جواد(علي)،المرجع السابق، ج9،ص69.

[5] – ابن قتيبة(ابومحمدعبد الله الدينوري)،تأويل مشكل القران،تح،احمد صقر،ط2،دارالتراث،القاهرة،1959،ص14.

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونها أبدا مذ كان اولهم ياللرجال لشعر غير مسؤوم[1]

وقال الاعشى مباهيا بشعره مفتخرا به على قومه :

وادفع عن اعراضكم واعيركم لسانا كمقراض الخفاجي ملحبا[2]

والشعرعند الجاهليين يذل اقواما ويرفع اخرين، فان مدح به قبيلة كان ذلك بالنسبة اليها مجد الدهر،وان هجاها فكانما اشتملت برداء من الذل والعار، فلا يفارق ساحتها،ولا يبرح مجامعها واندیتها. وقد يستعير الممدوح اللقب الذي اسبغه الشاعر عليه فيفتخر به وينتسب اليه ،فقد اصبح الرجل من بني قريع اذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال: من بني انف الناقة. افتخارًا وانتسابًا لقول الشاعر الحيطئة ،اذ قال:

قوم هم الأنف والاذناب غيرهم ومن يسوي بانف الناقة الذنبا[3]

لذلك فقد حرص العرب قبائل وافرادا على تكريم الشعراء والحفاوة بهم حتى ينالوا جميل مدائحهم، فاذا نزل شاعر باحد شيوخ العرب وزعمائها فقصر في ضيافته او انقص في العطاء له ندم على ذلك ، مخافة ان يشيع هجاؤه فيه بين احياء العرب. مثل ذلك في تاريخ العرب كثير مما تزخر به كتب الادب والتاريخ والاخبار والمغازي . فهذا مخارق بن شهاب وكان سيد قبيلة بني مازن ،اتاه محرز بن المكعبر العنبري الشاعر فقال له : ان بني يربوع قد اغاروا على ابلي فاسع لي فيها، فقال مخارق: وكيف وانت جار وردان بن مخرمة ؟ ويقصد بذلك ان قبيلة وردان بن مخرمة اولى بهذا الطلب منه لانها كانت تجيره ،ولما بين قبيلة بني مازن وبني وردان من ثارات وخصومات ،فلما ولىّ عنه محرز مد برًامحزونا بكى مخارق حتى بلّ لحيته ،فقالت له ابنته : ما يبكيك؟ فقال: وكيف لا ابكي واستغاثني شاعر من شعراء العرب ولم أغثه ، والله لئن هجاني ليفضحنّي قوله ولئن كفّ عني ليقتلني شكره، ثم نهض فصاح في بني مازن فردت عليه ابله [4]. فهذا مثال صريح على الاعتبار والاهمية والمكانة التي كان يحضى بها الشعر والشعراء في المجتمع العربي القديم . وكان الشعراء الذين لهم فضل الشعر على قبائلهم وقومهم يعرفونه حق المعرفة يستغلون تللك المكانة فيترفعون بها عن غيرهم ،ومما ترويه كتب

[1] – الاسد(ناصرالدين)،المرجع السابق، ص 110.

[2] – الاعشى (ميمون بن قيس)،ديوان الاعشى ،داربيروت،بيروت ،1980،ص65.

[3] – ابن الشجري(هبة الله بن علي)،مختارات شعراء العرب،تح،علي محمد البجاوي،دار نهضة مصر،1974 ص 466.

[4] – الاسد(ناصرالدين)،المرجع السابق،ص111.

المؤرخين في ذلك ،ان هوذة بن علي احد وجهاء وشعراء بني حنيفة كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يجيبه فيها على الرسالة التي ارسلها اليه فقال :ما احسن ما تدعوا له وما اجمله ،وانا شاعرقومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني ،فاجعل لي بعض الامر اتّبعك[1] ، يقول جواد علي معلقًا على ذلك ،فهو شاعرقومه وخطيبهم وله مكانة في العرب،فهو يرى ان يمَّيز عن غيره بميزات تمنح له،وكان الشعراء يمنون على قومهم بأنهم ألسنتهم المخرسة الناطقة المهاجمة المرافعة ،فهم من الطبقة المثقفة الممتازة التي حظيت بالتقدير ونالت الاحترام ،بسبب قدرة اللسان واثر الشعر في الناس.ولازال الشاعر ينال مكانة محترمة عند اهل الحضر والوبر فهو لسان القبيلة حتى اليوم[2] .

3- جهود النقاد و الشُّراح في توثيق الشعر:

نظرًالما كان للشاعرمن مكانةتبؤها بفضل شعره،حتى انه يخاطب الملك باسمه وينسبه الى امه ويخاطبه بالكاف كما يخاطب اقل العامة فلا ينكر ذلك عليه، بل يراه أوكد في المدح وأعظم اشتهارًا للممدوح[3]. ويفصّل ابن قتيبة في الاسباب الداعية على قول الشعر، فيرى ان للشعر دواع تحثُّ البطيء وتبعث المتكلّف ومنها الشراب ومنها الطرب ومنها الطمع ومنها الغضب ومنها الشّوق[4] .

واختلفت اراء النقاد ابتداءًا حول طبيعة الشعر من حيث انه نابع عن الطبع وانه مصطنع اصطناعًا.

فيرى الجاحظ ان الشعر فطرة والهام فيقول: " وكل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكانه الهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا اجالة فكرة ولا استعانة وانما هو ان يصرف همه الى الكلام، والى العمود الذي يقصد اليه، فتاتيه المعاني ارسالا، وتنثال عليه الالفاظ انثيالا..."[5]. ويرى ابن قتيبة ان من الشعراء المتكلّف والمطبوع فيقول : "فالمتكلّف هو الذي قوّم شعره بالثقاف، ونقحه بطول التفتيش وأعاد اليه النظر بعد النظر كزهير والحطيئة واشباههما من الشعراء عبيد الشعر لأنهم نقّحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين. وكان الحطيئة يقول: خير الشعراء الحولي المنقّح المحكّك. وكان زهير يسمي كبر قصائده الحوليات "[6].

---

[1] – ابن سعد(محمد بن سعد بن منيع الزهري)،الطبقات الكبرى،ج1،دارصادر،بيروت،1957،ص262.

[2] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج9،ص70.

[3] – ابن رشيق(الحسن القيرواني)،المصدر السابق،ج1،ص 22.

[4] – ابن قتيبة(ابومحمدعبدالله بن مسلم)،المصدر السابق،الشعر والشعراء،تح،مصطفى السقا،ج1،مطبعة المعاهد،القاهرة،1932، ص78.

[5] – الجاحظ(عمروبن بحر)،المرجع السابق،البيان والتبيين ج3،ص12.

[6] – ابن قتيبة(ابومحمدعبدالله بن مسلم)،الشعروالشعراء،نفسه.

* أُصادي : اداري ،والسرب القطيع من الظباء والنساء وغيرها ،ونزعت الى مرعاها اي حنت اليه ، نفسه .

قال سويد بن كراع ،يذكر تنقيحه شعره :

ابيت بأبواب القوافي كأنما أصادي بها سربًا من الوحش نُزّعا*

ونظرًا لما كان للشعر من مكانة في نفوس العرب ادركها النقاد والدارسون فعقدوا لذلك ابوابًا مستقلة قارنوا فيها بين الشعر والنثر ،كما عني به كبار علماء اللغة والبيان والنقاد في القديم والحديث، فرصدوا ظواهره، واستجلوا كوامنه واسراره،وألفوا لهذا الغرض كتبا كثيرة مختلفة الاتجاهات والمحتوى،كدواوين الشعراء،ودواوين القبائل وكتب الطبقات والتراجم،وكتب التاريخ واللغة،وكتب المنتخبات،وهي تضم قصائد منتخبة من الشعر العربي[1].

ويمكننا تقسيم المصادروالدراسات التي تناولت الشعر بالتدقيق والتفصيل والتمحيص،حتى اصبحت معروفة لدى كل من يريد استجلاء الغامض في الشعرالعربي اويرمي الى توضيح علاقته بالأدب او ينتقي اشعاره ويميز بينها في الجودة والحبك الفني وهي على سبعة اقسام هي:

المنتخبات العامة:ويندرج ضمنهاالمعلّقات السبعة المعروفة والشائع انها تلك القصائدالتي علقت بالكعبةلاشتهارها وتعظيمهامن لدن العرب جميعًا،ولكن الواقع ان سبب تلك التسمية ليس كذلك انماسميت بالمعلّقات لنفاستهااشتقاقًامن لفظة العَلق بمعنى النفيس[2] ،ثم المفضليات وسميت كذلك نسبة الى جامعها المفضَّل الضبي وهي مائة وثمانية وعشرون قصيدة،وقدتزيدوتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عن مؤلفها المفضل والصحيحة التي رواها ابن الاعرابي[3] .

وهي موزّعة على سبعة وستين شاعرًا،منهم سبعة واربعون جاهليًا ،يقول شوقي ضيف :"ولم يصلنامن الشعر الجاهلي سوى هذه المجموعة الموثقة لامكن وصف تقاليده وصفًا دقيقًا،فقد مثّلت جوانب الحياة الجاهلية ودارت مع الايام والاحداث وعلاقات القبائل بعضها ببعض وبملوك الحيرة والغساسنة،وانطبعت في كثير منها البيئة الجغرافية [4].

ثم الأصمعيات وهي ماتدخل في رواية الأصمعي المشهوروعددقصائدها اثنتين وتسعين،موزعة على واحد وسبعين شاعرًامنهم أربعين شاعرًا جاهليًا.

---

[1] – خفاجي(محمد عبد المنعم)،موقف النقاد من الشعر الجاهلي،مطبعة الاعتماد ،مصر ،1950، ص 8 .

[2] – شوقي (ضيف)،المرجع السابق،العصر الجاهلي،ص176.

[3] – ابن النديم (ابوالفرج محمد بن اسحاق)،الفهرست،دار المعرفة ،بيروت،1978،ص102.

[4] – شوقي (ضيف) ،المرجع السابق ،ص178.

بالاضافة الى جمهرةاشعار العرب ومؤلفها ابوزيد بن محمد بن ابي الخطاب القرشي،وهي تضم تسعة واربعين قصيدة طويلة،التي تتفرّع هي الاخرى الى سبعة انواع هي:المعلّقات،المجمهرات،والمنتقيات اوالمختارات،ثم المذهبات وربما قصد بها انهاتستحقّ ان تكتب بماء الذهب،وعيون المراثي فالمشوبات وهي تلك القصائد التي قالها مخضرمون شابهم الكفروالاسلام،واخيرًا الملحمات.

اما القسم الثاني فهي الدواوين المفردة والتي دواوين الشعراء الجاهليين الستة المعروفين وهم امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة وعنترة وعلقمة،والقسم الثالث يتمثّل في دواوين القبائل وكانت تمثل نيفًا وثمانين قصيدة جمعها ابو عمرو الشيباني،فُقدالاغلب منها ولم تبق منها الا قطع من ديوان قبيلة هذيل، اما القسم الرابع فهوكتب الطبقات والتي من اشهرها طبقات الشعراء الابن سلام الجمحي وفيه دراسة دقيقة للشعر الجاهلي ،وكتاب الشعروالشعراء لابن قتيبة الدينوري وحاول فيه مؤلفه الاحاطة بتراجم الشعراء الجاهليين،اما القسم الخامس فيتمثل في كتب التراجم المختلفة ومن اشهرها سيرة ابن هشام ومغازي الواقدي وآمالي لابي علي القالي،والقسم السادس هو كتب التاريخ التي تناولت بالدراسة العصور العربية الاولى واهتمت بالبحث في الشعر الجاهلي ومن اشهرها كتاب تاريخ الامم والملوك لابن جرير الطبري،والقسم السابع هو كتب اللغة والادب والنقد،واهم كتب الادب:البيان والتبيين والحيوان للجاحظ،وكتاب الكامل للمبرد،وكتاب الامالي لليزيدي وخزانة الادب للبغدادي وغيرها كثير.

اماكتب النقدالمشهورة فلعل اشهرها نقدالشعرلقدامة بن جعفرالبغدادي،وكتاب الصناعتين لابي هلال العسكري،والوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني وكتاب العمدة الابن رشيق القيرواني .

ومن اشهر المؤلفات التي تشتمل على شعرجاهلي كثيروموثق لم يتطرق اليه الانتحال والتزييف كتاب شرح النقائض لمؤلفه ابوعبيدة ،وكتاب الكامل في التاريخ لمؤلفه ابن الاثير،وكتاب العقد الفريد لمؤلفه ابن عبد ربه ،وكتاب طبقات الشعراء لابن سلام وكتاب الشعر والشعراء،وكذا عيون الاخبار لمؤلفهما ابن قتيبة،وكتاب البيان والتبيين،وكذا الحيوان للجاحظ،وكتاب الكامل للمبرد وكتاب الامالي لمؤلفه ابي علي القالي،وكتاب مجالس ثعلب لمؤلفه احمد بن يحي ثعلب وكتاب الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني.

بالاضافة لمؤلفات اخرى تعتبرمن المختصرات التي تحاول الاحاطة التامة بالشعرالجاهلي ومن اهمها: كتاب المؤتلف والمختلف للآمدي،وكتاب معجم الشعراء لمؤلفه المرزباني،وكتاب الموشح ،وكذا المعارف لابن قتيبة،وكتاب المحبرلإبن حبيب وغيرها من التصانيف والمؤلفات الاخرى الاقل شهرة.

كما كثرت الدراسات وتعددت حول الشعرالجاهلي ،وأثْرت الدراسات النقدية التي تناولت الشعر الجاهلي المكتبة العربية ، فدرس الكثير من الباحثين نشأة الشعر ولغته وبحوره و أوزانه ، وحققوا للكثير من أعلامه وفصلوا القول فيه مثل طه حسين والرافعي والزيّات والنقاد مثل حسين المرصفي، وميخائيل نعيمة وعبد الرحمان شكري وعباس محمود العقاد وغيرهم[1].

4 - مراحل تطور الشعر عند العرب :

اختلف النقاد في تقسيم الاطوار والمراحل التي مرّ بها تطوّر الشعر الجاهلي ،كلٌّ حسب المعيار والاساس الذي اعتمده .ويمكننا التوفيق بين هذه الدراسات وجمعها في معيارين اثنين يعتبران اساس تلك الابحاث والدراسات النقدية للشعر العربي عامة والشعر الجاهلي منه خاصّة ،وهذان المعياران هما:التطوّر التاريخي الذي مرّت عليه بنية القصيدة العربية في نشأتها الى ان اكتمل بناؤها خلال العصر الجاهلي .

اماالمعيار الثاني فهو الذي اعتمد على تتبّع تطوّرعمودالشعرمن حيث اللفظ والمعنى والتصويركعناصرمكوّنة للقصيدة،وماطرأعليهامن تغيّروتطويرعبر التاريخ منذ العصرالجاهلي وصولاً الى العصر الحديث .

واجمع النقاد والدارسون لتطوّر الشعر العربي على وجود ثلاثة مراحل متمايزة لذلك التطوّراذاما طبقنا المعيار الاول الذي يهتم بالمرحلة الجاهلية فقط ،بينما ميّز النقاد ثلاثة مراحل مختلفة باستعمال المعيار الثاني ،باعتبار العصر الجاهلي مرحلة اولى فقط من تلك المراحل ويمكننا اذًا ان نوفّق بين المعيارين وفق الترتيب كما يلي :

4-1- المرحلة الاولى :

أُدرج العصرالجاهلي كجزء مهمّ من هذه المرحلة ،و نميّز فيه بدوره ثلاثة أدوار مختلفة ،اعتبارًا لقول ابن سلّام " ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الابيات يقولها الرجل في حادثة وإنما قصّدت القصائد وطُوّل الشعر على عهد عبد المطّلب وهاشم بن عبد مناف "[2] .وبناءًا على ذلك قسّم بعض النقاد تطور الشعر في هذا العصر على المراحل الثلاث التالية وهي : دور الاراجيز ثمّ دور المقطّعات ثمّ دور القصائد .

[1] - الحسيني(اسحاق موسى)،المدخل في الادب العربي المعاصر،مطبعة المدني،1963، ص5.

[2] - ابن سلّام(محمدالجمحي)،المصدر السابق،ج1،ص23.

4-1-أ- دورالأراجيز أو الرَّجز : يكاد يجمع النقاد ودارسو الادب على ان الشعر الاقدم هو ذلك الذي جاء على بحر الرجز ،ليس بحكم اضطراب الايقاع وضعف السُّبك فحسب ،بل لاعتبار سائر المكونات الاخرى للقصيدة ،ومنها العاطفة البدائية الفطرية ،والخيال الضعيف والفكرة البسيطة الساذجة . فكان الشاعر الناشئ ينظّم الرجزأولاًولا يسمح له بنظم القصائد الا بعد ان يجيد الرجز ويحفظ منه مقدارًا كبيرًا،ولذلك اعتبرالنقاد الرجز مرحلة الطفولة للشعر الجاهلي مع وجود فوارق بين طبقات من ألّف في هذا النوع من الشعر بين الجيّد و الضعيف.وابسط شكل للرجز ما كان الحُداة يحتدون به وهم يتقدّمون القوافل ،واجمله ما قيل في الفخر اوالمدح او الهجاء واحسنهما حسب النقاد ما جاء على لسان الامهات لاطفالهن،مثل ذلك قول الحادي :

دع المطايا تنسم الجنوبا ان لها لنبأً عجيبا

حنينها وما اشتكت لغوبا يشهد ان قد فارقت حبيبا

ومن ذلك قول اعرابية تدلّل طفلها : ياحبذا ريح الولد ريح الخزامى في البلد

أهكذا كل ولد أم لم يلد مثلي احد[1]

4-1- ب- دورالقطع:وتتميز هذه المرحلة عن سابقتها في ورود الشعر بأوزان مختلفة معزّزة بشيء من الجودة في التعبير والبراعة في الاداء والانطلاق في الخيال ومع ذلك ومما يؤخذ على شعر هذه المرحلة اننا لا نجده مسترسل الوصف فقد جاء نظمهِ قطعًا قصيرة تراوحت بين البيتين والستة ابيات وقلّما بلغت العشر تناولت في الغالب تلك القطع موضوعًا واحدًا ،ولكنه من حيث الاتقان والجودة احسن من المرحلة السابقة ،واهم ما يميزه صدق العاطفة وسلامةالطبع ،ومن ذلك قول بشر بن ابي خازم يناجي الشباب بعد بلوغ الشيب :

ولّى الشباب فخلّي الدمع ينهمل فقدُ الشباب بفقْد الرُّوح متّصل[2]

4-1-ج- دور القصيد : تميز هذا الدور بامتداد القطعة الشعرية وزادت الابيات عن ستة وكان اول من تعمّد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي ،في مقتل اخيه كُليب بن وائل[3] . وقد نهج الشاعر في ذلك التفصيل ولاسهاب ،وخرج من الموضوع الرئيسي لقصيدته وهومقتل اخيه الى

[1] - اليازجي(كمال)،حول الادب العربي،ط1،دارالجيل ،بيروت ،1995،ص 38.

[2] - نفسه ،ص40.

[3] - ابن سلام(محمدالجمحي)،المصدر السابق،ج1،ص33.

موضوعات اخرى متصلة به وعمد الى تخيّر الفاظ قصيدته وتهذيب عباراتها وتعزيز معانيها بضروب من المجاز والصور الشعرية متوّجًا ذلك بذكريات حبّه ،وذكر مفاخره ،ويعزو بعض النقّاد مبتكر هذا النوع من القصيدة في هذا الدور الى امرئ القيس فاعتبروه اول من جمع بين الاغراض العديدة في قصيدة واحدة على حسن سياق وبراعة انتقال[1] وخير ما يمثّل هذه المرحلة المعلّقات التي ذاعت شهرتها في الافاق.

وبذلك اكتملت للقصيدة العربية عناصرها خلال العصر الجاهلي ،وكان لزامًا ان تتوفر في عمود الشعر عند العرب العناصر الثلاث التالية : اللفظ ، والمعنى وتصوير المعاني الجزئية التي تكتمل بها بنية القصيدة.

ويُشترط في اللفظ : الجزالة ، والمشاكلة للمعنى، وشدة اقتضائه للقافية .وغالبًا ما يفتتح الشعراء قصائدهم بوصف الأطلال وذكر محاسن المرأة [2] .

أما المقصود بالمعنى : صحّته و الاصابة في الوصف.اما تصوير المعاني الجزئية فالمقصود بها مطابقة المشبّه للمشبّه به ،ومناسبة المستعارمنه للمستعارله [3].

وبهذا البناء والوصف بقي الشعر العربي محافظًا على عمود الشعر طوال عصر الجاهلية وصدر الاسلام وجزءٍ كبيرٍ من العصر العباسي لا ينازعه لونٌ او فنٌ من الفنون ، حتى ظهرت الموشّحات في الاندلس .

4-2- المرحلة الثانية : هي الفترة التي ظهرت فيها الموشحّات الاندلسية اواخر القرن العاشر، ولكنها لم ترج لدى كبار الشعراء الا فيما بين القرن الثاني عشر واوائل القرن الرابع عشر[4]. يقول ابن خلدون في هذا الصّدد :"وأما اهل الاندلس،فلما كثر في قطرهم الشعر وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنًا منه سمّوه بالموشّح ،ينظّمونه اسماطا اسماطًا وأغصانًا أغصانًا يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ،ويسمّون المتعدّد منها بيتًا واحدًا ،ويلتزمون عند قوافي تلك الاغصان وأوزانها متتاليًا فيما بعد الى آخر القطعة .وأكثر ما انتهى عندهم الى سبعة ابيات،و

[1] – اليازجي(كمال)،المرجع السابق ،ص41.

[2] – شكري(فيصل)،تطوّر الغزل بين الجاهلية والاسلام من امرئ القيس الى ابن ابي ربيعة،ط4، دار العلم للملايين،بيروت،1959،ص68 ؛ حسين(عطوان)،مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي،دار المعارف،مصر، ص 71.

[3] – قدامة(ابوالفرج بن جعفرالبغدادي)،المصدر السابق،ص58 ؛ المرزباني(ابوعبيد الله محمد بن موسى)،الموشّح،تح،علي محمد البجاوي،دارمصر،1906،ص363.

[4] – غنيمي(محمد هلال)،المرجع السابق،ص363.

يشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يُفعل في القصائد"[1] .

وتعتبرالموشّحات ثورة على نظام القصيدة والقوافي، فقد استحدثها العرب في شعرهم في الاندلس ثم بغداد ثم ما يليهما من الاقطار الاسلامية والعربية، ويجزم المؤرخون ان العرب الجاهليون لم يكونوا على دراية بفن الموشحات ولا الفنون المختلفة التي استحدثت من الشعر،بل ولم يعرفها حتى العرب المسلمون حتى العصر العباسي ، وانما كانوا قد عرفوا فن الاراجيز او الرَّجزالتي احتفظ بعضها باللغة العربية الفصحى،واندفع بعضها باللغات المحلية الاخرى المألوفة[2] .

يذكر ابن خلدون عن اولية الموشحّات في الاندلس فيقول :"وكان اول من برع في هذا الشأن عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب ألمرية "[3] .

وخير مثال لهذه الموشحات قول الوزير ابي عبد الله لسان الدين ابن الخطيب : وهي موشحة تتالف من مطلع وغصن وقفل ، وهي جميعًا ذات وزن واحدٍ ، ولكن لها قافية مختلفة متحدة في شطري البيت :

جادك الغيث اذا الغيث همى يازمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما في الكرى او خلسة المختلس
اذا يقود الدهر اشتات المنى ينقل الخطو على ما ترسم
والحيا قد جلل الروض سنا فسنا الازهار فيه تبسم
وروى النعمان عن ماء السما كيف يروي مالك عن انس[4]

وبذلك اعتبرالنقّاد أن الموشّحات الاندلسية هي اول مظاهرالتنويع والتجديد في الشعرالعربي .

4-3- المرحلة الثالثة :

تعتبر هذه المرحلة معاصرة لما سمي بالنهضة والتجديد في الوطن العربي ،خاصة في الجانب الادبي منها،حيث تأثر بعض الشعراء في العصر الحديث بالثقافة الاوربية التي دخلت الى بلاد المشرق العربي ، فاتجه بعضهم الى تقليدها ومحاكاتها وخاصة في الشعر، فتنصّلوا من قيود الوزن والقافية وتعدّدت

[1] – ابن خلدون (عبد الرحمان)،المقدمة،ط3،دار الكتاب للطباعة والنشر،يروت،1967،ص689.
[2] – طه(حسين)،المرجع السابق، ص328؛ابن خلدون(عبدالرحمان)،نفسه،المقدمة.
[3] – ابن خلدون(عبدالرحمان)،المقدمة،نفسه.
[4] – نفسه.

مرتكزات الشعراء المحدثين لمحاولة نقض وتقويض البنية التي جاء بها الشعر العربي الكلاسيكي تأثرًا بالحاجة الى التجيد التي يفرضها العصر.وفي ذلك يقول طه حسين:"فمنهم من يرى ان الشعر هو الكلام المنظوم في الوزن والقافية ، ومنهم من يرى ان الشعر هو الذي يعتمد فيه صاحبه على الخيال .لا يعنيه ان يكون هذا الكلام منظومًا في الوزن والقافية اوغيرمنظوم"[1].

ولا تعدُّ المنظومات العلمية شعرًا،ولا يطلق لفظ الشعر الا على الكلام المنظوم الذي يعتمد فيه صاحبه على الخيال.حسب اعتقاد بعض الدارسين والشعراء المحدثين .

فهناك " قوم يتحلّلون من القافية ،ويتمسّكون بالوزن متأثرين بتطور الشعر عند بعض الامم الاجنبية ، فهم يتحلّلون من القافية مثلاً ويكتفون بالوزن وهم قد لا يتّفقون فيما بينهم على مقدارالتحلّل من القافية،فمنهم من يريد الغاءها ومنهم من يريد الاكتفاء منها بالمقدار اليسير،وربّما لم يتفقوا في مقدار التزام الوزن نفسه فمال بعضهم الى التزام البحر الواحد ومال بعضهم الاخر الى الى الافتنان في هذه البحور ،فخلط بحرًا ببحر من البحور التي عرفها العروضيون وربما اضاف الى هذه البحور ما لم يكن للعروضيين به عهد من قبل"[2] .على ان الشعراء والنقاد متفقون ايضاً على ان الشعر لا يكون شعرًا ،حتى يتقيّد بالقافية تقيدًا تامًّا .

" فأما القدماء فكانوا يلتزمون القافية الواحدة والأرجوزة ،ثم اخذ بعضهم يتحلّل من هذه القافية في الرَّجز ثم في القصيد وافتننوا بذلك افتنانًا كبيرًا ،كما افتننوا في الوزن نفسه ."[3] وبرز في الفترة الحديثة فريق ممن اخرجوا نمطًا ونوعًا جديدًا من الشعر ،يحاولون تجاوز الشعر الكلاسيكي المعروف فذهبوا لأجل ذلك كل مذهب مبرّرين ما سلكوه في اطار التجديد والإبداع ولكنه ابداع وتجديد جاء نتيجة التأثر بالآداب الاعجمية ، مع مافيه من السلب والايجاب .

5- أسباب ازدهار الشعر في دولة المناذرة :

شهدت الحيرة نهضة الشعر العربي فكانت الميدان الذي برزت فيه مظاهر تلك النهضة ، فظهرت كحاضرة متقدّمة في هذا المجال عن الحواضر العربية الأخرى. وتطوّر الشعر بتأثير الحيرة وتمّ بناؤه من حيث الالفاظ والأساليب وتعزّزت بنيته الفنية لإبداع الشعراء في صوره وموسيقاه وتنوّعت اغراضهم فيه وازداد تنافسهم بازدياد اعدادهم .

[1] – طه (حسين)، المرجع السابق، ص 309.

[2] – نفسه ،ص327.

[3] – نفسه ،ص328.

وتعدّدت اسباب ازدهار الشعر والاهتمام به في دولة المناذرة و تنوّعت ، فاتصل بعض هذه الاسباب بمجتمع الحيرة ودولتها ،وتعلّق بعضها الاخر بملوك الحيرة انفسهم وجهودهم وإسهاماتهم في تلك النهضة التي عرفها الشعر العربي في بلاطهم . كما تعلّق بعض الاسباب بالشعراء ومنافستهم في ارضاء ملوك الحيرة والتقرّب منهم بالشعر ، وفي نفس الوقت اثبات الجدارة الادبية لكل منهم في احقيته بلقب احسن الشعراء وبالتالي نيل الشهرة وذياع ذكره وقبيلته بين القبائل. بينما اتصل بعض هذه الاسباب بالتقاليد الادبية التي طبعت الحياة الفكرية والأدبية لدى الحيريين ممثلة في تلك المجالس التي كانت تعقد بغية المبارزة والمنافسة فيها بين الشعراء . ويمكننا ان نلخص تلك الاسباب والعوامل التي ادت الى ازدهار ونهضة الشعر في الحيرة بما يلي :

5-1- الدور السياسي للمناذرة في الحفاظ على مقوّمات الشخصية العربية :

اتاح الاستقلال السياسي ونفوذ ملوك الحيرة ،الذين كانت سياستهم اكثر تحرّرًا من بعض الامارات العربية الاخرى كالغساسنة مثلًا ،الى ان يتمتّعوا بحريّة اكبر وعملوا بذلك على الاتصال بعدد كبير من سادة العرب ورؤساء قبائلهم،فكانت لهم حرية التصرّف في شؤونهم العامة [1].ولم يستطع النفوذ السياسي الفارسي الذي رافق وجود الحيرة منذ تأسيسها ان ينفذ الى شخصية ملوكها .وكان ذلك الاتصال الدائم بين ملوك الحيرة والمجتمع العربي الذي لم ينفصلوا عنه سببًا في التأثير المتبادل ،فصاروا ينقلون عنه ويتأثرون به[2] .

وساهم النفوذ الذي حضي به ملوك الحيرة وسلطانهم السياسي على اشهر القبائل العربية التي كانت تستوطن سواد العراق وما يليه ،في الحفاظ على عروبة هؤلاء الملوك فجعلهم يتمسّكون بها ويذبّون عنها .

ورغم التداخل الكبير بين ملوك الحيرة والفرس الا ان ذلك لم يجعل الشخصية السياسية الحيرية تذوب في الثقافة الفارسية وان استفادت منها تهذيب النفس ورقة الاحساس لأنها اعرق مدنية من تلك العربية ولكنها لم تتوصّل الى ان تلغي الذات او تذيب الشخصية العربية [3].

وأدرك ملوك الحيرة اهمية الشعروقيمته في الحفاظ على اثراءواستقلالية شخصيتهم العربية ،فقرّبوا اليهم الشعراء واحتفوا بهم لما كان يحضى به هؤلاء في مجتمعاتهم وقبائلهم من مكانة مرموقة وأغدقواعليهم

[1] – احمد(امين)،المرجع السابق،ص28.

[2] – الاسد(ناصر الدين)،القيان في العصر الجاهلي،ط2،دارالمعارف،مصر،1968، ص131.

[3] – جرجي(زيدان)،المرجع السابق،تاريخ التمدن الاسلامي،ج3،ص33.

العطايا والهبات لترسيخ ذلك النفوذ،وليتّقوا شرّ هجائهم به . فوجد الشعراء عند هؤلاء الملوك المرتع الذي يصبون والمجال الذي فيه يأملون، فتوالت وفود الشعراء على بلاط ملوك الحيرة من القبائل العربية المجاورة لنفوذهم وما يليها .وكان من بين هؤلاء من كان سيدًا في قومه ومنهم من كان ملكًا ولكنه يحسن قرض الشعر ويجيد نظمه كعمرو بن كلثوم والحارث بن ظالم، وعامر بن الطفيل، وخالد بن جعفر وعمرو بن الاطنابة والنابغة الذبياني، وغيرهم كثير. فكان ذلك سببًا من اسباب ازدهار الشعر ونهوضه في الحيرة.

5-2- دورالمجالس الأدبية في نهضة الشعر:

ارتبط الشعرالجاهلي بالنوع الغنائي الذي كانت تعقد لأجله المجالس ليتبارز فيها الشعراء ويعرضون فيها شعرهم ،فكانت تلك المجالس ساحة تنافس شعري وأدبي يحاول فيها كل شاعر ان يقدّم افضل ما لديه ،او يعارض بشعره من جاء بشعر جيّد معارضة تنمّ عن محض السليقة والعفوية.وانتشرت تلك المجالس الادبية في الحيرة خاصة وباقي انحاء الجزيرة العربية بعدها ،فكان يرتادها كثير من الشعراء والخطباء .وغالبًا ماكانت تتمّ في حضرة احد ملوك الحيرة الذين كانوا يتذوقون ويطربون لما يقال من قصائد الشعراء القادمين الى مجالسهم ،خاصّة وان كثيرًا من هذه القصائد كانت في مدح هؤلاء الملوك . فكان الشعراء يحرصون على تجويد مدحهم ، وإتقان فنهم حتى يحظوا بإعجاب من حولهم وينالوا جائزة الملك وهو ما ادى الى ازدهار الشعر وتنوع فنونه واختلاف اغراضه من المدح الى الفخر والهجاء ثم الوصف والاعتذار،مما كان ينظم في هذه المجالس.وقد سبق ان ذكرنا مدى اهتمام ملوك المناذرة في الحيرة بالشعر والإجازة عليه بجوائز ضخمة قد لا تخطر على بال الشعراء .

وكانت للشعراء طريقة خاصة في انشاد الشعر ،فيذكرون ان الشاعر منهم اذا اراد القاء الشعر تهيأ لذلك واستعدّ له واظهر للناس انه يريد القاء شعر،ومن اصولهم في الالقاء ان ينشد الشاعر شعره وهو قائم ،وان يلبس الوشي والمقطعات والأردية وكل ثوب مشهر[1] .

وكانت مجالس ملوك المناذرة عامرة بهذه المناسبات اكثر بكثير من مجالس الغساسنة ، لغلبة النزعة الاعرابية على ملوك الحيرة وقلة تأثرهم بالحضارة. وتغلّب الحياة الحضرية على الغساسنة وتأثرهم بالحياة

[1] – الجاحظ (عمروبن بحر)،المصدرالسابق،البيان والتبيين،ص60.

اليومية لأهل الشأم وبنزعة الروم البيزنطيين في الحكم وآداب السلوك حتى انهم كانوا يتلذذون الاستماع الى غنائهم، ولهم قيان في قصورهم وبيوتهم، يغنين لهم بغناء الروم[1] .

وكان الملوك يجلسون خلف الستور حين يستمعون الى شاعر ،وذكر ان عمروبن هند كان يسمع الشعراء من وراء سبعة ستور[2] .

وكان النعمان بن المنذرأوسع ملوك المناذرة مجلسًا وأكثرهم عنايةً له ، فكان يؤم مجلسه كثيرمن الشعراء والخطباء والأدباء. وكانت العادة ان الشاعر يقف امام الملك، الذي قد يكون جالسا على سريره ، فينشده شعره بعد ان يكون قد استأذنه في ذلك ، وقد يكون في المجلس جملة شعراء ياذن لهم بالدخول عليه جملة واحدة لينشدوا الملك شعرهم ، وما جاؤوا به من شعر في مدحه ، ويكون المجلس عامرًا بأهل الحظوة من المقرّبين الى الملك ومن الشعراء الملازمين له [3] .

ومن اوصاف هده المجالس الخاصة التي كانت تقام غالبًا في قصر الملك ،ان هؤلاء الملوك يضربون قبة على ابوابهم ،يقعد فيها الناس حتى يؤذن لهم[4] .

وكان الشعراء اذا ارادوا الدخول على الملوك يسلكون ما ذكره جواد علي بقوله : " وكان من عادة الاعراب الطواف حول قبة الملك مع رفع الصوت بالرجز ليسمع الملك صوت الراجز،فإذا عرفه او اعجبه رجزه اذن له بالدخول ،وقد يكون هذا الرجز مقدمة لدخول الشاعر على الملك حتى يلقي عليه ما يكون نظمه في مدحه وفي مدح اله من شعر "[5].

وذكر اغلب الشعراء الذين توافدوا على بلاط ملوك المناذرة بالحيرة أوصافًا لتلك المجالس وما كان يجري فيها مما تعرّضوا له فيها من مواقف على يد ملوك الحيرة سواءًا كانت تلك المواقف حفاوة حضوا بها او اهانة او ربما اساءة من اقرانهم فغدت تلك المجالس من الحظوة والتعظيم لديهم بمكانٍ فاجتهدوا في البروز بشعرهم فيها ،وعملوا على تنقيحه وتجويده لينال اعجاب من يحضر هذه المجالس وعلى رأسهم ملك المناذرة .وأدّى ذلك بالتالي الى تطوير الشعر و تجويد فنه وازدهاره.

[1] – جواد(علي)،المرجع السابق ،ج9،ص87.

[2] – الزوزني(ابوعبدالله الحسين بن احمد)،المرجع السابق، ص154.

[3] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج9،ص85.

[4] – البغدادي(عبد القادرعمر)، المرجع السابق،ج4،ص185.

[5] – جواد(علي)،نفسه.

وتذكركتب التاريخ والأدب الكثيرمن المجالس العامة التي كان يعقدها بعض الشعراء البارزين،حتى اصبحت تلك المجالس تقليدًا درج عليه هؤلاء الشعراء لمناظرة شعراء اخرين ومعارضتهم او لابراز الجديد الذي انتجوه . فكانت تلك المجالس بمثابة منتديات للنقد الذي تناول اشعرهم ،وكانت الميدان الذي يتم فيه اكتشاف واشهار احسن القصائد . ولم تكن المجالس الخاصّة بالشعراء بمنأى عن تأثير دولة المناذرة ،فكانت تتمّ في حماها أو بتشجيع من ملوكها لأن أغلب الشعراء الذين كانوا يؤمّون تلك المجالس على صلة بالحركة الشعرية والأدبية في بلاط ملوك الحيرة .

يتحدث علماء النقد القدماء منهم والمحدثون، فيجملون ذكر الاقوال النقدية المأثورة عن قبائلها في العصر الجاهلي، دون ان ينسبوها الى بيئة معينة.

وحينما استعرضت معظم هذه الاقوال على وجه التقريب وجدت انها لا تخرج عن بيئة الحيرة،ولا تندعن محيط القبائل الضاربة تحت ظلالهاالا فيما ندر. وكان التعميم في الاحكام سمة من سمات العصر الجاهلي.

ومن اشهر المجالس التي كن لها صيت ،وكان شعراؤها على صلة وثيقة بملوك المناذرة نذكر :

5-2-1- مجلس النابغة الذبياني : وكان مجلسه الخاص يتمّ في سوق عكاظ وهو سوق مشهورفي الجزيرة العربية كلها يقع بين نخلة والطائف ،ويجتمع فيه الناس في موسم الحج حيث كانت تعرض الوان مختلفة من عروض التجارة وكانوا يجعلون من هذه المناسبة فرصة يتنافسون فيها بأشعارهم ويذكرون امجاد قومهم ،وكان النابغة الذبياني هو حكم هذا السوق[1].فكانت تُضرب له قُبّة من أدم ،ويأتيه الشعراء فيعرضون اشعارهم وكان ممّن تحاكم اليه:الاعشى فأنشده،ثمّ انشده حسّان بن ثابت ،ثمّ شعراء اخرون [2].

ولولا معرفة النابغة بالشعروالادب اللذين اكتسبهما من مخالطته لملوك الحيرة خاصة وكثرة تردده على بلاط ملوكها لما اختاره الشعراء العرب ورضوا باجازته لهم وهو موقف جليل لا يمكن لاي شاعر ان يناله بسهولة ، خاصة اذا عرفنا مدى الحساسية والعصبية القبلية التي كان يتمتع بها العرب في الجاهلية ، اذ من العسير جدا ان يعترفوا لشاعر بذلك السبق والفضل اذا لم يكن اهلًا لذلك فضلًا عن المكانة والتقديم اللذان كان يحضى بهما النابغة لدى ملوك المناذرة .

[1] – المرزباني(ابوعبيد الله محمد بن موسى)،المصدر السابق، ص 58.

[2] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج9،ص89.

ويذكر ان الخنساء جاءت الى النابغة في مجلسه بعكاظ فأنشدته ،فقال لها :والله لولا ان ابا بصير،و يقصد الاعشى ،انشدني آنفًا لقلت انك اشعرالانس والجن فقال حسان بن ثابت :والله لأنا أشعر منك ومن ابيك ومن جدك ،فقبض النابغة على يده ثم قال : يابن اخي انك لا تحسن ان تقول مثل قولي :

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع[1] .

ومن المعروف عن ملوك الحيرة ،انهم كانوا يتمتّعون بذوق فني عالٍ للشعر،اذ كان منهم من يقرض الشعر ،فنجد النعمان بن المنذر في بعض المواقف ناقدًا لشعر النابغة الذبياني شاعره المفضّل،هذا الاخيرالذي كان هو الحكم الذي يقضي،والرائد الذي لا يكذُب أهله ، فقوله وحكمه لا يختلف عليه شاعران .

ومع ذلك فقد كان النعمان يعيب على هذا الشاعر بعض شعره ، ويوجه اليه نقدًا يراه قريبًا للموضوعية ،والبناء الصحيح ،وهو ما يدل على تمكّن العرب في العصر الجاهلي من فن النقد وممارستهم له .

قال النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر :

تراك الارض اما متّ خِفًّا وتحيا ان حييت بها ثقيلاً

فقال له النعمان بن المنذر: " هذا بيت ان انت لم تتبعه بما يوضح معناه كان الى الهجاء اقرب منه المديح"[2] ،فأراد النابغة ذلك فصعب عليه.وهي كلمة تعبّرعن نظرة متأملة مدركة لأسراراللغة وفن الشعر.وهوالقائل للنابغة ايضًا:" بمثل هذا فلتمدح الملوك "[3]،وذلك حينما انشده فأعجبه شعره .

وقد دفع وجود ملوك بهذه النظرة النقدية الشعرية الثاقبة بالكثير من الشعراء الى ان يتخيّروا شعرهم ويجودوه ويتفننوا في اظهار قصائدهم على احسن صورة لان الملك يعرف الجيّد من الرديء .

فكان النابغة الذبياني مرجعًا للشعراء في سوق عكاظ وفي غيره وكانوا يقصدونه في الحيرة لتخليص قصائدهم مما يمكن ان يشوبها من اخطاء وعيوب.

5-2-2- مجلس طرفة بن العبد البكري : وكان ينتقد شعر المتلمس الضبعي وهو خاله والمسيّب بن عَلَس بن عمرو البكري،ويقال انه خال الاعشى،وكان من الشعراء الجيدين المقلّين .كان

[1] – نفسه .

[2] – المرزباني(ابوعبيد الله محمد بن موسى)،نفسه.

[3] – النويري(احمد بن عبد الوهاب)،المرجع السابق،ج3،ص177.

الشعراء الثلاثة ينادمون الملك عمروبن هند،قبل ان يهجوه طرفة،وكانوا من شعراء بني ربيعة المعروفين ومضاربهم عامة فيما بين العراق والبحرين[1] .

5-2-3- مجلس امرؤ القيس : كان له مجلسان شعريان معروفان اولهما مع : علقمة بن عبدة بن ناشرة التميمي[2]،الملقّب بالفحل شاعر من قبيلة تميم.وقدارتبط لقبه هذا بقصّة وقعت له مع امرئ القيس ،حيث كان تحت امرئ القيس امرأة تزوجها من قبيلة طيء حين جاورهم ،فنزل به علقمة بن عبدة التميمي ،فقال كل واحد منهما لصاحبه :انا اشعر منك ،فتحاكما اليها .فانشد امرؤ القيس قصيدته المشهورة التي مطلعها:خليلي مُرّا بيعلى ام جندب .حتى وصل الى قوله :

فللسوط ألهوب وللساق درة وللزجر منه وقع اهوج مهذِب .

الى ان فرغ .فأنشدها علقمة قوله :

ذهبتَ من الهجران في غيرمذهب ولم يك حقًا كلُّ هذا التجنّب .

فقالت علقمة اشعر منك .قال :وكيف ؟ قالت : لأنك زجرت فرسك وحرّكته سباتك وضربته بسوطك ،وانه جاء هذا الصيد ثم ادركه ثانيًا من عنانه .فغضب امرؤ القيس وقال :ليس كما قلتِ ولكنّك هويته ،يقصد علقمة ،فطلّقها ،فتزوّجها علقمة بعد ذلك ،وسمي علقمة الفحل[3] . وكانت قبيلة تميم من اقوى القبائل صلةً بولة المناذرة وبملوكها أبًا عن جدٍّ،لذلك لم تكن الردافة وهي بمثابة الوزارة ،الا في بني تميم توارثوها كابرًا عن كابرٍ.ونالهامن بني تميم خاصّة بنو يربوع[4] فعُرفت بهم وعُرفوا بها .

وتذكركتب التاريخ والادب تلك المبارزات والمباريات الشعرية التي كانت تتم بين الشعراء في مثل هذه المجالس ومنها تلك التي تمت بين اربعة من ابرز شعراء قبيلة تميم نفسها وهم :عمرو بن الاهتم،والزبرقان بن بدر،وعبدة بن الطيب والمخبّل السعدي،وقد تحاكم الاربعة الى ربيعة بن حذار الاسدي.وكانت قبيلتاأسد وذبيان بدورهما تدينان بالولاء لدولة المناذرة ، وكانتا تهاجمان الغساسنة خصوم المناذرة بين فترة واخرى،وهو ما يدلّ على ولائها للمناذرة[5].

---

[1] – طرفة(ابوعمروطرفة بن العبدالبكري)،ديوان طرفة ،تح،احمدالامين الشنقيطي،دارصادر،بيروت،1953،ص 42.

[2] – محمد(صالح سمك)،اميرالشعرفي العصرالقديم ،دارنهضة مصر،1973،ص251.

[3] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص505.

[4] – ابن دريد(ابوبكرمحمد بن الحسن)،الاشتقاق،تح،عبد السلام محمدهارون،مطبعة السنة المحمدية،1958، ص221.

[5] – شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص 267

؛ المرزباني(ابوعبيد الله محمد بن موسى)،المصدرالسابق،ص108.

وكان المجلس الثاني لامرئ القيس مع الشاعر التؤم اليشكري[1]،والشاعر التؤم اليشكري من بني يشكرمن قبيلة بكر بن ربيعة،وكانت هذه القبيلة تسكن ظاهر العراق،وقد يمتد نفوذها ومضاربها الى نجد وتصل حتى اليمامة موطن قبيلة بني حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل التي تلتقي مع بكر في النسب وقد اشتهروا بالزرع والنخيل،وكان امرؤ القيس يتنقّل بين هذه الربوع التي كانت تدين بالولاء لدولة المناذرة[2]،وتبذل الطاعة لملوكها طيلة وجود هذه الدولة.

كماكان امرؤ القيس كثيرًا ما ينازع الشعراء،قيل انه نازع التؤم اليشكري فقال:ان كنت شاعرًا فاجز انصاف ما اقول ،فقال التؤم :قل ما شئت ،فقال امرؤ القيس:أَصَاح ترى بُريقًا هبّ وَهْنًا فقال التؤم :كنار مجوس تستعر استعارًا، فقال امرؤ القيس : أرقتُ له ونام ابو شريح ، فقال التؤم:اذا قلتُ قد هدأ استطارا .

الى اخرمعارضتهما .فلما رأى امرؤ القيس ان التؤم اليشكري يماتنه ولم يكن احد في الزمن الاول يماتنه آلى على نفسه الا ينازع في الشعر احدًا بعده [3].

وقد ازدحمت كتب الادب والتاريخ بذكرالمناكفات والمعارضات والإجازات في تلك المجالس التي كانت تقام لهذا الغرض كنوعٍ من انواع النقد والإجادة التي ساهمت في ازدهاروتطويرحركة الشعر،كما ساهمت المجالس العامّة التي كان يعقدها ملوك المناذرة في ترسيخ التفاعل بين مختلف طبقات الشعراء .وكانت المجالس الخاصة التي ينظّمها الشعراءامتدادًاومظهرًا من مظاهرذلك التفاعل.

مع الاشارة الى ان الدّارس لتلك الحركة الادبية والشعرية يلمس الصّلة الوثيقة بين القبائل العربية المنتشرة على حدود دولة المناذرة،وفي اعماق شبه الجزيرة العربية اذكانت معظم تلك القبائل تدين بالولاء لملوك المناذرة ودولتهم.فكانت الحيرة بذلك رافدًامهمًّا في سموّ شاعرية الشعراء العرب وتهذيب فنّهم .

5- 3 - دورهجاء بعض ملوك المناذرة في نهضة الشعر:

كانت تلك الحظوة والمكانة التي تمتّع بها شعراء العرب بين قومهم ووفودهم على ملوك الحيرة وتنافسهم على ذلك ، مطية لانطلاق فكرهم وتحرّرهم من كلّ الضوابط فنعموا بحرية جعلت نتيجة ذلك التنافس يخرج بعضهم للمحظور ، فتجرّأ بعضهم على هجاء ملوك الحيرة انفسهم كتعبير عن

[1] – الشنتمري،(الاعلم يوسف بن سليمان)،ديوان امرئ القيس ،تح ،ابن ابي شنب ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1974،ص147.

[2] – ابن حزم(ابومحمدعلي بن احمد)،المرجع السابق،ص309.

[3] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية ،ص11.

عدم رضاهم على احد هؤلاء الملوك لمجرد انه لم يقدمّهم على شعراء اخرين او انه عاملهم بسوء .وكانت العرب تتقي ألسنة الشعراء من الهجاء اشد الاتقاء ،ومردّ ذلك تلك المنعة والحماية التي كان يتمتع بها هؤلاء الشعراء لدى قبائلهم ،ولو تتبّعهم الملك لم يظفر بهم ولوحرص على ذلك[1] ،لإمكانية تخفيهم في الصحراء وصعوبة ملاحقتهم فيها .

ولم يخلوتاريخ دولة المناذرة في الحيرة من ملوك اقوياء وفي بعض الاحيان وصفهم المؤرخون بالمستبدّين فجعلوا انفسهم عرضة لسهام هجاء بعض الشعراء لسببٍ من الاسباب .ولم ينل من ملوك المناذرة من ذلك الهجاء ماناله عمرو بن هند(563-578م)،والنعمان بن المنذر(585-613م)،وعلى قدر سطوتهما وقوتهما وضربهما في الارض كل مضرب ،وعلى قدرما اشتهرا به من تقريب الشعراء واستعمالهم للدعاية السياسية ،بل ان النعمان بن المنذر نفسه كان يقرض الشعر ،ولكن ذلك لم يقف حائلًا امام نيل الشعراء منهما .واخذ هذا الهجاء يزداد بازدياد الشعراء الذين اشتهروا به حتى صار فنًا مستقّلًا بذاته له خصائصه و مميزاته ،وهو فن هجاء الملوك.

ورغم ان هذا النوع كان موجودًا منذ عهد اقدم من تاريخ دولة المناذرة ،الا ان عصرهذه الدولة شهد نضوج هذا النوع من الشعر لكثرة الشعراء الذين تبنوه من جهة ولهيبة ومكانة المستهدف بذلك الهجاء وهم بعض ملوك الحيرة من جهة اخرى . وقد اشتهرفي عمرو بن هند الشاعران اللذان نالا منه هجاءًارغم اقتداره وقوته وهما الملتمس الضبّعي وطرفة بن عبد البكري وقصّتهما مشهورة اوردناها في موضعها[2]. وكان طرفة ذلك الشاب الطموح الذي لا يقيم على الخسف ولا يرضى بالمهانة، لم تعجبه سيرة الملك عمروبن هند، فقد كان يسرف في شرابه ولهوه و يتباطأ في مجلسه عن الشعراءوالناس،فاستاء من هذه المعاملة وقال شعرًا يهجوه فيه وكان من جملة ماجاء فيه:

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثًا حول قبتنا تخور

لعمرك ان قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير

قسمت الدهر في زمن رخي كذلك الحكم يقصد او يجور

فبلغ الشعرعمرو بن هند وابلغه اياه عبدعمرو وكان من سادات العرب في زمانه وكان زوج اخت طرفة وقد هجاه طرفة ايضًا ،فلما انشد عمرو بن هند هجاء طرفة له على سبيل المزاح والاستخفاف بشأنه

[1] – ابن قتيبة(ابومحمدعبد الله بن مسلم الدينوري)،المصدرالسابق،عيون الاخبار، ج1،ص138.

[2] – المرتضى(علي بن الحسين الشريف)،امالي المرتضى،غررالفوائد ودررالقلائد،تح،ابوالفضل ابراهيم،ج1،مكتبة عيسى البابي الحلبي،القاهرة، 1995، ص203.

.قال له عمرو:ابيت اللعن ،ومما قال فيك اشد مما قال في،فانشده الابيات،فقال عمرو بن هند:اوقد بلغ من امره ان يقول فيّ مثل هذا الشعر ،فكتب الى رجل من عبد القيس بالبحرين ويدعى المعلى ليقتله .

فقال بعض جلسائه :انك ان قتلت طرفة هجاك المتلمس وهو رجل مسنّ مجرّب وكان حليفًا لطرفة وكان من بني ضبيعة،فأرسل عمروبن هند الى طرفة والمتلمس فكتب لهما الى عامله بالبحرين ليقتلهماواعطاهماهدية من عنده وحملهما.وقال: قد كتب لكما بجباء .

فأقبلا حتى نزلا الحيرة،وارتاب المتلمس في أمرالصحيفة واستقبال عمرولهما،ففكّ ختمها وعرضها على غلام من اهل الحيرة فقرأها،فإذا فيها امربقتله،فأخذ الصحيفة فقذفها في البحيرة وقال :

ألقيتها بالثني من جنب كافر كذلك ألقي كل رأي مضلل

وأشارعلى طرفة بفك الختم ليقرأها له،ولكنه ابى وذهب الى صاحب البحرين فوجد هناك نهايته في قصص منمّق محبّر يرويه اهل الاخبار[1].

واختلف في من قتله،فقيل انه بعد نجاة المتلمس وصل الى البحرين فلما قرأعاملها صحيفته وسأله عن المتلمس فاخبره بفراره عفا عنه صدقه ورعايته لطابع الملك حيث انه لم يفكه.وقيل انه سجنه وبعث الى عمرو بن هند وقال له : ما كنت لأقتل طرفة وأعادي قبيلته فإذااردت قتله فابعث اليه من يقتله ففعل وخُيِّر في قتله فاختار ان يسقى الخمرويفصد اكحلاه،ففعل به ذلك حتى مات نزفًا ودفن بهجر[2] وتطرّق الشريف المرتضى الى موضوع قتل عمرو بن هند لطرفة، فذكران عامل البحرين يومئذ هو المعلى بن حنش العبدي،وذهب الى احتمال كون قاتل طرفة هو النعمان بن المنذر،واستدلّ على ذلك بقول طرفة :

ابا منذر كانت غرورًا صحيفتي ولم اعطكم في الطوع مالي ولا عرضي

ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض[3]

وهذا القول حينما وقع طرفة في المأزق ودخل سجن البحرين تمهيدا لقتله فبعث اليه بقصيدة طويلة يجمع فيها بين الفخر بنفسه وتهديد الملك ووعيده، ومن ضمنها هده الابيات ونراه في بعض ابياتها يستعطف الملك لعله ان يخفف عنه من اهوال سجنه وكرباته،وان يكف عن افناء الناس وقتلهم له.

[1] – جواد(علي) ،المرجع السابق،ج3،ص243.

[2] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص308.

[3] – جواد(علي) ،المرجع السابق،ج3،ص246.

اماالمتلمس الى بلادالشأم حيث الغساسنة خصوم المناذرة،فصار يمدحهم ويهجوعمروبن هندواستقر ببصرى الى ان هلك[1].وذلك سنة 564 م،وقال : انه رجع الى قومه [2].

ومن هجاء المتلمّس في عمرو بن هند :

اطردتني حذر الهجاء ولا والله والأنصاب لاتئل*

وقوله فيه أيضًا:

الك السدير وبارق ومرابض ولك الخورنق

والقصر ذو الشرفات من سنداد والنخل المسبق

فلئن تعش فلتبلغن ارماحنا منك المخنق[3]

واشتهرعمرو بن هند بأنه كان يتّصف بالشدّة والصرامة وانه كان جائرًا في ملكه وبالغوا في في وصف قسوته حتى قالوا انه كان لا يبتسم ولا يضحك[4] .

وكان اهل الحيرة يعانون من مظالمه واعتدائه على الاموال والأرواح حتى كثر فيه هجاء الشعراء ومن هؤلاء ايضًا سويد بن ابي كاهل اليشكري،الذي نجده من خلال شعره يرفض زيارة الحيرة حتى ولو كان الرخاء مخيمًا على ربوعها لأن فيها ملكًا يعتدي ويجور فيقول :

أبى القلب ان يهوى السدير وأهله وان قيل عيش بالسدير غرير

فلا أنذر الحيّ الذين نزلوا به واني لمن لم يأته لنذير

به البقُّ والحمُّى وأسدٌ خفيةٌ وعمرو بن هند يعتدي ويجور[5]

وهو لا ينفك كذلك عن العربدة واللهو والمجون، مما جعله حاد المزاج سريع الغضب، وقد اثر ذلك في نفوس بعض الشعراء، ممن هجوه.

---

[1] – نفسه،ص245.

[2] –.لويس(شيخو)،المرجع السابق،ص 308.

* لا تئل : أي لا تنجو. والموئل : الملجا، نفسه،ص339.

[3] – طرفة(طرفة بن العبد البكري)،ديوان طرفة بن العبد ،تح،احمد الامين الشنقيطي،دار صادر،بيروت،1953،ص 42.

[4] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج3،ص242.

[5] – الجبوري(يحي)،الجاهلية،مقدمة في الحياة العربية لدراسة الادب الجاهلي،مطبعة المعارف،بغداد،1978، ص50.

ومع ما اتّسم به عمرو بن هند من قسوة وفظاظة ، فان عهده كان عصرًا ذهبياً للشعر في الحيرة التي كانت مقصد الشعراء في أيامه يمدحونه وينالون جوائزه وعطاياه حتى لم يكد يتخلّف أحد من فحول الشعراء في ذلك العصر دون ان يشدّ رحاله الى بلاطه ونيل عطاياه.وكما كان بعض الشعراء يهجونه ،نجد آخرين يتنافسون في مدحه .

ومن ملوك الحيرةالذين نجدهم يجمعون التناقض بين شخصيتهم القوية واجتراء بعض الشعراء عليهم هجاءًا وتعريضًا ،رغم ان الكثير منهم كان يكيل له المدح وهو ما كان سببًا في تنشيط الحركة الادبية والفكرية . نجد الملك النعمان بن المنذر الذي لم تشفع له شخصيته القوية في التعريض من طرف بعض الشعراء ،ومردّ ذلك لدمامة في خلقه واصل امّه ،وقد اثر ذلك النقص الذي لايد له فيه في نفسيته وسلوكه ولا شك فصيّره سريع الغضب أخّاذًا بالوشايات ،رغم طعن جواد علي في تلك الروايات[1]. ويمكن استجلاء مستند تلك الروايات في تأثره بأقوال الوشاة تأثرًا سريعًا من خلال تعامله مع الشاعرعدي بن زيد حين زجّ به في غياهب السجون.

وكان نتيجة ذلك ان عرّض به بعض الشعراء مثل مالك بن نويرة ،كان من بني يربوع، فقد هجا النعمان بن المنذر بقوله :

لن يذهب اللؤوم تاج قد حبيت به من الزبر جد والياقوت والذهب[2]

ومن الشعراءالذين تطرّقوا بالهجاء لبعض ملوك الحيرة نذكر:الربيع بن زياد العبسي،والحارث بن ظالم،وزيد بن حذاق،والمرقش الاصغر،و الخِرِنْق بنت هفّان اخت طرفة بن العبد لأمه،وغيرهم .

5-4- رغبة ملوك المناذرة في المدح وإسرافهم في الاجازة عليه :

كان من بين الاسباب الرئيسية التي ادّت الى ازدهار الشعر ونهضته في دولة المناذرة ،تلك الرغبة الملحّة التي كانت تحدو ملوكها في استقطاب الشعراء من كافة ارجاء شبه الجزيرة العربية ،ليكيلوا لهم المدح ،وفي المقابل ينفحونهم بالمال الوفير والعطاء الجزيل ،وذلك ليبشّروا بهم بين البدو وأنحاء الجزيرة[3] .اما الشعراء فقد تنافسوا في التهافت على بلاط ملوك المناذرة ،ليس رغبة في التكسّب ونيل العطاء

[1] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج3، ص262.

[2] – ابن عبدربه(احمدبن محمد)،المصدرالسابق،ج5،ص234

؛ الجواليقي(ابومنصورموهوب بن احمد)،المعرب من كلام الاعجمي على حروف المعجم،تح،احمدمحمد ابوالفتح،ط2،مطبعة دارالكتب،1969،ص404.

[3] – محمود(ابو الخير)،المرجع السابق،ص11.

السّخي لهؤلاء الملوك ،بل ليعلوا ذكرهم بين مختلف القبائل ويذيع صيتهم ليتجاوز حدود القبيلة الى فضاء اوسع من ذلك ليشمل شبه جزيرة العرب كلها . لذلك فقد عمل الشعراء في خضم ذلك التنافس على تجويد وانتقاء احسن ما يمكن ان ينتقى لنيل رضى ملوك المناذرة به فيجزلون لهم العطاء وفي نفس الوقت يشتهر ذكره بين العرب.وكانت احسن مناسبة سانحة لذلك اوان تتويج الملك على العرش،حينما تجتمع حوله الوفود لتهنئته بذلك التتويج وهو العامل الذي زاد من تطوّرالشعر وجودته . ومن الامثلة الكثيرة لذلك في تاريخ ملوك المناذرة انه حينما توّج النعمان بن المنذر ملكًا على الحيرة،دخل عليه الناس وفيهم أعرابي فانشده يقول :

اذا سُست قومًا فاجعل الجود بينهم وبينك تأمن كلّ ما تتخوّف

فان كشفت عنك الملمّات عورة كفاك لباس الجود ما يتكشّف

فقال النعمان:مقبول منك نصحك، فمن انت؟ قال: انارجل من جرم ، فأمرله بمائة ناقة،وهي أول جائزة اجازها الاعرابي الذي مدحه حين توج على العرش[1].

وكان من اشهر الشعراء الذين ارتبط ذكرهم ببلاط النعمان بن المنذر وارتبط ذكر النعمان بشعره مدحًا وعتابًا في بعض الاحيان ،حتى انه لا يذكر النابغة الذبياني إلا وذكر شعره في النعمان بن المنذر يكيل له المدح فيجزيه عليه بما لا يتوقّعه النابغة في كل مرّة[2]. فكانت حظوة النابغة الذبياني عند النعمان بن المنذر لا تضاهيها حظوة شاعرعند ملك في ذلك الوقت،فكان أرفع الشعراء قَدرًا،وأوفرهم حظًا وكرّمه النعمان بن المنذر تكريمًا صارمضرب المثل عند اهل زمانه.ولم يتأخر النابغة او يقصرعلى هذا التكريم فأوسع فيه هذا الاخيرمن كرائم قصائده ونفائس شعره ما جادت به كتب الادباء والمؤرّخين .ومن امثلة كرم النعمان على شاعره المفضّل الكثيرة ما روته بعض كتب المؤرخين ومنها ان النابغة لما سأل حاجب النعمان الاستئذان للدخول عليه قال له الحاجب:الملك على شرابه،ولما سأله من عنده،قال:خالد بن جعفر بن كلاب، فتوسّل اليه بان يمكنه من الدخول على النعمان ففعل، فلما دخل النابغة على النعمان حياه بتحيّة الملوك وسلّم عليه وجلس فقال:" أيها الملك أيفاخرك صاحب غسان،فوالله لقفاك أحسن من وجهه ولشمالك أجود من يمينه،ولأمك خير من أبيه،ولغدك

[1] – القالي(ابوعلي اسماعيل بن القاسم)،ج1،ص239.

[2] – الميداني(ابوالفضل احمد بن ابراهيم)،المصدر السابق،ج1، ص395.

أسعدمن يومه .فضحك النعمان،ثم قال لخالد:من يلومني على حبّ النابغة،ألك حاجة ؟ قال: نعم. فقضى حوائجه بأسرها وأحسن جائزته،فانصرف داعيا له[1] .

وفي مناسبة اخرى يمدحه بشعر تهلّل له وجهه،وتفاعل معه حسّه،وطرب له فأمر أن يحشى فوه جوهرًا، ثم قال:بمثل هذا فلتُمدح الملوك ،او قال:هكذا فلتمدح الملوك[2] ". وخاف النابغة من عاقبة الوشاية به من طرف الشاعرالمنخل اليشكري حينما قال الشعر في زوجة النعمان المتجرّدة ووصفها حين سقط نصيفها منها يومًا فاستترت بيدها وذراعها ومنها قوله[3] :

حان الرحيل ولم تودّع مَهْدرًا والصبح والإمساء منها موعدي

في اثرغانية رمتك بسهمها فأصاب قلبك غير ان لم تقصد

حتى قوله :

سقط النصيف*ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

وغضب النعمان على نديمه وشاعره النابغة ولكنه اسف اسفًا شديدًاعلى عدم حفاظه على ود شاعره الكبير،ولم يكن النابغة اقل اسفًا وندمًا على ما اقترف ولكن بعد فوات الاوان،الا انه لا يترك مناسبة يقول فيهاالشعرحتى ذكّروتذكّرمناقب وسجايا ملكه النعمان،وكان من ذلك القصيدة التي يقول في مطلعها:

أتاني ابيت اللعن انك لمتني وتلك التي اهتمّ منها وانصب

فبتُّ كأن العائدات فرشنني هراسًا به يعلى فراشي ويقشب

حلفتُ فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب[4]

وكان دأب ملوك المناذرة بالحيرة العطاء السّخي والهدايا الضخمة وتقريبهم الشعراء والإغداق عليهم والمبالغة في المنح والعطايا[5] ،ليس تقديرًا لهم ولشعرهم فحسب بل مطية لكسب ودّهم واستمالة قبائلهم و اتقاءًا لألسنتهم الحداد،و فوق ذلك كله الدعاية السياسية للملك والإشادة به.وخدم هذاالفعل حركة ونشاط الشعر خدمةً كبيرةً في هذه الدولة التي اصبح بلاط ملكها بمثابة المنصّة التي

[1] – لويس (شيخو) ،المرجع السابق ،شعراء النصرانية،ص631.

[2] – القلقشندي(احمد ابو العباس)،المصدر السابق،ج3،ص177.

[3] – لويس (شيخو)،المرجع السابق،ص634.

* النصيف :الخِمار ،وقيل : نصف الخِمار او نصف الثوب ، لويس شيخو، نفسه .

[4] – نفسه،ص655.

[5] – النويري(احمد بن عبد الوهاب)،المرجع السابق،ج3،ص 177.

يتـوّج فيهـا شعرالشـعراء،فتهافت عليـه احسـنهم وكـان ذلـك يـدفعهم الى تجويـد شـعرهم،والإبداع في التعبيرعن عواطفهم وحسن تصوير معانيهم،وعلى قدرالتفوق والامتياز في ذلك تكون قيمة العطاء.

وبـذلك يمكننـا القـول ان ذلـك البـذل والسـخاء الـذي كـان يبذلـه ملـوك المنـاذرة لـرغبتهم في المـدح والاشادة بمناقبهم،تندرج وراءه اهداف رآها هؤلاء بعين المتمرّس الحكيم .فقدوم الشعراء عليهم للثناء ليس للترفيه فقط بل كان اداةً فعّالة وتخليدًا لمآثرهم،وسواء قصد هؤلاءاو لم يقصدوا فقد ادّى ذلك الى ازدهار الشعر ونهوضه في دولتهم قبل ان ينتشر ذلك التطوّرالى كافة شبه الجزيرة العربية .

5-5- معرفة ملوك المناذرة للشعر وقرضهم له :

كان ملوك الحيرة عرب ممن عرفوا قيمة الشعرفانزلوه المكانة التي تليق به وبقائليه من الشعراء،ولم يكتفوا بذلك بل عملوا على تطويره والحثّ على المنافسة فيه لاغراض ذكرناها .ومنذ بداية التأسيس لدولة المنـاذرة عرفـت الحـيرة ملوكًـا ذواقـين للشـعرحتى ان بعضـهم عـرف بقرضـه لـه ،ممّـا جعـل بعـض النقّـاد ينسبون اوليات الشعر العربي الى هؤلاء الملوك ،ويشير جواد علي الى ذلك بقوله: "وقد كان ملوك الحيرة شعراء ينظمون الشعر،ولهم اطلاع ووقوف على شعر الشعراء[1]". وامثلة ذلك كثير مما رواه المؤرخون ،ويمكننا ان نخص بالذكر بعض من كان من هؤلاء له باع في تذوّق الشعر وتطويره .فقد عُرف عن عمروبن هند انه كان يتذوّق الشعر ويطرب لسماعه ،وفي احايين يهزّه الشعر وحماسته ويبلغ به الطرب حد الخروج عن طبعه القاسي الذي الفه الناس عليه فحينما مدحه الحارث بن حلزة اليشكري في قصيدته التي مطلعها :

آذنْتَنا ببينها أسمـاء رُبّ ثاوٍ ملّ منه الثواء

الى ان يقول في مدح عمروبن هند :

مَلك مقسط وافضل من يمشـ ـي ومن دون ما لديه الثناء

مَلك أضرع البرية لا يـو جد فيها لما لديه كفـاء

وقد كان بالحارث برص يمنعه من ان ينشد الملوك الاّ وهو محجوب عنهم ونتيجة لطرب عمروبن هندواستحسانه لشعره أمر برفع الحجاب بينه وبين الحارث وقرّبه اليه،وأحسن الاستماع اليه .

ومما تحدّثنا به كتب التاريخ عن تأثّر النعمان بن المنذر بالشعر وطربه له، أن قيس بن عروة الطائي كان قـد هجـا النعمـان بـن المنذر،لأنـه أصـاب نسـوةً وأذوادًا مـن قبيلـة طيئ،فغزاالنعمـان بـن المنـذرطيئا

[1] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج9،ص 329.

لهجائه،فأسرمن رهط حاتم بن عبد الله الطائي وكان صديقًا له سبعين رجلًا،فوفد عليه حاتم فسأله ان يفديهم،فوهبهم له. إلا قيس بن جحدرلأنه الشاعرالذي هجاه فقال حاتم :

فككتَ عديًا كلها من أسارها فانعم وشفّعني بقيس بن جحدر

ابوه ابي والأمهات أمهاتنا فانعم فدتك اليوم نفسي و معشري

فاستجاب النعمان بن المنذرله وأطلق سراحه[1]،لأنه طرب لهذا الشعر،وتجاوبت معه احاسيسه،وليس ادل على تذوقه الشعرمن هذه الحادثة.وكان النعمان ابن المنذر، يتعرّف بحسّه وذوقه على مواطن الحسن والرداءة في الشعر،ويميّز بين الغث منه والسمين، فكان من اوائل من خط للنقد في مجال الشعرطريقًا ،فنجد ذلك بارزًا في قوله مثلاً " بمثل هذا فليمدح الملوك "[2] ،وذلك تعليقًا على ابيات النابغة.

وذكربعض المؤرخين ان النعمان بن المنذركان عنده ديوان مكتوب،جمع فيه اشعارالفحول من الشعراء،وما مدح فيه هو وأهل بيته، فصارذلك الى بني مروان اوما بقي منه[3].

يقول ابن جني في ذلك:أمرالنعمان فنسخت له اشعارالعرب في الطنوج*،ثم دفنها في قصره الابيض فلماكان المختار بن ابي عبيد قيل له :ان تحت القصركنزا،فاحتفره فاخرج تلك الأشعار[4].

وممّا قاله النعمان بن المنذرعندما أتته وفود ربيعة ومضر بن نزار،يأمرالقينة بعد ان ابطأت في سقايتهم تنتظرأمره،فقال:

اسقي وفودك مما انت ساقيني فأبدي بكأس ابن ذي الجدين بسطام *

أغرٌّ ينميه من شيبان ذو انف حامي الذماروعن اعراضها رام

وقال ايضًا يردّ على اعتذار بعضهم :

شرّد برجلك عني حيث شئت ولا تكثر عليّ ودع عنك الاباطيلا

فقد ذكرت به والركب حاملة ما جاور الخيل اهل الشام والنيلا

وقال ايضًا في مدح قبيلة بكر بن وائل :

---

[1] – الحوفي(احمد)،المرجع السابق،الحياة العربية من الشعر الجاهلي،ص 167.

[2] – النويري(احمد بن عبد الوهاب)،المرجع السابق،ج3،ص177.

[3] – الجندي(عبد الحميد سند)،المرجع السابق، ص 190.

* الطنوج :هي الكراريس ، ابن سلام(الجمحي)،المصدر السابق،ج1،ص25.

[4] – ابن جني(ابوالفتح عثمان)،الخصائص،تح،محمد علي النجار،ط2،ج1،دارالهدى،بيروت،1952،ص392.

* هو بسطام بن قيس من قبيلة بكر بن وائل ،محمود ابوالخير،المرجع السابق ،ص14.

لله بكر غداة الروع لربهم ارمي حضن زالت ربهم حضن

لا ارى احدًا في الناس اشبههم الا فوارس خامت عنهم اليمن[1]

وملوك المناذرة بذلك لا يجمعون الشعراء ليطربوا لشعرهم فحسب،بل كان الشعر يجري على ألسنتهم هم انفسهم فيرتجلونه مثل الفحول من شعراء البدوفي الصحراءالذين لم يأخذو من الحضارة بنصيب،وهذا يدل على مدى تشجيعهم للحركة الشعرية التي انخرطوا فيها برغبة ملحّة، بقدرما كان ذلك للدعاية السياسية من مكان،اذكانت قصائد الشعراء ابواق الدعاية آنذاك،تستميل قلوب وأفئدة العرب المفتونين بألفاظها ومعانيها.

[1] – نفسه .

الفصل الثاني

موضوعات الشعر في بلاط المناذرة وقيمتها التاريخية

1- تقسيم الشعر .

2- موضوعات الشعر .

1- تقسيم الشعر:

شكّل تقسيم موضوعات الشعر لدى الدارسين ،وتتبّعه زمنيًا من حيث النشأة والتطوّر،معضلة تضاهيها معضلة نشأةوتطوّر الشعر نفسه.مادام ان الاصول الاولى لتشكيل هذا النوع من الادب والذي يتّصل بالفن اتصالًا وثيقًا ،قد غُيبت في ثنايا الرواية الشفوية للانسان العربي القديم ولم تقيّد بتأليف .وبالتالي صعُب تتبّع نشأتها ،ومع ذلك يكاد يجمع النقاد ودارسو الشعر العربي ،انه تطوّرمن اناشيد دينية وأراجيز كان العرب يناجون بها آلهتهم التي كانت تشكّل محور حياتهم فتارةً يطلبون منها القضاء على خصومهم ،وتارةً يطلبون منها نصرتهم ونصرة أبطالهم[1].وبالتالي نشأ شعرالهجاء من هجائهم اعداءهم،كما نشأ شعر المدح من مدح ابطالهم وفرسانهم وسادتهم.وكانت التعويذات التي يلقي بها العربي القديم على الميت حتى يرتاح في قبره،حسب اعتقاده النواة الاولى لشعر الرّثاء،كما كانت للوثنية واعتقاد العرب بوجود ارواح الالهة في قوى الطبيعة الثائرة احيانًا والهادئة احيانًا اخرى،وقْعٌ في نفوسهم وفي التعبير عن خوفهم منها وإجلالهم لهابالتقرّب اليها عن طريق تلك الاراجيز والأناشيد او بواسطة التعاويذ والابتهالات والأدعية.

ومن منطلق كلّ ذلك نشأت موضوعات الشعر التي اصبحت معروفة باكتمال عناصرها وبروزشعراء تصدّى كل واحد منهم واختصّ بفنٍّ من فنونها،ثم اجتهد النّقاد في تقسيم تلك الموضوعات بناءًا على الصورة المكتملة لتطوّرها،ولكنّهم لم يستطيعوا تبيان واستكشاف بداية كل موضوع من موضوعات الشعر على حدى .

وجاء القرآن الكريم ليبيّن للدارس تلك الصّلة التي كانت لدى العرب بين الشعر ودعاء الآلهة ،من خلال الربط بين تعاويذ الكهنة والسحر والشعر،فقد كان العرب الجاهليون يرمون الرسول صلىّ الله عليه وسلّم تارةً بأنه شاعر وثانيةً بأنه كاهن وأخرى بأنه ساحر[2] .

وجاء مصداقًا لذلك قوله تعالى :"**وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ. وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ انَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ**"[3]،وفي قوله تعالى:"**وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** "[4].

---

[1] - شوقي(ضيف)،المرجع السابق،العصر الجاهلي،ص195.

[2] - نفسه.

[3] - سورة الشعراء،الآيات ، 210، 211 ،212 .

[4] - سورة ص،الآية ،04.

وبذلك نميّز تلك العقيدة المتمكّنة من عقول ونفوس العرب آنذاك في ربطهم بين الشعر والكهانة والسحر،فكان بعضهم يؤمنون ان الشياطين تتنزّل على الشعراء كما تتنزّل على الكهان.واشيع ان الاعشى الشاعر،كان له شيطان ينفث في وعيه الشعريسمّى مِسْحلاً،وأن شاعرًا اخركان يخاصمه ويهاجيه ،يدعى عمرو بن قطَن كانت له تابعةٌ من الجن اسمها جهنّام[1]. ويؤكد ذلك الاعتقاد مايراه احد الشعراء ويدعى ابونجم ،الذي يرى ان لكل شاعر شيطانًا ،اما ان يكون ذكرًا او انثى حيث يقول :

اني وكل شاعر من البشر شيطانه انثى وشيطاني ذكر[2]

وتشيرالمصادرالتاريخية الى صلة الشعر بالكهانة وعلو شأنه لدى العرب .حيث كان الشاعراذا اراد هجاء احد لبس حلّة خاصّة كحلل الكُهان،وحلق رأسه وترك ذؤابتين ودهن احد شقي رأسه وانتعل نعلاً واحدةً[3] .وكما هو معلوم ان حلق الرأس من سنن العرب في الجاهلية اثناء موسم الحجّ والطواف بالكعبة .فكان شاعر الهجاء يتخذ نفس الشعائر التي يفعلها في حجّه ودعائه لآلهته،وكأنه يعتقد بالتقرّب اليها حتى تصيب لعنة هجائه خصومه بكل ألوان الأذى .

وحاول النقّاد ودارسو موضوعات الشعر تقسيمها،بعد ان اكتمل نضج الشعرو اتضحت حدود تلك الموضوعات وكثرما قيل من شعر وتعددت اغراضه.وكان من أقدم الذين حاولوا ذلك،ابوتمّام (المتوفى سنة 232هـ)،في كتابه الحماسة،وقدنظّم الشعرفيه على عشرة موضوعات[4] ،هي: المدح والهجاء والرثاء،والنسيب،والحماسة الوصف،الاضياف،والأدب،والسير،والمِلح ومذمة النساء.وقد تتداخل هذه الموضوعات بعضها في بعض،فيتداخل الحديث على الاضياف مع الحماسة والفخر، ويتداخل السيروالنعاس في الوصف والصفات.كما تتداخل مذمة النساء مع الهجاء،ويتداخل المِلَح في التهذيب.والملاحظ ان ابي تمام لم يصنّف موضوعان هامّان من الشعر هما :العتاب والاعتذار.

امّا قدّامة بن جعفر،فقد صنّف في كتابه نقد الشعر[5]،موضوعات الشعر الى ستة موضوعات هي:المدح ،والهجاء ،والرثاء ،والنسيب ،والوصف،والتشبيه ،ثم حاول ان يردّ الشعر الى بابين كبيرين

[1] – الاعشى(ميمون قيس)،المصدر السابق، ص 357
؛ الجاحظ،المصدر السابق،الحيوان، ج6،ص226.

[2] – الآمدي(ابوالقاسم الحسين بن بشر)،المؤتلف والمختلف،تح،عبد الستار احمد فراج،مطبعة عيسى البابي الحلبي،1961،ص203.

[3] – الجاحظ،المرجع السابق،ص229 .

[4] – ابوتمام(حبيب بن اوس)،ديوان الحماسة ،تح،عبد المنعم صالح ،ج1،وزارة الاعلام ،بغداد ،1980،ص11.

[5] – قدامة(ابوالفرج بن جعفر البغدادي)،المصدر السابق،ج1،ص81

هما :المدح والهجاء .فالنسيب والرثاء حسبه مدح . امّا في كتابه نقدالنثر ،فقد صنّف موضوعات الشعر الى :المدح ،والهجاء والحكمة ،واللهو .

فأدخل الرثاء والحماسة والشكروواللطف في موضوع المدح كما ادخل الذم والعتاب والتأنيب في الهجاء ،ونجده يُدخل الامثال والزهد والمواعظ في موضوع الحكمة .كما يُدخل الغزل والطّرد وصنعة الخمْر والمجون في موضوع اللهو .

امّا ابن رشيق القيرواني(المتوفى سنة463هـ)،فقد صنّف موضوعات الشعر في كتابه العمدة ،الى تسعة موضوعات[1] هي :المدح والهجاء والنسيب والرثاء والافتخاروالعتاب والاعتذار ،ثم جعل الوعيد والانذارموضوعًا واحدًا ،كما جعل الاقتضاء والاستنجاز موضوعًا واحدًا ضمّهما الى المواضيع السبعة سالفة الذكر.وقد اهمل بذلك موضوع الوصف او الصفات .

وصنّف ابوهلال العسكري (المتوفى سنة 395هـ)،موضوعات الشعر الى خمسة مواضيع فقال :"وانما كانت اقسام الشعرفي الجاهلية خمسة :المديح والهجاء والوصف والتشبيه والمراثي ،حتى زادالنابغة فيها قسمًا سادسًا هو الاعتذارفأحسن فيه "[2] . الا ان هذا التقسيم قد اسقط موضوعًا هامًا من اكثرها تداولاً على ألسنة الشعراء هو الحماسة .

واجمالاً يمكننا القول أن موضوعات الشعر التي تناولها الشعراء في الحيرة، يمكن تقسيمها الى خمسة موضوعات رئيسية هي: المدح والهجاء والغزل والموعظة والاعتذار .امّا باقي المواضيع فقد قلّت عند الشعراء الذين كانت لهم صلة بالحيرة .

2 - موضوعات الشعر في بلاط المناذرة وقيمتها التاريخية :

ويمكن تصنيف تلك الموضوعات التي تناولها الشعراء ،سواء الذين كانوا يقيمون في الحيرة أو أولئك الوافدون عليها الى ما يلي :

2-1- المدح :

اعتمد ملوك المناذرة على الشعراء الذين كانوا بمثابة الصحف السيارة ووسائل الاعلام في هذا العصر ،وذلك في الدعاية لهم ولسياستهم في القبائل العربية ،فكثر حولهم الشعراء وفاض بهم بلاط ملوك المناذرة حتى ازدحم ،وذكرت كتب التاريخ والادب ان ذلك كان قد بدأ منذ عهد الملك عمروبن

[1] - ابن رشيق(الحسن القيرواني)،المصدر السابق،ج1،ص117.

[2] - العسكري(ابوهلال الحسن بن عبدالله)،ديوان المعاني ،تح،ابوالفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي،ج1،مطبعة البابي الحلبي،القاهرة ،ص91.

هند،حيث قصد الشعراء بلاطه باعداد كبيرة ومنهم :المثقّب العبدي الذي لجأ الى بلاطه بعد ايقاعه بقبيلته والمتلمّس وطرفة بن اخته البكريين والممزق العبدي والمسيّب بن علس .

كما كان النعمان بن المنذرمن اشهر ملوك المناذرة الذين شجعواعلى الحركة الشعرية رغبة فيها واستغلالًا للدعاية السياسية معًا .فكان بلاطه يزدحم بالشعراء ومنهم :لبيد العامري،والمثقّب العبدي،وأوس بن حجر،وكان اشهرهم واكثرهم وفادة على بلاطه النابغة الذبياني حتى اصبح صديقًا حميمًا للنعمان بن المنذر.

ومن الممكن للدارس ان يلاحظ جليًا،ذلك الاثرالذي لعبه ملوك المناذرة في تطوّرموضوع المدح من مجردشكرعلى جميل لايستطيع الشاعررده،أومكافأة على يدلايقدران يؤديها،الى فن يقصد الشاعر من ورائه هز اريحية الممدوح واستحثاث كرمه وجوده،فتجود نفسه بالعطاءالجزيل والنائل الغمر[1].

وكانت لمداومة المكوث والطواف على بلاط المناذرة من طرف الرعيل الاول من الشعراء،خاصة ممن احترفوا التكسّب بالشعر وعلى رأسهم الاعشى القيسي،والنابغة الذبياني،اثره على معاني الشعر نفسه . حيث دخلت على الشعر الكثير من المعاني الحضرية التي نزعت به الى المبالغة في المدح توسّع فيها من جاء بعدهم فابتعد الشعرالجاهلي على البساطة والصدق والروح البدوية التي عرف بها .وانبثق على الحركة الشعرية التي كانت تتجه بالباب الشعراء وعقولهم الى بلاط ملوك المناذرة ما عرف بالشعر السياسي الذي غلب عليه وكانت نشأته من مدح الشعراء لملوك المناذرة ،ويعتبر بعض النقّاد ان النابغة رائد في هذا المجال وقد بنى مدحه لآل المناذرة على مصلحة قبيلته بعد مصلحته الشخصية .

وكان يغلب في بداية ظهور المدح في شعر العرب وخاصة من أمّوا بلاط المناذرة تلك السمة الصافية النقية ،فقد كان الشاعرلا ينظُم المدح التماسًا للعطاء والجائزة وبالتالي التكسُّب،وانما ينظمُ ذلك بداع داخلي يحركه عفويًا في غالب الاحيان ،وقد يكون شكرًاعلى صنيع ولكنه ليس استجلابًا لجائزة او عطاء.

واستمرالامركذلك حتى ضعفت سمات البداوة عند بعض الشعراء،خاصة لما دخلواعلى ملوك المناذرة ورأوا ماكانوا يتقلبون فيه من سعة العيش والقصور المنيفة ،فانبهروا به واخذ بمجامع قلوبهم وحرّك به السنتهم بالمدح والثناء.

[1] – محمود(ابوالخير)،المرجع السابق،ص20.

ويرى بعض النقّاد ان اول من تكسّب بشعره النابغة الذبياني[1]،وان لم يقصد ذلك التكسّب وانما جاء لصلته بالنعمان بالمنذر الذي قرّبه اليه كما لم يقرّب ملك شاعرًا قبله،فأجزل له العطاء كما لم يجازى شاعر بشعره قبله . وكان من بين هذه العطايا الكبيرة ما عرف بـ "عصافير النعام "،وهي نوق سود لا توجد عند غير النعمان بن المنذر،فكان يحمي لها الحمى لترعى فيه ،ويشرف عليها من عماله الكثير.وكانت المنحة الواحدة تبلغ مائة ناقة سوداء اعطاها ذات مرة للنابغة الذبياني،وكان النابغة يأكل ويشرب في صحاف الذهب والفضة من عطايا هذا الملك لقاء مديحه له ،كما كان يعطيه القطيع من الخيل،والجواري المنعّمات.

ويصف النابغة هذا العطاء فيقول[2] :

الواهب المائة المعكاء زينها سعدان توضح في اوبارها اللبد
الادم قد حيّست مثلاً مرافقها مشدودةً برحال الحيرة الجدد
والراكضات ذيول الريط فانقها برد الهواجر كالغزلان بالجرد
والخيل تمزع غربًا في اعنّتها كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد

وصنّف بعض المستشرقين ماكان يبدعه النابغة الذبياني من شعر،في خانة ادب الملوك ،لانه يحيط الملوك وحدهم بالدعاية والرعاية[3].

ومن اشهر ما امتدِح به النعمان بن المنذر، من غير شاعره المفضّل النابغة ما قاله حُجْر بن خالد اذ يقول[4] :

سمعت بفعل الفاعلين فلم اجد كفعل ابي قابوس حزمًا ونائلاً
يُساق الغمام الغرُّ من كل بلدة اليك فأضحى حول بيتك نازلاً
فان انت تهلك يهلك الباغُ والنَّدى وتضحى قلوصُ الحمد جَرباء حائلاً
فلا ملك ما يبلغنَّك سعيه ولا سوقة ما يمدحنَّك باطلاً

[1] – ابن رشيق(الحسن القيرواني)،المصدر السابق،ج1،ص80.
[2] – لويس(شيخو)،شعراء النصرانية قبل الاسلام ،ط4،دار المشرق،بيروت،1991،ص664 ؛ شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص269.
[3] – محمود(ابوالخير)،المرجع السابق،ص19.
[4] – الجاحظ(عمروبن بحر)،المصدرالسابق،الحيوان،ج3،ص58؛ شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص212.

وانتهى شعرالمدح الذي طغى عليه التكسُّب بعد النابغة الى الاعشى بن قيس البكري،فأمعن فيه الشعر لقاء التكسُّب والمقابل حتى اضحى حرفة ،وجعل الشعر متجرًا يُتَّجر به في البلدان وقصد به حتى ملك العجم[1]. مما جعل بعض النقاد يرون انه اول من سأل بشعره،وان كان النابغة اقدم منه شعرًا وأسنُّ منه [2].

لكنّ ابن رشيق القيرواني يرى ان النابغة اسبق منه في ذلك وانه استاذه في هذا المجال ولكل من جاء بعده ،ويردّ ذلك الى انحطاط الاعشى في التكسُّب الى درجة المذلة والتكسب المشين وانه مدح كل من اعطى وشكر كل من اكرم[3] . بينما اختص النابغة بمدح الملوك ،ومن جهة اخرى يرى ان النابغة اسبق في الوجود والإبداع من الناحية التاريخية والوجود الزمني .

ومن القصائد المشهورة للأعشى ميمون قيس ،التي مدح بها النعمان بن المنذرقوله[4] :

إليك أبيت اللعن كان كلالها إلى الماجد الفرع الجواد المحمَّد

طويل نجاد السيف يبعث همسه نيام القطا بالليل في كل مهجد

فما وجدتك الحرب إذ عطَّ فحلُها عن الامر نعَّاسًا على كلِّ مرصد*

لعَمرو الذي حجَّت قريش قطِينَهُ لقد كدتُّم كيد امرئ غير مُسند**

أولى وأولى كل فلست بظالم وطئتهم وطء البعير المقيد

فأسمع أولى الدعوتين صحابهُ وكان التي لا يسمعون لها قدِ

بِأصدَق بَاساً مِنك يوماً ونَجدَةً إذا خامت الابطال في كل مشهدِ***

فلا تحسبنِّي كافرًا لك نعمةً على شاهدي ياشاهد الله فاشهد

ونرى من خلال شعر الاعشى انه يورد على ممدوحيه ثناءًا مفرطًا وكثرةاسرافه في هذا الثناء ،وقد يكون معث ذلك والداعي اليه رغبته الشديدة في العطاء والاجازة على شعره .

---

[1] – ابن رشيق(الحسن القيرواني)،المصدر السابق،ج1،ص81.

[2] – نفسه ؛ ابن سلام(الجمحي)،المصدر السابق،ص54

؛شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص348.

[3] – ابن رشيق(الحسن القيرواني)،المصدر السابق،ج1،ص49.

[4] – الاعشى(ميمون قيس)،المرجع السابق، ص 47،

* عطَّ فحلها : استعارة عن استعار الحرب واشتدادها،نفسه.

** القطين : القاطن ، والمسند : العدى نفسه.

*** خامت : جبنت ، نفسه.

ومن الشعراء الذين وفدوا على بلاط المناذرة واسهموا في فن المدح بقصائدهم عمروبن قميئة البكري الذي وفد على المنذر الثالث(514-563م)، ملك الحيرة الملقّب بابن ماء السماء.

وقد امتدحه بقصيدة يذكر فيها شجاعته ويعدد فيها مناقبه وفيها يقول[1] :

نأتك أمامة إلا سؤالا وأعقبك الهجر منها الوصالا

وبيداء يلعب فيها السراب يخشى بها المدلجون الضلالا

تجاوبتها راغبا راهبا إذا ما الظباء اعتنقن الظلالا*

إلى ابن الشقيقة أعملتها أخاف العتاب وأرجو النوالا**

إلى ابن الشقيقة خيرالملوك وأوفاهم عند عقد حبالا

ألست أبرهم ذمة وأفضلهم إن أرادوا فضالا

فأهلي فداؤك مستعتبا عتبت فصدقت في المقالا

أتاك عدو فصدقته فهلا نظرت هديت السؤالا

كأن سنا البيض فوق الكماة فيه المصابيح تخبي الذيالا

صبحت العدو على نأيه تريش رجالا وتبري رجالا***

وفي هذه القصيدة الطويلة التي يمدح فيها المنذرالثالث،ويعتذراليه يبدؤها متغزلاً بمحبوبه،ويذكرساعة الفراق وان وقعها اليم على نفسه،ثم يستمرفي وصف رحلة الشاقة وما واجهه من متاعب حتى اناخ بها على باب المنذر بن ماء السماء. وهي عادة درج عليها الشعراء عند ابتدار قصائدهم .ثم يصف المنذرالثالث بأنه ملك مهاب الجانب، قوي البأس شديد النكاية بأعدائه وهو في نفس الوقت كريم اليد لين العريكة، يحتفي بالشعراء ويكرمهم ويجزل لهم في عطائه حتى ليرجو نواله المذنبون منهم . ثم يروي الشاعرمايرى ان المنذرالثالث اهلًا له ،فهو ذوخلق كريم لايتحلى به الامن ارتقى عقله ونضج فكره واخذمن الحضارةقسطًا وافراًحسبه،واسبغ الشاعرعلى المنذرالثالث فضائل ومكارم وخصه بها دون سائرالملوك.ويتعشم من موفورفضائل ملكه ان ينجز له العهود ويتم العقود ، وتلك فضيلة راسخة فيه كما يقول .ثم يصف الشاعرحالته النفسية وما يساورها من خوف مما وشى به الواشون عند

[1] – عمرو(بن قميئة) ،ديوان عمرو بن قميئة،تح،خليل ابراهيم عطية ، وزارة الاعلام العراقية،بغداد،1972،ص71.

* المعنّى : تأوي الظباء الى ظلالها ترتمي عليها معانقة لها، تكون حاله هو دائم الترحال في البيداء من الهاجرة،لايأوي الى ظل يستريح اليه ويعانقه،نفسه.

** ابن الشقيقة : المنذر الثالث بن ماء السماء،نفسه.

*** تريش : تضر ، نفسه .

المنذرالثالث.وما كانت تلك الدسائس والوشايات الا لما كان بلاط ملوك المناذرة يزخر بشتى مظاهر المدنية والحضارة التي كانت سائدة في الحيرة آنذاك.فكانت الحياة في هذاالبلاط مابين مُقرَّب ومُبعَد،وحاسدٍ ومحسودٍ،حتى كانت هذه الظاهرة من اقوى العوامل التي دفعت بالشعرفي دولة المناذرة الى النمو والازدهاروبروزشعراءكباركالنابغةوالمتلمس وطرفةوعمروبن قميئة وغيرهم.ومن الشعراءالذين وفدواعلى بلاط ملك النعمان بن المنذروساهموا بشعرهم في موضوع المدح،الشاعرالمثقّب العبدي الذي كان دائم التردّد على بلاط النعمان بن المنذر،الذي مدحه في قصيدة منها قوله[1] :

ألآ إن هند امس رث جديدها وظنت وما كان المتاع يؤودها

فلو انها من قبل جادت لنا به على العهد إذ تصطادني واصيدها

فإنّ أَبا قابوسَ عندي بَلاؤهُ جَزاءً بِنُعمَى لا يَحِلُّ كُنودُها*

فلو عَلِمَ اللَّهُ الجِبالَ عَصَيْنَهُ أتاهُ بأَمراسٍ** الجبالِ يَقودُها

إلى مَلِكٍ بَذَّ الملوكَ بِسَعيِهِ أفاعليهُ حزمُ الملوكِ وجودها

فأنعمْ أبيتَ اللَّعنَ إنَّكَ أصْبَحتْ لدَيْكَ لُكَيزٌ*** كَهْلُها ووَليدُها

وأطلِقهُمُ تَمشي النِّساءُ خِلالَهُم مُفكَّكَةً وَسطَ الرِّجالِ قُيودُها[2]

وفي هذه القصيدة يظهر لنا التقليد الذي درج عليه الشعراء من ابتدارهم في مطلع قصائدهم بافتتاحها بذكرالعلاقة الخاصة للشاعر بمحبوبته التي يصفها بأحسن الاوصاف،ليعطي للقصيدة وقعها في اذن السامع ويستهلها بتقريب الشعور الذي يخالجه،وليدلّل ربما على صدق شعره .ونرى الشاعر يستهل هذه القصيدة بمعاتبةحبيبته هند،ثم ينتقل الى وصف الفلاة الموحشة،ويصف انه يقطع مسافتها بناقة قوية سريعة الجري كالنعامة حين تطلق ساقيها للريح،ثم ينتهي الى مدح الملك النعمان بن المنذرابوقابوس بأبيات طويلة يحدثنا فيهاعن جانب مهم من جوانب الحياة السياسية في الحيرة،فيذكران النعمان بن المنذرقدأوتي من قوة الملك حظاً كبيراً،وبلغ من الشدّة حدًا جعله يرهب الاعداء،واستعارالمثقب العبدي صورة الجبال الرواسي بأنها لو خالفت أمره لهيَّأ الله له قيادتها بأسنةٍ

[1] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية قبل الاسلام،ص409.

*كند: كفر بالنعمة وجحدها ،نفسه .

** الامراس: الجبال، نفسه.

*** لكيز: قوم الشاعر،ينسبون الى لكيز بن افضى بن عبد قيس،نفسه.

[2] – المثقب(العائدبن محصن العبدي)،ديوان المثقب العبدي،تح،حسن كامل الصيرفي،معهد المخطوطات العربية،القاهرة،1971،ص 82.

شدادٍ حتى تطيعه وتذعن له وهذه الاستعارة لإيضاح مقدار تلك القوة وتقريبها إلى اذهان،وهذا بدون شك فيه من المبالغة الكثيرمما يذكرنا بشعرالاعشى،ولا يخفى ما في هذا التعبيرمن دلالة واضحة على وجود بعض الاعتقادات الدينية عند المثقب العبدي يمكن ان يكون مصدرها مخالطته لمسيحيي الحيرة من العباديين الذين كانوا يشكلون جزءًا من سكان دولة المناذرة. وفي القصيدة ما يشير الى ان نفوذ النعمان بن المنذر وسلطانه كان من السعة والامتداد بحيث شمل القبائل العربية المقيمة في تخوم عُمان،حيث ارسلت هذه القبائل بوفودها الى الحيرة لاعلان ولائها وتحالفها مع المنذربن النعمان،وهذاكمٌّ ليس بيسيرليدلل على القيمة التاريخية التي يتمتّع بها الشعرالجاهلي عمومًا.ويذكرالشاعرمدى شجاعةالنعمان بن المنذروقوة ملكه،وهو ما اكده من تناولوا اخباره من الشعراءالذين سبقوه ،فلم ينعته احد من الشعراء بالجبن اوالخوف والعجزعن ملاقاة العدو. ويمكننا ان نلاحظ ان شعراء المدح لا يكادون يغفلون ذكر جيوش دولة المناذرة وكثرة عددها وقوة عتادها،مما يوحي بان هذا الجيش كان طيلة حكم ملوكها قويًا لم يدخله الضعف وما اصابه التفكك والاضطراب حتى اصبح على لسان كل شاعرمضرب المثل في قوته وحسن تنظيمه.ومن خلال ما سبق ذكره،نلاحظ ما كان يبذله الشعراء من جهدٍ لإبراز قصائدهم في أبهى الحلل وأحسن الصور،بعد ان يضفوا عليها لمسات حضارية مما اكتسبوه في رحاب الحيرة المتمدنة .وقد ذكرنا شذرًا من هؤلاء الشعراء ،اما من تبقى منهم فهم كثيرون من مدحواملوك المناذرة وتقلّبوا في نعيم العطايا التي كان يغدقها عليهم ملوك المناذرة ،ومنهم عدي بن زيد ،والحارث بن ظالم وحاتم الطائي،والمتلمس الضبعي وغيرهم .وقد تزاحم بهؤلاء بلاط المناذرة ووقف الشعراءعلى ابوابهم،كل واحد منهم يجود بفنه ويصقل موهبته،عسى ان ينال الحظوة ويفوز بالقبول لديهم،وهوما ساعد بلا شك على ازدهارهذا النوع من الشعر ونهضته في الحيرة .

2-2- الاستعطاف :

يعتبرالنقاد هذاالنوع من الشعرفنًّا مركّبًا ،يمكن ان يتداخل فيه المدح مع الاعتذار او الفخروقد يكون مشتملاً على الحكمة[1].ومقصد هذا النوع من المواضيع جلب المحبّة والرحمة ،وازالة الكره والبغض ودفع البلية،استجداءًاواستغاثةً بالمستعطف به .وكان عدي بن زيد رائدًا في هذاالنوع من الشعر،وذلك عندما القى به النعمان بن المنذرفي غياهب السجن،فلم ييأس من عطف ورحمة الملك بل راح يلتمس

[1] – شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص349.

الخلاص والحرية،وقد كان عدي في منزلة لا تحوجه في هذا الباب من ابواب الشعر،ولكنه ألجئ اليه إلجاءًا في آخرالامر،حينما جحد النعمان بن المنذر يده عليه وزجّ به في السجن[1].

فكان شعره صورة من الوعظ والنصح متضرعًا بها للنعمان ومستغيثًا به ،ليطلق سراحه وينصفه. وكان شعره هذا مزيجًا من الوعظ والاعتذار والنصح ،ثم الحكمة .

ومن ذلك قوله[2] :

أرقت لمكفهر بات فيه بوارق يرتقين رؤوس شيب
سعى الاعداء لا يألون شرًا عليك ورب الكعبة والصليب
أرادوا كي تمهل عن عدي ليسجن او يدهده في القليب
وكنتُ لزاز قومك لم اعرّد وقد سلكوك في يوم عصيب
فإن أخطأتَ او أُوهمت امرًا فقد يهم المصافي بالحبيب
وان أظلِم فقد عاقبتموني وان أُظلم فذلك من نصيبي

وقوله في سجنه ايضًا[3] :

أبلغ النعمان عني مالكًا انني قد طال حبسي وانتظاري
لو بغيرالماء حلقي شَرِقٌ كنتُ كالغصَّان بالماءاعتصاري

وكذلك كانت محنة السجن لطرفة بن العبد البكري وعنترة بن شداد العبسي،باعثًا قويًّا للخوض في هذا الباب من الشعر،كلٌّ حسب اسلوبه وما اعتاد عليه من نوع الشعر ،والهدف واحد هو طلب العفوو الصفح من الملكين عمروبن هند(563-578م) ، ثم من بعده المنذر بن ماء السماء(514-563م).

ويتجلى لنا ذلك بوضوح في قول طرفة وهو في سجن البحرين،مستجديًا عمروبن هند ان يطلق سراحه ،ولكن سبق السيف العذل،وفي ذلك يقول[4] :

أَبا منذرٍ افنيت فاستبْقِ بعضنا حنانيك بعض الشرّ أهون من بعض

---

[1] – الصعيدي(عبدالمتعال)،المرجع السابق،ص100.

[2] – نفسه،ص108؛ لويس(شيخو)،نفسه،ص451.

[3] – لويس(شيخو)،نفسه،ص453
؛ الصعيدي(عبدالمتعال)، نفسه.

[4] – طرفة(ابوعمروطرفة بن العبد البكري)،ديوان طرفة،تح،علي الجندي،مكتبة الانجلو المصرية،1958،ص 142
؛ لويس(شيخو)،نفسه،ص298.

ابا منذر من للكماة نزالها إذا الخيل جالت في معاقبها الرفض
ابا منذرٍ كانت غُروراً صحيفتي ولم اعطيك بالطوع مالي ولا عِرضي

وأُسرعنترة بن شداد العبسي بسبب النوق العصافيرية التي كان يحميها ملوك المناذرة،وقدكان اشترطها عليه والد عبلة معشوقته كمهر لها،فأخذ واسر من حرس المنذر بن ماء السماء وادخل السجن،فجادت قريحته وهوالشاعروالفارس الشجاع،فجعل يوصي نفسه بالصبر،ويشكو وحشة السجن ووحشة البعد عن الاهل والبلد،وقدكان من الفوارس المعدودة في بني عبس يجول خلال المعارك وساحات الوغى،ثم يصف حزنه وشوقه الى حبيبته عبلة فيزيد ذلك في نفسه المِا وحرقة ويأتي شعره ليصف كل تلك المشاعر، لعلها تصل الى قلب الملك المنذر فيشفق على حاله ويطلق سراحه. وفي احدى قصائده وهو في سجن المنذر بن ماء السماء،يقول[1] :

تُرى علمت عبيلة ما ألاقي من الاهوال في ارض العراق
طغاني بالرَّيا والمكر عمي وجارعليّ في طلب الصداق
فخضت بمهجتي بحر المنايا وسرت الى العراق بلا رفاق

الى ان يقول :

نزلت على الجواد وسُقت جيشًا بسيفي مثل سوقي للنياق
وفي باقي النهار ضعفت حتى أسرت وقد عيي عضدي وساقي
وقادوني الى ملك كريم رفيع قدره في العز راق
عساه يجود لي بمراد عمي وينعم بالجمال وبالنياق

وفي قصيدة وفي سجنه ، يقول في مطلعها[2] :

برد نسيم الحجاز في السحر إذا اتاني بريحه العطر
ياعبل نار الغرام في كبدي رمى فؤادي بأسهم الشرر
ياعبل كم فتنة بليت بها وخضتها بالمهند الذكر
ادافع الحادثات فيك ولا اطيق دفع القضاء والقدر

[1] – عنترة(بن شدادالعبسي)،ديوان عنترة بن شداد،تح،محمد سعيد المولوي،المكتب الاسلامي،دمشق،1970،ص82؛ لويس(شيخو)،نفسه،ص894.
[2] – عنترة(بن شدادالعبسي)،نفسه،ص90.

وفي قصيدة اخرى يقول في مطلعها[1] :

جفون العذارى من خلال البراقع احد من البيض الرقاق القواطع

وفيها يقول :

فأُمْسى بعيداً في غرامٍ وذِلّةٍ وقيدٍ ثقيلٍ من قيودِ التوابع

ولَسْتُ بباكٍ إنْ أتَتْني منيَّتي ولكنَّني أهْفو فتَجري مدَامِعي

وليس بفَخْر وصْفُ بأْسي وشِدّتي وقد شاع ذكري في جميع المجامع

بحقّ الهوَى لا تَعْذِلُونيَ واقْصِرُوا عن اللّوْم إنّ اللّوم ليسَ بنافع

وكيفَ أُطيقُ الصَّبْرَ عمَّنْ أحبُّه وقد أضرمتْ نار الهوى في أضالعي

من خلال ما سبق ،يتضّح لنا ذلك الدور المحوري الذي كانت تلعبه دولة المناذرة في تطور الشعر بمختلف ألوانه وتشعّب موضوعاته . وعلى رأس تلك الدولة ملوكها وما كانوا يمثّلون من وزن ليس في الحياة السياسية فحسب ،بل امتدّ تأثيرهم الايجابي في اغلب الاحيان ،الى ازدهار وتطوّر الشعر باختلاف ألوانه وأغراضه .

والمستقرئ للشعر العربي عمومًا وشعر بلاط دولة المناذرة خصوصًا ،والانتاج الوافر للشعراء الذين وفدوا على ذلك البلاط ،يلاحظ مالذلك الشعر من قيمة تاريخية جاءت مبثوثة في شكل قصصي متراكب في ثنايا تقاطيعه وابياته لوصف مُلك المناذرة وسطوتهم ،خاصة على ما يليهم من قبائل العرب .والاستعطاف هو احد تلك الاشكال التي اتخذها الشعراء مطية لنيل عفو وكرم ملوك المناذرة فأسهموا بقصدٍ او عن غير قصدٍ في نشاط وزخم الحياة الادبية في الحيرة وخارجها ،وعلى امتداد شبه الجزيرة العربية .

2- 3- الهجاء :

ارتبط الهجاء بنشأة الانسان العربي وبيئته التي ترسمها حدود ومضارب قبيلته فكان التعصّب لشخصه وقبيلته دليل الانتماء والعزة والأنفة عنده ،فنراه عصبي المزاج سريع الغضب اذا مُسّت تلك المقومات عنده بشيء.وكان العرب في مجتمع القبيلة يتنافسون على رئاستها وقلما يسلّم احد منهم الامر لغيره ،ومنه كان الهجاء مرتبطًا بذلك التنافس.والهجاء ضد المدح ،وكلما كثرت أضداد المدح في الشعر كان

[1] – نفسه، ص96؛ لويس(شيخو)،نفسه،ص846.

اكثر وقعًا واهجى[1]. ويمكننا ان نميز نوعين من الهجاء عرفت به العرب عمومًا،فقد يكون الهجاء متعلّقًا بشخص المهجوّ اونسبه اوخلقه ،وقد يتناول هجاء القبيلة او الملك والسياسة .

ولم يسلم ملوك المناذرة من الهجاء حد القذع فيهم ،فما كان الخصم والعدو ليسلم من الهجاء والسبّ والذمّ ولوكان ملكًا[2]، وقد تناول بالهجاء ملوك المناذرة عددٌ لا يستهان به من الشعراء وقد استمدّ بعض الباحثين واستدلّوا بذلك الهجاء على ان بعض هؤلاء الملوك كانوا مستبدّين ظالمين فتعرّضوا للهجاء بنوعيه الشخصي والسياسي[3].وكان اكثر الملوك حظًا من هذا الهجاء ما قيل في الملكين عمرو بن هند و النعمان بن المنذرابوقابوس،ومن العجب ان هذين الملكين كانا من اكثر ملوك الحيرة تقريبًا للشعراء وتشجيعًا لهم ،خاصّة النعمان بن المنذر.

ومن اشهر الشعراء الذين تناولواهذين الملكين بالتجريح والهجاء الشاعر طرفة بن العبد البكري وخاله المتلمّس الضبّعي ،اللذين اقذعا في وصف عمرو بن هند خاصة بعد حادثة الصحيفة المشهورة .

فتناولوا فيه الهجاء بنوعيه الشخصي والسياسي،ومن ذلك قول طرفة يهجو عمروبن هند واخاه قابوس[4] :

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثًا حول قبّتنا تخور

من الزّمرات اسبل قادماها وضرّتها مركنة درور

يشاركنا رِخلان فيها وتعلوها الكباش فما تنور

لعمرك ان قابوس بن هند يخالط ملكه نوك كثير

قسمت الدهر في زمن رخي كذاك الحكم يعدل او يجور

وفي عمرو بن هند هجاء المتلمّس لما لجأ الى اخواله بالشام ،وكانوا في حمى الغساسنة ، بعد مقتل ابن اخته طرفة ،مخافةً على نفسه وقومه من بطش عمروبن هند وقد توعّده الاّ يطعم حَبّ العراق بعد ذلك ،ولئن ظفر به ليقتلنّه ،اذ يقول[5] :

---

[1] – قدامة(ابوالفرج بن جعفر)،المصدر السابق،ص83.

[2] – علي(الجندي)،تاريخ الادب الجاهلي،ط3، ج1،مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة،ص30.

[3] – ابوالخير(محمود)،المرجع السابق،ص22.

[4] – طرفة ،المرجع السابق،ص123.

[5] – نفسه.

* وثوب العجز ملبوس :كناية عن الذلة والمكنسة،نفسه.

** البوباة :ارض معروفة وهي ثنية في طريق نجد ، ينحدر منها صاحبها الى العراق،نفسه.

يا آل بَكرٍ أَلا لِلَّه أُمُّكـمُ طالَ الثَواءُ وَثَوبُ العَجز ملبُوس *
أَغنَيتُ شَأني فَأَغنوا اليومَ شَأنَكمُ واِستَحمِقوا في مِراس الحربِ أَو كيسوا
أُمّي شَآمِيَّةً إِذ لا عراقَ لَنا قَوماً نَوَدُّهُمُ إِذ قَومُنا شُوسُ
لن تَسلُكي سُبل البَوباةِ مُنجِدَةً** ما عاشَ عَمرٌو وَما عُمِّرتَ قابوس
لو كان مِن آل وهبٍ بَينَنا عُصَبٌ وَمِن نَذيرٍ ومن عَوفٍ مَحاميس
أَودى بِهِم مَن يُراديني وَأَعلَمُهُم جُودَ الأَكُفِّ إِذا ما استعسرَ البوس
يا حارِ إِني لَمِن قَومٍ أولي حَسَبٍ لا يَجهلون إِذا طاشَ الضَغابِيس***
آلَيتَ حَبَّ العِراقِ الدَهرَ أَطعَمُهُ والحَبُّ يَأكلُهُ في القَريَةِ السوس
لَم تَدرِ بُصرى بِما آلَيتَ مِن قَسَمٍ ولا دمشق إِذا ديسَ الكَداديس

وفي هذه القصيدة وفي معظم ديوانه الذي نظم اغلبه في ملجئه بالشام، نجد ان المتلمّس يصوّر غضبه وثورته على ملك الحيرة عمرو بن هند. وربما تجاوز ذلك الى دعوة قومه وقبائل العرب كلها للثورة على هذا الملك ومقاومته ، لإمعانه في الظلم وطغيانه في اذلال الناس وإيذائهم،حسبه ، لان الظلم لا يرضى عنه ذو نفس كريمة ، ثم يستذكر الشاعر في هذه القصيدة النواقيس وذكرياتها في نفسه ولكنه يذكر انه لا يبدي جزعًا ولا ندما لما آلت اليه حاله ، فهو يعيش بين اخواله من اهل الشام . وفي هذا اشارة تاريخية تدلّل على القيمة التاريخية لشعرالعرب،فحواها قِدم الصلة والترابط والتآلف بين قبائل العرب في العراق والشام .

ويشير المتلمّس انه قد حرّم على ناقته ان تسلك به ارض تسمّى البوباة ،وهي ارض بنجد مضرب قومه ،ما دام الملك عمرو بن هند وأخاه قابوس حيَّان يرزقان ويبدي سخريته اللاذعة من عمرو بن هند حين حرّم عليه حَبَّ العراق ، مهوِّنًا من شان هذا الحَبِّ الذي يأكله السوس في قرى العراق.وان هذا القَسَم ضعيف الصدى فلم تسمع به بُصرى ولا دمشق ،ولا حتى الكداديس وهي قرية شامية صغيرة في الطريق الى العراق.ورغم الغربة التي كان فيها إلا ان المتلمس يستعذبها غربته ويطيب له المقام في هذه البلاد،لأنها بعيدة عن ظلم وجور عمرو بن هند،وقد حمتْه من شر أولئك الملوك الذين اسرفوا في الطغيان وأمعنوا في القهر حسبه. وقد زاوج الشاعر في هذه القصيدة بين موضوعين

*** الضغابيس : الضعاف،نفسه.

مختلفين هما :الفخر،والهجاء وان طغى عليها انكاره للظلم وتنديده به والتشهير بسياسة الملك والطعن فيه .

وبلغ الاستهزاء والتعريض بعمرو بن هند من لدن المتلمّس حدًّا كبيرًا،اذ يقول فيه[1]:

قولا لعمرو بن هند غير متئب يا اخنس الانف والاضراس كالعدس
لوكنت كلب قنيص كنت ذاجدد تكون اربته في اخر المرس
لعوا حريصًا يقول القانصان له قُبِّحت ذا انف ووجه ثَمَّ منتكس

ويقول معرّضًا به في قصيدة اخرى فيقول :

أطردتني حذر الهجاء ولا والله والانصاب لا تئل
ورهنتني هندًا وعرضك في صحف تلوح كأنها حلل
شرُّ الملوك وشرُّها حَسَبًا في الناس من علموا ومن جهلوا

ويهجوه متوعّدًا ايّاه سوء المنقلب فيقول[2] :

ألك السدير وبارق ومرابض ولك الخورنق
والقصر ذو الشرفات من سنداد والنخل المبسَّق

الى ان يقول :

فلئن تعش فلتبلغنّ ارماحنا منك الخنّق
أبقت لناالايام واللَّزبات والعاني المرهّق

اما الشاعرسويد بن حذّاق العبدي، فقد قرن عمروبن هند بالآفات الضارة والوحوش الفتاكة،وكره المقام في السديرمهما طاب فيه العيش، وذلك في قوله[3] :

أبى القلب انْ يهوى السدير وأهله وإن قيل عيش بالسدير غرير
به البق والحمى وأسد خفية وعمرو بن هند يعتدي ويجورُ

وقال المنخّل اليشكري يهجو عمرو بن هند[4] :

ظَلَّ وسط العراق قتلى بلا جُرْمٍ وقومي ينتجون السخالاَ

---

[1] – المتلمّس(جريرالضبّعي)،ديوان المتلمّس،تح،حسن كامل الصيرفي،معهد المخطوطات العربية،القاهرة،1970،ص65.

[2] – نفسه،83؛ شيخو(لويس)،المرجع السابق،ص364.

[3] – صالح(مهدي عماش)،من ذي قار الى القادسية،وزارة الاعلام العراقية،بغداد، ص 24.

[4] – الاصفهاني(ابوالفرج علي بن الحسين)،المصدر السابق،ج2،ص217.

وقال قيس بن جروة الطائي[1] :

فهبك ابن هند لم تعقك ملامة ومالمرء الا عهده ومواثقه

فأقسمت جهدًا بالمنازل من منى وما حب في بطائحهن درارقة

ولكان عادته على جيرانه ذهبًا وريطًا رادعًا وجفانا

وشاع الهجاء خاصة في عهدي عمروبن هند والنعمان بن المنذر،لما عرف عنهما من بطش وسعة ملك وتقريبهم القبائل على حساب اخرى واستعمالهم الشعر كدعاية سياسية لملكهم فاغرقوا بالمدح بادىء الامر ،لكن نظير ظلمهم واستبدادهم في بعض الاحيان جعل تلك الآلة التي نصبوها للدعاية لملكهم تنقلب عليهم بهجاء من كان من الشعراء يمتدحهم بالأمس من الشعراء .

وكان حظُّ النعمان بن المذر كبيرًا بقدر حظّه من المدح اويكاد ،حيث قال النابغة الذبياني في شعرمنسوب اليه ،و يرى البعض انه من وشي المنخّل اليشكري به لدى النعمان ،واخرون يرون انه من قول قيس بن خفاف البرجمي[2] :

قبّح الله ثم ثنى بلعن ان ذا الصائغ الظلوم الجهولا

يجمع الجيش ذا الالوف ويغزو ثم لا يرزأ العدو فتيلا

اذ يرى ان النعمان بن المنذر ليس من سلالة المناذرة ،وانما هو حفيد صائغ في اشارة لجده من امه .

وقد هجى النعمان بن المنذر الشاعرين سويد ويزيد ابنا حذاق ،وكان يزيد شاعر قبيلة عبد القيس التي كانت لها وقائع كثيرة مع النعمان بن المنذر، ويزيد هوالقائل :

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت سبل المكارم والهدى بعدي

ويقول ايضًا :

نعمان انك غادر خدع يخفي ضميرك غير ما تبدي

فاذا بدا لك نحت اثلتنا فعليكها ان كنت ذا جِدِّ [3]

وقد نعته يزيد بالغدر والخديعة والنفاق ، ثم قرن ذلك بتهديده ومقاومته لغدره وخداعه ،ويبدو ان الشاعرعانى وقبيلته من النعمان بن المنذر كثيرًا،لذلك كان هجاؤه صارمًا لاذعًا .

---

[1] – نفسه،ج19،ص128.

[2]– محمود(ابوالخير)،المرجع السابق،ص22

؛ عارف(عبد الغني)،المرجع السابق،ص408.

[3] – ابن قتيبة(عبدالله بن مسلم الدينوري)،المصدرالسابق،ج1،ص387؛القالي(ابوعلي اسماعيل)،المصدرالسابق،ص78 .

اما شقيقه سويد فقال يهجو النعمان بن المنذر من قصيدة مطلعها :

ألا هل اتاك ان شِكَّة حـازم لديَّ وانِّي قد صنعت الشموسا[1]

وكذلك مع المرقش الاصغرالذي قال [2] :

ابلغ المنذر والمنقّب عني غير مستعتب ولا مستعين

لاتَ هنَّا وليتني طرف الزُّجِّ واهلي بالشام ذات القرون

كما هجا الشاعرعامر بن جوين الطائي الملك المنذر بن النعمان الاول،جد النعمان بن المنذرالمعروف بابي قابوس بأبيات منها[3] :

تعلم ابيت اللعن ان قناتنا تزيد على غمز الثقافِ تصعبا

اتوعدنا بالحرب امك هابِلٌ رويدك برقا لا اخالك خُلبا

اذا خطرت دوني جديلة بالقنا وحامت رجال الغوث دوني تحدّبا

فاغضض على غيض ولا ترُم التي تُحكِّم فيك الزاعبي المحرّبا

وقد نسب الى النابغة الذبياني انه هجا الملك،وقيل ان هذا البيت من قصيدة لعبد القيس بن التميمي نحلها على النابغة ثم وشى به الى النعمان بن المنذر:

قبَّحَ الله ثم ثنى بلعنٍ وارث الصائغ الجبان الجهولا[4]

ويهجو الشاعر علباء بن ارقم اليشكري النعمان ويكنيه بالكنية التي كانت معروفة عند قومه وهي الجبار فيقول[5] :

أُخوَّفُ بالجبار حتى كأنما قتلت له خالا كريما او ابن عمْ

فإن يد الجبارِ ليست بصعقةٍ ولكن سماء تمطر الوبل والديمْ

ولايكون لقب الجبار قد التصق بالنعمان جزافًا او صدفةً،بل لانه كان شديدًا مستبّدًا وهجاه القطّ بن مالك الغسّاني فقال[1] :

---

[1] – طرفة،المرجع السابق،ص96

؛البغدادي(عبدالقادربن عمر)،المرجع السابق،ج2 ،ص362 .

[2] – الميداني(ابوالفضل احمد بن ابراهيم)،المرجع السابق،ج2، ص224 .

[3] – عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص407.

[4] – عمر(الدسوقي)،النابغة الذبياني،ط3،دارالفكر العربي،1954،ص161؛ عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص 408.

[5] – المرزباني،المرجع السابق، ص 169

؛ عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص415.

ابى النعمان يدني من عصاه مخافته ويبعد من اطاعا
فان الحي من لخم بن عمرو لئام الناس كلهم طباعا
إذا أمنوا حسبتهم أُسوداً وعند الروْعِ تحسِبُهُمْ ضباعا

وفي خضم الحديث حول الهجاء في دولة المناذرة لايمكننا ان نغفل عن القصيدة التي قالها عنترة بن شداد العبسي في هجاء النعمان بن المنذر ،يتوعّده ويتهدّده ويصفه بالحمق والحقد معًا ،ويفتخر فيها بنفسه وقبيلته،ومنها[2] :

لا يحْمِلُ الحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ ولا ينالُ العلى من طبعهُ الغضب
ومن يكنْ عبد قومٍ لا يخالفهمْ إذا جفوهُ ويسترضى إذا عتبوا
لله دَرُّ بَني عَبْسٍ لَقَدْ نَسَلُوا منَ الأكارمِ ما قد تنسلُ العربُ*
إن كُنتَ تَعلَمُ يا نُعمانُ أَنَّ يَدي قَصيرَةٌ عَنكَ فَالأَيّامُ تَنقَلِب
اليَومَ تَعلَمُ يا نُعمانُ أَيَّ فَتىً يَلقى أَخاكَ الَّذي قَد غَرَّهُ العُصَب**
لي النفوسُ وللطّيرِاللحومُ ولل وحْشِ العِظَامُ وَلِلخَيَّالَة السَّلَب
لا أبعدَ الله عن عيني غطارفةً إنْساً إذَا نَزَلُوا جِنًّا إذَا رَكِبُوا
والنَّقْعُ يَوْمَ طِرَادِ الخَيْل يشْهَدُ لي والضَّرْبُ والطَّعْنُ والأَقْلامُ والكُتُب

يحاول عنترة بن شداد أن يثبت لنفسه ولقبيلته الشجاعة والنُّبل والصبر عند لقاء العدو،ويضيف الناقب والأوصاف التي تدلّ على اعتداده بنفسه وقومه.وفي ثنايا فخره يحاول ان ينفي على قبيلته تبعيتها لأي دولة او قوة ،بل نجده يبالغ في الاعتداد حتى يبلغ درجة التهديد والوعيد للملك النعمان بن المنذر والذي لا يمكن ان يصدر إلا عن ندٍّ او متمرّد،وعنترة في هذه الحالة متمرّد على دولة المناذرة. اذ نجده يعترف في نفس القصيدة بأن ذلك الموقف شخصي منه وان قبيلته خاضعة وتابعة لسلطان المناذرة .

[1] – المرزباني،المرجع السابق، ص 191.

[2] – عنترة(بن شداد العبسي)،ديوان عنترة،تح ،محمد سعيدمولوي،المكتب الاسلامي،1970،ص113 ؛لويس(شيخو)،المرجع السابق، ص818 .

* نسل: ولد، لويس(شيخو)، نفسه.

** العصب: الجماعات، نفسه.

وبذلك يمكننا القول ان بعض ملوك المناذرة بحكم سياستهم الاستبدادية والجائرة وجدوا انفسهم في مرمى ما كانوا يخشونه من سهام الشعراء .وكما ساهم هؤلاء الملوك في تطوّروازدهارالمدح عن قصدٍ وبتشجيعٍ منهم ،كانوا سببًا من خلال سياستهم تلك في وجود الهجاء ونشأته في بلاط ملوك المناذرة .وكان هجاء الملوك اول نوع من الهجاء السياسي ،فكان بذلك النواة الاولى التي سار على نهجها الشعراء فيما بعد.وانطلق هذا الهجاء من الصعيد الشخصي والمستوى الفردي ليصبح هجاء سياسة ودولة ،وبالتالي ارتقى الى مستوى اعلى وأوسع هو ما اصطلح عليه الهجاء او النقد السياسي . ولم يكن ذلك الشعر سوى تعبيرًا على رفض الظلم الذي اوقعه ملوك المناذرة في المستوى الشخصي على الشعراء انفسهم و في المستوى السياسي على قبائلهم . وبذلك يلاحظ الدّارس ان نشأة هذا النوع من الهجاء ماكان لينشأ ويترعرع إلا بوجود ملوك المناذرة .

2- 4- المناقضات :

كان شعرالمناقضات قداشتهرفي الحيرة،ولوبشكل اقلّ مما اشتهرت فيها الموضوعات الاخرى،ولكن هذا اللون قد عُرف اول ماعرف فيها قبل ان يتطوّر فيما بعد.ويتضمّن شعرالمناقضات الشعرونقيضه شعرًا،وغالبًاما يكون النقيضين من الشعربحرف رويٍ واحدٍ .ومن أقدم هذه المناقضات الشعرية التي جرت احداثها في الحيرة،ماكان بين عمرو بن عدي وخصمه عمرو بن عبد الجن التنوخي، حين نازعه ملك الحيرة بعد وفاة خاله جذيمة الابرش . قال عمرو بن عدي[1] :

دعوت ابن الجن للسلم بعدما تتابع في غرب السفاه وكلسما
فلما ارعوى عن ضرنا في اعتزامنا مريت هواه مري اخ او ابنما

فأجابه عمروبن عبد الجن[2] :

أما ودماء مائرات تخالها على قلة العزى او النسر عندما
وما قدس الرهبان في كل هيكل أبيل الابيلين المسيح بن مريما

[1] – المرزباني(ابوعبيد الله محمد بن عمران)،معجم الشعراء،تح،عبدالسترفراج، ج1،داراحياءالكتب العربية، القاهرة،1960 ص 18.
[2] – نفسه.

ولما منعت بنو تميم دفع ما عليهم من اتاوة للنعمان بن المنذر،فوجّه اليهم جيشًا كان على رأسه أخاه الرّيان بن المنذر،وكان اكثر جيشه من بكر بن وائل،فهزموا تميمًا واستاق الرّيان بن المنذرالنَّعم وسبى النساء،فقال الشاعرابوالمشمرج عمرو بن المشمرج اليشكري[1] :

لما رأوا راية النعمان مقبلة قالوا ألا ليت ادنى دارنا عَدَنُ

ياليت أُم تميم لم تكن عرفَت مُرًّا وكانت كمن اودى به الزمن

إنْ تقتلون فأعيار مجدَّعةٌ اوْ تنعموا فقديمًا منكم المِنَنُ

منهم زهير وعتَّابٌ ومحتضر وابنا لقيط وأودى في الوغى القطن

فأجابه النعمان بقوله[2] :

لله بكر غداة الروع لو بهم ارمي ذرى حضن زالت لهم حضن

إذ لا ارى احدًا في الناس يشبههم إلا فوارس خامت عنهم اليمن

ومن هذه المناقضات ايضًا،ما ارسله الربيع بن زياد ارسل الى النعمان بن المنذر بعد فراقه له ،وذلك ان لبيد الشاعر نظّم ابيات نابية في حق الربيع بن زياد العبسي وكان من ندماء الملك ومقرّبيه،وكان يلقّب بالكامل، فأراد لبيد ان يقدح فيه شعرًا في مجلس النعمان بن المنذر،جعلت هذا الاخير يعاف مؤاكلته فتركه،ولما كتب الربيع بن زياد الى النعمان بذلك .

كتب اليه النعمان بقوله :انك لست قادرًا على ردّ ما تكلّمت به الالسن،فألحق باهلك،فارسل له

الربيع بن زياد بالأبيات التالية[3] :

---

[1] – الميداني(ابوالفضل احمد بن ابراهيم)،المصدر السابق،ج2،ص 273.

[2] – المرزباني(ابوعبيدالله محمد بن عمران)،المصدر السابق،معجم الشعراء،ص 20 .

[3] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج3، ص 283

؛ لويس(شيخو)،نفسه،ص791.

* شمويلا : اسم للسموأل،الجواليقي،المرجع السابق،ص236؛ لويس(شيخو)، نفسه.

** النطاسي:رجل من الشأم،كان نديمًا للملك النعمان بن المنذر، جواد(علي)،المرجع السابق،ج3،ص283

؛ لويس(شيخو)،نفسه.

*** ابن توفل : اوابن توفيل ويقال ابن نوفل،وهوطبيب النعمان، جواد(علي)،نفسه ؛ لويس(شيخو)،نفسه.

لئن رحلت جمالي لا الى سعة ما مثلما سعة عرضا ولا طويلا
بحيث لو وزنت لَخَمٌ باجمعها لم يعدلوا ريشةً من ريش شمويلا*
ترعى الروائم احرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحًا وعسويلا
فابرق بأرضك يانعمان متكئًا مع النطاسي** و ابن توفيلا***

فأجابه النعمان بن المنذر[1] :

شرّد برَحلك عني حيث شئت ولا تكثر علي ودع عنك الأباطيلا
فقد ذكرت به والرّكب حامله وردًا يعلّل اهل الشام والنيلا
فما انتفاؤك منه بعدما خرعت هوج المطي به ابراق شمليلا
قد قيل ذلك إن حقًا وإن كذبًا فما اعتذارك من قول إذا قيلا
فإلحق بحيث رأيتَ الأرض واسعةً فانشر بها الطرف إن عرضاً وإن طولا

وقال الأسود بن المنذر يذكّرقبيلة بني نهشل بنعمة انعمها أخاه النعمان بن المنذر حين اطلق سراح أسراهم ،ولكنهم لم يسلّموا اليه الحارث بن ظالم حينما التجأ اليهم هربًا من بطش الاسود بن المنذر،حينما قتل شرحبيل بن الاسود لثأر بينهما وكان شرحبيل في خفر وضمانة الاسود بن المنذر[2] :

كأين لنا من نعمة في رقابكم بني قَطَن فضلا عليكم وانعما
وكم منَّة كانت لنا في بيوتكم وقتل كريم لم تعدُّوه مغرما
فإنكم لا تمنعون ابن ظالم ولم يُمسِ بالأيدي الوشيج المقوَّما

فأجابه ضمرة بن ضمرة التميمي*، فقال[3] :

سنمنع جارًا عائذًا في بيوتنا بأسيافنا حتى يؤوب مُسلَّما
إذا ما دعونا دارمًا حال دونه عوابس يعلُكن الشكيم المعجَّما
فلو كنت حربًا ما وردتَ طويلعاً ولا حوفه الا خميسًا**عرمرما
تركتَ بني ماء السماء وفعِلهم وأشبهت تيسًا بالحجاز مُزنّما

---

[1] – المرتضى(علي بن الحسين الشريف)،الامالي،تح،محمد بوالفضل ابراهيم،ج1،مكتبة عيسى البابي الحلبي،القاهرة،1955 ،ص189 ؛ ابن قتيبة(الدينوري)،المصدرالسابق،عيون الاخبار،ج4،ص65.

[2] – عارف(عبد الغني)،المرجع السابق،ص366.

* هو شُقة بن ضمرة،انما اضاف النعمان اسم ابيه اليه،فسمي ضمرة بن ضمرة،وهومن سادة قبيلة تميم،جواد(علي)، المرجع السابق،ج3،ص283.

[3] – عارف(عبد الغني)،نفسه.

** خميسا : جيشا،نفسه.

ولن أذكر النعمان الا بصالحٍ فان له فضلاً علينا وانعما

2- 5- الرثاء :

يعتبر الرثاء من المواضيع التي كانت وليدة الحيرة ،اذ لم يعرف العرب قبل رثاء ملوك المناذرة ودولتهم المقطعات الكاملة التي نظمت في هذا الشأن كما عرف في رثاء دولة الحيرة وملوكها،وإنما كان معظم ما كتب قبل ذلك عرضيًا في افتتاحيات قصائدهم ،وغالبًا ما يكون عبارة عن بكاءٍ على الاطلال والوقوف على الاثار ،ولم يقال فيه من القصائد الطوال ،وبقي الرثاء آنذاك رثاء أفراد، حتى ظهر هذا النوع جليًّا في دولة المناذرة وفي بلاط ملوكها .

ومن اللافت ان من بدأ القول في هذا الموضوع بالحيرة ملك من ملوكها الاوائل وهو مالك بن فهم(138-158م)،فقال يرثي نفسه في اربعين بيتًا ،عندما رماه ابنه سُليمة بسهم قاتل خطاءًا فقتله[1] :

ألا مبلغ ابناء فهم بمالكةٍ من الرجل العُماني

وبلّغ منهيًا وبني خُنيس وسعد الله ذي الحي اليماني

الى ان يقول يصف مقتله :

جزاه الله من ولد جزاه سُليمة انه سامًا جزاني

أعلّمه الرماية كل يومٍ فلما اشتدّ ساعده رماني

فأهوى سهمه كالبرق حتى اصاب به الفؤاد وماعداني

ألا شُلّت يمينك حين ترمي وطارت منك حاملة البنان

وممّاقاله ملوك المناذرة وأبناؤهم في الرّثاء،قول هُناءة بن مالك بن فهم يرثي اباه بعد تلك الواقعة[2]:

لوكان يبقى على الايام ذو شرف لمجده لم يمت فهم وما ولدا

حلّت على مالك الاملاك جائحة هدّت بنا العلا والمجد فانقصدا

اباجذيمة لا تَبعد ولا غُلبت به المنايا وقد اودى وقد بعُدا

لوكان يفدي لبيت العز ذو كرم فدال من حلَّ سهل الارض والجلدا

وقد رثت ابنة المنذر بن ماء السماء اباها حينما قتل في عين أباغ بقولها[3] :

[1] - عارف(عبد الغني)،المرجع السابق،ص433.

[2] - نفسه،ص463.

[3] - عماش(صالح)،المرجع السابق،ص34

وقالوا فارسا منكم قتلنا فقلنا الرمح يكلف بالكريم

بعين أباغ قاسمنا المنايا فكان قسيمها خير القسيم

كما ترثي حُرَقة بنت النعمان بن المنذر اباها،عندما سُجن حتى مات في سجن كسرى،وترثي مُلك ابائها وأجدادها فتقول :

فبينا نسوس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف

فأف لدينا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف[1]

اما زيد بن عدي العبادي فقال يرثي حال دولة المناذرة التي آلت الى الضعف وأشرفت على النهاية في اواخر ايامها[2] :

اين كسرى كسرى الملوك ابوسـ ـا سان ام اين قبله سابور

وتبين رب الخورنق اذ اشـ ـرف يومًا وللهدى تفكير

ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبـور

ويعتبرانتاج الشعراء في موضوع الرثاء قليلاً،اذاما قارناه برصيدهم في المواضيع الاخرى من الشعر.ولعلّ من اكثر فيه الشعر زيد بن عدي العبادي في ديوانه،وان رأى بعض النّقاد أن اكثر رثائه كان عبارة عن مواعظ وتذكير بالموت والفناء كما يرون انه تأثُر منه بعقيدته المسيحية . ويرى البعض ان احجامه على رثاء معظم ملوك المناذرة انما كان بتأثير تلك العقيدة لأنهم ليسو مسيحيين،وبالتالي يمنعه دينه ان يرثي هؤلاء الوثنيين ،غير انه يصف احداثًا وقعت لهم وهو ما يجعل شعره في معظمه ذو قيمة تاريخية .

والغريب ان النابغة الذبياني لم ينظم شعراً في رثاء عمرو بن هند،ولا في صديقه الحميم النعمان بن المنذرمع انه كان معاصرلًه في حين انه نظم قصيدتين رثائيتين في النعمان بن الحارث الغساني[3].

؛ ابن الاثير،المصدرالسابق،ج1،ص454؛ عارف(عبدالغني)،المرجع السابق ،ص317.

[1]- الآمدي(ابوالقاسم الحسن بن بشر)،المؤتلف والمختلف في اسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تح، عبد الستار احمد فراج،داراحياء الكتب العربية ،القاهرة ،1960،ص132

؛الماوردي(ابوالحسن علي بن محمد)،ادب الدنيا والدين،ط16،المطبعة الاميرية،القاهرة،1925، ص95؛بشير(يموت)،شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام،ط1،المكتبة الاهلية ،بيروت،1934،ص25.

[2]- محمود(ابوالخير)،المرجع السابق،ص46.

[3] - النابغة(زياد بن معاوية الذبياني)،ديوان النابغة الذبياني،تح،محمد الطاهر بن عاشور،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1976، ص234.

وابرز من رثى ملوك المناذرة ودولتهم وأظهروا حزنهم الشديد على زوال مملكتهم وأفول نجمهم وقد كانوا لمولكها سُمّاراً وندماء ،الاسود بن يعفرالنهشلي والنابغة الجعدي.

ويقول النابغة الجعدي الذي عاصرالمنذربن المنذر بن ماء السماء ،ونادمه[1] :

تذكرت شيئا قد مضى لسبيله ومن عادة المحزون ان يتذكرا

ندامايّ عند المنذر ابن مُحرِّق ارى اليوم منهم ظاهرالارض مقفرا

كهولٌ وفتيانٌ كأن وجوههم دنانير مما شيف* في ارض قيصرا

وهو الذي يقول ايضا في رثاء النعمان بن المنذر :

ملك الخورنق والسدير ودانه مابين حمير أهلها وأوال[2]

يتحسّرفيها على ايام السباب ويرحّب بالموت،كما يذكر ملوك المناذرة من آل نصر الذين نادمهم او عاصرهم وما كانت له من ذكريات،وهي من اجود القصائد التي قيلت في هذا الموضوع فقال[3]:

نام الخلي وما أحسُّ رقادي والهم محتضر لديَّ وسادي**

ومن الحوادث لا أبالك انني ضربت على الارض بالأسداد

أهل الخَوَرنق والسدير وبَارقٍ والقصر ذي الشُرُفاتِ من سنادِ

أرضاً تخيّرها لدار أبيهم كعبُ بنُ مامَة وابنُ أمِّ دُؤادِ

جَرت الرياحُ على مكان ديارهم فكأنما كانوا على ميعادِ

ولَقد غَنوا فيها بأنعَم عيشةٍ في ظلِّ مُلكٍ ثابت الأوتادِ

نَزلوا بأنقرة يسيلُ عليهمُ ماءُ الفراتِ يجيءُ من أطوادِ*

أين الذَين بنوا فطال بناؤهم وتَمتّعوا بالأهل والأولادِ

فإذا النعيمُ وكلُّ ما يُلهى به يوماً يَصيرُ إلى بِلى ونفادِ

---

[1] – ابن قتيبة(الدينوري)،المصدر السابق، الشعر والشعراء، ج1،ص290

؛البغدادي(عبدالقادر بن عمر)،المصدر السابق،ج3،ص170

؛القرشي(ابوزيد محمد بن الخطاب)،جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام،تح،علي البجاوي،ط1،دار نهضة،مصر،1979، ص772 .

؛عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص381.

* شيف : جُلي وظهر،عارف(عبدالغني)،نفسه.

[2] – الجاحظ،المصدر السابق،الحيوان، ج5، ص 127.

[3] – محمود(ابوالخير)،المرجع السابق،ص46.

** الخلي : الخالي من الهموم. محتضر: حاضر، الوساد: الوسادة أي المخدة؛عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص430.

وعلى نفس المنوال سار لبيد بن ربيعة العامري ،حين رثى النعمان بن المنذر بقصيدة طويلة تزيد عن الخمسين بيتًا ،وصف فيها تقلُّب الدهروجوب اخذ العبرة من تغيّر احواله ،كما يذكر فيها معارفه عن الخيروالشر والموت والحساب والبعث،فقال[1] :

ألا تَسْألانِ المرْءَ ماذا يُحَاوِلُ أنَحْبٌ فيُقضَى أمْ ضَلالٌ وباطِلُ

ليبكِ على النعمان شَربٌ وقينة ومُختبِطاتٌ كالسُّعالى ارامل

له الملك في ضاحي معَدٍّ اسلمت اليه العباد كلها ما يحاول

إذا المرءُ أسْرَى ليلةً ظنَّ أنهُ قضَى عَمَلاً والمرْءَ ما عاشَ عامِلُ

فَقُولا لَهُ إنْ كانَ يَقْسِمُ أمْرَهُ أَلَمّا يَعِظْكَ الدَّهرُ، أُمُّكَ هابل**

فتَعْلمَ أنْ لا أنتَ مُدْرِكُ ما مضَى وَلا أنتَ ممّا تَحذَرُ النّفسُ وَائِلُ

فإنْ أنتَ لم تَصْدُقْكَ نَفسُكَ فانتسبْ لَعَلَّكَ تهديكَ القُرُونُ الأوائِلُ

فإنْ لم تَجِدْ مِنْ دونِ عَدْنانَ باقياً ودونَ معدٍّ فلتزَعْكَ العَوَاذِلُ

ألا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللّهُ باطِلُ وكلُّ نعيمٍ لا مَحالةَ زائِلُ

وكلُّ امرىءٍ يَوْماً سيعلمُ سعيهُ إذا كُشِّفَتْ عندَ الإلَهِ المحاصِلُ

كأزْكانِ سَلْمَى إذْ بدتْ وكأنّها ذُرَى أجَإٍ إذْ لاحَ فيها مُواسِلُ

وبالرَّسِّ أوْصالٌ كأنَّ زُهاءَها ذوي الضمرِ لما زالَ عَنها القبائِلُ***

وغسّانُ ذَلّتْ يوْمَ جِلَّقَ ذلَّةً بسيِّدِها والأرْيَحِيُّ المنازِلُ

رَعى خَرَزاتِ المُلْكِ عشرينَ حِجَّةً وعشرينَ حتى فادَ والشَّيبُ شامِلُ*

وأمْسَى كأحْلامِ النِّيامِ نعيمُهُمْ وأَيُّ نعيمٍ خِلْتَهُ لا يُزايلُ

ويعتبرهذا اللون من الشعراحد المواضيع التي لم يتناولها الشعراء العرب قبل احتكاكهم بدولة المناذرة سوى عند افتتاحهم لبعض القصائد،ولم يعرفوا نظمها بشكل قصائد مستقلة على الوجه الذي عرفته في بلاط ملوك الحيرة بقصد رثاء الملك المتوفى،وفيما بعد بكاءًا على افول دولة المناذرة ونهاية ملكها.

2- 6- الغزل :

* انقرة: بلد بالحيرة بالقرب من الشام؛ نفسه .

[1] – عارف(عبد الغني)، المرجع السابق، ص432 .

** هابل : ثاكل وهذا دعاء عليه ؛ نفسه.

*** الرس: واد بنجد، زهاءها : شخوصها، والذوي: النعاج الهزيلة، والضمر: اسم جبل،نفسه.

ان الغزل من اقدم المواضيع الشعرية التي عرفها الشعراء العرب في الجاهلية وقد ارتبط عندهم اول ما ارتبط ببكاء الديار ووصف الاطلال والضعائن،ومناجاة الليل و النهار والقمر والنجوم.والبوح بالشكوى من هجر الحبيب الى تباريح الهوى وفي كل ذلك يُلزم الشاعر نفسه بالعفّة والاحتشام ،ونتج عن ذلك جمال اسلوب الغزل وسلاسته وعذوبته . وقد اضحى ذلك تقليدًا وقاعدةً سار عليها الشعراء الاولون الذين اختطّوا اول الطريق لهذا النوع من الشعر .

وفي هذا يذكر ابن قتيبة قائلاً: "وسمعت بعض اهل الادب ،يذكر ان مقصد القصيد انما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والاثار،فبكى وشكى وخاطب الرَّبع ،واستوقف الرفيق،ليجعل ذلك سببًا لذكر اهلها الظاعنين بها"[1] ، ثم انتقل الغزل من الاستهلال والبكاء على الاطلال والرسم الى وصف المرأة ،وكان الاهتمام منصرفًا الى وصف المحاسن الجسمية فنجدالشعراء يصفون جسد المرأة بصراحة بالغة،صوّروا من خلالها مفاتنها بدقة متناهية،بل انهم افتتنوا فيوصف الاعضاء المستورة كالنحروالثدي والروادف والساقين والبطن والكُشح وغيرها،وهم في ذلك لا يجدون حرجًا ومردُّه الى طبيعة حياتهم البسيطة والمنطلقة الصريحة،لذلك نجدهم قد تعارفوا على مقاييس الجمال عند المرأة من جرّاء الأشعار التي كانت تصفها .تلك المقاييس التي جسّدتها محاسن ومفاتن في المرأة أحبّوها فقدّموها في الوصف وان اختلفوا في كيفية الصورة المحسوسة من الجسم كلٌّ حسب اسلوبه وخبرته في الشعر.

لينتقل هذا النوع من الشعر الى مرحلة ثالثة هي وصف مغامرات الشعراء مع المرأة ،وقصص الحُب واللهو والعبث ،وقد صوّرت قصائدهم في هذه المرحلة غزواتهم وغاراتهم على النساء ،سواءًا كانت تلك المغامرات حقيقية او مجرد خيال اخترعه الشاعر،تحوّلت مع مرور الوقت وكثرة الرواة الى قصص غرامية اصبحت مشهورة فيما بعد.

ولم يخرج الشعر الجاهلي في مراحله الثلاث عن الوصف الحسّي للمرأة كما يرى النُّقاد ،فهو وصف خارجي لا يختلف على ابواب الشعر الاخرى ،فكأنه يرسم الرمال والجبال ،أو يصف الناقة والخيل،أو يصوّر الناقة والخيل ،أو يصور الماء والسماء ،دون ان ينفذ الى الجانب المعنوي من الموضوع .وكأن أغلب هذا الشعر الذي جعل موضوعه الغزل من خلال وصف المرأة غايته وهدفه من ذلك الفخر بين أترابه وسامعيه ،إلا ان ذلك لم يمنع من وجود قصائد كاملة هدفها الغزل في حدّ ذاته وليس

* فاد:مات،نفسه.

[1] – ابن قتيبة(الدينورري)،المصدر السابق،الشعر والشعراء،ج1،ص74.

وسيلة كغيره.وامتاز أسلوب الغزل بجماله وسلاسته وعذوبته ،وقد سار الشعراء الجاهليون في نظمه على الاصول والقواعد التي اختطوها لأنفسهم،من استهلالهم للقصيدة بوصف الاطلال وما فيها من نؤى وأحجار،ومن مناجاتهم لليل وما يكتنفه من هموم وأشجان،وغير ذلك مما عرفت به القصيدة الجاهلية .

وكان امرئ القيس اول من وقف على الاطلال واستوقف وبكى وشكى ،وقف على ديار الاحبة وطلب الى اصحابه ان يشاركوه في الاسى والحزن لفراقهم[1]،ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا قليل من الشعراء، كعمرو بن كلثوم الذي استهل قصيدته بوصف الخمر اذ يقول :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا[2]

وتهيأت لشعر الغزل من الاسباب التي ادت الى نهضته وتطوره الكثير،اتاحت هذه الاسباب ان ينمو ويتطور في دولة المناذرة ،ولعل اهم سبب يمكن ان يؤثر في هذا النوع من الشعر الانطلاق والحرية وخلو الحياة في الحيرة من القيود التي كانت مفروضة داخل مجتمعات القبائل العربية والأعراف التي كانوا يسيرون عليها والتي طبعتها بتلك القيود فجعلتها اكثر انغلاقًا من مجتمع دولة المناذرة.بالإضافة الى تلك الميزات الحضارية والمدنية التي كانت تتمتع بها الحيرة. وقد ساعد على ازدهار الغزل وانتشاره،استقرار الحياة السياسية في الحيرة ،وبُعد مجتمعها عن مظاهر التوتر والحساسيّات التي تزرعها العصبّيات الحادة والدائمة في المجتمعات الجاهلية الاخرى.

وكان المجتمع الحيري بدوره مفتوحًا على تأثيرالحضارة الفارسية،التي ألقت بظلالٍ واضحةٍ على حياة الملوك والناس في دولة المناذرة، وقد تأثر المجتمع الحيري تاثراً قوياً بانتشار مظاهر البذخ والترف،وقد تجلت تلك المظاهر في حياتهم الخاصة والعامة ، من بناء القصور المنيفة ، واستخدام احسن انواع الاثاث والفرش والتزين بأجمل ثياب الزينة ، ومن الاستمتاع بالملذات حيث القيان الفارسيات وغيرهن يسقين في حانات الحيرة روادها،ومظهرهن في الشعر وهنّ يغنّين في قصور ملوك المناذرة ، وفي مجالس اللهو والطرب ، فيسلبن لبّ الحليم ويذهبن برشده ، ويغرينه بالقصيد والإنشاد حتى يذهب في الغزل كلّ مذهبٍ.

[1] – ابو الخير (محمود)،المرجع السابق،ص37.

[2] – الاصفهاني(حمزة)،المصدر السابق،ص94

؛ الاصمعي(ابوسعيد عبدالملك بن قريب)،الأصمعيات،تح،احمد شاكر وعبدالسلام هارون،دار المعارف،مصر،1963،ص 58.

وكان من الشعراء الذين تأثروا بحضارة الحيرة ورقيها وترفها ،وجرى على ألسنتهم الغزل :عدي بن زيد والمنخّل اليشكري،والمرقّش الاصغر،والنابغة الذبياني ،والأعشى ميمون بن قيس .فقد كان اختلاف بعضهم على الحيرة اختلافًا شبه دائم ،وإقامة بعض هؤلاء في بلاط الحيرة وقربه من ملوكها ،وقعٌ على احاسيسهم من مظاهر الجمال والابهة والترف،فجادت السنتهم بكل ماطاب من عذب الكلام،فجاءت اشعارهم ملئ برقائق الاساليب وأفضل الصور وأجمل التشبيهات وظريف الكلام .

وقد اشترك من هؤلاء الشعراء ثلاثة، كان كل واحد منهم احب وتغزل بنساء من بلاط المناذرة نفسه وعاش فيه اياماً حبلى بالترف واللهووالمجون.

فقد كان عدي بن زيد يحبُّ هندًا بنت النعمان[1] ، وكان المرقش الاصغر يحبُّ فاطمة بنت المنذر وهي اخت عمرو بن هند[2]،وكان المنخَّل اليشكري يحبُّ سلمى زوجة النعمان بن المنذروالتي عرفت بالمتجرِّدة[3]،وكانت ظروف الحياة التي عاشها هؤلاء الثلاثة متشابهة ، فقد نعموا جميعًا في ظل حياة مترفة وعيش رخي وكلٌّ واحدٍ منهم احبّ أميرة ،وتبادلا ذلك الحب والغرام في ظلال دولة المناذرة الوارفة وفي جانبٍ من الرفاهية والطمأنينة .

وفي هند بنت النعمان يقول عدي بن زيد متغزِّلاً[4] :

أبلغ خليلي عند هند فلا زلت من سواد الخصوص
موازي القره او دونها غير بعيد من عمير اللصوص
ينفح من اردانك المسك والهندي والغار ولبنى*خصوص

ومن شعره ايضًا يصف حسناء،تبدو في صورة من صور الغزل الذي كان متأثرًا بتلك الرفاهية والعيش الرغد،ومنه قوله[5] :

إذ هي تسبي الناظرين وتجـ ـلو واضحًا كالاقحوان رثل
عذبا كما ذقت الجني من التـ ـفّاح يسقيه برد الطل

---

[1]- الصعيدي(عبدالمتعال)،المرجع السابق،ص92؛العظمة(نذير)،المرجع السابق،ص23

؛عدي(بن زيد العبادي)،ديوان عدي بن زيد العبادي،تح، المعيبد محمدجبار ،دارالثقافة والارشاد،بغداد،1965،ص45.

[2] - بروكلمان (كارل)،تاريخ الادب العربي، تر،عبد الحليم النجار، ط5،ج1،دار المعارف،القاهرة،ص103.

[3] - لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص421.

[4] - الصعيدي(عبدالمتعال)،المرجع السابق، ص111.

* لبنى : شجرة لها عسل،نفسه.

[5] - عدي(ابن زيدالعبادي)،المصدر السابق، ص 156.

وقوله يصف مظاهرالترف والزينة وهي بادية على حسناوات القصور في الحيرة من لبس الحرير،الى فتنة الخلخال والاسورة والدر[1] :

زانهن الشفوف ينهزن بالمسـ ـك وعيش نعانق وحرير

وقوله : بيض عليهن الدمقس وفي الـ ـأ عناق من تحت الأكفة در[2]

وفي كل هذا الشعر يمكننا ان نتبيّن الاثر الواضح للبيئة الحضرية التي كان يعيش بها الشاعر،وهي الصور الشعرية الحضرية التي تميّز بها الغزل عند عدي بن زيد[3].

كما تظهر ألوان الحضارة والترف في شعر المنخَّل اليشكري الغزلي،وهو أحد عشّاق العرب المشهورين،يقول في وصف احدى مغامراته مع سلمى زوج النعمان بن المنذر والمشهورة بالمتجرّدة[4]:

ولقد دخلت على الفتـ ـاة الخدر في اليوم المطير

الكاعب الحسناء تـ ـرفل في الدمقس وفي الحرير

فدفعتها فتدافعـت مشي القطاة الى الغدير

ما شفّ جسمي غير حبـ ـك فاهدئي عني وسيري

ولا يختلف شعر المرقش الاصغر عن المعاني والصور الحضرية التي تميّز بها خاصة شعرعدي بن زيد،لأن كلا الشاعران تمتّع بالترف ومباهج الحياة في بلاط المناذرة،لذلك نجد التعبيرعن المعنى الذي يقصدانه جلياً لا يحتاج الى مزيد جهد وعناء ،ويمكن ان نتبيّنه بكل يسر.

ويقول المرقش الاصغر متغزّلاً بمعشوقته الأميرة فاطمة بنت المنذر اخت عمرو بن هند[5] :

أَلاَ يا أسلمِي لاَ صُرْمَ لي اليوم فاطما ولا أبداً مادام وَصلُكِ دائما

أرتكَ بذات الضَّالِ منها مَعاصما وخَدًّا أسيلاً كالوذِيلَة ناعِما

أَفاطمَ إنَّ الحُبّ يَعفُو عن الْقِلَى ويُجشِمُ ذا العِرْضِ الكرِيمَ المِجَاشِمَا*

ألا يا أسلمي بالكوكب الطلق فاطما وإن لم يكن صرف النوى متلائما

---

[1] – نفسه، ص 84.

[2] – نفسه، ص 127.

[3] – المفضل(المفضل بن محمد الضبي) ،المصدر السابق،ص 241 ؛بروكلمان(كارل)، ج1،ص103 .

[4] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص39.

[5] – المفضل(المفضل بن محمد الضبي) ،المصدر السابق،ص 244.

* يجشم : يرغمه على ركوب الهول،نفسه.

أَلاَ يَا أسلمي ثمَّ اعْلَمي أَنَّ حاجَتي إِليكِ فَرُدِّي مِنْ نَوَالِكِ فاطِمَا
أفاطمَ لو أنَّ النِّسَاءَ بِبَـلْدَةٍ وأَنْتِ بأُخْرَى لاَتَّبَعْتُكِ هائِما

ويرى النقّاد ان البناء الشعري للجمل والألفاظ عند المرقش اكثر قوة وتماسكاً وأكثر تألقاً وصياغةً ويرجعون ذلك الى ان قرب المرقش الاصغر الى البادية اكثرمن عدي بن زيد الذي كان حضريًا ولم يخرج نطاق عيشه عن المدينة .

كما يصوّرالنابغة الذبياني نديم النعمان بن المنذروصديقه،حين رأى على حين غرّةٍ،زوجة النعمان بن المنذرسلمى،المشهورة بالمتجرّدة،وقد سقط خمارها فاستترت بيدها وذراعها اذ يقول :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد
بمخضّبٍ رخصٍ كأن بنانه عَنَمٌ يكاد من اللطافة يُعقد

وكان ذلك سببًا كافيًا ليوغرالمنخّل اليشكري عليه صدر النعمان بن المنذر و يتهمّه بقصيدة المتجرّدة التي كان قد قالها المنخّل .

وبرز من هؤلاء الشعراء في كثافة الشعر وكثرته وجودت ما قيل فيه، وتناوله لمجموع ما تعارف عليه من مقاييس في قصيد الغزل الشاعران عدي بن زيد والأعشى.

وكان نصيب عدي بن زيد من الترف والمكانة اوفر من الاعشى،بالإضافة الى ما كان يتميز به من صفات خَلْقية،حيث كان جميلاً وسيمًا،يذكر عنه ابو الفرج الأصفهاني : " وكان حسن الوجه مديد القامة ،حلو العينين ،حسن المبسم ،نقي الثغر "[1]. وربما كان لذلك اثر في ان يكون من شعراء الغزل المشهورين في الحيرة ومن اصحاب القصص الغرامية والمغامرات الجريئة .

وقد تناول غزله نوعي الغزل اللذان عرفهما العرب في النوع من الشعر وهما : الغزل الطَّلَلي الذي يقف فيه الشاعر على ما تبقى من ديار الحبيبة ورسومها الدارسة كقوله [2] :

أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم ورماك الشوق قبل التجلد
ظللت بها أسقي الغرام كأنما سقتني الندامى شربة لم تصرد

والغزل المجسّم الذي يصف محاسن المرأة ومفاتنها كقوله[3] :

كدمى العاج في المحاريب أوكا لبيض في الروض زهره مستنير

[1] – الاصفهاني(ابوالفرج علي بن الحسين)،المصدر السابق،ج2،ص 520.
[2] – القرشي(ابوزيد محمد بن الخطاب)،المصدر السابق، ص485.
[3] – عدي(بن زيد العبادي)،المصدر السابق،ص 84.

ثم ينتقل الى وصف مغامراته،كقوله[1] :

وقد دخلت على الحسناء كلها بعد الهدوء تضيء البيت كالصنم

ينصفها نستق تكاد تكرمهم عن النصافة كالغزلان في السلم

تبسم عن أشنب ريان منصبه حمر اللثات لذيذ طعمه شبم

ويرى بعض الدارسين ان نفس الاعشى قدلانت ورقّت من خلال التغيّرالذي لاحظوه في شعره،ويرجعون ذلك الى تأثير حضارة المناذرة فيه ،وأن رقّة غزله ناتجة عن اقباله على اللهو والطرب وعكوفه على الخمر والاستماع الى القيان ممّا لم ينغمس من الشعراء أحد مثله فيه[2] .

هو القائل :

ودّع هريرة ان الرّكب مرتحل وهل تُطيق وداعًا ايها الرّجل

غرّاء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كمايمشي الوجي الوحل

كأن مشيتها من بيت جارتها مرّ السحابة لاريثٌ ولا عجل

تسمع للحُليّ وسواسًا اذ انصرفت كما استعان بريحٍ عشرقٌ زجل

ويعتبر النقّاد شعر الاعشى استهلالاً وتمهيدًا للغزل الحضري الذي ظهر بعده .

وهو شعر ينمّ عن ذوق متحضّر ماكان ليكون بدون وجود تلك البيئة الحاضنة متمثلةً في دولة المناذرة وبلاطها .

2-7- الحكمة :

ان في الطبيعة البشرية حنينًا الى عالم روحاني يسمو على المادة،وظهر مجسّدًا عند شعراء العرب الجاهليين عبّروامن خلاله بأساليبهم الخاصة،فكان لهم حكمةتتصل بشعرالتديّن وتتصل بماوراءالطبيعة من غيبيات وايمانيات،بينما اتجه شعر بعض الحكم الى الحنفية وإفراد الله بالعبادة[3] .

والحكمةهي ثمرةاختباروتجربة في عبارة من الالفاظ موجزة.وغلب على الشعرالحكمي العنصرالخُلقي الروحي في الديانة المسيحية،فقد حفظت لنا نصوص هذا النوع من الشعر شيئًا عن المسيحية يعتبر اكثر مماحفظته عن أي دين اخرمن اديان الجاهلية ،ولعل ذلك راجع الى ان المسيحية هي اكثرالاديان

[1] - نفسه،ص 170 .

[2] - شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص364.

[3] - حنا(فاخوري)،الجامع في تاريخ الادب،ط1،دارالجيل،بيروت،1986،ص145

؛جواد(علي)،المرجع السابق،ج5،ص399.

التي سادت في الجاهلية ومن اشهرها إغراقًا في الروحانية من جهة،والى وجود سلطتين سياسيتين قوّيتين عملتا على نشرها والمحافظة عليها هما الرومان في الشمال والأحباش في الجنوب من جهة اخرى .

وكان من جملة شعرالحكمةالشعرالحنيفي كحركة فكرية مستقلة،جاء انتاج شعرائها بعقيدة التوحيد الذي جاء به النبي ابراهيم عليه السلام ،وقصدوا البلاد التي تتواجد بها الديانة المسيحية واليهودية ليناظروا اتباعها وينشروا اعتقادهم وذلك من خلال الشعر[1] .

بينما يرى البعض ان شعر الحكمة عند العرب متأتٍ من وثاقة الحلوم ورجاحة العقول وفضل المنزلة في تجارب الايام ،فهي حكمة لا تجر على مذهب ولا تدور على نِحلة ولا يبلغ الزمن بها مبلغ احد هذين النوعين بالقياس والاستنباط ،وانما كان اساس تلك الحكمة رسوخ الاخلاق فيهم بحكم العادة ونظر كل امرئ لنفسه بحكم الطبيعة ،فكان ذلك محور دينهم الطبيعي[2] .

ولتعلّق الحكمة عمومًا بالجانب الديني والخُلقي و القيمي ، نجد بروز ثلاثة شعراء من شعراء الحيرة،الذين جاء انتاجهم وافرًا في هذا النوع من الشعراكثرمن غيرهم،وكان الثلاثة قد تعرّضوا لنقمة ملوك المناذرة وعقابهم وهم:عدي بن زيد العبادي،وهو الذي سجنه النعمان بن المنذر فجاد لسانه بالحكمة فيما قاله من قصائد في سجنه ،وطرفة بن العبد البكري حين دخل سجن البحرين في قصّته المشهورة مع عمروبن هند،النابغة الذبياني الذي فرّمن وجه النعمان بن المنذر وهو الذي كان صديقه ونديمه المخلص بسبب قصّته المعروفة وقصيدة المتجرّدة.وبالتالي فقد كانت المحن التي تعرّض لها هؤلاء الشعراء سببًا مباشرًا فيما جرى على ألسنتهم من شعر الحكمة ،فكان هؤلاء الملوك سببًا قويًا في نشأة هذا النوع من الشعر في دولة المناذرة ،الى جانب قريحة وعاطفة الشعراء الثلاثة وإبداعهم في هذا المجال.

ومن اشهر القصائد التي قالها عدي بن زيد العبادي دائيته التي ضمّنها اجودالحِكم والتي يقول في مطلعها[3] :

---

[1] – الرافعي(مصطفى صادق)،تاريخ اداب العرب،ط1،ج3،دار الكتب العلمية ،بيروت،2000،ص96 .

[2] – نفسه.

[3] – عدي(ابن زيد العبادي)،المصدرالسابق، ص 107

؛ لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص467

؛ القرشي(ابوزيد محمد بن الخطاب)،المصدر السابق،ج1،ص 485.

أتعرف رسم الدار من أم معبدٍ نَعمْ ورماك الشوق قبل التجلّد

وفيها يقول :

أعاذل ما ادنى الرشاد من الفتى وأبعده منه اذا لم يسدّد

أعاذل من لا يصلح النفس خاليًا عن اللُّب لا يرشد لقول المفنّد

كفى زاجرًا للمرء ايام دهره تروح له بالواعظات وتغتدي

اذا ما امرؤٌ لم يرج منك مودّة فلا ترجها منه ولا دفع مشهد

وإياك من فرط المزاح فانه جدير بتسفيه الحليم المسدّد

ستدرك من ذي الفحش حقك كله بحلمك في رفق ولما تشدّد

ويرى بعض النقّاد ان شعر طرفة في معظمه شعر حِكم ومواعظ وأخذٍ للعبرة وان جاءت في ثنايا قصائده الغزلية ،او في تلك التي خصّ بها مدح ملوك المناذرة على وجه الخصوص .الا ان تلك الحِكم كانت معبّرة عن الالام والمعاناة التي تكبّدها في حياته،التي كان ملؤها الزّهو والاعتداد بالشباب .وكان ذلك النبوغ والعاطفة الحسّاسة والطموح مجلبةً للكثير من المصائب التي عرفها ذلك الشاب الشاعر ولعلّ قصّته المشهورة مع الملك عمروبن هند أحد ملوك المناذرة الاشدّاء خير دليل على ذلك .ومن اشهر ما قاله طرفة من حكمة في ثنايا قصيدة داليته الغزلية التي مطلعها[1] :

لِخولة أطلال بِبُرقَةِ ثهمـدِ تلوح كباقي الوشمِ في ظاهرِ اليدِ

وفيها يقول :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدّد

أرى المال كنزًا ناقصًا كل ليلةٍ وما تُنقص الايام فالدهر ينفد

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى لك الطول المرخّى وثنياه باليد

وظلم ذوي القربى اشد مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهنّد

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيدًا غدًا ما أقرب اليوم من غد

ستُبدِي لك الأيام ما كنتَ جاهلاً ويأتيك بالأَخبَارمَنْ لم تُزَوِّدِ

ويَأْتيكَ بِالأَخْبَار مَنْ لَمْ تَبِع له بَتَاتاً ولم تَضرب له وقت موعد

[1] – طرفة(ابوعمرو طرفة بن العبد البكري)،ديوان طرفة،تح،علي الجندي،مكتبة الانجلو المصرية،1958،ص220؛ لويس(شيخو)،المرجع السابق،ص317.

ويقول ايضًا من الحِكمة [1] :

لعمرك ماالايام إلا مُعارةٌ فما اسطعت من معروفها فتزوّد

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وفيها يقول[2] :

فكيف يرجىّ المرء دهرًا مخلّدًا وأعماله عمّا قليل تحاسبه

ألم تر لقمان بن عاد تتابعت عليه النسور ثم غابت كواكبه

وللصعب اسباب تجلّ خطوبها اقام زمانًا ثم بانت مطالبه

ويقول ايضًا[3] :

الخير خير وان طال الزمان به والشرُّ أخبث ما اوعيت من زاد

ومن ابيات الحكمة عند النابغة الذبياني قوله[4] :

من يطلب الدهر تدركه مخالبه والدهر بالوتر ناج غيرمطلوب

مامن أناس ذوي مجدٍ ومكرمةٍ ألا يشد عليهم شدة الذيب

اني وجدت سهام الموت معرضةً بكل حتفٍ من الاجال مكتوب

وقوله[5] :

واستبق ودّك للصديق ولا تكن قتبًا يعضُّ بغاربٍ ملحاحا

فالرفق يُمنٌ والاناة سعادةٌ فتأنَّ في رفقٍ تنال نجاحا

واليأس ممّا فات يعقب راحةً ولرُبّ مَطعمةٍ تعود ذباحا

وقوله[6] :

ولست بمستبْقٍ أخا لا تلمه على شعثٍ أي الرجال المهذبُ

---

[1] – لويس(شيخو)،نفسه ؛الجاحظ(عمروبن بحر)،المرجع السابق،الحيوان،ج3،ص495.

[2] – طرفة(ابوعمروطرفة بن العبد البكري)،المصدرالسابق،ص310 .

[3] – لويس(شيخو)،نفسه،ص318 .

[4] – طرفة(ابوعمرو طرفة بن العبد البكري)،المصدر السابق،ص224
؛ لويس(شيخو)،نفسه،ص318 .

[5] – النابغة(زياد بن معاوية)،المصدر السابق، ص78.

[6] – نفسه ، ص 56.

وقوله[1] :

أبى الله إلا عد له ووفـاء فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

ويقول أيضًا[2] :

المرء يأمـل ان يعيش وطول عيشٍ قد يضرّه

تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مرّه

وتخـونه الايام حتى لا يرى شيئًا يسره

كم شامتٍ بي ان هلكتُ وقائـلٍ لله درّه

ومن الذين اشتهروا بقول الحكمة في شعرهم وكان له علاقة ببلاط ملوك المناذرة المرقّش الاصغر،الذي يقول في احدى قصائده[3] :

متى ما يَشَأْ ذُوالوُدِّ يَصرِمْ خَلِيلَهُ ويَعْبَدْ عليهِ لاَ مَحَالَةَ ظالِمَا

وآلَى جَنابٌ حِلْفةً فأَطعْتَهُ فَنفْسكَ وَلِّ اللَّوْمَ إِنْ كُنْتَ لاَئِمَا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المرْءَ يَجْذِمُ كفَّهُ ويَجْشَمُ مِنْ لَوْمِ الصَّدِيقِ المِجاشِما

أَمِنْ حُلُمٍ أَصْبَحْتَ تَنْكُتُ واجِمَا وقَد تَعتَرِي الأَحلامُ مَنْ كان نائِمَا

بالإضافة الى هؤلاء الشعراء الذين سلف ذكرهم،اشتهرالشاعرالمثقّب العبدي في قول الحكمة في بعض قصائده .ومنها قوله[4] :

وما ادري اذا يمّمت وجهًا اريد الخير ايّهما يليني

هل الخير الذي انا ابتغيه ام الشّر الذي هو يبتغيني

وقال في ميميته المشهورة التي تحتوي على ابيات حِكمية كثيرة في قصيدة وجهها الى الملك النعمان بن المنذر لفكّ اسر الشاعر الممزق العبدي ،وكان قد شفع فيه خالد بن الحرث لدى الشاعر المثقّب العبدي،ويقول في مطلعها[5] : انما جاد بشاشٍ خالدٌ بعدما حاقت به احدى العِظم

---

[1] – نفسه ، ص 170.

[2] – نفسه، ص203

؛ لويس(شيخو)،المرجع السابق،ص726.

[3] – المثقب(عائد بن محصن العبدي)،المصدر السابق، ص227.

[4] – نفسه، ص56

؛لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص726.

[5] – المثقب(عائد بن محصن العبدي)،نفسه،ص157.

وفيها يقول ايضًا :

لا تقولنّ إذا ما لم تُرِدْ أَن تُتمَّ الوعد في شيءٍ نَعَم
فإذا قُلْتَ نَعَمْ فاصبرْ لَها بِنَجَاحِ القَولِ إنَّ الخُلْفَ ذمّ
واعْلمَ انّ الذَمَّ نَقْصٌ للفَتَى ومتى لاَ يَتَّقِ الذَّمَّ يُذَمّ
أُكْرِمِ الجارَ وأَرْعَى حَقَّهُ إنَ عِرفان الفتى الحقّ كَرَم
لا تراني راتعا في مجلسٍ في لُحوم النّاسِ كالسَّبْعِ الضَّرم
إنّ شرَّ النّاس من يكشر لِي حينَ يَلْقانِي وإنْ غبْتُ شَتَم
وكلام سيِّيء قَد وُقرت أُذنِي عنه وما بِي مِنْ صَمَم
ولبَعْضُ الصَّفْحِ والإعراض عن ذي الخنا أبقى وإن كان ظلَم
أجعلُ المال لعرضي جُنَّة انّ خَيْرَ المالِ ما أَدَّى الذِّمَمْ
يجعل المال عطايا جمّة انّ بذل المال في العرض امم
لا يبالي طيب النفس بما عطب المال اذا العرض سلم

ومن حِكمه قوله :

ان الامور اذا استقبلتها اشتبهت وفي تدبّرها التبيان والعبر

وكان دافع الحكمة دائمًا لدى الشعراء،يأتي كردّ فعل على التجارب التي خاضوها والمحن التي تعرّضوا لها ووضعهم في مواجهتها في اغلب الاحيان ملوك المناذرة فكان ذلك ممّا يلهب عواطفهم ويشعل جذوة الغضب في نفوسهم فتأتي نتيجته شعرًا مرتجلاً او مسبوكًا مصطنعًا او منظّمًا تنظيمًا.

ليُظهرتلك المشاعرالى العلن وتلتصق بوصف اولئك الشعراء وحِكمهم قيمة تاريخية ،لانهم يذكرون الى جانب حوادث محنهم وتجاربهم،حوادث اخرى تعلّقت بهم اوبملوك المناذرة ،قصدوا لذلك او لم يقصدوا .

2- 8- شعر الخمر:

صوّرالشاعرالجاهلي البيئة التي كان يعيش فيها تصويرًا عامًّا استوعب من خلاله اغلب مظاهرالحياة التي كان يحياها من خلال الوصف الدقيق لها في شعره.ومن تلك المظاهر التي اتصلت بحياته اليومية اتصالاً وثيقًا،اذ هي جزء من شخصيته،وصف الخمرومجالسها[1]. حتى اننا لا نكاد نجد شاعرًا من

[1] – محمود(ابوالخير)،المرجع نفسه،ص29.

هؤلاء الشعراء خلا شعره من ذكر الخمر والتفاخر بشربها والسّعي الى مجالسها وحوانيتها ووصفها. فأكثر الشعراء الجاهليين كانوا يشربون الخمر،ومنهم من كان شربه لها متّصلاً ،ومنهم من كان يُلمّ بها إلمامًا ،فكانوا يصفون الخمر وأقداحها وآنيتها المختلفة .ونظرًا للموقع الجغرافي والحضاري للحيرة ،الذي كان يتوسّط حضارتين بارزتين آنذاك وهما حضارة الفرس والبيزنطيين فقد انتشرت الحانات بها وكثرت فيها مجالس الشراب وأكثر فيها الشعراء وصف الخمروالغلمان والساقة والندماء الذين كانوا يؤمّونها ،ووصف قيانها وما يظهرن من زينة الثياب وروائح المسك الزكية وهن يغنين ذلك الشعر الذي يؤثر في من كان حاضرًا تاثيرًا بليغًا[1]. ويرى بعض النقادان الشاعرعدي بن زيد العبادي،كان له التفوق في مجال وصف الخمرعلى اقرانه من الشعراء،فله السبق في تشبيه الاباريق بالضباء،اذ يقول[2] : كأن اباريقهم ضبي على شرف.

وهو اول من وصف الخمر بالخضرة،حين يقول[3] :

والمشرف الهندي نسقي فيه أخضر مطموثًا بماء الخريص

وقال يصف احدالسقاة[4] :

والربرب المكفوف اردانه يمشي رويدًا كمشي الرهيص

ويصف عدي بن زيد الساقية وهي تمزج الخمرة بالماء فتعلوها فقاعات، فيتم تعليقها من قبل التاجراليهودي حولين كاملين،فلم يشمّ اذكى من رائحتها وعبقها،اذ يقول[5] :

ودَعوا با لصبّوح يوما فجاءَت قينةٌ في يمينها إبريق

قدَّمتْه على عُقار كعين الديـ ـكِ صفّى سلافها الراووق

مُرّة قبلَ مَزجها، فإذامـ ـا مُزجت لذّطعْمَها من يرذوق

وطَفا فوقها فقاقيع كاليا قوتِ حُمرٌ يُثيرُها التصفيقُ

ثمّ كان المزاجُ ماء سحابٍ لا صدى آجنٌ ولا مطروق

---

[1] – الاسد(ناصرالدين)،القيان والغناء في العصر الجاهلي،ط2،دار المعارف،مصر،1968،ص 44 .

[2] – ابن قتيبة(الدينوري)،المصدر السابق،عيون الاخبار،ج1،ص230.

[3] – نفسه؛

عدي(ابن زيدالعبادي)،المصدر السابق، ص77.

[4] – ابن قتيبة(الدينوري)،المصدر السابق،عيون الاخبار،ج1،ص231.

[5] – عدي(ابن زيد العبادي)،المصدر السابق، ص78؛ لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص467.

ويصف شوقي ضيف،عدي بن زيد بأنه أبٌ لهذا النوع من الشعر،اذ يعتبره اهم من كتب في شعرالخمر،فهوالرائد لأعشى قيس ولمن جاء بعده من الشعراء،ولا يخف ان عدي بن زيد قد ولد وترعرع في الحيرة وكان مقرّبًا من ملوك المناذرة بل يعتبره بعض النقّاد شاعرالحيرة الاول[1] ويعتبرالنقّاد ان الاعشى ميمون بن قيس،احد ابرزرواد الحيرة من الشعراء والأكثر ملازمة لحاناتها وبلاط ملوكها ومجالسها،هو من وثب بهذا النوع من الشعر الوثبة الثانية بعد عدي بن زيد،ويرون ان ذلك بتأثير تلك البيئة الحضارية،مما جعل شعره في وصف الخمر يأتي متميزًا،فأفتنّ في وصف بيوتها وتصويراثرها في النفس وفصّل فيها،وكان كثيرًاما يضمّن افتتاحيات قصائده بوصف الخمركأنه يقدّسها تقديسًا،فهي وثنه وصنمه[2].وللأعشى ميمون بن قيس شعريصف فيه احدى امواع الخمر،وهي المسمّاة بالشَّمول تُدار كؤوسها في مجلس من مجالس الشُرب الرّاقية بالحيرة ، حيث حضر الملك ممثّلاً في إياس بن قبيصة الطائي،والأمراء ومعهم شباب يصفهم كمصابيح الليل وقد تقلّبوا في رفل النعمة والملك ،وشاعت على وجوههم مظاهر الفرح والسرور،والساقيات من حولهم وقد سمقت قاماتهن،وصفت ألوانهن، ناعمات لم يغير بشرتهن وصب ولا حزن، بادية زينتهن،لا يخفين عن جلاّسهن خصرًا ولا كشحًا.وفي خضمّ هذا المجلس المفعم باللهو ينساب صوت المغني ،وقد ثنى كفه على عود دقيق الاوتار،يصدح من غير كللٍ ولا مللٍ،حيث يقول[3] :

وشمولٍ تحسبُ العينُ إذا صفّقتْ وردتها نورَ الذُّبحْ
مثلُ ذكي المسكِ ذاكٍ ريحها صبَّها السّاقي إذا قيلَ توحّ*
وَلَقَدْ أغْدُو عَلى نَدْمَانِهَا وَغَدَا عِنْدِي عَلَيْهَا وَاصْطَبَحْ
ومغنٍّ كلّما قيلَ له أسمعِ الشَّرْبَ فَغنّى فصَدَح
في شَبَابٍ كمَصَابِيحِ الدّجَى ظاهرُ النّعمَةِ فِيهِمْ وَالَفرَحْ
رُجُحُ الأحلامِ في مَجْلِسِهِمْ كُلّمَا كَلْبٌ مِنَ النّاسِ نَبَحْ
لا يَشِحّونَ عَلى المالِ، وَمَا عُوّدُوا في الحَيّ تَصْرَارَ اللِّقَحْ**

[1] – شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص392.

[2] – نفسه،ص355.

[3] – الاعشى(ميمون بن قيس)،المصدر السابق،ص131 ؛ لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص395 .

* توحَّ : اسرع واستعجل؛الاعشى، نفسه.

** اللقلح : النوق الغزيرة اللبن ، تصرار : شد ضرع الناقة بالصرار حتى لا يرضعها ولدها، نفسه .

*** نصاحات : حبال يجعل لها حلق وتنصب فتصاد بها القرود،الرَّبَح : القرد ، نفسه .

فَتَرَى الشَّرْبَ نَشَاوَى كُلُّهُمْ مثلَ ما مدتْ نصاحاتُ الرَّبَحْ***

بَينَ مَغْلُوبٍ تَلِيلٍ خَدُّهُ وَخَذولِ الرِّجلِ من غَيرِ كَسَح

ليُعيدنّ لمعدٍّ عَكرها دَلج الليلِ وتَأْخاذ المِنح

وفي وصف القيان اللائي كن يطربن رواد المجالس،يقول الشاعر عمرو بن الاطنابة في افتتاحية رثائه لخالد بن جعفر سيد عامر بن صعصعة ،وكان قد استجاربالنعمان بن المنذرفأجاره،وهو الذي قتله الحارث بن ظالم،وقد دعا بشرابه وقيانه فغنين له شعره الذي يقول فيه[1] :

عَلِّلاني وعلِّلا صاحبيّا وأسقياني منَ المروّقِ ريّا

إنَّ فينا القيان يَعزِفنَ بالدُ فِ لفتياننا وعيشاً رخيّا

يتبارَين في النَعيم ويصُببنَ خِلالَ القرونِ مِسكاً ذكيّا

إنما هُمهنّ أَن يَتحلَّين سُ موطاً وسُنبلاً فارسياً

من سموط المرجان فُصِّلَ بالشّذ رِ فأَحسِن بحليِهنَّ حُليّا

وقليل من هؤلاء الشعراء من صوّراثرالخمروما تفعله به في نفسه وما يترتّب عليها في خياله ،كما صوّر فترات السكر وأطيافه،كما صوّر ذلك الشاعرالمنخل اليشكري[2] :

ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير

فإذا انتشيت فإنني رب الخورنق والسدير

إذا صحوت فإنني رب الشويهة والبعير

ويصف نفسه بانه كالليث في اول الليل مما شرب من خمر، اما في آخر الليل فانه كالضبعان الاعرج، فيكثر عثاره في سيره مما لعبت به الخمر.

الزق ملك لمن كان له والملك منه طويل وقصير

منها الصبوح الذي يتركني ليث عفرين والمال كثير

فأول الليل ليث خادر وآخر الليل ضبعان عثور

قاتلك الله من مشروبه لو أن ذامرة عنك صبور

ويقول لقيط بن زرارة التميمي في نفس المقام[1] :

[1] – ابن قتيبة(الدينوري)،المصدرالسابق،عيون الاخبار، ج1،ص184

؛ابن حبيب(ابوجعفرمحمد بن حبيب)،المحبّر،تح،ايلزةشتيتر،منشورات المكتب التجاري، بيروت، ص 192.

[2] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية، ص424.

شربت الخمر حتى خلت اني ابو قابوس او عبد المدان

امشي في بني عدس بن زيد رضيَّ البال منطلق اللسان

2- 9- الاعتذار :

يعتبرالاعتذارمن انواع الشعرالعربي الذي يأتي عادةً لإظهارالندم على فعل او حدثٍ اوحال وقعت،ليبرئ المعتذرنفسه،وينجو من اللوم او يحاول اصلاح الحال بتفسيرمعقول لها،محاولاً ارجاع الامور الى مجراها الطبيعي .

وينبغي للشاعران لايقول شيئًا يحتاج ان يعتذرمنه،فان اضطره المقدارالى ذلك وأوقعه فيه القضاء،فليذهب مذهبًا لطيفًا،وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر اليه وكيف يسمح اعطافه ويستجلب رضاه،فان اتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ لاسيما مع الملوك وذوي السلطان[2].

وقدنشأ هذاالنوع في الحيرة،وأول من ظهرعلى لسانه النابغة الذبياني بمعناه الجديد الواسع، في اعتذارياته المشهورة للملك النعمان بن المنذر. ولأن الحياة في بلاط ملوك المناذرة وقصورهم ،كانت مسرحًا للمكائد والدسائس والوشايات بين مختلف مكوّنات ذلك البلاط ،بهدف نيل رضى الملك او بدافع الحسد والغيرة.خاصّة بين الشعراء الذين فقد كانوا يبذلون ما في وسعهم للتّقرب لملوكها .فكان من الطبيعي ان يحاول كل شاعر من هرؤلاء الشعراء ان يدفع عن نفسه وشاية واشٍ او وقيعة حاسدٍ ،ليحفضوا شأنهم لدى ملوك المناذرة او ينجوا بأنفسهم من كيدهم .فيكتبون بذلك شعرًا يأتي في مقام الاعتذار وتبرئة الذمة.واشهر ملوك المناذرة الذين كثرت اعتذارات الشعراء لديهم ،النعمان بن المنذر .

ويمكننا القول ان عدي بن زيد العبادي ،كان له السبق في كتابة الاعتذار في شعره الذي كان يرسله الى النعمان بن المنذرمن سجنه الذي رماه فيه بسبب وشاية الواشين[3] ،وان كانت اعتذارياته لم تبلغ مبلغ الكمال في البناء والقصد ،كما جاءت اعتذاريات النابغة .

[1] – الحوفي(احمد محمد)،المرجع السابق،الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص 451.

[2] – ابن رشيق(الحسن القيرواني)،المصدر السابق،ج1،ص176.

[3] – الاسد(ناصر الدين)،المرجع السابق،مصادر الشعر الجاهلي، ص 128.

فقد كانت اعتذاريات النابغة مكتملة البناء وصادقة التعبير،وقد اعمل فيها النابغة كل طاقته الفنية وملكاته الشعرية،لذلك جاءت على احسن صورة،وكانت من احسن ما قيل في الشعرالعربي القديم في مجال الاعتذار.

وتفوّق النابغة في اعتذارياته على قرنائه من الشعراء،للثقة المتينة بنفسه واعتزازه بنسبه وعشيرته،وتجاربه اليومية بين بيئتين مختلفتين،واحدة ينتمي اليها نسبًا وعرقًا وهي البادية ،واخرى لاينفك يبتعد عنها حتى يشده الشوق اليها فيرجع وهي مدنية وحضارة الحيرة .بالاضافة الى تلك الصداقة القوية التي كانت تربطه بالملك النعمان بن المنذر،وما خلفته تلك الصداقة بعد انفراط عقدها من ذكريات لم يكن له ان يتخلى عنها . يقول النابغة الذبياني في احدى اعتذارياته[1] :

فلا لعمر الذي مَسَّحْتُ كعبته وما هريق على الانصاب من جسد

والمؤمن العائذات الطيرَ تمسحُها ركبان مكة بين الغيل والسعد

ماقلتُ من سيءٍ أُتيتَ به اذًا فلا رَفعتْ سوطي اليَّ يدي

إذً ا فعاقَبَني ربي معاقبةً قرّت بها عين من يأتيك بالفند

الا مقالة اقوامٍ شُقيتُ بها كانت مقالتهم قرعًا على الكبد

أُنبئتُ ان اباقابوس أوعدني ولا قرار على زأرٍ من الاسد

ويقول ايضًا[2] :

أتاني ابيت اللعن انك لُمتني وتلك التي اهتمُّ منها وانصَب

فبتُّ كأن العائذات فرشن لي هِراسًا به يعلو فراشي ويُقشب

لئن كنت قد بُلِّغتَ عني خيانةً فمبلغك الواشي أغشُّ وأكذب

وممّاسبق يتضح لنا مُجدّدًا،ذلك الدورالواضح الذي شكّله ملوك المناذرة في تطوّر الشعر العربي عمومًا وفي بلاطهم وما حواليهم من الحيرة،قصدوا الى ذلك اولم يقصدوا،ففي كلا الحالتين جادت قريحة الشعراء في وصف علاقتهم بملوك المناذرة حدّ الابداع،ومن هذا الابداع كان الاعتذارالذي جاء به النابغة الذبياني كأحد الموضوعات المهمّة في الشعر العربي التي ولدت ببلاط المناذرة والدّارس لذلك الشعرلا يمكنه ان يتغاضى عن تلك النزعة التاريخية التي بثّها الشعراء في شعرهم،فشكّلت قيمة اضافية

[1] – ابن رشيق(الحسن القيرواني)،المصدرالسابق،ج2،ص17؛ السابق،ص287؛ابوالخير(محمود)،المرجع السابق،ص44 ؛ شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص287؛ لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص666.

[2] – شوقي(ضيف)،نفسه،ص291؛ لويس(شيخو)،نفسه،شعراء النصرانية،ص655.

لإبداعهم الادبي الشعري.وكان ذلك التاريخ المبثوث في قصائدهم قد جاء من قبيل الوصف احيانًا ،ولكننا نستشعر تعمّد الشعراء لذكرالحوادث التاريخية لإعطاء قيمة ووزنٍ يضاف الى مصداقية شعرهم .

الفصل الثالث

خصائص الشعروتراجم نماذج من الشعراء

1- الخصائص المعنوية الفنية للشعر في دولة المناذرة .

2- الخصائص اللفظية .

3- الدراسة النقدية للشعر في بلاط المناذرة .

4- تراجم نماذج من الشعراء .

1 – الخصائص المعنوية الفنية للشعر في دولة المناذرة :

ان الغرض من تناول هذا الجانب بالدراسة ،والذي يدخل في اختصاص وحيز الباحثين في الادب واللغة واهتماماتهم على الخصوص ،ليس الاطناب والتوسّع فيه ولكن لالقاء نظرة تكمّل دراستنا للشعر في دولة المناذرة ،وتتم سياقات هذا النوع من الادب وعلاقته بالاثرالتاريخي في ابداعات الشعراء .

وتتميّزمعاني الشعرفي الحيرة بأنها واضحة وبسيطة ليس فيها تكلّف اواغراق في الخيال،سواءًا كان الشاعر يصوّرما يراه في الطبيعة او يعبّرعن احاسيسه ويرجع ذلك حسب بعض النقاد،الى ان الشاعرالعربي بصفة عامة وبصفة خاصة رواد الشعرفي دولة المناذرة، لم يكونوا بصدد فرض ارادتهم الفنية المصطنعة على احاسيسهم او ما يصفونه في اشعارهم،بل كانوا يحاولون نقلها نقلاً امينًا ولذلك يكاد شعرهم ان يكون وثيقة تاريخية دقيقة،نقلت بصدق ماكان يحياه الشاعر في بيئة الحيرة،وما كان يعاينه من احداث ووقائع سياسية واجتماعية وغيرها .

ولعلّ شيوع الوصف لدى الشعراء في الحيرة،كان له الاثر في طبع افكارهم بنزعةٍ تقريريةٍ ،اذ تعوّدوا ان يسندوا اقوالهم بذكرالحقيقة عارية دون خداع او طلاء يزيّفها[1] . وهذه النزعة في الشعر الحيري ،هي ما جعلت الشاعر لا ينزع الى تحليل خواطره وعواطفه ولا يتعمّق كثيرًا فيها وينأى عن التغلغل في خفايا النفس،بل ينتزع خيالاته وتشبيهاته من عالمه المادي . وهذه الحسيّة هي ماجعلت الشاعرلا يتوسّع في المعاني،بل كان معظم الشعراء لا يكادون يفارقون الحديث عن معانٍ تكاد تكون واحدةً ،فما يقوله طرفة بن العبد في وصف الناقة مثلاً ،يقوله غيره ،وما يقوله امرؤ القيس في بكاء الديار يقوله غيره ايضًا.لكنك تجد براعة بارزة في اعادة صوغها من جديد،فكل شاعر يحاول ان يعطيها شيئًا من شخصيته

ولم يَحُل ضيق دائرة معانيهم من الولوج الى دقائق وتفصيلات المواضيع ،فكان من الاستنباط والإعادة ان ولدت صور بديعة ،كما ان الشاعر وان اتكأ على المعاني الحسية التي أخذها مما يدور حوله وبيئته ، لم يتركها جامدة تنشر الملل في النفوس ،بل بثّ فيها النشاط والحركة والحياة من خلال ابداعاته .

[1] – شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص220.

وكان للشعراء في دولة المناذرة دورٌ بارزٌ في ابتكاركثيرمن المعاني التي لم يعرفها الشعراء قبلهم،فأصبحت من مواضيع اشعارهم التي اجادوا في عرضها بطريقة جذابة ،ولعل اهم تلك المعاني الجديدة التي ادخلها هؤلاء الشعراء هي :

أ- استعمال المادة التاريخية ،كركن أساسي في الوصف الذي تناولوه شعرًا لإعطاء قيمة ادبية وفنية وتوثيقية لذلك الشعر.

ب- استغلال المعارف الدينية ،وذلك ليلقى شعرهم القبول ،خاصة عند من اعتنقوا المسيحية من العُبّاد في الحيرة من جهة،ومحاولة التبشير بذلك الدين وإبراز قيمه من خلال الشعرمن جهة اخرى ولعل ابرز شاعر من الحيرة تناولت اشعاره ذلك المغزى عدي بن زيد العبادي .

ج- ابتداع انواع جديدة من موضوعات الشعر، لم تكن معروفة من حيث المعاني التي حوتها ،وابرز تلك الانواع المبتكرة في الحيرة الاعتذار،الذي اشتهر به النابغة الذبياني، كما ذكرنا. الى جانب موضوع وصف الخيل ،نظرًا لما تكتسيه الخيل في حياة العربي عمومًا من معاني محبّبة لديه ،من وصف الوفاء الى الصبر الى غيرهما من المعاني التي احبّها العربي في الخيل ،فوصفها الشاعر وأبدع في وصفها ،وأنتج موضوعًا جديدًا لم يكن معروفًا من قبل هو وصف الخيل .وانطلقت من الحيرة مدرسته ،نظرًا لوجود بيئة ادبية وثقافية ملائمة لذلك ،وبتشجيع ملوكها للشعروالشعراء كما بيّناه آنفًا ،وحثّهم على التنافس الذي كان نتيجته ذلك الكمّ الكبيرمن القصائد في هذا الموضوع .

ولنتبيّن اهمية هذه العناصر وتلك المعاني الجديدة التي اسهمت في بناء الشعر وازدهاره في دولة المناذرة .وما كان لتلك المعاني المبتكرة من فضل في تنوّع الشعر وتطوّره في الحيرة ،وذلك من خلال بعض الامثلة التي تبيّن مظاهر التاريخ في شعر الشعراء وقيمة ذلك الشعر التاريخية الى جانب القيم الدينية ،وكذا المعاني المبتكرة الاخرى .ففيما يخصّ استعمال المادة التاريخية كعنصراساسي من القصيدة الشعرية لدى شعراء الحيرة نجد ما جرى على لسان عدي بن زيد يشكّل الاساس الذي قلد من خلاله الشعراء في الحيرة الكتابة في هذا المعنى.فتاريخ الاحداث التي وقعت للأفراد وعلى رأسهم الملوك او تلك الاحداث التي عاينها المجتمع كلها تشكل البيئة التي من خلالها يستلهم منه الشاعرشعره،فهي تؤثر على نفسية اولئك الشعراء وأحاسيسهم ليظهر صدى ذلك التأثيرواضحًافيما ينظمون من أشعار ويكون متكأهم في ذلك هذه الاحداث[1]، بما تفرزه من زخم تجعل منها مصدرًا مهمًّا

[1] - نفسه،ص221.

للاستلهام والإبداع يستنبطون منها المعاني والصور.تلك المعاني والصورالتي تعطي لشعرهم قيمة توثيقية الى جانب القيمة الفنية التي يكتسيها شعرهم .ومثل ذلك التوثيق والتأريخ ما نجده عند الاعشى ميمون قيس ،وذلك في القصيدة التي يفتخر فيها بانتصاربني شيبان وحلفائهم من القبائل العربية على الفرس في اليوم المشهورعند العرب بذي قار،حيث يقول[1] :

فدىً لبني ذهل بن شيبان ناقتي وراكبها يوم اللقاء وقلّت

كفوا اذا اتى الهامرز تحنف قومه كظلّ العُقاب اذا هوت فتدلّت

فصبّحهم بالحِنو حنو قراقر* وذي قارها منها الجنود ففلّت

تناهت بنو الاحزاب اذ صبرت لهم فوارس من شيبان غُلبٌ فولّت

وكان لموقع الحيرة السياسي والحضاري وسط حضارتي الفرس والبيزنطيين كافيًا ليعطي تلك الاحداث ذلك الزخم وللشعراء ذلك الالهام الذي يفيض في بعض الاحيان في شكل عاطفة قومية اورابطة حب وطنية،ولعل ابرزما يمثله هذا المعنى قصيدة اللقيط بن يعمرالايادي مثلاً.

وكان اللقيط بن يعمروعدي بن زيد كلاهما يعملان في ديوان كسرى ابرويز،يتقنان الفارسية،لذلك وجدناهما يستمدان من شعرهمامن المادة السياسية والتاريخية التي كانت تقع آنذاك.

وفي هذا المجال نذكر تلك الرسالة القصيدة التي بعث بها اللقيط الى قومه من قبيلة اياد يحذرهم فيها من عزم كسرى على غزوهم،ويحثّهم على الاستعداد واعداد العدة لذلك ويحذرهم من عدم اخذ نصحه بعين الاعتبار فيضيعوا عزومجد آبائهم،وفي ذلك اتكأ اللقيط على هذه المعاني القومية والوطنية ليكتب التاريخ من خلال قصيدته فيوثق للتاريخ ولقصيدته،اذ يقول[2] :

سلام في الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من أياد

بأن الليث كسرى قد اتاكم فلا يشغلكم سوق النقاد

اتاكم فهم ستون الفًا يزجّون الكتائب كالجراد

[1] – الاعشى(ميمون قيس)،المرجع السابق، ص 385.

* يوم الحنو: من ايام العرب ،وحِنو ذي قار وحِنو قراقر موضع واحد، نفسه.

[2] – لُقيط(بن يعمر بن خارجة الايادي)،ديوان لقيط،تح،عبدالمعيدخان،دارالامانة،بيروت،1971،ص53 ؛ عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص443.

ويقول في قصيدة اخرى[1] :

ابلغ ايادًا وخلل في سراتهم اني ارى الرأى ان لم اعص قد نصعا
ياالهف نفسي ان كانت اموركم شتى واحكم امر الناس فاجتمعا
أحرارفارس أبناء الملوك لهم من الجموع جموع تزدهى القلعا
فقلّدوا امركم لله درُّكم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

ومن خلال شعر اللقيط بن بعمر الايادي ،يمكننا ان نستجلي تلك القيمة التاريخية التي بثّها في قصائده ،من خلال وصف خطر جيش كسرى وتعداده وحالته النفسية وجاهزيته للانقضاض على أي عدوّ. وفي نفس الوقت ،يذكر الشاعر مضارب قومه في الجزيرة مما يلي ارض السواد الخصبة وقد انشغلوا بالزراعة والحرث واهملوا جانب الغلظة فيهم والقوة واستأنسوا الحياة السهلة ،فهم يعيشون في بلهنية لاهون عن الخطرالذي يتهددهم .ويذكراللقيط قومه بأنهم بذلك يضيّعون مجد آبائهم وأجدادهم الذي عرفوا به،فهابتهم العرب لذلك .

وكل تلك المعاني تدلّ على استعمال المادة التاريخية والسياسية بوجه التدقيق لكتابة التاريخ بقصدٍ اوبدونه،وفي نفس الوقت ما يمكن للشعران يحمله من قيمة تاريخية . والأمثلةالدالةعلى استعمال المادة التاريخية في شعرشعراء الحيرة كثيرة بعدد قصائد هؤلاء الشعراء،وبالعدد الكبيرللشعراء انفسهم الذين سكنوها اواقاموا بها مدة من الزمن،والذي يحصي البعض عدده برقمٍ جاوزالاربعين شاعرًا[2]،ومنهم من يزيد على ذلك .

اما عن استعمال واستغلال المعارف الدينية من طرف الشعراء ،وعلى رأس تلك المعارف تعاليم ومبادئ الديانة المسيحية ،وخاصة ان جزءًا مهمًّا من سكان الحيرة كانوا يدينون بهذا الدين حتى سموّا بالعبّاد .

ولعلّ اهم مثال يذكر في هذا المجال الشاعرالحيري عدي بن زيد العبادي،الذي كان احد الشعراء الذين استعملوا بكثرة مصطلحات وتعاليم الدين المسيحي،ويمكن ان يكون ذلك نابعٌ من تأثيرثقافته الدينية المسيحية،اوبقصداعطاءقيمةعلوي لشعره تسموابه الى مستوى تلك التعاليم .

[1] – لقيط(بن يعمربن خارجة الايادي)،نفسه .

[2] – ابوالخير(محمود)،المرجع السابق،ص16 .

وربما بقصد التبشيروالترغيب في اعتناق ذلك الدين .وكان عدي بن زيدمن اكثرالشعراء في الحيرة الذين ابدعوا في هذاالنوع من الشعر،فكانت له القصائد الطويلة المستقلة التي خصّها بالحكمة والموعظة ومثل ذلك القصيدة التي نظمها في قصة آدم وانزاله من الجنة بعدارتكابه للمعصية وكيف أغواه الشيطان،وحادثة مسخ الحية[1].

وهي قصة مستمدّة من ثقافته الدينية بلا شك،وفي ذلك يقول[2] :

قضى لستة أيام خليقته وكان آخرها ان صور الرجلا

دعاه آدم صوتا فاستجاب له بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا

وأيَّ ما كان السبب في ذلك،فان الغرض الذي استعمله عدي في هذا الجانب واضح الموضوع وهوما يدخل في الحكمة والموعظة،وقداوردنا بعضًا منه في حديثنا على موضوعات الشعر،وكان عدي بن زيدرائدًا في مجال الحكمةوالموعظة،فغلب على شعره في هذا الموضوع التأمل في تقلبات الزمان وغدر الحياة ،واستنبط من تجارب الامم الهالكة وأبهة الملك الزائلة العبر والمواعظ ، وفي مثل ذلك يقول[3] :

اين اهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعد ثم ثمود

بينما هم على الاسرة والانماط افضت الى التراب الجلود

والأطباء بعدهم لحقوهم ظل عنهم سعوطهم واللدود

وصحيح اضحى يعود مريضًا وهوادنى من الموت مما يعود

ثم لم ينقض الحديث ولكن وبعد ذا كله وذاك الوعيد

وهو القائل ايضًا[4] :

نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّع

ويقول[1] :

[1] – الجاحظ(عمروبن بحر)،المصدر السابق،الحيوان،ج4،ص197 ؛الصعيدي(عبد المتعال)،المرجع السابق،ص107.

[2] – الجاحظ، نفسه، ص198.

[3] – عدي(ابن زيدالعبادي)،المرجع السابق، ص 86 ؛ لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص471 .

[4] – عدي(ابن زيدالعبادي)،نفسه، ص120 ؛ لويس(شيخو)،نفسه،ص470.

وغصن على الحيقار*وسط جنوده وبيّن في فَيْداشه ربُّ مارد
سلبن قبّاذ ربُّ فارس ملكه وحشّتْ بكفّيه بوارق آمد
وجئن بتُرك من قراب بلادهم يسير بجمع كالدبا المتاند
وأخرجن يوم الحرص سيد حمير بحربة جنيّ من الجيش حارد
وملك سليمان بن داوود زلزلت وريدان قد ألحقته بالصعائد
وخلف بني الناصور لم يبق منهم بقية مولود ولا ذكر والد
وكان ملوك الروم يجبئ اليهم قناطير مال من خراج وزائد
فلا تغبطن إنسا بشيء يناله من الدهر لا مال ولا عيش واجد

وكان للمنزلة التي تبؤها عدي بن زيد كترجمان وكاتب لدى ملك الفرس كسرى،فكان اديبًا مثقفًا ذو ثقافة واسعة منحتها له له وظيفته،بالاضافة الى معارفه الدينية المسيحية ورغم ذلك لم يمنعه التزامه الديني من الاطلاع على التوراة[2] ايضًا وعملت تجربة السجن فيها عملها بعدما تنكّر له النعمان بن المنذر .

اما الشاعرالاسود بن يعفر النهشلي فقد اتخذ من مآل ملك المناذرة وأفول مجدهم مطية للاعتباروسببًا كافيًا ليحذرمن تقلبات صروف الدهرو مطباته ،وكان من ندماء ملوك المناذرة ومقرّبًا منهم ،وقد عاين الترف والرفاهية التي طبعت حياتهم ولكن رغم ذلك رأى انها حياة محدودة وغير دائمة ،وماكانت قوة ملكهم ان تقف امام قدر الله وسنته في الخليقة .

وقد حذا الاسود بن يعفر حذو عدي بن زيد في قصائده الحكمية والوعظية ،ومثل ذلك قوله[3] :

نام الخليُّ وما أحسُّ رقادي والهمُّ محتضر لدى وسادي
ماذا أُؤملُ بَعدَ آلِ مُحرِّقٍ تَركوا مَنازِلَهُم وبعدَ أيادِ
أهل الخَوَرنق والسدير وبَارقٍ والقصر ذي الشُرُفاتِ من سنادِ
أرضاً تخيّرها لدار أبيهم كعبُ بنُ مامَة وابنُ أمِّ دُؤادِ

[1] – عدي(ابن زيدالعبادي)،نفسه، ص94
؛ لويس(شيخو)،نفسه،473 .

* الحيقار:ملك من ملوك الفرس ،وعند البعض قبيلة ،لويس(شيخو)،شعراء النصرانية،نفسه.

[2] – الصعيدي(عبد المتعال)،المرجع السابق، ص 100.

[3] – عارف(عبد الغني)،المرجع السابق،ص367.

جَرت الرياحُ على مكان ديارهم فكأنما كانوا على ميعادِ
ولَقد غَنوا فيها بأنعَم عيشةٍ في ظلِّ مُلكٍ ثابت الأوتادِ
نَزلوا بأنقرة يسيلُ عليهمُ ماءُ الفراتِ يجيءُ من أطوادِ
أين الذَين بنوا فطال بناؤهم وتَمتّعوا بالأهل والأولادِ
فإذا النعيمُ وكلُّ ما يُلهى به يوماً يَصيرُ إلى بِلى ونفَادِ

وكان حظ ابودؤاد الايادي من استعمال المعاني والصور الدينية غير يسير،فقد اثرت فيه الحوادث والعاديات التي أثرت في غيره من الشعراء الذين عاشواو توافدواعلى بلاط ملوك المناذرة،لذلك نجد شعره زاخرًا بعبرومواعظ تلك الحوادث،ومثله مثل عدي بن زيد ولقيط بن يعمروالأسود بن يعفر النهشلي وغيرهم .دعى ابودؤاد الى الاتعاظ والاعتبار بسنن من درس من الامم والملوك السابقين،وقبيلة الشاعرمن اشهرالقبائل العربية التي كانت مجاورة لملوك الحيرة،واكثرمن عانى من غزوات الفرس وبطش كسرى ،لذلك نجد الشاعر يتأثر بتلك الغزوات ،مثل ما تأثر لقيط بن يعمرالايادي ،وتترك فيه تلك الحوادث من العبروالعظة ما ينشره من معاني وصور في شعره.

ولم يقتصروعظ الشاعرواعتباره لحال قومه فحسب،بل دعى الى التأمل والتدبر في احوال الامم السالفة والدول التي كانت عامرة مزدهرة ثم عفت رسومها وخربت أعلامها،فلم يبق منها إلا ما يبعث على الأسى والحسرة والذكرى والعبرة يقو ابودؤاد[1] :

بل تأمَّل وانت أبصر مني قصد دير السوي بعين جلية
لمن الضعن بالضحى واردات جدول الماء ثمرحن بالعشية
مظهرات رُقمًا تهال له العـ ـين وعقلاً وعقمةً فارسية

وعاصرابودؤاد الايادي احد سادة قبيلة اياد ومشاهيرها وهو كعب بن امامة الايادي،الذي ذكرعنه انه آثر بنصيبه من الماءرفيقه فمات عطشًا،فضُرب به المثل في الجود والايثار. وقد بلغ ابودؤاد تثريب ولوم كعب له ،وهو من قومه فقال[2] :

واتاني تقحيم كعب لي المنطق ان النكيثة الاقحام

[1] – الحموي(ياقوت)،المرجع السابق،ج2،ص518
؛ القالي(ابوعلي اسماعيل)،الامالي،ط2،ج1،دار الكتب ،القاهرة،1953،ص247
؛ عارف(عبد الغني)،المرجع السابق،ص59.

[2] – ابن قتيبة (ابومحمد بن عبدالله الدينوري)،المصدر السابق،الشعروالشعراء،ص68.

في نظام ما كنت فيه فلا يحزنك قولٌ لكل حسناء ذام
ولقد رأى بن عمي كعب انه قد يروم مالا يرام
غير ذنب بني كنانة مني ان افارق فإنني محذام

وفيها يقول ايضًا[1] :

لا أعُدُّ الإقتار عُدمًا ولكن فَقْدُ من قد رُزِئْتُهُ الإعدامُ
مِنْ رجالٍ مِنَ الأقاربِ فادُوا مِنْ حُذَاقٍ هُمُ الرُّؤُوسُ العِظامُ
فيهمُ للمُلاينين أنَـاةٌ وَعُرَامٌ إذَا يُرادُ العُرامُ
وسَمَاحٌ لَدَى السِّنِينَ إذَا مَا قَحَطَ القَطْرُ واسْتَقَلَّ الرِّهامُ
ورجالٌ أبوهُمُ وأَبِي عم رٌووكعبٌ بِيضُ الوُجُوهِ جِسامُ
وشبابٌ كأنَّهُمْ أُسْدُ غِيلٍ خالَطَتْ فَرْطَ حدِّهِمْ أحلامُ
وكهُولٌ بنى لهُمْ أَوَّلُوهُـمْ مَأْثُراتٍ يَهَابُها الأقـوامُ
سُلِّطَ الدهرُ والمنُونُ عليهِمْ فلَهُمْ في صَدَى المقابِرِهامُ
وكذاكُمْ مَصِيرُ كُلِّ أُناسٍ سَوْفَ حَقًّا تُبْلِيهِمُ الأيَّامُ
فعَلَى إِثْرِهِمْ تَسَاقَطُ نَفْسِي حَسَرَاتٍ وذِكْرُهُمْ لي سَقامُ

ويشيرابودؤاد في هذه القصيدة الى ماكان بينه وبين كعب بن امامة من عذل غير صارم،ثم يعرّج على الى المحن والملمات التي كابدتها قبيلته اياد،والتي كان من ضمنها حملة كسرى،فيجعله ذلك يتألم ويتحسر،ليرتقي الى معنى من المعاني الدينية والاعتقادية،وهواخذ العبروالعظات من تلك المحن مذكرًا كعب ابن عمه وهو يقصدالقبيلة بمن مضى من اكابر قومه من اياد وكانواسادة في قومهم. ويعظه وغيره من عاقبة ما تؤول اليه احوال الأمم والشعوب من القوة الى الضعف ومن الحياة الى الموت .

ويمكننا ان نختم الحديث عن تناول الشعراء لمعارفهم الدينية وآرائهم الاعتقادية بأحدالشعراءالمعروفين في بلاط ملوك المناذرة ،وقد كان نديمًا لهم وملازمًا للحيرة وهوالشاعرالنابغة الذبياني الذي نجده يطرق في ذلك الاتجاه في حديث اقرب الى الامثال من اخذ العبرة والعظة ويعتمد حكايات خيالية لحيوانات بقصد الخروج بأمثال وعظات تنطبق على بني البشر،وهو اسلوب اقرب الى التروية لا نعهده لدى شعراءالعرب الذين تعودواعلى الصراحة والانطلاق والحرية في الكلام والشعربتأثيرمن نمط حياتهم التي

[1] – نفسه.

كانوا يحيونها في البوادي والصحراء.ويسرد النابغة تلك القصص الخيالية بقصد اطلاقها على الواقع الذي يحياه وبالتالي نجدان معاني شعره في هذا الصدد صالحة لكل زمان ومكان لانها تعالج معاني وقيم تشترك فيها البشرية جمعاء.ومن ذلك قصته المعروفة شعرًاحول الحيّة التي سمّاها ذات الصفا والأخَوان التي تدورحول الثأروالغدر،ويستلهم منهاالعبرة التي مؤاداها ان نهاية الغادروالخائن وخيمة لأنه لاينال من عدوه ولايوفرلنفسه الراحة والسلامة،وينتهي به المطاف بالخسران المبين،يقول النابغة في مطلع قصيدته[1] :

ألا ابلغا ذبيان عني رسالةً فقد اصبحت عن منهج الحق جائرة

الى ان يقول[2] :

ليهنأ لكم ان قد نفيتم بيوتنا مندّى عبيدان المحلّى باقره

وإني لألقي من ذوي الضغن منهم وما أصبحت تشكو من الوجد ساهره

كما لقيت ذات الصفا من حليفها وما نفكت الامثال في الناس سائره

الى أن يقول واصفًا نهاية القصة[3] :

فقال تعالي نجعل الله بيننا على مالنا او تنجزي لي آخره

فقالت يمين الله أفعل إنني رأيت مسحورا يمينك فاجره

أبى لي قبر لا يزال مقابلي وضربة فأس فوق رأسي فاقره

اذا ماتمنا الحديث عن المعاني والصورالمستحدثة في شعرالشعراء الذين قطنوا الحيرة وآمّيهيا،في مجال النهل من المادة التاريخية للتأريخ،واستغلال المعارف الدينية في ذلك الشعرحتى غدى لكل معنى من تلك المعاني مدرسته التي انطلق التأسيس لها من الحيرة.

انتهى بناالمطاف الى احدى هذه المعاني المبتكرة انطلاقًا من الحيرة وهي معاني وصوروصف الخيل،الذي اضحى مدرسةً وفنًا قائمًا بذاته منذ ان اسّس له الشعراء انطلاقًا من بلاط وقصور ملوك المناذرة .

[1] – النابغة(زيادبن معاوية)،المصدر السابق،ص83 ؛ لويس(شيخو)،المرجع السابق،ص685.

[2] – النابغة ، نفسه.

[3] – نفسه.

ويجمع النقادعلى ان اول من كتب في هذا الموضوع فأبدع فيه هو ابودؤاد الايادي وأصبح الذين جاءوا بالوصف بعده عيالاً عليه،فهواستاذ لكل من طرق هذا الباب اوجرى في مضماره.

فلم يصف أحداخيل قطٌّ،الااحتاج الى ابي دؤاد[1] .

يقول ابوعبيدة،وهواحدالرواة:"ابودؤاد اوصف الناس للفرس في الجاهلية والاسلام،وبعده طفيل الغنوي،والنابغة الجعدي[2] ".

وقال الاصمعي في نفس السياق:" ثلاثة كانوا يصفون الخيل لا يقاربهم أحد،طفيل وابودؤاد والجعدي[3] ". وفي تعليل سبق ابي دؤاد الايادي في وصف الخيل ،انما احسن نعت الخيل لأنه كان على خيل الملك المنذر بن ماء السماء[4].فالعمل الوظيفي الذي كان يمارسه ابودؤاد،وما يتطلبه من مراقبة الخيل والقيام على ما تستحق من عناية،اكسب الشاعرخبرةواسعة في سبراغواروممكنونات صفاتها وهيئتها[5]. جعلته يسهب في وصفها حتى اختص موضوعها بشعره وغلب عليه.

ولا شك ان ملوك الحيرة قدلعبوا دورًاميّزًا في ابرازوازدهارهذا النوع من المعاني،من خلال حبهم وتعلّقهم بالخيل والتنافس على اقتنائها وتربيتها والافتخار بميزاتها،اضافة الى ماكانت تتبوؤه من مكانة لدى العرب عمومًا.ثم تقريب الشعراءواغداق الهداياعليهم كلما هزهم معنى من المعاني خاصة اذا تعلق الامر بالفروسية والخيل .فأحد الثلاثة المشهورين بوصف الخيل وهو طفيل الغنوي هو شقيق الملك النعمان بن المنذر،واليه ينسب الشعرالذي وردفيه مثل النعمان بن المنذرالذي اصبح سائرًا بين العرب القائل:ألوى بَعيد المستمر،وذلك حين قال طفيل الغنوي[6] :

ألفيتني ألوي بَعيد المستمر أحمل ما حملت من خير وشر

والنابغة الجعدي وابودؤاد نديما المنذر بن ماء السماء وكان ابودؤاد هوالقائم على خيله.فلا فرية في القول ان ملوك المناذرة قداحتضنواهذاالنوع من المعاني وشجعوه كتشجيعهم سائر الشعر .

وتدل المصادرعلى ان أبا دؤاد الإيادي سابق في الوجود على امرئ القيس بن حجرالكندي،الذي يعتبرمن مشاهيرالشعراء في وصف الخيل خلال العصرالجاهلي، وهذا يعززالطرح القائل انه اول من

[1] – الاصفهاني(ابوالفرج علي بن الحسين)،المصدر السابق،ج15،ص96.

[2] – نفسه.

[3] – نفسه،ص96.

[4] – فروخ(عمر)،المرجع السابق،ج1،ص122.

[5] – نفسه.

[6] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج8،ص366.

كتب في هذا المعنى ومؤسس له،يليه الشاعران اللذان عاصراه النابغة الجعدي وطفيل الغنوي[1]. وأجادالشعراء في وصف الخيل،فوصفواأعضاءهاوأطرافها وخفتهاووقوة تحمّلها.وكلٌّ منهم يختارلهذه المعاني صوراً تعبّرعن احتافئه وتمتّعه بها،فجسّدت الصورة آفاق خيالهم الواسع،فكانت ذات وضوح لا تعدّد في أجزائها لا تركيب ولا تناقض بين مكوناتها.ولم يكتف الشعراء بإبرازالصورة فقط ،بل نجدهم يذهبون الى أبعد من ذلك،بحيث تمتزج أحاسيسها بأحاسيسهم،ويتشاركون معها معاناتهاوآلامها.ولذلك وجدنابعدهؤلاءالشعراءالذين أسسوالهذا النوع من الشعروتلك المعاني الجديدة،يسيرون على منوالهم ويقلّدونهم فيه،حتى شاع بين الشعراء وتنافسوا فيه ليصبح فنًّا ذا معانٍ قائمًا بذاته. ومن المواضيع التي حملت معانٍ جديدةٍ ايضًا،ماطرحناه في حديثنا عن الموضوع الاعتذار،وأسلفنا الذكرأن النابغة الذبياني هواول من توسّع فيه وطرق فيه طرقا من خلال المعاني لم يتلمّسهاأحدٌ قبله،وان كان بعض النقاد يرون ان الشاعر عمروبن قميئة قدسبق النابغة الذبياني زمنيًا في الكتابة حول الاعتذار،الاانه لم يكن بتلك الغزارةوالتدقيق الذي بلغه النابغة،الى حدانجاز قصائدمستقلة في هذاالمجال.وسواءًا كان السبق لهذاالشاعراولذاك،فإن كلاً منهما ينتسب بشعره في الاعتذارالى بلاط المناذرة،فهووليدهذه البيئة ولها يرجع الفضل في نشأته وتطوره حتى بلغ منزلةً كبيرة لدى الشعراء فأبدعوا فيه .

2- الخصائص اللفظية :

2-1- الصياغة اللفظية :

يعتبرالشعرالجاهلي كامل الصياغة،ففيه التراكيب تامّة،والعبارة تستوفي مدلولها بحيث لا نلمس فيها اقتصارًااوغموضًا،فالألفاظ قيقة الموضع والعبارات تؤدي معانيها بوضوح دون ان نلمس فيها اختلالًا واضطرابًا يخلّ بسلامة بناءها وغالبًا ماكان شكل القصيدة في الشعرالجاهلي،ان يبتدرالشاعرفي الاستفتاح فيها بوصف الاطلال والوقوف على آثارالمحبوب وذكرمحاسنه،وقد يستهلون قصديهم بذكر الآلام والهموم التي يتحسّسونها،قبل الولوج في موضوع القصيدالرئيسي .

ولم يصل الشعرالجاهلي الى ماوصل اليه دفعة واحدة او بالصدفة ،بل بتراكم تجارب طويلة في غضون عصورسبقت هذاالعصر،فكان الشعراء يردّدون معاني بعينها تكاد تكون متشابهة ومتطابقة حتى تتحوّل الى نهج وطريق معلوم أوجدت طرازًاتداولته الالسنة ثم عملت فيه بالصقل والتهذيب،فكان كل

[1] – نفسه .

شاعر ينقّح ويصقّي ماامكنه من شعره ليثبت تفوّقه على غيره من الشعراء.وبذلك اصبح بناءالشكل يأخذاهتمام الشعراء دون النظرالى تجديد المعاني والابتكارفيهاالا قليلاً .فاتجه الشعراءالى ما يسمى بقوالب التعبيروأصبح المدارعلى القالب لاعلى المدلول،حتى اننا نجد من لا يخرج قصيدته الا بعد عام كامل[1].

امّابالنسبةللشعراءفي الحيرة فإننانجدكثيرًامنهم لم يتقيّد بهذاالشكل الذي أصبحت عليه القصيدةالعربية،من الاستفتاح الذي ذكرنا آنفًا،وسبب ذلك ان بعضهم كان يعاني المحن والشدائد التي نزلت به،ماأغناهم عن الالتفات الى الوقوف على الاطلال،اوذكر المحبوب،اووصف رحلاتهم ومغامراتهم.ولم تترك لهم المظالم التي تعرّضوا لها من قِبل بعض ملوك المناذرة بُدًّا من ذلك.ومثال ذلك في شعراء الحيرة كثير،نذكرمنهم:طرفة بن العبد البكري الذي كان يستفتح قصائده بنبرة متهكّمة فيها الكثيرمن السخرية،وذلك راجع الى شخصيته المتمرّدة كما ذكرنا والى ماتعرّض له من سجنٍ وقهر حتى مات على يد الملك عمروبن هندوكذلك كان يفعل خاله المتلمّس الضبّعي والاخنس بن شهاب التغلبي وعمروبن كلثوم التغلبي،الذي كان يستفتح بعض قصائده بوصف الخمر.وقد ذكرنا من اشعارهم في موضوع الهجاء ما يغني عن تكراره .

2-2- الوحدة العضوية للقصيدة :

المقصود بالوحدة العضوية ،التقّيد بموضوع واحدٍ يؤدي الى وحدة المشاعرفيه وما ينتج عن ذلك من ترتيب الصورالمعنوية والافكارلتكون القصيدة محكمة البناء يتدرّج بناؤها من مقدمةالى موضوع وصولاًالى خاتمة للموضوع تتوّج بناء الافكار فيها والصور. ويرى اغلب النقاد انه لا وجود للوحدة العضوية في القصيدة الجاهلية .وذلك بالنظر الى ما ذكرنا آنفًا في ان اغلب القصائد الطوال لدى الشعراء لم تضع دفعة واحدة بل على دفعات،فكان ذلك سببًا في تفككّها وتباين عواطفها .فقد كان الشاعر ينتجها في ازمنة مختلفة،اغلب الظن انه كان صنع قطعة عرضها على بعض الشعراء قبيلته وبعض من يلزمه من رواته،فكانوايروونها بصورة،وما يلبث ان يعيد فيها النظرفيبدّل في بعض ابياتها[2].

[1] – الجاحظ(عمروبن بحر)،المصدر السابق،البيان والتبيين ،ج2،ص9.

[2] – شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص227.

ولكننا نجدعند بعض الشعراء من الحيرة تلك الوحدة العضوية التي تجمع بين موضوع واحد ومعنى واحد،وعلى رأس هؤلاء عدي بن زيدالعبادي الذي جمع في شعره القصصي التاريخي والديني بين وحدة الموضوع ووحدة المعنى .

حتى وان رأى بعض النقاد ان شعره يفتقد الى التشويق في وصف ذلك،ولكننا نجد ان موضوعه مرتّب الافكارومتسلسل،يتدرّج فيه من مقدمة الى عرضٍ وصولاً الى خاتمة مستعملاً معارفه الدينية والتاريخية.كما نجد عند النابغة الذبياني تلك الوحدة العضوية،ولكنها وحدة الموضوع من حيث الشكل دون المضمون اوالمعنى ،حسب بعض النقّاد[1] .

ويضاف الى هذين الشاعرين كلاًّ من طرفة والمرقّشين الاكبر والاصغر،في مجال الوحدة العضوية للقصيدة ،بالاضافة الى لقيط بن يعمر الايادي في قصيدته التي يحذّر فيها قومه من عزم كسرى غزوهم وكانت سببًا في مقتله وكان موضوعها الوحيد ارشاد قومه وبذله النصح لهم.

2- 3- الوزن الموسيقي :

يُجمع النقّادعلى ان الشعرالجاهلي غنائي بامتياز[2]،وبالتالي فقدكانت صياغته صياغة موسيقية أصبحت محكمة الموسيقى والنغم بالتكراروالتدريج.كان الشاعر يتقيّدفيها بالنغمة كماتحدت القوافي في حركاتها،ثم بدأوايبدعون في تجزئة الاوزان الى ان وصلواالى تصنيف البحور،حتى تلك البحور وتصنيفاتها علمًا قائمًا بذاته .

وقسمت اوزان الى نوعين هما:اوزان قائمة على تكرارتفعيلة واحدةاشتملت على سبعةأبحرواوزان قائمةعلى تفعيلتين متشابهتين اشتملت على تسعةأبحر.واشتهرت المدرسة الحيرية واتسم طابعها الشعري ببحرين أحدهما من النوع الاول بتفعيلة واحدةوهوبحرالرمل،والآخرمن النوع الثاني بتفعيلتين متشابهتين،وهوبحرالخفيف.

ويرى بعض النقادوالدارسين ان بحرالرمل مشتقٌّ من الاوزان الفارسية،وبالضبط ما يعرف بالوزن البهلوي ذو الثماني مقاطع ،ولكنه عُدّل على نحو يلائم العروض العربي[3].

وقد ضمّ الشعر الحيري الكثير من المحسنات اللفظية والمعنوية ،ولعل اكثرها استعمالاً التشبيه ،ثم الاستعارة بنوعيها التصريحية والمكنية .

---

[1] – سامي(منير)،ملامح وحدة القصيدة في الشعر العربي بين القديم والحديث،ط1،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1979،ص127.

[2] – الاصفهاني(ابوالفرج علي بن الحسين)،المصدر السابق،ج9،ص109؛ابن رشيق(الحسن القيرواني)،المصدر السابق،ج2،ص241.

[3] – غرونباوم(فون غوستاف)،المرجع السابق،ص134؛جواد(علي)،المرجع السابق،ج9،ص185.

كمااستعمل الشعراءفي الحيرةالطِباق والجِناس[1].ولشدّة اعتناءالشعراء بتنقيح شعرهم واحكامه،نجدان الكثيرمنهم قد مُنحواألقابًا على ذلك الجهد في التنقيح والتهذيب.ومن تلك الالقاب التي اطلقها العرب على شعرائهم ودلّت على احتفائهم بهم واهتمام هؤلاء بشعرهم نذكر:المثقّب والمنخّل والفحل والمحبّر والمرقّش والمهلهل والنابغة،وغيرها من الالقاب التي تدل على العناية بالشعر .

3- الدراسة النقدية للشعرفي بلاط المناذرة :

تأخروجود دراسات نقدية للشعرالجاهلي عمومًا وشعرالحيرة بصفة خاصة وهوجزءلا يتجزّأ منه،وذلك حتى تأسيس المدارس النقدية التي نهضت بالنقد لذلك الشعرفنيًا ومعنويًا ولغويًافي فترة مابعدالعصرالجاهلي .

وعرفت في العصرالعباسي تحديدًا مدرستان نقديتان في هذا الشأن هما مدرسة الكوفة والبصرة.والملاحظ ان تلك الدراسات النقدية ، لم تكن بمنأى عن التأثيرات السلبية التي اخرجتها في معظم الاحيان عن الموضوعية والحياد،ولعلّ ذلك الاختلاف والتباين في الاراء حول الشعرعامة،وماتعلّق منه بالشعر الحيري بصفة خاصة،يعود الى سببين وجيهين هما :

- العصبية والمنافسة الفكرية والادبية التي كانت محتدمة آنذاك بين مدرستي الكوفة والبصرة .
- محاولة جمع الشعرورواياته صافيًاغيرمشوب بتأثيرات اعجمية ،وبخلفية ان شعر البادية يتفوّق على شعر المدينة في هذا المجال .

وخلف هذين السببين نجد ان تصنيفات الرواة والنقاد في هذه الفترة حول الشعر الحيري ،قدجاءت في معظمها غير منصفة ،فاتجهت اراءالنقاد في مدرسة البصرة وعلى رأسها الاصمعي،الى المؤاخذة في شعرالحيرة والتحفّظ عليه بدعوى قصورعنصراللغة فيها،ورميها بأنهاغيرصافية خالطتهاالالفاظ والعبارات الفارسية وان لغة الشعرفيها ليست بدوية وبالتالي ليست بعيدة عما يكدرها فتنتج شعرًا فصيحًا خاليًا من التأثير اللغوي الاعجمي. وتارةً اخرى نجد بعض نقاد ورواة المدرسة البصرية يتحفظون على شعراء الحيرة تعصُّبًا للانتماء العرقي القبلي بالقول ان الفاظ هؤلاء الشعراء ولغتهم ليست نجدية .وهو طرح انبرى لمناقشته والتمحيص فيه والرد عليه جمع من الدارسين والنقاد في العصرالحديث.

ويمكن تلخيص ذلك بالقول ان كثيرًامن علماء اللغة يرون انه لا يوجد فرق بين لغة الحضرومن يسكنون المدينة عمومًا،ولغة الأعراب الذين يقطنون البادية ومضاربهم في جملتها متغيرة بالحِل

[1] - شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص228.

والترحال،ولا تختلف لغة هذه البيئة عن تلك ولا فصاحة اهل القرية اوالمدينة عن فصاحة اهل البادية ،وان كان الختلاف في ذلك ملموس فانه لايعدو ان يكون سطحيًا ومحدودًا لا يتعدى بعض الالفاظ في اللغة اوالاعراب .ولا يوجد أحد من العرب الفصحاءلا يقربأنه يحكي كلام أبيه وسلفه، يتوارثونه آخر من أول،وتابع عن متبع.اما اهل الحضرفليسوا كذلك، لأنهم يتظاهرون بينهم بأنهم قد تركوا وخالفوا كلام من ينتسب إلى اللغة العربية الفصيحة،غيرأن كلام أهل الحضرمُضاهٍ لكلام فصحاء العرب في حروفهم وتأليفهم، إلا أنهم أخلّوا بأشياء من إعراب الكلام الفصيح[1] .

ويرى ابن قتيبة ان تفضيل النقاد لرواية الشعرالقديمة وان كانت رديئة واضحٌ ويرون انها صالحة للاحتجاج بها في مجال اللغة وقواعدها ،ينمّ عن ذلك التعصّب اذ يقول:"اقول الظن بالعلماء انهم انما كانوا يظهرون التعصّب للمتقدمين ترغيبًا للناس في حفظ اشعارهم وروايتها لانها حجة في اللغة العربية ،فالشعر القديم حتى الرديء منه صالحٌ ان يحتجّ به في تثبيت اللغة وقواعد العربية وتقسيرالقرآن وشرح السّنة[2] " .

ورغم طعن بعض هؤلاء النقادوالدارسين على لغة الشعرفي الحيرة،والقول انها ليست صافيةً بل مشوبة بألفاظ فارسية وكلدانية وغيرها،خاصة رواد المدرسة البصرية وعلى رأسهم الاصمعي،الذي يبّين في معرض حديثه حول الموضوع أن عدي بن زيد وابودؤاد الايادي لاتروالعرب اشعارهما،لأن الفاظهما ليست بنجدية[3]،وكذلك ذهب مثل هذاالمذهب ابوعبيدة،وهو من المدرسه نفسها.

ويذكرابن قتيبة عن أبي عمرو بن العلاء قال :"كان عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري مجاريها. قال : والعرب لا ترو شعره، لأن ألفاظه ليست بنجدية ،وكان نصرانياً من عباد الحيرة قد قرأ الكتب[4] ".وكذلك أبو دؤاد، فإن العرب لا ترو شعره،لأن ألفاظه ليست بنجدية [5].

الا اننا نجد سيبويه الذي كان أول من وضع كتاباً شاملاً لقواعد العربية،يستشهد بعدي بن زيد وأبي دؤاد[6].وفي الواقع ان لغة عرب الحجاز هي نفسها لغة نجد،ولا يوجد فرق يذكر بينهما يؤدي للقول

---

[1] – ابن جني(ابوالفتح عثمان)،الخصائص،تح،محمد علي النجار،ط2،ج2،دارالهدى للطباعة والنشر،بيروت،1952،ص29.

[2] – ابن قتيبة(ابومحمد عبدالله الدينوري)،المعاني الكبيرفي ابيات المعاني،ط1،مج1،دارالكتب العلمية،بيروت،1984،ص المقدمة ز.

[3] – الصعيدي(عبدالمتعال)،المرجع السابق،ص94.

[4] – ابن قتيبة(ابومحمد عبدالله الدينوري)،المصدر السابق،الشعر والشعراء، ج1،ص23.

[5] – نفسه،ص238

؛ المرزباني(ابوعبيدالله محمد)،المصدر السابق، ص104.

[6] – يوهان(فك)،العربية،تر،عبدالحليم النجار،مطبعة الكتاب العربي،القاهرة،1951،ص50.

انهما مختلفتان،وبالتالي فان لغة الشعر في الحيرة ولغة البدو في مكة هي نفسها.مع مايراه الدارس من تفرّق القبائل العربية وتعدّدها،الا ان ذلك لا ينف ان بينها نوع من الوحدة في الديانة والعادات تجمعهم كأمة واحدة،وليس ادل على تلك الوحدة من تطابق وتشابه لغة الشعرعند عرب الحيرة المسيحيين الذين يقطنون المدينة وماسواهم من عرب مكة الذين يقطنون الجبال والبادية[1].

وردّ كثيرمن الدارسين قديمًاوحديثًا حول تهميش شعرعدي بن زيد وابي دؤاد وغيرهما مما ينتسبون الى الحيرة بقولهم ان الفاظ شعرهم ليست بنجدية ،وردّوا ذلك الى العصبية التي كانت مستحكمة بين النقاد والرواة بين الكوفة والبصرة،ومن ذلك ما ردبه الجرجاني بقوله :"وقد بعدت بهم العصبية الى تناول المتقدّمين،زعم الاصمعي ان العرب لا ترو شعرابي دؤاد وعدي بن زيد لان الفاظهما ليست بنجدية،وكيف يكون ذلك؟ وهذامعاوية يفضل عديًا على جماعة الشعراء،وهذا الحطيئة سُئل من اشعرالناس،فيقول: الذي يقول وانشد لابي دؤاد[2] " .

ويرجع بعض الدارسين ذلك التعصب الى انحيازالرواة والنقاد الى الاهتمام بالشعر البدوي على حساب الحضري،لاعتقادهم انه اقرب الى الصفاءوالفصاحة وايثارهم خشونة البداوة على رقة الحضارة وعنجهية البوادي على ثقافة المدن،وعجرفة الاعراب على تهذيب اهل الحضر،وقد ذهب هؤلاءالعلماء في هذا التعصّب الى ابعد حدوده فتحفظوا من رواية الشعر الحضري واضاعوا علينا منه ما قاله اهل الحواضر في دولتي المناذرة والغساسنة[3].

ويدرء حجة القائلين بتأثيراللغة الفارسية وغيرها من اللغات على عرب الحيرة، ان كثيرًا من الالفاظ والمسميات في لغة العرب عمومًا،وحتى عرب مكة والحجاز التي جاء بها القرآن الكريم ،وكانت الاقرب الى اللسان العربي الموحد،كانت في الاصل فارسية.وقد برز الاثر الفارسي بوضوح في الشعر الجاهلي من خلال ذلك الحشد الهائل من الالفاظ الفارسية[4] . ولا تكاد تخلوقصيدة من الالفاظ والمسميات المعربة وهي في الاصل فارسية ،ووجود هذه المعربات في شعر الجاهليين،دليل واضح على اتصال العرب في عصر ماقبل الاسلام بالفرس واتصال الفرس بهم ودليل واضح على الروابط الفكرية التي

[1] – بروكلمان(كارل)،المرجع السابق،ص42.

[2] – يوهان(فك)،نفسه.

[3] – الصعيدي(عبدالمتعال)،المرجع السابق،ص10.

[4] – ابوشارب(مصطفى فتحي)،المرجع السابق،218.

كانت بينهما في ذلك الوقت[1].ولم يقتصر على لسان عرب الحيرة ،ولكنه كان شاملاً للغة العرب وشعرهم في كامل انحاء شبه الجزيرة العربية .كما كان للغة العرب تأثيرها في لغة فارس ،فالتأثير لم يكن من جانب واحد فقط بل كان من كلا الجانبين .

وقد احصى بعض الباحثين القدماء والمعاصرين الكثير من تلك الالفاظ والاسماء الفارسية الاصل والمعّربةالتي دخلت لغة العرب واصبحت جزءًا منها.ومن ذلك بعض العبارات والالفاظ التي نُسيت في لغة فارس ولكنها ظلت مستعملة عند العرب،واخرى بقيت معلومة في كلتا اللغتين.واحصى بعضهم اكثرمن ثمانين اسمًاأو لفظًا قد نُسي في اللغة الفارسية ولكنه ذو اصل فارسي وكان مستعملاً في لغة العرب،وعددها يقارب العدد الاول[2]،من الالفاظ والعبارات التي مازالت مستعملة في كلتا اللغتين العربية والفارسية .وبذلك ينتفي الرأي القائل بالتأثير الفارسي على لغة الشعر في الحيرة ويضعف،لأن ذلك التأثير قد مسّ لغة الشعر عند العرب عامة بل مس لغة القرآن ايضًا .

والليونة التي يراها بعض من رموا شعرالحيرة ولغتها بالقصور وعدم الفصاحة خاصة رواد المدرسة البصرية،ودرج عليه من جاء بعدهم من الدارسين تعصبًا اوعدم تمحيص اوتأثرًا بحكمهم،وما رموه بذلك الا لانه من لدن شعراء عاشوا في بيئة حضرية متمدنة،ومن ذلك نقد الجمّحي وهواحد علام المدرسة البصرية لشعرعدي بن زيد لانه كان يسكن الحيرة ويراكن الريف، فلان لسانه وسهل منطقه فحمل عليه شيء كثيروتخليصه شديد[3] ،وبذلك يتبين لنامدى الاختلاف الذي كان بين الرواة والنحاة واللغويين في الشعرالعربي وخاصة في تصنيفاته وتقسيم طبقاته على نحو لم يكن موضوعيًا في بعض الاحيان .ورأى البعض ان تلك الليونة في شعر شعراء الحيرة خاصة من سكنوا بها، لم تكن ذات تأثير سلبي على شعرهم بحيث اننا نجد هؤلاء الشعراء وفدوا وعاشوا في المراكز الحضارية يلمون المامًا واسعًا بالثقافات المختلفة الشائعة آنذاك[4] . كما ان صفة الليونة في شعر الشعراء لم تكن مقصورة على شعر الحيرة ،بل اننا نجد هذه الصفة لازمة للغة قريش ايضًا[5] .

---

[1] – نفسه ،ص219.

[2] – السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان)،المصدر السابق،ج1،ص123

؛ ابوشارب(مصطفى فتحي)،المرجع السابق،220.

[3] – ابن سلام(الجمحي)،المصدر السابق،ج1،ص240.

[4] – ابوشارب(مصطفى فتحي)،المرجع السابق،ص196.

[5] – ابن سلام(الجمحي)،المصدر السابق،ج1،ص245.

وانطلاقً من ذلك كله ،نرى انه من غير المنصف ان نرمي لغة الشعر في الحيرة بالقصور او عدم الفصاحة ،اذ ان تأالتأثير الفارسي على لغة الشعر موجود في كل الشعرالعربي ،وان الليونة التي اتسم بها شعر شعرائها لا يعدُّ عيبًا ،بل هو غنى وتنوع ،ولولاه لما وجدنا هذا الاختلاف والتمحيص بين الرواة والنحاّة والنقاد .

4 - تراجم نماذج من الشعراء :

4 -1 - عدي بن زيد العبادي(480-587 م):

4 -1-1- نسبه :

هو عدي بن زيد بن حمَّاد بن زيد بن أيوب بن مضر بن نزار[1].وقد وفدت اسرة عدي بن زيد الى الحيرة بسبب جده ايوب،الذي قدم اليها فارًا وكان قبل ذلك يقطن اليمامة في بني امرئ القيس بن زيد بن مناة، فاصاب دماً في قومه، فهرب ولحق بأوس بن قلّام أحد بني الحارث بن كعب بالحيرة وكان بينهما نسب من قبل النساء. فلما قدم عليه أيوب بن مجروف أكرمه وانزله في داره.

ثم ان أوسًا قال له: يابن خالي،اتريد المقام عندي وفي داري،فقال له ايوب:نعم فقد علمتَ اني ان اتيت قومي وقد اصبت منهم دمًا لم اسلم ،ومالي دارالا دارك آخر الدهر،وحينما تقدّمت السن بأوس،قال لأيوب:اني قد كبرت ،وانا خائف ان اموت فلا يعرف اولادي لك من الحق مثل مااعرف،واخشى ان يقع بينك وبينهم امر يقطعون فيه الرحم ،فانظر أحب مكان اليك فاعلمني به لاقطعك اياه او ابتاعه لك .وكان لأيوب صديق في الجانب الشرقي من الحيرة،وكان منزل اوس في الجانب الغربي،فقال له:قداحببت ان يكون المنزل الذي تسكننيه عند منزل عصام بن عبدة وهو احد بني الحارث بن كعب .فابتاع له موضع داره بثلاثمئة اوقية من ذهب وانفق عليها مائتي اوقية ذهبًا،واعطاه مائتين من الابل برعائها،وفرسًا وقينة.

فمكث في منزل اوس حتى مات،ثم تحول الى داره التي في شرقي الحيرة حتى مات بها . وقد كان ايوب قبل موته ،اتصل بملوك الحيرة فعرفوا حقه ومنزلته وحق ابنه زيد،فلم يكن منهم ملك يملك الا نال منه ولد ايوب جوائز وحملات[2].

[1] - ابن حزم(ابومحمدعلي الاندلسي)،المرجع السابق،ص214

؛ الصعيدي(عبدالمتعال)،المرجع السابق،ص 99.

[2] - الاصفهاني(ابوالفرج علي بن الحسين)،المصدر السابق،ج2،ص516.

وتزوج زيد بن ايوب بامرأة من آل قلاّم ،فولدت له حمّادًا.وخرج زيد بن ايوب يومًا يريد الصيد في جماعة من اهل الحيرة،فتباعد عن اصحابه فلقيه رجل من بني امرئ القيس الذين كان لهم الثأر قِبل ابيه،فقال له وقد عرف شبه ايوب فيه :ممن الرجل ؟ قال زيد :من تميم ،فقال : من ايهم ؟،قال:مرّيٌ فقال الاعرابي:واين منزلك ؟،قال :الحيرة ،قال :أمن بني ايوب انت ؟،فقال :نعم ومن اين تعرف بني ايوب .فقال له :سمعت عنهم .فاستوحش زيد منه ،وذكر الثأر الذي هرب منه اباه،ولم يعلمه انه قدعرفه،فقال زيد :فمن أي العرب انت؟ قال:من طيء وقد كذبه ،فأمنه زيد وسكت عنه ،ثم ان الاعرابي اغتفل زيد بن ايوب ورماه بسهم وضعه بين كتفيه ففلق قلبه ،فلم يستطع بلوغ حصانه حتى مات[1] .

وكان اصحاب زيد ينتظرونه حتى جنّ الليل فافتقدوه وظنواانه امعن في الصيد فباتوا يبحثون عنه حتى يئسوا منه،وفي نهارالغد اقتفواأثره حتى وقفوا عليه ورأوامعه اثرراكب يسايره،فاتبعواالاثرحتى وجدوه قتيلاً،فعرفواان صاحب الراحلة قتله،فاتبعوه وجدوا في السيرحتى ادركوه في الليلة الثانية،فصاحوا به وكان من امهرالناس رماية ،فامتنع منهم بالنبل حتى حال بينهم الليل،وقد اصاب رجلاً منهم من بني الحارث بن كعب فقتله،وافلت منهم[2] .

وعاش حماد بين اخواله حتى يفع وحوّلته امه الى دارابيه زيد،وعلمته الكتابة فكان اول من كتب من بني ايوب ومهر فيها حتى اصبح من اكتب الناس،وطُلب في ذلك حتى اصبح كاتب الملك النعمان الاول(403-431 م)،وولد له ولد من امرأة تزوجها من طيء ،فسمّاه زيد باسم ابيه،وكان لحماد صديق من الدهاقين اسمه فرُّوخ ماهان،فلما حضرت حماد الوفاة اوصى بزيد الى الدهقان وقد اصبح من خاصة كسرى،فأخذه وجعله مع ابنائه ،وكان زيد حذق الكتابة بالعربية قبل ذلك فعلمه الفارسية فاتقنها لما كان لبيبًا ،فأشار الدهقان على كسرى انوشروان ان يجعله على البريد ،ولم يكن كسرى يفعل ذلك الا لأولاد المرازبة من وزارئه ومقربيه ،وتزوج زيد بامرأة تدعى نعمة بنت ثعلبة العدوية فولدت له عديًا الشاعر نحو سنة 480 م[3] ،حتى اذا يفع طرحه ابوه في الكُتّاب حتى اذا حذق العربية ارسله المرزبان مع ابنه شاهان مرد الى كتّاب الفارسية فتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى حذقهما

[1] – نفسه؛ لويس(سيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص 438.

[2] – لويس(شيخو)،نفسه.

[3] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص439.

كما حذق فصاحة العربية قبل ذلك فقال الشعر،وتعلّم الرمي بالنشاب حتى اتقنه،وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها. وفي اثناء ذلك تتابعت الملوك على الحيرة[1].

الى ان تولى الملك النعمان الثاني(500-504م)،فأثبت زيد بن حماد في منصبه وقدم ابنه عدي ونادمه حتى مات اثرجرح اصيب به ،فلما مات اختلف اهل الحيرة فيمن يملكونه الى ان يعقد كسرى الامرلرجل ينصبه ،فأشارالمرزبان وابنه شاهان مردعليه بزيد بن حماد فكان على الحيرة الى ان ملّك كسرى المنذر بن ماء السماء(514-563م)[2].وسعى المرزبان مرة اخرى لعدي بن زيد عند كسرى ليمكنه ويثبته مكان ابيه زيد بعد وفاته،وكان عدي حسن الوجه،وكانت الفرس تتبرك وتتفاءل بالوجه الجميل ،فاثبته كسرى في ديوانه فكان اول من كتب بالعربية في ديوان كسرى،فرغب اهل الحيرة الى عدي بن زيد ورهبوه .ومازال ذكر عدي بن زيد يرتفع ويختلف على ديوان كسرى فيؤذن له في حياة ابيه حتى ارتفع شأنه وذاع صيته وكان يتردد في نفس الوقت على المنذر بن السماء،فاذا حضرعنده قام من كان في المجلس حتى يقعد فاذا اراد المقام بالحيرة في منزله مع ابيه واهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهروالشهرين.ولما خلف هرمزاباه كسرى على ملك الشام بعد وفاة كسرى ارسل عدي بن زيد كمبعوث له الى ملك البيزنطيين طيباريوس الثاني TiberiusIIوارسل معه هدية[3]،فلما اتاه عدي بها اكرمه وحمله الى اعماله بالبريد ليريه سعة ملكه،فأعجب عدي بدمشق وكان له شعرفيها .

واضطرب الملك في الحيرة واستبدالمنذربالملك حتى اراداهل الحيرة قتله،فلما تيقن من ذلك بعث الى زيد بن حماد والدعدي،فقال:يازيد انت خليفة ابي وقد بلغني ما اجمع عليه اهل الحيرة،فلا حاجة لي في ملككم دونكموه،ملكوه من شئتم ،فقال زيد:ان الامر ليس لي،ولكني اسبر لك هذا الامرولا آلوك نصحًا .

فلما اصبح غداليه الناس فحيّوه تحية الملك،وقالوا:ألا تبعث الى عبدك الظالم وهم يعنون المنذر،فتريح رعيتك منه،فقال لهم:أوَلا خيرمن ذلك،قالوا:اشرعلينا قال:تدعونه على حاله فانه من اهل بيت ملك،وانا آتيه فاخبره ان اهل الحيرة قد اختاروارجلاً يكون امرالحيرة اليه،الا ان يكون غزو او قتال ،فلك اسم الملك وليس لك سوى ذلك من الامور.قالوا:رأيك افضل،فأتى المنذر فأخبره بما قالوا وقبل ذلك وفرح وقال:ان لك يازيدعليّ نعمة لااكفرهاماعرفت حق سبد.

[1] – الاصفهاني(ابوالفرج علي بن الحسين)،المصدر السابق،ج2،ص521.

[2] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،ص440.

[3] – الاصفهاني(ابوالفرج علي بن الحسين)،نفسه.

ومات زيد بعد ذلك وابنه عدي في الشام ،وكانت لزيد الف ناقة اعطاه اياها اهل الحيرة حين ولّوه ،فلما مات ارادوا اخذها فأبى عليهم المنذر ذلك .وعاد عدي الى المدائن بفارس واستأذن هرمزفي العودة للحيرة فأذن له،وبلغ المنذرذلك فتلقاه الناس ورجع معه،ومكث سنين وكان لا يفضل على بلاد بني يربوع مكانًا وخاصة بني تميم . والمرجح أن عدي بن زيد كان عارفاً باللغة السريانية،فلم يرد ذكر وسيط أو ترجمان بينه وبين ملك الروم في سفارته التي قام فيها الى دمشق[1].

كمانقل عدي بن زيدالقصص التي احتواها شعره من لغة التوراة الى اللغة العربية في أسلوب عربي رائع يدل على ما كان له من قدرة في الترجمة من تلك اللغات الى العربية، كما يدل على أنه كان يعرف بالإضافة الى اللغة العربية والفارسية لغة التوراة التي نقل من ترجمتهامن العبرانية أو السريانية أو اللاتينية[2]. وتزوّج هند بنت النعمان بن المنذر،فعاشت معه حتى سجنه النعمان ومات مقتولاً في السجن،وكان ذلك سنة 587م[3]،فترهّبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند،وقدكان لعدي فضل في تولي النعمان بن المنذرالملك في قصة ذكرناها في موضعها .

وتنتسب اسرة عدي بن زيد الى العباديين وهم نصارى الحيرة،واطلق عليهم هذا الاسم لكثرة لزومهم العبادة ،وهم مجموع قبائل عربية من بطون مختلفة[4].

وذكرأنهم سُمّواعبادًا لأن كسرى قال لوفدهم:انتم كلكم عباد،وكانواأربعةكلهم يبدأاسمهم بعبد[5].

4 -1 -2- شعره:

كان للظروف والبيئة الاسرية التي عاش فيها عدي بن زيد تأثيرعلى شعره ،وقد تهيأله من الرفاهية والطمأنينة ما لم يتهيأ لكثير من الشعراء في عصره .فقد نشأفي كنف أبٍ ادرك حظًا كبيرًا من الثقافة في عصره ،فبذل في نقلها له جهدًا كبيرًا.فأتقن العربية وآدابها ثم الفارسية وعلومها ،واخذ بالتعليم اخذًا منظّمًا ،ولم يترك لما ترك غيره له من شعراء البادية من تلك السليقة والفطرة غير المنتظمة ،ثم قضى حياته كلها بين عاصمة الاكاسرة والمناذرة ،تأخذه مظاهر الحياة فيهما ويؤثر فيه الجَمال بين

[1] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،441.

[2] – الصعيدي(عبدالمتعال)،المرجع السابق،ص 100.

[3] – نفسه،ص93.

[4] – ابن حزم(ابومحمدعلي الاندلسي)،المرجع السابق،ص214
؛ عدي(بن زيد العبادي)،المصدرالسابق،ص12.

[5] – جواد(علي)،المرجع السابق،ص470.

ربوعهما،فيأخذ لونًا من الحياة ناعمًا ليّنًا ،كان له اثره في شعره[1]. كما كان لما درسه من علوم دينية أخذها من تعاليم المسيحية دينه ودين قومه من العباديين ،وكذا علم التاريخ الذي فقهه من مدارس الفرس وفي بلاطهم اكاسرتها.لذلك نجد لشعره قيمة تاريخية تميّزه عن شعر الشعراء الحيرة الباقين.

وكان لوقع السجن تأثير كبير في نفسه ،حتى اتسق شعره مع ما ألمّ به من ذلك التأمل والعبرة والعظة ،اذ نجد معاني شعره قد انصرفت في هذه المرحلة الاخيرة من حياته الى التذكيرواخذ العبرة بالحديث عن احوال بعض الأمم الغابرة والاحداث التي شهدتها عبرتاريخها،كما اتجه الى معاني تتمحور حول نظرته وفلسفته في الحياة والموت متأثرًا في ذلك بالمعارف المسيحية التي كان يفقهها واتخذ في ذلك اسلوب الرواية التاريخية والسرد القصصي ،ليعطي ذلك لشعره الاهمية التاريخية والتميزالذي اختلف به عن غيره من الشعراء .لذلك فقد قسم بعض الدارسين معاني مواضيع شعره الى نوعين متمايزين هما :القصص التاريخي والقصص الديني،وان ارتبط بعضهما ببعض لنجد كلا المعنيين موجودين في نفس القصيدة[2] .

وكان لما عرفه عدي بن زيد وعاينه متنقلاً بين الحيرة وبلاد فارس والشام وماسبره من اختلاطه بعرب الجزيرة في الحيرة ،وكذا ما درسه في بلاد الفرس من تاريخ الامم السالفة، أثّر في انطباع قصائده بالطابع التاريخي الذي جاء في معظم قصائده بذكر اخبار تلك الامم والملوك الغابرين،وكان هدفه في ذلك أخذ العبرة والعِظة من مصير تلك الامم .

فالدارس لشعره يجد فيه الكثير من اسماء ملوك الفرس وسيرهم ليذكّرالنعمان بن المنذر ان مصيره لن يكون بأفضل من ملوك الفرس الذين كانوا اشد منه قوة واثارًا،وليستميله ببعض تلك العِضات التي اشتمل عليها شعره لعله يطلق سراحه من السجن .

كما اصطبغ شعرعدي بن زيد بالصبغة الدينية في معظم قصائده ،وان لم تكن دينية خالصة في معظمها بل امتزجت معانيها بالتاريخ والمواعظ،الاانا نجد على الاقل قصيدتين من قصائده المشهورتين جاءتا بطابع ومعنى ديني مسيحي خالص[3].

---

[1] – الصعيدي(عبدالمتعال)،المرجع السابق،ص 99.

[2] – الهاشمي(محمدعلي)،عدي بن زيد،ط1،المكتبة العربية ،حلب،1964،ص143

؛ الصعيدي(عبدالمتعال)،المرجع السابق،ص 100.

[3] – عدي(بن زيد العبادي)،المصدر السابق،ص32.

وكان موضوع القصيدة الاولى قصة إغواء إبليس لحواء وعقاب الحيَّة التي كانت سببًا في ذلك الاغواء،بينما كان موضوع القصيدة الثانية اخذ العبرة والعِظة مما آل اليه حال الامم السالفة،وذلك بتأثيرالسحن الذي كان يعانيه ويحاول النعمان بن المنذر ان يخرجه منه .كما تناول شعره موضوعات اخرى كالحكمة والغزل ووصف الخمر،وكذاالفخر والهجاء والاعتذار[1].

طعن الكثيرممن تناولوا شعرعدي بن زيد بالدراسة،وخاصة النحاة واللغويون الذين ينتمون للمدرسة البصرية ،وذلك بسبب التعصّب في غالب الاحيان .

وكان مرمى طعنهم لغة شعره التي اتهموها باللين ودخول الكثير من الالفاظ الاعجمية عليها ،ومن ذلك ان الأصمعي لما سأل أبو عمرو بن العلاء: كيف موضع عدي بن زيد من الشعراء،قال: كسهيل في النجوم يعارضها ولا يجري مجراها[2]، وقال في موضع آخر: والعرب لا تروي شعره،لأن ألفاظه ليست بنجدية، وكان نصرانياً من عباد الحيرة قد قرأ الكتب[3].

ولكن الكثيرممن انصفوا شعرعدي ردوا تلك الشبهات والطعون،فان كان شعر عدي قد وجد في بيئة حضرية فلان لسانه وطبعت اشعاره برقة وجمال الحيرة فان ذلك لا يعد عيبًا فيه ولا منقصة من فصاحته وجزالته[4].كما ارجع الكثير من النقاد بعض العيوب التي وردت في اشعار المتقدمين من الشعراء الى ظاهرة الانتحال،حيث أن المسلمين حين بدؤوا في تدوين أشعارهم وجمعها أخذ عدد كبير من القبائل العربية يتزيد على شعر شعرائهم وينحل لهم له ماليس لهم بداعي العصبية والمنافسة[5] .

ويذكر بعض الرواة ان نصارى الحيرة كانوا ينحلون الشعر لعدي بن زيد وينسبونه له وذلك تقليدًاومجاراةً لما كان سائدًا آنذاك في فترة التدوين[6].

ويرى البعض ان من سكن الكوفة بعد الفتح الاسلامي كان اغلبهم من الحيرة لذلك كانوا ينحلون الشعر لعدي بن زيد، تعصباً لتاريخهم القديم،فلعل هذه العصبية هي التي حملتهم على وضع الشعر على لسان عدي بن زيد ،لرفع شأن نصارى الحيرة [7].

---

[1] – الصعيدي(عبدالمتعال)،المرجع السابق،ص 108.

[2] – المرزباني(ابوعبيدالله محمد)،المصدر السابق، ص102.

[3] – نفسه،ص230.

[4] – الجرجاني(ابوالحسن علي بن عبد العزيز)،المرجع السابق،ص51 .

[5] – طه(حسين)،في الشعر الجاهلي،ط2،دار المعارف،تونس،1998،ص135.

[6] – مرجليوث(ديفيد صموئيل)،اصول الشعرالعربي،تر،يحي الجبوري،ط1،مؤسسة الرسالة،بغداد،1978،ص95.

[7] – جواد(علي)،المرجع السابق، ج9،ص263.

ويرى بعض النقادالمحدثين ان ذلك ان وجد،لاينقص من قيمة شعرعدي بن زيد وجودته شيئًا،فقدكان عدي ينظرفي شعره إلى الكون بأسره،ويؤدي به رسالة عامة في الحياة،فهوفيه الحكيم الناصح الصادق النصيحة للإنسانية عنه،والقاص البارع الذي يجيد سبك القصة،ويعرف كيف يستخلص منهاالموعظة الحسنة،والحكمة العجيبة،وكم ردَّ بذلك ملوكًا عن طغيانها،وهدى نفوساً إلى رشادها حتى ترك في هذا شعرًاخالدًا تبلى الحياة ولا يبلى،وتظهر عليها اثار القدم وهولايزال جديدًا،لانه لم يكن ينظرفيه الى عصره وحده،بل كان ينظراليه في كل العصور[1].

وينحوبعض الدارسين في تعليل بعض الغريب في شعرولغة عدي بن زيد بالقول ان ذلك راجع الى أنه كان يقوم بدورالوسيط في نقل القصص الديني من لغة التوراة الى اللغة العربية،وقد نقل تلك القصص في اسلوب عربي جميل، يدل على ما كان له من قدرة في الترجمة من تلك اللغات الى العربية،كما يدل على أنه كان يعرف إضافة الى العربية والفارسية لغة التوراة من العبرانية أوالسريانية اوالرومية،إلا إذا كانت التوراة قد نقلت في عهده الى العربية والفارسية[2].

4- 2- النابغة الذبياني (توفي604 م):

4- 2-1- نسبه :

هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب بن مضر[3]،لقّب بالنابغة لقوله : فقد نبغت لنا منهم شؤون[4]،ولا يعرف سبب محدد لاطلاق كنية النابغة والنبوغ عليه ،فلعلّ اللقب اتى من نبوغه بالشعربعد ان كبر[5]،وذكرابن ولادانه يقال: نبغ الماء ونبغ بالشعرفانه اراد له مادة من الشعرلا ينقطع كمادة الماءالنابغ[6]. وكنيته أبو امامة، وأبو ثمام وهماابنتاه[1].

---

[1] – الصعيدي(عبدالمتعال)،المرجع السابق،ص 122.

[2] – نفسه، ص100.

[3] – ابن قتيبة(ابومحمدعبدالله بن مسلم)،المصدرالسابق،الشعر والشعراء، ج1،ص163 .

[4] – نفسه.

[5] – المرزباني(ابوعبيدالله محمد بن عمران)،المصدر السابق،ص45
؛ شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص275.

[6] – البغدادي(عبدالقادرعمر)،المرجع السابق، ج2،ص136
؛ لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراءالنصرانية،ص640
؛ شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص275.

لايعلم للنابغة تاريخ مولد،اما وفاته فقداجمع الرواة انها كانت سنة 604 م،قبل مقتل النعمان بن المنذر بثلاث سنوات[2].

وتذكرالمصادران منازل قبيلته ذبيان كانت في اطراف الحجاز المترامية وبالضبط فيمابين الحجازوتيماء[3].وقد نبغ منذ صباه حتى صارمن اشهرشعراء الجاهلية وأحد فحولهم فجعله ابن سلام في الطبقة الاولى من الشعراء الفحول بعد امرئ القيس[4].

ونشأالنابغة في بيت شريف من اشراف قومه وسيّد من اسيادهم،ولم يلبث ان قال الشعر فتيًا فاشتهر بين قومه وذاع صيته لتميّز شعره الذي خرج عن الاستفتاح بذكر الطلل والامم الغابرة،كما جاء شعره جزلاً رقيقًا . وكان ملوك المناذرة اذ ذاك قد بلغوا مبلغهم في تشجيع حركة الشعرفي بلاطهم من خلال اغداق العطايا والاستمتاع بشعرشعراء القبائل العربية التي كانت تفد اليهم من كل حدب وصوب فارتحل الى الحيرة يقصد بلاط ملوكها لتزداد شهرته بين شعراء وقبائل الجزيرة.لكن المصادر تضطرب في زمن اتصاله بملوك المناذرة ، فيرى البعض ان زمن اتصاله ذلك كان منذ عهد المنذر بن ماء السماء ،وان النابغة مدح النعمان بن المنذر وابيه وجده وكانوا له مكرمين[5]،ويقول عمروبن العلاء ان النابغة كان يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان وابيه وجده[6].

واثبت كثير من الدارسين المحدثين ذلك في دراساتهم بالاعتماد على تلك الروايات بالقول ان النابغة اتصل ببلاط المناذرة وعرف عمروبن هند منذ سنة570م وله فيه قصيدة تهنئة بارتقائه العرش بعد ابيه ،ثم عرف خلفاء عمروبن هند[7]،ويرى احد المستشرقين ان النابغة قد نادم المنذر الثالث والرابع والنعمان بن المنذر ابوقابوس[8].بينما يقصربعضهم صلته على الملكين عمروبن هند والنعمان بن المنذر[9] .

---

[1] – الاصفهاني(ابوالفرج الحسن بن علي)،المصدر السابق،ج11،ص4
؛ابن قتيبة(ابومحمدعبدالله بن مسلم)،المصدرالسابق ،الشعر والشعراء،ج1،ص 157.

[2] – فروخ(عمر)،المرجع السابق،ج1،ص179.

[3] – شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص267.

[4] – ابن سلام(الجمحي)،المصدر السابق،ج1،ص56.

[5] – ابن قتيبة(ابومحمدعبدالله بن مسلم)،المصدرالسابق،الشعر والشعراء،ج1،ص164 .

[6] – الاصفهاني(ابوالفرج علي بن الحسين)،المصدر السابق،ج9،ص172.

[7] – حنا(فاخوري)،المرجع السابق،ص124.

[8] – نالينو(كارلو)،تاريخ الاداب العربية،ط2،دار المعارف،القاهرة،1970،ص85.

[9] – جرجي(زيدان)،تاريخ اداب اللغة العربية،ج1،دار الهلال ،القاهرة،1957،ص105.

ورغم هذا الاختلاف الا ان اجماع هؤلاء ظل منصبًا ومؤكدًا على معاصرته الاكيدة للنعمان بن المنذر حتى صاراحد ندمائه المقربين واصدقائه المفضلين .وامتازشعرالنابغة الذبياني بالجدية من حيث إلمامه بما عهد عند الشعراء الجاهليين قبله وتواردواعلى طرقه من اللفظ والمعنى في شعرهم،وكذااستخدامه للتجارب والمعارف التي استفاد في بلاط المناذرة واحتكاكه بالفرس الوافدين على الحيرة كما انه استفاد مما عايشه في بلاط الغساسنة بالشام ،عندما ساءت العلاقة بينه وبين النعمان بن المنذر بسبب الوشاة .

وبثّ النابغة الذبياني قصائد مدحه وثنائه على اسماع النعمان وفي نفسه حتى اصبح نديمه الاول فحسده من كان يجالس النعمان من الادباء والشعراء على ذلك ومازالوا به يترصدون له حتى اوغروا عليه صدره بالوشاية والوقيعة ،فقد كان بلاط النعمان يعجّ بالشعراء من امثال اوس بن حجر التميمي والمثقب العبدي ولبيد العامري،ولكن أحدًا منهم لم يكرمه النعمان اكرام النابغة[1].

فلما وشى به الوشاة وغضب عليه النعمان، نظم قصائده التي اشتهر بهافي الاعتذاريجهد نفسه في الاعتناء بلفظها ومعناها محاولاً تبرئة نفسه مما نسب إليه.

وقداختلفت اقوال الرواة حول كنه تلك الوشاية ومحتواها،الاان اغلب الدارسين يرون أن سبب غضب النعمان بن المنذرعلى النابغة يرجع إلى توسطه لدى ملك الغساسنةعمروبن الحارث الغساني في فك أسرى من قبيلته ذبيان كان قد اسرهم عندماوقع بذبيان وحلفائهم من بني اسدعندماعدواعلى وادي أقر الخصيب،وكان الغساسنة قد حموه ومنعواالقبائل من ارتياده،ومدحه بشعرمثلما كان يمدح النعمان بن المنذرمما أغضب هذا الاخيرفقاطعه واعلن حنقه عليه، لانه مدح مما كان يمدحه اعداءه من الغساسنة،وكأنه اصبح يدين بالولاء لهم وقد علم ان المناذرة يعادونهم[2].

فلجأالنابغة إلى ملوك غسَّان يمدحهم وكان على رأسهم عمروبن الحارث ثم اخاه النعمان بن الحارث،ويعود أدراجه إلى قومه واستمرعلى هذه الحال فترة من الزمن ورغم ذلك لم يصرم حبل الود من النعمان بن المنذر،حتى عفا عنه واذن له بالوفادة الى بلاطه من جديدوذلك بعد أن وهبه خلاصة فكره وثمرة تجاربه التي صاغها في قوالب شعرية نادرة الصنعة والإتقان في شعره الذي يعتذر فيه إليه ويمدحه فيه. فكانت تلك الاعتذاريات من أجودشعره وأصدقه معنى،حتى اقترن اسمه في ذلك

[1] – شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص267.

[2] – نفسه،ص277.

بالاعتذار،فلايكادالأدب يذكراسمه إلاوقرنه باسم النعمان بن المنذر،ولايتحدث التاريخ عن النعمان إلا وبجواره اسم النابغة[1]،ولا يذكراسم النابغة الا قرن باعتذرياته تلك للنعمان بن المنذر.

4- 2-2- شعره :

لاشك ان فن الاعتذار في شعر النابغة هوماشتهر به وجعله يتفوق على اقرانه في هذا المجال،فهو اول من توسّع فيه ونظّم القصائد الطوال،وقد اسلفنا القول انه مخترع هذا الفن والمنظّرالاول له،عند حديثنا على مواضيع الشعر الحيري.

وتعتبر تلك القصائدمن أحسن ما قيل في فن الإعتذار،وقد نال النابغة الذبياني شهرته في هذا الفن الشعري لانه اول من تفنن في صياغته، وابدع في تصوير مكامنه النفسية، ومايشعربه من قلق بسبب غضب النعمان بن المنذرمنه.

وقد جعل جزءًا من حياته وشعره وقفًا لاسترضاء صديقه الملك،وعني بالفاظه ومعناه حتى اجاده مثلما لم يجيده احد قبله،بل ان هناك من الدارسين من جعل تجربة النابغة الذبياني مدرسة فنية في حدّ ذاتها وجب التعمّق فيها واستجلاء خصائصها[2].ولم يكن نظم الاعتذارمن طرف النابغة الذبياني وبتلك الكثافة من القصائد بداع الخوف،كما اجمع الدارسون القدماء والمحدثون[3].

كما لم يكن اعتذاره او مديحه الذي تظمنه بداع الطمع في المال او العطايا وان كانت كثيرة ومغرية لانه كان من بيت اشراف القوم وسادتهم،ولكنه قبل هدايا نديمه وصديقه النعمان بن المنذر وربما ذلك منذا كان يرمي اليه عمرو بن العلاء،اذقيل له :أفمن مخافة النعمان بن المنذر امتدحه النابغة واتاه بعد هربه منه ام لغير ذلك؟ فقال:لا،لعمرالله مالمخافته فعل،ان كان لآمنًا من ان يوجه النعمان له جيشًا،وما كانت عشيرته لتسلمه لأول وهلة ،ولكنه رغب في عطاياه وعصافيره،وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان وابيه وجده ،لا يستعمل غير ذلك[4]. ومما سبق يتضح لنا الفضل الذي يعود للملك النعمان بن المنذر في تجويد وإحكام عناصر فن الاعتذار،فقد كان غضبه من شاعره وصديقه النابغة دافعًا قويًا له في ابداعه وتوسعه في هذا النوع من المواضيع الشعرية .

---

[1] - الدسوقي(عمر)،المرجع السابق،ص159.

[2] - الضحيان(ابراهيم عبدالله)،البيئة الادبية في الحيرة ،مكتبة الملك فهد،الرياض،2004،ص508.

[3] - شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص268.

[4] - الاصفهاني(ابوالفرج علي بن الحسين)،المصدرالسابق،ج11،ص29.

ويعدّالنابغة من الشعراء المشهورين بين الشعراء الجاهليين،وصُنّف ضمن الطبقة الاولى من الفحول المشهورين كما اسلفنا،واحتكم اليه الكثيرمن الشعراء من امثال: حسان والخنساء والاعشى وغيرهم[1] ،حيث كانت تضرب له خيمة في سوق عكاظ ويأتيه الشعراء ليحكّم في شعرهم .

ومما ذكرفي مقام النابغة ومنزلته بين الشعراء الجاهليين ماجاءت به المصادر فقال الاصمعي:" كفاك من الشعراء اربعة،زهيراذا طرب والنابغة اذارهب والأعشى اذا غضب وعنترة اذا كَلِب[2] "،وقد قيل عنه ايضًا :"انه احسنهم ديباجة شعر،واكثرهم رونق كلام ،واجزلهم بيتًا ،كان شعره كلامًا ليس فيه تكلّفًا ،ونبغ بعدما احتنك وهلك قبل ان يُهتَرَ[3] ". كما قال النحاة والنقاد في حقه :" انه أوضح الشعراء القدماء معنىً،وأبعدهم غاية،واكثرهم فائدة[4] ".

وذكر ان الخليفة عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– قال :أشعر العرب النابغة،وانه قال:"النابغة أشعر شعرائكم ،واعلم الناس بالشعر"وفي موضع آخرقال:"هذا أشعرشعرائكم ،وذلك لوفد قد قدم عليه وكان في جملة ماتحدث عنه موضوع الشعر،وافضل شاعر جاهلي[5] ". وفضّله عبدالله بن عباس– رضي الله عنه – على غيره ايضًا في رواية تنسب له[6]. وقال ابوعبيدة :"يقول من فضّل النابغة على جميع الشعراء:هواوضحهم كلامًا ،واقلهم سقطًا وحشوًا واجودهم مقاطع واحسنهم مطالع ،ولشعره ديباجة ،ان شئت قلت :ليس بشعرمؤلف،من تأنقه ولينه وان شئت قلت: صخرة لو رديت بها الجبال لأزالتها[7] ".

وذكران النعمان بن المنذر غنّى بشيء من دالية النابغة ،فقال:هذا شعر عُلُويٌ،اي انه عالي الطبقة،اومن علياء نجد[8] ".

---

[1] – النابغة(زياد بن معاوية الذبياني)،المصدرالسابق،ص15.

[2] – السيوطي(جلال الدين عبدالرحمان)،المصدر السابق،ج2،ص297

؛القرشي(ابوزيدمحمدبن الخطاب)،المصدر السابق،ص26 .

[3] – ابن قتيبة(ابومحمدعبدالله بن مسلم)،المصدرالسابق،الشعر والشعراء، ج1،ص108

؛ابن سلام(الجمحي)،المصدر السابق،ص46.

[4] – القرشي(ابوزيدمحمدبن الخطاب)،نفسه.

[5] – ابن قتيبة(ابومحمدعبدالله بن مسلم)،المصدرالسابق،الشعروالشعراء، ج1،ص124

؛القرشي(ابوزيدمحمدبن الخطاب)،المصدرالسابق،ص26 .

[6] – البغدادي(عبدالقادرعمر)،المرجع السابق، ج2،ص12

؛ابن قتيبة(ابومحمدعبدالله بن مسلم)،المصدرالسابق،الشعروالشعراء ، ج1،ص124.

[7] – ابن قتيبة(ابومحمدعبدالله بن مسلم)،المصدرالسابق،الشعروالشعراء، ج1،ص101.

[8] – جواد(علي)،المرجع السابق، ج9،ص587.

ومن خلال هذه اقوال الرواة والنقاد هذه يتضح لنا ما حظي به شعرالنابغة الذبياني من اهتمام واعجاب،أهله ليتبوء مكانه ضمن الشعراء الستة الاوائل في اصحاب المعلقات،بل كان الحكم والمجيز لشعرالشعراء في سوق عكاظ .

وان كان بعض الرواة والنّحاة البصريين منهم خاصة قد آخذوا عليه بعض الخلل في شعره،كالإيطاء الذي يتمثل في تكرارالقافية مرتين في القصيدة نفسها،والإقواء الذي يتمثل في اختلاف حركة الإعراب في القافية بين الضم والكسر،بالاضافة الى التضمين الذي يتمثل في عدم تمام المعنى في البيت من دون الذي يليه،الا ان هذه الاختلالات لمتؤثر في قيمة شعره ومعناه شيئًا[1].

4- 3- الأعشى(توفي 629 م) :

4- 3-1- نسبه : هوميمون بن قيس بن حنبل بن شراحيل،ينتهي نسبه الى قبيلة بكر بن وائل[2]،ولقّب بالاعشى لضعف بصره كما كان يكنّى لاجل ذلك ابابصير[3].

كما لقّب بصنّاجة العرب[4]،اي ان شعره كان يُتغنى به وبالغوا في ذلك حتى ذكروا ان كسرى كان يستمع الى بعض غنائه فيه[5].وقد صوّرت كتب الادب والتاريخ،واتفقت اغلب المصادرالتي تناولت ترجمة حياته وانبرت لشعره بالدراسة ،الأعشى كرحّالة يجوب الافاق تصحبه قصائده باحثًا عمن يشتري مدحه[6] .وتدلّ اخباره واشعاره على انه كان كثير التنقل والاسفار البعيدة في كافة انحاء الجزيرة ،يمدح سادتها واشرافها .وكان كثير المقام بالحيرة وقد مدح ثلاثةً على الاقل من ملوكها ،وهم الاسود بن المنذر والنعمانبن المنذر واياس بن قبيصة الطائي ،كما مدح فيس بن معديكرب الكندي ،وسلامة ذي فائش احد امراء اليمن،ومدح ايضًا هوذة بن علي سيد بني حنيفة وبني عبد المدان بن الديان سادة نجران باليمن .كما كان يفد على سوق عكاظ ويمدح من يمر به في طريقه الى مكة من شيوخ العرب واشرافهم[7] ،ولايكتف بعض الرواة بهذه البلاد التي وصلها شعره ومدح سادتها به من

---

[1] – ابن سلام(الجمحي)،المصدر السابق،ج1،ص71.

[2] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،ص357.

[3] – ابن قتيبة(ابومحمدعبدالله بن مسلم)،المصدرالسابق،الشعروالشعراء،ج1،ص167.

[4] – الاصفهاني(ابوالفرج علي بن الحسين)،المصدرالسابق،ج9،ص109.

[5] – ابن قتيبة(ابومحمدعبدالله بن مسلم)،المصدرالسابق،الشعروالشعراء،ج1،ص214 ؛ الاصفهاني(ابوالفرج علي بن الحسين)،المصدرالسابق،ج9،ص115.

[6] – طه (حسين)،المرجع السابق،ص236.

[7] – الاصفهاني(ابوالفرج علي بن الحسين)،المصدرالسابق،ج9،ص113.

الحيرة واليمن وكندة في حضرموت ونجران وعكاظ بمكة ،بل نجدهم يوسّعون مجال رحلته تلك وتطوافه الى بلاد الفرس وعُمان وبلاد الشام حتى حمص واورشليم ، بل يجعلونه يجتاز البحر الى النجاشي ملك الحبشة ،ولكن اغلب المحققين والنقاد يرون انه لم يطوف كل هذا التطواف،ولم يات النجاشي ولا بلاد الشام ولا ارض العجم[1] .

وانمااقتصرت اسفاره على اطراف اليمن،ونجد،والحيرة ،يمدح شيوخ العرب فيها وسادتها .كما اجمع النقاد على طول مكوثه في الحيرة،وذلك ظاهر من خلال اشعاره ،ويذهب البعض الى انه كان مذهبه قدَريًا ،ذكر يحي بن متّى راوي الاعشى وهو نصراني عبّادي عمّر طويلًا ،ان الاعشى كان قدَريًا بينما كان لبيد مثبتًا ،ويستدلّ على ذلك بقوله :قال لبيد:

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء اضل

بينما قال الاعشى :

استأثر الله بالوفاء وبال معدل وولّى الملامة الرجلا

قلتُ،فمن اين اخذ الاعشى مذهبه ؟ قال: من قِبل العباديين نصارى الحيرة ،كان يأتيهم ويشتري منهم الخمر،فلقّنوه ذلك[2] .

وله في قصص الرواة حول مكانة شعره في العرب ورغبتهم في مدحه ،ووجلهم من ان تصيبهم سهام هجائه ،ما يدل على علو منزلته بين الشعراء الجاهليين .

وهو احدالاعلام المشهورين بين اولئك الشعراء وفحولهم ، الا انه تقّدم على سائرهم .

قال ابن سلّام :" سألت يونس النحوي،من اشعر الناس؟ قال:لا اومئ الى رجل بعينه ،ولكني اقول:امرؤ القيس اذا غضب،والنابغة اذا رغب ،وزهير اذا ركب ،والاعشى اذا طرب[3] ".وقال ابوعبيدة :" من قدّم الاعشى يحتجُّ بكثرة طواله الجياد،وتصرفه في المدح والهجاء وسائر الفنون ،وليس ذلك لغيره[4] " .

4- 3-2- شعره :

[1] - نفسه، ج8،ص79

؛شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص336

؛ابوالخير(محمود)،المرجع السابق،ص92.

[2] - نفسه.

[3] - نفسه، ج9،ص108.

[4] - نفسه.

أهم ما يميز شعر الاعشى ربالمقارنة بشعر الشعراء الجاهليين،كثرة اسرافه في المدح والغلو في وصف الممدوح والافراط فيه . وعزى بعضهم ذلك الى رغبته في نيل العطاء ممن قصدهم بمدحه ،فكان اول من سأل بالشعر واستجدى بالقريض[1] .كما كان اول من اتخذ شعرالمدح متجرًا يطوف به البلاد[2] ،وان كان قد سبقه عدد من الشعراء في مدح الملوك والسادة وكبار القوم ،الا ان مدحهم لم يكن فيه حرص منهم على نيل العطايا والمكرمات مثلما كان يحرص الاعشى ،حتى غدى معروفًا بذلك ،فكان اول من يذكر عدد تلك العطايا وقيمتها في شعره ،وان كانت معاني شعره في المدح لم تخرج على ما ألفه الشعراء قبله .الا انه استرسل حدّ الغلوّ.

كما كان الاعشى كثير الفخر في شعره بقبيلته وعشيرته ،وهويجمع لهما ضروب المفاخروالمناقب التي كانوا يعتزون بهافي الجاهلية،من الجود في الجدب والشجاعة في الحرب،وكثيرًا ما يضمّن هجائه لمن يختلف معهم في قبيلته الكبرى بكر بن وائل ،وقبيلته الصغرى قيس بن ثعلبة ،فخرًا مدويًا[3] .

كما نجد عند الاعشى تناوله الملفت لموضوع الخمر ووصفها ولذاتها على نحو ما لم يكن عن غيره من الشعراء الجاهليين ،حتى كأنها جزء من حياته لا يستطيع ان يتخلى عنها وعن ذكرها بحال من الاحوال ،فقد شهد النّحاة والنّقاد انه اشعر العرب اذا طرب[4].والمقصودانه اذا شرب الخمرواستمتع بلذاتها ،يأتي بشعرجيد أهله ليكون من احسن الشعراءواشعرهم.يُذكرانه لما سمع خبرالرسول صلى الله عليه وسلم وانتصاراته وانتشار دعوته رغب في الوفود عليه ومدحه،وعلم سادة قريش بذلك ،فتعرضوا له لمنعه من ذلك وكان مما قاله له أبوسفيان بن حرب،انه ينهاك عن خِلال ويحرمها عليك ،وكلها بك رافق ولك موافق ،قال:وما هن؟ فقال ابوسفيان :الزنا والقمار والربا والخمر.فعدل عن وجهته واهدته قريش مائة من الابل فاخذها وانطلق الى بلده معرضًا عن الرسول ودعوته ،حتى بلغ مكانًا يسمى قاع منفوحة ،رمى به بعيره فقتله ،وكان ذلك سنة 629 م[5] .

---

[1] – ابن سلام(الجمحي)،المصدر السابق،ج1،ص54.

[2] – ابن رشيق(الحسن القيرواني)،المصدر السابق،ج1،ص49.

[3] – شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص352.

[4] – الاصفهاني(ابوالفرج علي بن الحسين)،المصدرالسابق،ج1،ص108.

[5] – نفسه ،ج9،ص125

؛ ابن قتيبة(ابومحمدعبدالله بن مسلم)،المصدرالسابق،الشعروالشعراء،ج1،ص212.

وبالتالي كان اختيارنا لنماذج الشعراء الثلاثة الآنف ذكرهم لاسباب نراها موضوعية ،فكما انه ليس بالامكان ترجمة حياة كل الشعراء الذين كانت لهم صلة بالمناذرة لان الاطناب في ذلك يخل بتوازن عناصرموضوع الدراسة،فان ترجمة حياة هؤلاء الشعراء الثلاثة كفيلة باعطاء صورة واضحة عن اختلاف منهج وطريقة وشعركل واحدٍ من الشعراء ،سواءًا الذين وفدوا على الحيرة او الذين كانوا يقيمون فيها،ويعطينا صورة اخرى عن تأثير ذلك الإختلاف بين البيئات الحضرية والقروية والبدوية،التي تحدث عنها النقاد مطولاً لاتخاذها كمعيار في تصنيف شعر الشعراء،وتقديم شاعرعلى آخربسبب ذلك.ولذلك فترجمة حياة النابغة وعدي والاعشى واتخاذهم كنماذج لسائرالشعراء تعتبرمهمّة،لأن عدي بن زيد يُمثِّل ذلك الشاعرالذي نشأوعاش في كنف البلاط الحيري،ويمثل شعره في أدق تمثيل خصائص الشعرفي الحيرة في بعض جوانبه ،أمَّا النابغة وهو شاعرمن الشعراء الوافدين على البلاط،أدناه النعمان وأكرمه،فتفنن في نظم القصائد الفريدة في مدحه،ومازال مخلصًا له وان فرق الوشاة بينهما، مما زاد في صدقية شعره،اما الاعشى فهو ذلك الشاعر الذي اتخذ الشعر مغنمًا يمدح ليعطى ،وجهد نفسه على اخراج الاجود فكان شعره كذلك،وهوالوافد على بلاط المناذرة والمتردد بكثرة على الحيرة ،والشاعرالذي يطلب الاشراف مدحه وهم من هجائه وجلون.

الباب الثالث

النثر وقيمته التاريخية في دولة المناذرة

الباب الثالث

النثر وقيمته التاريخية في دولة المناذرة

1- الفصل الأول : نشأة النثر والقصّة .

2- الفصل الثاني : الخطابة وفنون النثر الأخرى .

الفصل الأول

نشأة النثر والقصّة

1- نشأة التدوين والنثر .

2- الأمثال والقصّة في دولة المناذرة وقيمتها التاريخية .

1- نشأة التدوين والنشر :

ان ما يؤيد وجود التدوين ومنشأه في دولة المناذرة في مختلف انواع وفنون الادب،وعلى رأس تلك الانواع والفنون الشعر،الذي اخذ نصيبًا مهمًا من اهتمام العرب في الجاهلية فاخذوا منه بنصيب وافر يفوق نصيب الانواع والفنون الادبية الاخرى. تلك الادلة الكثيرة التي وردت في ثنايا المصادرالتي اشارت الى نشأة التدوين وبخاصة ما تعلق بالشعر،ومن ذلك ذكرتلك المصادران بعض الشعراء كانوا يقرأون ويكتبون،كما عُرف عن عدي بن زيد العبادي،والمرقّش الاكبر هذا الاخيرالذي تذكرالمصادر بشأنه انه تعلم الشعرالكتابة على يدرجل من اهل الحيرة،فصاريكتب اشعاره[1].كماتذكرتلك المصادران الشاعرلقيط بن يعمرالايادي كتب قصيدته المشهورة لقومه اياد يحذرهم فيها قدوم جيش كسرى[2].

وتروي مصادراخرى ان العرب كانواشديدو العناية بشعرهم ،مبالغةً في الحفظ وعلى الاخص الجيّد منه ،فأمروا بكتابتها بماء الذهب،وقد عُرفت تلك القصائد نتيجة ذلك بالمذهّبات،كماعرفت بالمعلّقات،وبالسموط[3].كماكان الملوك اذا استجادوا قصيدة،قالوا:علّقوا لناهذه لتكون في خزانته[4].

وتذكرالمصادرالمتعلقة بتاريخ دولة المناذرة ،ان النعمان بن المنذر أمر فنُسخت له اشعارالعرب في الطنوج،اي الكراريس ثم دفنها بقصره الابيض[5].وكان عندآل النعمان بن المنذرديوان فيه اشعارفحول الشعراء،وما مدح به هو واهل بيته،فصار ذلك الى بني مروان او ماصارمنه[6].

وتعرّض بعض المستشرقين الى موضوع التدوين بصفة عامة عند العرب الجاهليين ،وبخاصة ماتعلق منه بالشعر،وكان من ابرز اولئك المستشرق الألماني كارل بروكلمان،حيث يذكرفي ذلك :"ومن ثمّ يُعدّ خطأً من مرجليوث وطه حسين ان أنكرا استعمال الكتابة في شمال الجزيرة العربية قبل الاسلام بالكليّة ،ورتّبا على ذلك ما ذهبا اليه من ان جميع الاشعار المروية لشعراءجاهليين مصنوعة عليهم ومنحولة لاسمائهم،ولكن بديهيًا ان الكتابة لم تقض على الكتابة كليًا على الروايةالشفوية"[7].

---

[1] – الاصفهاني(ابوالفرج الحسن بن علي)،المصدر السابق،ج6،ص130.

[2] – ابن قتيبة(ابومحمد عبد الله بن مسلم)،المصدر السابق،الشعر والشعراء،ج1،ص129.

[3] – السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان)،المصدر السابق،ج2،ص480.

[4] – ابن رشيق(الحسن القيرواني)،المصدر السابق،ج1،ص96.

[5] – السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان)،المصدر السابق،ج1،ص249.

[6] – ابن سلام(الجمحي)،المصدر السابق،ج1،ص15.

[7] – بروكلمان(كارل)،المرجع السابق،تاريخ الادب العربي،ج1،ص64.

ويرى جوادعلي بعد استعراض ومقارنة الادلة الدالة على وجود التدوين من عدمه لدى العرب في عصر الجاهلية ،خلاصة يحاول فيها ن يجمع تناقضات تلك الروايات والدلائل بقوله :"ولا استبعد احتمال تدوين الشعراء الجاهليين الذين كانوا يحسنون الكتابة والقراءة لأشعارهم ،كما لا استبعد احتمال تدوين رواة الشعرلذلك الشعرولا سيما ما شرف منه[1].ثم يضيف مستدركًا وهو يحاول مقاربة ضعف ذلك التدوين وعدم انتشاره وتوسّعه الى مدىً يجعله عامًّا وهامًّا، فيقول :

"غيرانه لا يمكننا ان نقول ان الشاعركان اذ ذاك يدوّن كل شعره،اوان الرواة كانوا يدوّنون كل ما حفظوه من الشعر،لان هذا النوع من التدوين لم يكن مألوفًا عندهم،كما كان يكلف ثمنًا باهضًالا قِبل للشاعراو للراوية بتحمّله،ثم ان القرطاس كان نادرًاعندهم والتدوين على الأدم غاليًا ينوء بثمنه الشاعراوالراوية.وانا لا استبعداحتمال وجود مثل هذه المدونات عند الحضرمن اهل الحيرة،لانتشار الكتابة بينهم ولشيوع التدوين عندهم،ولكن الاحداث وعوامل الطبيعة اتلفت تلك المدونات فلم تسقط لهذه الاسباب في ايدي الرواة "[2].

ومن الملاحظ للدّارس ان كمية مابقي محفوظًا ومدّونًا من النثريعتبرقليلاً ،اذا ما قورن بكمية الشعر،وفي ذلك يذكرابن رشيق انه رغم انتاج النثرالكثير،اذا ماقيس بانتاج الشعرلدى العرب عمومًا،إلاانانجدعناية الرواة وتدوينهم لجيّد الشعررغم قلّته واهمالهم للنثررغم كثرته،فيقول :

"وقداجتمع الناس على ان المنثورمن كلامهم اكثرواقل جيّدًامحفوظًا،وان الشعراقل واكثرجيدًامحفوظًا،لأن في أدناه من زينة الوزن والقافية مايقارب به جيدالمنثور.وكان الكلام كله منثورًا،فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم اخلاقهم وطيب اعراقهم ،وذكرايامهم الصالحة"[3].ويضيف:"ما تكلمت به العرب من جيّد المنثوراكثرمما تكلمت به من جيد الموزون ،فلم يحفظ من المنثورعُشره ولا ضاع من الموزون عُشره.ولعلّ بعض المنتصرين للنثرالطاعنين على الشعر يحتجّ بأن القرآن كلام الله تعالى منثورٌ،وان النبي صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر[4] .

[1] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج9،ص258.

[2] – نفسه .

[3] – ابن رشيق(الحسن القيرواني)،المصدر السابق،ج1،ص30.

[4] – نفسه .

1-1- الكتابة والخط :

من الأدلة التي تثبت وجود الكتابة والتدوين ،في المجتمع العربي القديم بصفة عامة وبخاصة حواضره المعروفة آنذاك ومنها دولة المناذرة ،تلك الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى :"**أَوْيَكُونَ لكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ولَنْ نُؤمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً** "[1].وقوله تعالى:" **وَقَالُوا سَاطِيرُالأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأَصِيلاً** "[2].

ومن الشعرالجاهلي الذي يشيرالى معرفة العرب عمومًا بالكتب الدينية ،وكانوا من ضمن الشعراء الذين وفدواعلى دولة المناذرة أوكانوامقيمين في الحيرة قول خُزربن لوذان[3] :

وكذلك لاخير ولا شرٌعلى أحد بدائم

قد خطّ ذلك في الز بور الاوليات القدائم

ومنه قول امرئ القيس[4] :

أتت حِجج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان

كماتدل النقوش التي عثرعليها،وهي تؤرخ لبعض ملوك المناذرة.وتدل الكتابات التي وجدت على شواهدتلك القبورعلى معرفتهم بالكتابة،كما تدل اشكال الخط على تطورذلك الخط والكتابة عبرمراحل مختلفة.ولعل ابرزتلك النقوش حسب تسلسل تزمينها التاريخي:نص نقش ام الجِمال،وهونص شاهد قبرمربّي الملك الحيري المعروف بـ:جذيمة الوضّاح التنوخي،وقد نُسب النص الى بلدة ام الجمال في حوران،ويؤرخ بسنة 270 م[5].أماالاثرالمهم الثاني والذي يدل على معرفة اهل الحيرة بالخط والكتابة فهو نص نقش النمارة،وهونص شاهد قبرالملك المناذري امرؤالقيس بن عمرو،وقد نسب لبلدة النمارة بحوران ايضًا،ويؤرخ بسنة 328م[6].

ومن الشواهد والآثارالمادية التي تدل على معرفة اهل الحيرة بالخط والكتابة ماوجدفي كثيرمن القصوروالاديرة التي ذكرناهاآنفًا،ومنهاما وجدمكتوبًا في جدارمن جدران القصرالابيض،وفيه:" حضر

[1] – سورة الاسراء،الاية 93.

[2] – سورة الفرقان ،الاية 5.

[3] – البغدادي(عبد القادر عمر)،المصدر السابق،ج3،ص11.

[4] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص66.

[5] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج5،ص192.

[6] – الاسد(ناصر الدين)،المرجع السابق،مصادر الشعر الجاهلي، ص 27.

عبد الله بن عبد الله ولأمر ما كتمت نفسي وغيّبت بين الاسماء اسمي في سنة 305م،ثم يضيف سبحان من تحلّم من عقوبة اهل الظلم والجبرية ،اخوتي ما أذل الغريب وان كان في صيانة واشجى قلب المفارق وان كان آمنًا من الخيانة،وامورالدنيا عجيبة والاعمار فيهاغريبة"[1]. ومن ذلك ايضًا ماعُثرعليه في ديرهند بنت الحارث المعروفة بهند الكبرى،حيث وجدمكتوبًا فيه :"بَنَت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمروبن حجر،الملكة بنت الأملاك وام الملك عمروبن المنذر،أمَة المسيح وام عبده وابنة عبده،في زمن ملك الأملاك خسروانوشروان وفي زمن افريم الأسقف،فالاله الذي بنت له هذا الدير يغفرخطيئتها،ويترحّم عليها وعلى ولدها،ويقبل بها وبقومها الى اقامة الحق،ويكون الاله معها ومع ولدها الدهر الداهر"[2].

ووجدفي صدرديرحنظلة بن عبدالمسيح بالحيرة مكتوب بالرصاص في ساج محفور:"بُني هذاالهيكل المقدس، محبة لولايةالحق والامانة،حنظلة بن عبد المسيح يكون مع بقاءالدنيا تقديسه،كما يذكرأولياؤه بالعصمة،يكون ذكرالخاطئ حنظلة "[3].

ولتجهيل الجاهلية في الكتب العربية امثلة عديدة أكثر من ان تسقصى ،وحسبنا منها بعضًا مما يشير الى أميتهم وجهلهم بالكتابة ،قال الجاحظ :"وكل شيء للعرب فانما هو بديهةٌ وارتجال " ويضيف،" ثم لا يقيّده على نفسه ولا يدرّسه احدًا من ولده وكانوا اميين لا يكتبون "[4].مع ان الجاحظ نفسه الذي ينكر على العرب معرفتهم بالكتابة ويعمّهم بوصف الأمية لا ينكرعلى اي جنس من الاجناس او اي امة من الامم ذلك ،فيقول:"وليس في الارض أمة بها طِرقٌ او مُسكة ولا جيل لهم قبضٌ وبسط إلاولهم خطٌّ "[5].ويسمي ابن سعد في طبقاته عددًا كبيرًا من الرجال كانوا يكتبون في الجاهلية ولكنه لا يكاد يخلُّ بذلك التسليم القائل بأن العرب لم يعرفوا الكتابة الا قليلاً ، مع اننانجدمن كتابه وحده عددًا وافرًامن الاخبارعن الكتابة في الجاهلية واسماءالذين كانوا يكتبون،ومن امثلة ذلك ايضًاما يردّده بعضهم من انه لم يكن احد يكتب بالعربية حين جاءالاسلام الا بضعة عشرنفرًا[6].

---

[1] – الحموي(ياقوت)،المرجع السابق،ج4،ص354.

[2] – نفسه،ج2،ص606.

[3] – البكري(ابوعبيد الاندلسي)،المصدر السابق،ج2،ص577.

[4] – الجاحظ(ابوعثمان عمرو بن بحر)،المصدر السابق،البيان والتبيين، ج3،ص 28.

[5] – الجاحظ(ابوعثمان عمرو بن بحر)،المصدر السابق،الحيوان، ج1،ص 71.

[6] – ابن عبد ربه(ابوعمراحمد)،العقد الفريد،تح،مفيدقميحة،ج4،ط1،دارالكتب العلمية،بيروت،1983،ص 242.

يقول الحُطيئة[1] :

سيرى أُمام فإن الاكثرين حصًا والاكرمين اذا ما ينسبون أبا

ثم يقول البغدادي شارحًا للبيت ومعلقًاعلى موضوعه،ومعنى الحصا،العدد.وانما اطلق على العددلأن العرب أميّون لايعرفون ولايقرؤن الحساب،وانماكانوا يعدون بالحصى،فأطلق الحصى على العدد،ولايعد هذا تجهيل،اوأمية وبدائية[2].

ويتحدث الجاحظ على ان اي امة لامست من اثرالحضارة شيئًا ولوكان بسيطًا الا انتفت عندهم صفة الأمية ،فيقول :"وليس في الارض أمة بها طِرق او مسكة ،ولا جيل لهم قبضٌ وبسطٌ الا ولهم خطٌ ،فأما اصحاب الملك والملِكة والسلطان والجباية والديانة والعبادة ،فهناك الكتاب المتقن والحساب المحكم ،ولا يخرج الخط من الجزم والمسند المنمنم كذا كيف كان"[3] .

ويرى قدامة بن جعفران اكثرالعرب في الجاهلية كانواأميين،وان معرفة الكتابة اقتصرت على اهل الحيرة،فيقول:"ولم يزل الشعرديوان العرب في الجاهلية،لأنهم كانواأميين،ولم تكن الكتابة فيهم إلاالأهل الحيرة"[4].

ولئن تعدّدت الروايات والنظريات حول منشأ الخط العربي،الا انها تشير في مجملها الى أن منشأهاكان في الحيرة إبّان حكم المناذرة ومنها انتقل الى أجزاء شبه الجزيرة العربية الاخرى.وعُرف خطهم الذي امتازوا به بخط الجزم،الذي يتّسم بكونه ذا زوايا مربّعة وحروفًا مستقيمة،وهوولليد الخط السطرنجيلي[5] .

الا ان هناك من يرى ان اهل الحيرة كانوا يكتبون بالنبطية كما جاء في نص النمارة،حيث يستنتج بعض الباحثين ان الخط النبطي كان هو الخط السائد عند دولة المناذرة ثم تطورفيما بعد الى الخط العربي،رغبة منهم في الاستقلال عن غيرهم بخط يميزهم، وذلك اعتبارًا بأن أقرب النقوش المكتشفة الى الفصحى هو نقش النمارة المؤرخ بسنة 328 م. ويعلل بعض هؤلاء الباحثين ذلك الاختراع والتطويربأن العرب بدأوا يفكرون في انشاء وحدة سياسية لهم منذ ذلك التاريخ والاستقلال بخط غيرهم عن كتابة المسند الجنوبية والآرامية الشمالية[6].

---

[1] – البغدادي(عبدالقادرعمر)،المرجع السابق، ج3،ص260.

[2] – الجاحظ(ابوعثمان عمرو بن بحر)،المصدر السابق،البيان والتبيين، ج3،ص 28.

[3] – الجاحظ(ابوعثمان عمرو بن بحر)،المصدر السابق،الحيوان، ج1،ص81.

[4] – قدامة(ابوالفرج بن جعفر البغدادي)،المصدر السابق،ج1،ص79.

[5] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج8،ص155.

[6] – الضحيان(ابراهيم عبد الله)،المرجع السابق،ص574.

ويشيرشوقي ضيف الى نقش اخرهو نقش زبد جنوبي شرق حلب،والمؤرخ بسنة 512م ،وقد نقش خطها بالعربية واليونانية والسريانية. ويقول:" بأن اهمية هذا النقش ترجع الى أن خصائص الخط العربي الجاهلي تتكامل فيه،ومن المؤكد انه حدث تطورات مختلفة في الحقبة الممتدة بينه وبين نقش النمارة اعدت لهذه الصيغة العربية الخالصة التي نجدها فيه او بعبارة ادق في خطّه "[1].وصل الى صورته التي وجد عليها ،وقد تأثروا بما عرفوه من ثقافة اغريقية وسريانية ،ثم تولوا نشر ذلك الخط الى كافة انحاء شبه الجزيرة العربية ،بدءًا بالحجاز .

ويعزّزالمستشرق الألماني كارل بروكلمان هذا الرأي فيقول:" ولعل نصارى الحيرة والعباد على وجه الخصوص اول من كتب الخط العربي ولهم ايضا شعرهم الخاص واشهر شعرائهم عدي بن زيد "[2].

وقدذهب بعض الباحثين الى ان اللغات السائدة في الحيرة والعراق هي:الآرامية والسريانية،والعربية وانهم كانوا يصنفون بها الكتب ويؤلفونها في شتى العلوم والفنون فيقول:"وقداشتملت مؤلفاتهم على الامورالدينية والتاريخية والكيمياء والنجوم والادب والفلسفة،ودونوها على الورق والرق بالارامية،والسريانية والعربية"[3].

ومن اشهرالروايات والنظريات التي تفسّرنشأة وتطوّرالخط العربي المعروف حاليًا،الرواية التي تشير الى ان خط الجزم الذي اعتبره الدارسون اساس الخط العربي،وقد سُمي بالجزم لأن مرامرة بن مُرّة،وأسلم بن سدرة،وعامر بن بن بدرة،وهم من قبيلة طيء سكنواالانباراجتمعوا فوضعواحروفًا مقطّعة وموصولة.فأما مرامرفوضع الصور،واما أسلم فوصَل وفَصل،واما عامر فوضع الإعجام.واقتطع مرامرالخط من المسند،فسُمي الجزم اي مقتطعٌ.فتعلّمه اهل الحيرة والانباروسائر عرب العراق. قال الشاعر[4] :

تعلّمت بآجاد وآل مرامر وسودت اثوابي ولست بكاتب

وتعلّمه من اهل الحيرة بشربن عبدالملك اخ أكيدر بن عبد الملك حاكم دومة الجندل ،وكانت له صحبة بحرب بن امية والد ابي سفيان بن حرب ،لتجارته عندهم في بلاد العراق ،فتعلّم حرب منه الكتابة ثم سافرمعه بشربن عبد الملك الى مكة فتعلّم منه جماعة من اهلها ،لهذا كان اكثر الكُتّاب من

[1] – شوقي(ضيف)،المرجع السابق، ص 37.

[2] – بروكلمان(كارل)،المرجع السابق،تاريخ الادب العربي،ج1،ص124.

[3] – ناجي(معروف)،أصالة الحضارة العربية،مطبعة التضامن ،بغداد،1960، ص 427.

[4] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج8،ص155.

قريش[1] . وكان بشر بن عبدالملك قد تزوّج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت ابي سفيان ،فعلّم جماعة من من أهل مكة الكتابة،وفي ذلك يذكر بعض المؤرخين أبياتًا ينسبونها الى رجل من دومة الجندل،يظهر فيه فضل قومه على قريش ومنها قوله[2] :

لا تجحدوا نعماء بشر عليكمو فقد كان ميمون النقيبة ازهرا

اتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو من المال ما قد كان شتى مبعثرا

فأجريتم الاقلام عودًا وبدأةً وضاهيتموه كتاب كسرى وقيصرا

وأغنيتموعن مسند الحي حمير ومازبرت في الصحف اقيال حميرا

وعلّم سفيان بن حرب الخط لابن اخيه معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه،ثم انتشرفي قريش،وهوالخط الكوفي الذي استنبطت منه انواع الخطوط التي هي معروفة اليوم[3].

ويميل ابن خلدون الى الرأي القائل ان قريش تعلمت الخط والكتابة من الحيرة،حيث يقول:"ومن الحيرة لقنّه اهل الطائف وقريش "[4] .الى غيرذلك من النصوص والشواهد الدالة على وجود الكتابة في الحيرة وانها انتقلت منها الى اجزاء كثيرة من بلادالعرب.

ووجودالمعلمين في الجاهلية أمر ثابت منصوصٌ عليه بوضوح لا يقبل الشك فقد عقدت بعض المصادرالعربية فصولاً خاصةً اثبتت فيه جريدة باسماء المعلمين في الجاهلية والاسلام[5] .

فمن هؤلاءالمعلمين في الجاهلية،عمر بن زرارة،وكان يسمى كذلك بالكاتب،وغيلان بن سلمة بن معتب،جاهلي اسلم يوم الطائف،هذه الاخيرة التي اخرجت بعدغيلان يوسف بن الحكم الثقفي وابنه الحجاج بن يوسف المعلمين فيها،واشتهرت الطائف وقبيلة ثقيف خاصة بالكتابة واتقانهامنذ الجاهلية .دعت هذه الشهرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه،الى ان يجعل كتبة المصحف الشريف من قريش وثقيف،ودعت عثمان بن عفان–رضي الله عنه– ان يقول اجعلوا المملي من هذيل والكاتب من ثقيف.بل ان هذه المصادرتذكر ان بشر بن عبد الملك السكوني، لم يمنعه شرفه ولا كونه أخا اكيدر صاحب دومة الجندل من ان يكون معلمًا في الجاهلية[6] .

---

[1] – السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان)،المصدر السابق،ج2،ص346.

[2] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج8،ص155.

[3] – الاصفهاني(ابوالفرج الحسن بن علي)،المصدر السابق،ج1،ص65.

[4] – ابن خلدون (عبدالرحمان)،المصدر السابق،المقدمة،ص467.

[5] – ابن حبيب(ابوجعفر محمد بن امية)،المصدر السابق،ص475.

[6] – نفسه،ص50.

اما تعلم الكتابة بمدارس خاصة ،فأمرلا يقل عن سابقه يقينًا وثباتًا ،فقد ذكرابن سعد والطبري ان حفينة،وكان نصرانيًا من اهل الحيرة ضئرًا لسعد بن أبي وقاص،اقدمه للصلح الذي بينه وبينهم وليعلّم بالمدينة الكتابة[1] . وكتب النعمان بن المنذرالى أكثم بن صيفي ان اعهد الينا امرًانعجب به فارس ونرغبهم في العرب فكتب اكثم[2].

وذكرالبلاذري نقلاً عن الواقدي ،انه كان الكتّاب في الاوس والخزرج قليلاً ،وكان بعض اليهود قدعلم الكتّاب العربية،وكان يعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الاول فجاءالاسلام وفي الاوس والخزرج عدّة يكتبون[3]،كماذكرالطبري انه حين نزل خالدبن الوليد بالانبارآهم يكتبون العربية ويتعلمونها[4].

وفي روايةاخرى للطبري ان خالد بن الوليد رأى بالانبارأن اهلهايكتبون بالعربية ويتعلمونهافسالهم مأأنتم؟ قالوا قوم من العرب،نزل الى قوم من العرب قبلنانزلوها ايام بختنصرحين اباح العرب.قال ممّن تعلّمتم الكتاب؟ فقالوا:تعلّمنا الخط من إياد وانشدوا بيت امية بن ابي الصلت[5].حين يمدح بني ايادفيقول[6] :

قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعًا والقطُّ والقلم

أمّاياقوت الحموي فذكران خالدبن الوليد لماخرج الى عين التمر،وجد في الكنيسة صبيانًايتعلّمون الكتابةفي قرية من قرى عين التمريقال لها:النُقيرة،وكان فيهم حُمران مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه،فيمابعد.وذكرنا ان حمّاد بن ايوب،جد الشاعرعدي بن زيد كان كاتبًا لملك المناذرةالنعمان بن المنذر[7]،وأن عدي بن زيد العبادي،حين يفع ارسله أبوه الى الكُتّاب حتى حذق العربية[8].

ولما كانت الكتابة في الجاهلية تدرّس وتعلّم في الكتّاب،كانت للعلم مجالس تعقد فتتدارس فيهاالاخباروالاشعاروالانساب.ولم يكن العربي يكتفي بمعرفة الكتابة العربية وحدها،بل تجاوزهذه المرحلة الاولى من تعلم الكتابة واضطرته احوال معاشية تجارية واخرى فكرية ثقافية ،الى ان يتعلم كتابة

[1] – ابن سعد(محمد)،المصدر السابق،ج3،ص258
؛الطبري(محمد بن جرير)،المصدر السابق،ج5،ص42.

[2] – السجستاني(ابوحاتم سهل بن محمد)،المرجع السابق،ص 24.

[3] – البلاذري(احمد بن يحي)،المصدر السابق،ص475.

[4] – الطبري(محمد بن جرير)،المصدر السابق،ج4،ص20.

[5] – نفسه،ج3،ص151.

[6] – ابن هشام(ابومحمدعبدالله)،المصدر السابق،ج1،ص48.

[7] – الاصفهاني(ابوالفرج الحسن بن علي)،المصدر السابق،ج2،ص518.

[8] – نفسه،ص101.

اللغات الاخرى ،فقد مر بناأن عدي زيد العبادي تعلم في الخط العربي ثم الخط الفارسي فصار افصح الناس واكتبهم بالعربية والفارسية،ثم انتقل الى بلاد فارس فأصبح كاتبًابالعربية ومترجمًا في ديوان كسرى[1].كماكان لُقيط بن يعمرالايادي كاتبًا بالعربية والفارسية ،فكان من اجل ذلك مترجمًا في ديوان كسرى.ولعل أقدم الرسائل التي كتبت في الحيرةرسالته التي يحذرفيها قومه إياد من غزوكسرى لهم،في شكل قصيدة تضمنت نصحه وارشاده وتحذيره لهم [2].

كما تضمنت كتب الادباء والمؤرخين تلك المراسلات التي كانت بين عدي بن زيد العبادي واخيه أُبي،حينمازج به النعمان بن المنذر في السجن وقد طال استجداؤه له دون جدوى[3].وطالما بعث النابغة الذبياني يستعطف قلب النعمان بن المنذر عليه بعد هروبه منه الى الشام حينما اوغر الوشاة صدر النعمان بن المنذر عليه[4].وكان ممن يقرأويكتب سويد بن الصامت الاوسي،والزبرقان بن بدر وكعب بن زهير،وكعب بن مالك الانصاري،والربيع بن زياد العبسي ،الذي كان يلقب بالكامل ومراسلاته مع النعمان بن المنذر معروفة ،وقد كتب الى النعمان بن المنذر شعرًا يعتذر اليه فيه[5].

وكان النعمان نفسه يكتب الى هؤلاء الشعراءرسائل مماثلة،منهاكتابه الى الربيع بن زياد العبسي رادًاعلى شعره الذي بعث به اليه[6].وقد ورد ان النعمان بن المنذر كتب كتابًا الى الحارث بن ظالم يؤمّنه إن عاد اليه،فلما جاء الى النعمان،وقال له :انعم صباحًا،أبيت اللعن ،انتهره الملك بقوله : لا أنعم الله صباحك ،فقال الحارث :هذا كتابك ،فقال النعمان : كتابي والله ما أنكره ،انا كتبته[7]. وهذا دليل على ان ملوك المناذرة كانوا على دراية بالكتابة والقراءة أهلتهم للتواصل بالمراسلات بينهم وبين باقي مكونات مجتمعاتهم بما فيهم الادباء والشعراء ،سواءًا كانت تلك المراسلات تهديدًا أوعتابًا او تنويهًا وترحيبًا .

---

[1] – نفسه.

[2] – ابن الاثير(محمد بن علي)،المصدر السابق،ج1،ص229.

[3] – الاصفهاني(ابوالفرج الحسن بن علي)،المصدر السابق،ج2،ص 221.

[4] – الجاحظ(ابوعثمان عمرو بن بحر)،المصدرالسابق،المحاسن والاضداد،ص 190
؛الاصفهاني(ابوالفرج الحسن بن علي)،المصدر السابق،ج11،ص29
؛ شوقي (ضيف)،المرجع السابق،ص272.

[5] – الاصفهاني(ابوالفرج الحسن بن علي)،المصدر السابق،ج16،ص22؛جواد(علي)،المرجع السابق،ج8،ص111.

[6] – المرتضى(الشريف علي بن الحسين)،المرجع السابق،ج1،ص 189.

[7] – الاصفهاني(ابوالفرج الحسن بن علي)،المصدرالسابق،ج11،ص120
؛جواد(علي)،المرجع السابق،ج8،ص274.

ويكاد يجمع الدارسون في تراث العرب بصفة عامة ودولة المناذرة بصفة خاصة أن سكان الحيرة سواءًا منهم العباديين من النصارى او من تنوخ وسائر العرب كانوا على دراية بالكتابة والخط وانما تطوّر الخط العربي من الخط الحيري وصولاًالى الخط الكوفي في اوائل القرن الثاني الميلادي .

1-2- التدوين :

اذا كانت الكتابة تُعنى بالتقييد العابرلما يعرض من شؤون الحياة،فإن التدوين هو جمع الصحف وضم بعضها الى بعض،حتى يكون منها ديوان،ولابد للتدوين من ان يكون عملاًمقصودًامتعمّدًا يرمي الى هذه الغاية[1].

ويتفق معظم المؤرخين على قلة المدوّن من الشعروالنثرالذي وصلنا من دولة المناذرة،أومن تاريخ العرب بصفة عامة ،وان ذلك المدون من النثر اكثر منه شعرًاويعرض جوادعلي لسبب ذلك بأن لا خلاف بين الباحثين في أن كل ما وصلنا من نصوص جاهلية،انما هو بلغة النثر،اذ لم يعثرعلى نص مكتوب شعرًا نظرًالوجود التدوين عن اصحاب هذه النصوص،ونظرًا لان الشعر شعور لا يختص بانسان دون انسان،وبعرب دون عرب فلا استبعد احتمال تدوين الجاهليين للشعرايضًا،مثل تدوينهم لخواطرهم وامورهم نثرًا،ثم يضيف،أما سبب عدم وصول شيء مدوّن منه إلينا فقد يعود حسب رأيي ،الى ان تدوين الشعروالنثر يكون في العادة على مواد قابلة للتلف مثل الجلود والخشب والعظام وما شاكل ذلك وهي لا تستطيع مقاومة الزمن[2] .

والادلة على وجود التدوين في تاريخ دولة المناذرة كثيرة،ومن ذلك ماذكره الطبري:"كان أمرآل نصربن ربيعة ومن كان من ولاة ملوك الفرس وعمالهم على ثغرالعرب الذين هم ببادية العراق عند اهل الحيرة متعالما مثبتًاعندهم في كنائسهم واسفارهم"[3].ويضيف مستطردًا على وجود التدوين في دولة المناذرة فيقول رواية على لسان هشام بن محمد الكلبي،والمعروف بإبن الكلبي :" كنت استخرج اخبار العرب وانساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ اعمار من ولي منهم لآل كسرى،وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وأمورهم كلها "[4].

[1] – الاسد(ناصر الدين)،المرجع السابق،ص23.

[2] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج8،ص250.

[3] – الطبري(محمد بن جرير)،المصدر السابق،ج1،ص216.

[4] – نفسه ؛الحوفي(احمد)،المرجع السابق،الحياة العربية من الشعر الجاهلي،ص414 .

وقد اتهم ابن الكلبي بانه لا يحسن قراءة النبطية القديمة التي ورد بها نص النمارة فشكوافي تدوينه لتاريخ ملوك الحيرة في هذه الحقبة المتقدمة من الزمن[1].الا ان المكتشفات الاثرية الحديثة اثبتت صحة مااورده ابن الكلبي عن استخراجه تاريخ بني نصر بن ربيعة من بيع الحيرة وكنائسها. فقدأكد الباحثون الاثريون من المستشرقين وعلى رأسهم الباحثان جب.ر(Jebb.R.C)،وأولندر (Olinder.G) اقواله مرارًا.فيذكرأولندر(Olinder.G) أن ابن الكلبي كان مؤرخًا ثبتًا حذرًاعلى خلاف مايسمه به خصومه القدامى،ويؤكدبقوله:"ومن المؤكدانه استخدم النقوش والمدونات التاريخية في الحيرة واستفادمنها،ولذلك أكدالباحثون اقواله مرارًا،وفي حالات منها اكدوهاتاكيدًاعجيبًا،ومثال ذلك تأكيدهم حينمااكتشفواشاهدقبرامرئ القيس بن عمروالحيري"[2].

كماذكرالطبري انه لمانزل خالدبن الوليدالأنبار،رآهم يكتبون العربية ويتعلمونها"ولمااطمأن خالدبالانباروالمسلمون وأمن اهل الانباروظهروا رآهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها"[3] .

وذكرعن حماد الراوية انه قال:"امرالنعمان بن المنذر فنسخت له اشعار العرب في الطنوج قال:وهي الكراريس،ثم دفنها في قصره الابيض، فلما كان المختار بن ابي عبيد قيل له :ان تحت القصركنزًا فاحتفره فاخرج تلك الاشعار"[4]. يتبين لنا من هذه الادلة ان التدوين كان مثبتًا ومنتشرًا في دولة المناذرة ويحضى باهتمام ورعاية ملوكها وتشجيعهم .

ومن الاصطلاحات التي كانت متداولة بين العرب كافة ،وتدل على ممارستهم التدوين،انواع المدونات والمصنفات التي تحوي في مادتها التدوين،لعل اهمها :

- الصحيفة :هي اصطلاح ولفظ تدل على مختلف انواع المادة المدون عليها ،سواء كانت جلدًا او قماشًا او نباتًا او حجرًا او عظمًا اوورقًا .فلا يمكن ان نصرف الصحيفة الى مادة معينة .

- الكتاب : وهواعم واشمل من الصحيفة والاكثرشيوعًا،واطلق هذا الاصطلاح على الشيءالمكتوب.وفي الشعرالجاهلي ماجاءعلى لسان تميم بن ابيّ بن مقبل العامري،حيث يقول[5] :

منهن معروف آيات الكتاب وقد تعتاد تكذب ليلى ماتمنينا.

---

[1] - الرافعي(مصطفى صادق)،تاريخ آداب العرب،ط1،ج1،دار الكتب العلمية،بيروت،2000،ص89.

[2] - الاسد(ناصر الدين)،المرجع السابق،ص162.

[3] - الطبري(محمد بن جرير)،المصدر السابق،ج2،ص571 .

[4] - ابن جني(ابوالفتح عثمان)،المصدر السابق،ج1،ص386.

[5] - القرشي(ابوزيدمحمدبن الخطاب)،المصدرالسابق،ص318.

وقال لقيط بن يعمرالاياديّ[1] :

هذا كتابي اليكم والنذيرلكم لمن رأيه منكم ومن سمعا

وقال عدي بن زيد[2] :

تعرف امس من لميس الطلل مثل الكتاب الدارس الاحوال

– الزبور: وجمعها زُبُر،وهي الكتاب المقدّس الديني،ولكنها تطلق على غيره من الكتب ايضًا في بعض الاحيان .ومنها قول امرئ القيس[3] :

أتت حجج بعدي عليها فأصبحت كخطّ زبور في مصاحف رهبان

امااقدم الكتب المدونة التي عرفت باسمها فهي : كتاب اخبار اليمن واشعارها وانسابها،وكتاب الأمثال،من تأليف عبيد بن شرية الجرهمي،وكتاب الامثال من تأليف صحارلعبدي،وكتاب المثالب لزيد بن أبيه المتوفي سنة 673 م[4].وكان عبيد بن شرية ممن ادرك الرسول صلى الله عليه وسلم وكان في زمان معاوية وكذلك صحارالعبدي[5].

ويمكنناالقول انه مايؤكدوجودالتدوين في دولة المناذرة قبل الاسلام والقطع بثبوته كراهية الصحابة لذلك التدوين[6]،يقول عمربن الخطاب– رضي الله عنه–:" اني كنت اريدان اكتب السنن واني ذكرت قومًاكانوا قبلكم كتبواكتابًافاكبواعليها وتركواكتاب الله"[7].وكأنه يريدبهؤلاءالقوم وهم اهل الحيرة خاصة،فهم اكثرحواضرالعرب في الجاهلية عناية بالتدوين.ولذلك وجدناعبد الله بن عمريجمع في حديثه بين اهل الكتاب والكتابة وديرهند،وذلك انه اتى بصحيفة فمحاها ثم غسلها ثم احرقها ثم قال:والله لواعلم انها بديرهندلبلغتها،بهذاهلك اهل الكتاب من قبلكم.

[1] – ابن الشجري(هبة الله ن علي)،المرجع السابق،ص12.

[2] – عدي(بن زيد العبادي)،المصدرالسابق،ص52.

[3] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص66.

[4] – سزكين(فؤاد)،المرجع السابق،ج1،ص415.

[5] – ابن النديم(ابن اسحاق محمد)،المصدر السابق،ص 132.

[6] – القرطبي(ابوعمرويوسف)،المصدر السابق،ص68.

[7] – نفسه، ص 64.

كماان معرفة اهل الكوفة بالكتابة في زمن متقدم وهوزمن عبد الله بن عمريؤكد صحة هذاالقول،فعن سعيدبن جبيررضي الله عنه، قال:"كتبت الى الكوفة مسائل القى فيها ابن عمرفلقيته فسالته عن الكتاب،ولوعلم ان معي كتاب لكانت الفيصل بيني وبينه"[1].

وقدكان المناذرة يحتفظون بما يقال فيهم من شعروخطبة ولما قضي على دولة المناذرة،وجدت صناديق مدفونة في مظاهرالحيرة تحتوي على ما كان يحتفظ به المناذرة من شعروخطب وغيرهما[2].

اما المواد التي كانوا يدوّنون عليها معارفهم فهي انواع شتى،ومنها :

– الجلد :وكانوا يطلقون عليه "الرَّق"،و"الأديم"،و"القضيم "والفرق بين هذه الاصطلاحات غير واضح من النصوص والروايات ،ولكن المعاجم تدل على ان الرَّق هو الجلد الرقيق الذي يسوّى ويرقّق ثم يكتب عليه ،اما الاديم فهو الجلد الاحمر المدبوغ ،اما القضيم فهو الجلد الابيض الذي يكتب فيه .وقد وردت هذه الاسماء في الشعرالعربي القديم،اذ يقول طرفة عن الرَّق[3] :

كسطور الرَّق رقشه بالضحى مرقش يشمه

ويقول المرقّش الاكبر في الاديم[4] :

الداروحش والرسوم كما رقش في ظهر الاديم قلم

وفي القضيم يقول النابغة الذبياني[5] :

كأن مجرالرامسات ذيولها عليه قضيم نمّقته الصوانع

– القماش:اما ان يكون حريرًا اوقطن،ويطلقون على الصحف اذا كانت من القماش المهارق،ومفردها المهرق وهومصطلح فارسي معرّب،وكان اصله خرق الحرير تصقل وتكتب فيها الاعاجم وتسمى : مهركرد،فعربته العرب وجعلته اسمًاواحدًا،فقالوا:مهرق[6] .

وقال الزوزني في المهارق:"يأخذون الخرقة ويطلونها بشيء،ثم يصقلونها،ثم يكتبون عليها شيئًا "[7] .

---

[1] – نفسه، ص 66.

[2] – الربيعي(احمد حسين)،المرجع السابق،ص 26 .

[3] – طرفة(ابوعمروطرفة بن العبد البكري)،المصدرالسابق.

[4] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،ص291 ؛ الجاحظ(ابوعثمان عمرو بن بحر)،المصدرالسابق،البيان والتبيين،ص 375.

[5] – النابغة (زياد بن معاويةالذبياني)،المصدر السابق،ص50.

[6] – الاصمعي (عبدالملك بن قريب)،المرجع السابق،ص25.

[7] – الزوزني(ابوعبدالله الحسين بن احمد)،المرجع السابق،ص33.

وكان هذاالنوع من موادالكتابة يتطلب اعدادًاخاصًا،فكان عزيزالمطلب نادرًاغالي الثمن،ولذلك نجدهم لا يكتبون فيه الا لجليل امر،ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين،اوكتب عهودومواثيق وأمان[1] .

وذكرت المهارق في الشعرالجاهلي،ومنها ما ذكره الحارث بن حلزة،اذيقول[2] :

حذرالجوروالتعدي وهل ينقض ما في المهارق الاهواء

وقال الاعشى[3] : ربي كريم لا يكدّر نعمة واذ يناشد بالمهارق انشدا

– النبات : واشهر انواعه :العسيب وجمعه عُسُب ،وهو السعفة اوجريدة النخل اذا يبست وكشط خوصها ،يقول لبيد يصف كاتبًا[4] :

متعوّد لحَنٌ يعيد بكفّه قلمًا على عُسُب ذبلن وبان

ويقول امرئ القيس[5] :

لمن طَلَلٌ ابصرته فشجاني كخط الزبور في العسيب اليماني

وشبيه بالعسيب الكِرنافة وجمعها كرانيف،وهي اصول السعف الغلاظ العراض اللاصقة بالجذع،ومما يتصل به الكتابة على الخشب ،وفيه انواع :الرحل والروسم والسهام[6] .

– العظام:اشهر انواع العظام التي كان العرب القدامى يكتبون عليها من العظام الكتف والاضلاع.

– الحجارة :اهمها تلك النقوش التي وجدت متناثرة ،خاصة شمال شبه الجزيرة العربية .وكان ابن الكلبي أخذ بعض علمه بأنساب العرب مما وجده على جدران كنائس الحيرة[7] .

– الورق :ان الخوض في معرفة العرب الجاهليين وعلى رأسهم المناذرة بالورق كآداة من ادوات الكتابة ذو طول وتشعّب .

ومن المتداول ان العرب لم يتداولوا استخدامه الامنذ اواخرالقرن الثامن الميلادي[1] ،بعد انتصار المسلمين على تخوم الصين واسرعدد من الصينيين الذين كانوا على علم بصناعة الورق منذ القرن

[1] – الجاحظ(ابوعثمان عمرو بن بحر)،المصدر السابق،الحيوان،ج1،ص69.

[2] – نفسه.

[3] – الاعشى(ميمون بن قيس)،المصدر السابق،ص34.

[4] – لبيد(بن ربيعة العامري)،المصدر السابق،51.

[5] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص56.

[6] – الاسد(ناصرالدين)،المرجع السابق،مصادر الشعر الجاهلي،ص83.

[7] – الطبري(محمد بن جرير)،المصدر السابق،ج2،ص37.

الثاني الميلادي ،فأدخل هؤلاء الاسرى صناعة الورق الى العالم الاسلامي بعد اسرهم بسنوات قليلة، ثم انتشرت بعد ذلك هذه الصناعة حتى دخلت اوروبا بعد قرون.ولكن هذه الرواية التاريخية لاتشير الا لتاريخ صناعة الورق ،ولا يعني ذلك ان الورق لم يكن معروفًا قبل هذا التاريخ في بلاد العرب ،وان لم يكن يصنع فيها .فاذا كانت بعض البلاد المجاورة للصين كالهند وبلاد فارس قد عرفتا الورق الصيني سواءًاكانت طبعته في بلادها او جلبته مصنوعًا من الصين،فليس ثمة ما يمنع معرفته من طرف العرب في الجاهلية[2] .

ومما سبق يمكننا ان نستخلص مايلي :

– ان معرفة العرب بالكتابة معرفة فيها شيء من الانتشار الذي يبعد عنهم الاعتقاد السائد من الجهل بالكتابة،والادلة التي تظهر نشاطهم التعليمي وتوافرالمعلمين الذين اخذواعلى عاتقهم نشرالكتابة والتعليم واضحة في النصوص الادبية المختلفة والبقايا الاثريةالمكتشفة،خاصة ببلاد المناذرة او ما اتصل بها .

– قدم الكتابة في بلادالعرب ومنهابلاد المناذرة،ودل على ذلك تواريخ وسني النقوش المكتشفة والتي تؤرخ لمطلع القرن الرابع الميلادي،كحد تاريخي لمعرفة العرب وعلى رأسهم عرب المناذرة للكتابة بالحروف العربية .

– انتقل العرب من مرحلة الكتابة اليسيرة البدائية التي تعنى بتقييد ماقصدالعرب تقييده بلغة ومبنى بسيط وبدائي،الى مرحلة اكثر تعقيدًاواهمية ممثلةً في التدوين.

2- الأمثال والقصّة في دولة المناذرة وقيمتهما التاريخية :

2-1- الأمثال :

2-1-1- تعريفها :

2-1-1-أ- لغة:الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيُجعل مثله[3]،والأصل فيه التشبيه والغاية الاهتداء بما فيه من حكمة ومن حسن توجيه ومُثل اخلاقية للسير على هديها في الحياة .

---

[1] – الاسد(ناصر الدين)،المرجع السابق،مصادر الشعر الجاهلي،ص84.

[2] – نفسه،ص89.

[3] – ابن منظور (ابوالفضل محمد)،المرجع السابق،ج11،ص610.

2-1-1- ب- إصطلاحًا : الامثال أقوال مختصرة يراعى في وضعها الايجاز والبلاغة والتأثير وقد يكون المثل كلمتين،وقد يكون اكثر من ذلك .ولكن العادة ألاّ يكون طويلاً لأن طول المثل يفقده روعته وتأثيره .

والمثل لون من ألوان الحكمة ،ولا يشترط فيه ان يكون نثرًا فقد يكون شعرًا .وفي الموارد الجاهلية من النوعين لم يصل أي مَثلٍ مدوّنًا في نص جاهلي[1].

قال المرزوقي :" المثل جملةٌ من القول مقتضبة من أصلها او مرسلة بذاتها فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول ،فتنقل عما وردت فيه الى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها ،وعما يوجبه الظاهر الى أشباهه من المعاني ،فلذلك تُضرب وان جهلت اسبابها التي خرجت عليها واستجيز من الحذف ومُضارع ضرورات الشعر فيها مالايستجاز في سائر الكلام[2] " .

وتمثل الأمثال خلاصة افكارالشعوب وتجاربها،فهي تمثل موروثًا اجتماعيًا يلقي الضوء على كثيرمن الخفايا العميقة لنفسية الشعوب وعاداتها وافكارها وتجاربها[3].

والامثال مادة مهمّة لفهم التأريخ الجاهلي ،فقد تعرّض جامعوها لأصل المثل ولأسباب مضربه وجاؤوا بشروحهم هذه بمادة تاريخية يمكن الاستعانة بها لفهم مواضع من ذلك التأريخ[4].ومن المؤكد وجود ألوان مختلفة من القصص والامثال والخطابة،وأنهم كانوا يُشغفون بالقصص شغفًا شديدًا،ساعدتهم في ذلك أوقات فراغهم الواسعة في الصحراء،فكانوا حين يُرخى سدوله يجتمعون للسمروما يبدأ أحدهم في مضرب من مضارب خيامهم بقوله:كان وكان،حتى يرهف الجميع أسماعهم اليه[5].وتحمل الأمثال غير قليل عن صورة دقيقة للنثرفي العصرالجاهلي لأنه من شأنها ان لا تغيّروأن تظلّ طويلاً بصورتها الاصلية بحكم ايجازها وكثرة دورانها على الألسنة[6].

ودلّت المصادرالتاريخية التي تبحث في التراث العربي القديم ،ان اغلب المادة الادبية لتلك الامثال والتي اتسمت بغزارتها وتنوعها،كان مصدرها دولة المناذرة وبالتحديد ملوكها الذين لعبوا دورًا أساسيًا في تنشيط الحركة الادبية بالحيرة فارتبطت الامثال بهم وببلاطهم منذ تأسيس دولة المناذرة ابتداءًا من

[1] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج8،ص354.
[2] – السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان)،ج1،ص486.
[3] – عارف(عبد الغني)،المرجع السابق،ص539.
[4] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج8،ص361.
[5] – شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص399.
[6] – نفسه،ص404.

مالك بن فهم مرورًا بجذيمة الوضاح وعمرو بن عدي ،وصولاً الى عمروبن هند والنعمان بن المنذر وغيرهم من ملوك المناذرة ،اذ لا نكاد نجد مضرب مثلٍ من الامثال التي زخر بها التراث العربي القديم دون ان نجد له علاقة بملك من هؤلاء الملوك.ويرى الطبري أن وجودالأمثال في دولة المناذرة بذلك الزخم،دليل على بلوغها مرحلة متقدّمة من النضج كانت مقّدمة لمرحلة ولادة الشعروالانتقال من طورالنثرالى طورالشعر[1].

ولما كانت طبيعة الحياة تتقدم دائماً إلى الأفضل، فإن توسع دائرة الخيال عند أولئك أمرتقتضي به سنن الأشياء،لذلك رأيناهم يبدؤون محاولاتهم في قرض الشعر حتى كانت بحق بواكيره الأولى وطلائعه المتقدمة،فكأنهم رأوا في الشعرنقلةً لعقولهم وثقافتهم وأخيلتهم من نطاق المثل الضيق إلى آفاق الشعرالرحبة وميادينه الفسيحة[2].وقد احصى عارف عبدالغني الكثير من الامثال التي تتعلق بملوك المناذرة ،اوتلك التي ارتبطت بسكان الحيرة عامة أو القبائل التي لها علاقات مع دولة المناذرة ،فعدّ اكثرمن 60 مثلاً بمضاربها ارتبطت كلها بمجتمع الحيرة ودولة المناذرة وملوكها[3]،ولا يسعنا المجال ان نذكر كل تلك الامثال بمضاربها ،ولكننا نذكر بعض النماذج لمضارب تلك الامثال ،بينما نكتفي بذكر باقي الأمثال بدون مضارب .ومن ذلك المثل السائر : ما يوم حليمة بسرٍّ.اما مضربه فإن حليمة بنت الحارث بن ابي شمر الغساني ،وكان ملك المناذرة المنذر بن ماء السماء غزاه في مائة ألف من الجنود ،فرأى انه لاقبل له به ،فأعمل الحيلة والمكيدة في اسره ،؟أخذًا برأي ابنته حليمة ،فبعث اليه مائة غلام من ابناء العرب وبعث معهم الهدايا واظهر انه اذعن له ،فأحاطوا برواقه ،فلما استأمن منهم وغفل ،ووثبوا عليه فقتلوه[4].

ومن الامثال ايضًا :ان غدًا لناظره قريب . اما مضربه فتروي المصادران النعمان بن المنذر خرج يومًا على صهوة فرسه اليحموم فأجراه على اثر عير فغاص به الفرس في الارض،وانفرد عن اصحابه واخذه المطر فالتجأ الى بناء فإذا به رجل من طيء يقال له حنظلة فقام الى شاته التي لم يكن له غيرها فاحتلبها ثم ذبحها واطعمه من لحمها وسقاه من لبنها،فلما اصبح النعمان لبس ثيابه وركب فرسه ثم قال :اطلب ثوابك ياأخا طيء،انا الملك النعمان،قال :افعل ان شاء الله ومكث الطائي زمنًا حتى

[1] – الطبري(محمد بن جرير)،المصدر السابق،ج1،ص618.

[2] – الضحيان(ابراهيم عبدالله)،المرجع السابق،ص693.

[3] – عارف (عبد الغني)،المرجع السابق،ص539.

[4] – الميداني(ابوالفضل احمد)،المرجع السابق،ج1،ص73.

اصابته نكبة وجهد وساءت حاله ،فأقبل حتى انتهى الى الحيرة فوافق ذلك يوم بؤس النعمان بن المنذر الذي قتل فيه ابنم ،فقال له اطلب من الدنيا ماشئت فانك مقتول فقال:فاجعلني حتى ألم بأهلي ثم ارجع اليك ،فقال النعمان أقم كفيلاً فكفله قراد بن اجدع ،وكان الأجل حولاً من يومه ذلك ،فلماحان الاجل حتى كادت الشمس ان تغيب قال قرّاد :

فان يك صدر هذا اليوم ولّى فإن غدًا لناظرم قريب

حتى اقبل حنظلة الطائي ،فقال له النعمان:ماحملك على الرجوع ؟قال :الوفاء قال:وما دعاك اليه؟ قال :ديني،قال النعمان:وما دينك،قال:النصرانية.فعفى عنه وابطل تلك العادة منذ ذلك اليوم[1].ومن الامثلة التي ارتبطت بأشخاص او قبائل لها صلة بدولة المناذرة قولهم :أعز من مروان القَرَظ وقولهم:أضلُّ من موؤدة وقولهم:أعزمن الابلق العَقوق ،أتيم من المرقّش ،أجرأ من خاص خَصاف لأمرٍ ما جَدع أنفه قصير،ولا يطاع لقصيررأيٌ،تبيذن رويدًا ماأمامة من هند ،بُردا محرّق جزاء سنمّار،أفتك من عمرو بن كلثوم ،الذئب يُكنّى ابا جعدة لأنت اسرع من حُداجة ،ولكنّك امرؤ في الكَنِّ لا في الضحِّ،أودى دَرم،أوجَرماأنا سَملقة،انا النذيرالعُريان،تسمع بالمعيدي خيرمن ان تراه،ان الشقي وافد البراجم،أتتك بحائنٍ رجلاه،اما بعض الأمثلة التي ارتبطت بأماكن محددة .

فقولهم مثلاً: لاحُرّ بوادي عوف وقولهم :ببقّة صُرم الأمر،وقولهم : قضيب بماءٍ وحديد.

وارتبطت بعض الأمثلة بحيوانات،وذلك مثل قولهم:أتبع الفرس لجامها ،وضلّ من تجري به العصا،الحامل على الكرّاز،أمنع من عقاب الجو،كحماري العِبَادي كالكبش يحمل شفرةً وزنادًا،استنوق الجمل،لوتُرك القطا لنام.

وجاءت بعض هذه الأمثلة عامة ومنها قولهم :أطعمتك يدٌ شبعت ثم جاعت ،بعض الشرِّأهون من بعض،أبطش من دوسر،آكل لحمي ولا ادعه لآكلٍ،أفلا تشدّد ما وهى من أديمك ،بسلاح ما تقتُلنّ القتيل،ألا فتى مكان عجوز،خطرٌ يسير في خطبٍ كبير،رأيٌ فاتر وغدرٌحاضر،لا يحزنك دمٌ هُراقه أهله ،أما والله لا تحقُنُها مني في سقاءٍ أوفر،بسلاحٍ ما يُقتل الرجل قد رجمتك بالشرف،دع امرأً وما اختار،دعني وخلاك ذمٌّ،جناي وخياره فيه ،خيرًا من الخير فاعله وإن شرًّا من الشرّفاعله ،رُبّ ساعٍ لقاعدٍ ،رجع فلان من حاجته بخُفّي حُنين ،قد تُخرِج من الخمر الضَّنين ،قد يضرط والمكواة في

[1] - نفسه ،ج1،ص97.

النار،صارت الفتيان حُممًا،يا بعضي دع بعضًا ،كالمستجير من الرمضاء بالنار،ما أشبه الليلة بالبارحة ،من عَزَّ بَزَّ،هل تعدُونَّ الحيلة الى نفسي،وابأبي وجوه اليتامى[1] .

هذه مجمل الامثال التي شهدت مضاربها بلاد المناذرة او كانت لها علاقة به او بملوكها والقبائل التي كانت تستوطنها من العرب ،وهي من حيث القيمة التاريخية بما لايدع مجالاً للشك في مادتها التاريخية الغزيرة التي وثقت الكثير من الحوادث والمناقب والعادات التي كان يتحلى بها ملك المناذرة او من وفد على بلادهم ووجدت قدمه لها موطئًا في بلاط الحيرة .

2-2- القصة في الحيرة :

2-2-1- تعريفها :

2-2-1-أ- لغة:القصُّ هو البيان،والقاصُّمن يأتي بالقصة على وجهها ،كأن يتتبع معانيها وألفاظها ويقصّ القاص القصص لأتباعه خبرًا بعد خبر،وسوقه الكلام سوقًا[2] .

قص اثره قصاوقصيصا: تتبعه.والقصّة بالكسرلامروالحديث والخبر.والقصة بالكسر:الحصة ،والقصص: الأخبارالمتتابعة، والقاص: من ياتي بالقصة. قال تعالى:"**نَحْنُ نُقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ**"[3]، وقال:"**وَكُلا نَقُصُّ عَلَيْكَ**"[4].والآيات التي وردت فيها لفظة قص وقصص كثيرة بمعنى التتابع والاتبّاع .

2-2-1- ب- إصطلاحًا:مظهرمن مظاهرالفكرالجاهلي،اشارإليها القرآن الكريم وكانت شائعة عند الجاهليين،ودراستها تمكّن من تحليل عقلية صاحب القصص وفهم عقلية الزمن الذي شاع فيه[5].وتنبني القصة كعمل أدبي متكامل على :مقدّمة تمهّد لوقائع تتطورتدريجيًالتصل في ذروة العمل القصصي مشكّلة عقدة لذلك العمل،قبل ان تبدأخيوطها بالانفراج وتنحلّ تلك العقدة .وهي المرحلة النهائية في بناء القصة أو مايسمى بالحلّ،وفيه يكمن الهدف من ذلك البناء القصصي.

ويجب ان تتوفرفي العمل القصصي عناصراساسية هي أجزاء القصة الستة وهي: الفكرة، والشخصية والحادثة،والبناء،والزمان والمكان،ثم السرد،ومن مجموع هذه العناصرالستة يكون العمل القصصي

---

[1] - العسكري(ابوهلال الحسن بن عبدالله)،المرجع السابق،ج1،ص،ص 131،119

؛الميداني(ابوالفضل احمد)،المرجع السابق،ج1،ص 179،65؛عارف(عبد الغني)،المرجع السابق،ص 574 .

[2] - سورة الكهف، الآية64.

[3] - سورة يوسف، الآية 3.

[4] - سورة هود،الآية 120.

[5] - جواد(علي)،المرجع السابق،ص371.

مكـــتملاً[1].فالمقصودبالفكرةموضـــوع العمـــل القصصـــي الأساســـي الـــذي تدورحولـــه أحـــداث القصة[2]،أماالشخصية فتتمثل في بطل القصة الذي يمثل الشخصية الرئيسية فيها.والحادثة هي الوقائع التي تجري بين شخصيات القصة،أماالبناءفهوالكيفية التي يتم من خلالهاربط مجموعةالاحداث المكوّنة للقصة بنمط منطقي مشوّق.ثم زمان وقوع احداث القصة ومكانها،أماالسّردفهوالعمل المنوط بصاحب القصّة في اختياره لألفاظ واسلوب الحديث خلال عرضه للقصّة .

2-2-2- أسباب إهمال تدوين ودراسة القصة في التراث العربي :

اهتم العرب المتقدّمون بدراسة الشعر وتدوينه وتبويبه وتصنيفاته ،وأعملوا جهدهم في تمحيص نسبته ومواطئ القوة والضعف فيه ووقفوا على المنتحل والمدخَل والغريب منه .إلا أنهم في المقابل أهملوا دراسة القصة كفنٍ من الفنون النثرية التي اشتهرت وعرفت عند أمم أخرى أكثرمن اشتهارالشعروالمنظوم .

ويذهب طه حسين أن من أسباب اهمال القصة في التراث العربي وإفرادها بالدراسة والتدوين ،اتجاه العرب فيمابعد الاسلام الى التركيز على النصوص التي تخدم الغاية القرآنية واهمال كل ما يناقض ولا يخدم النصّ القرآني ،ولكن هذا الرأي يمكن دحضه من خلال الاشارة الى اهتمام العرب بالفنون النثرية الاخرى كالأمثال والحِكم والخطابة ودراستها كإهتمامهم بالشعر[3] .

وليس هناك من شك على طغيان المادة القرآنية القصصية في أسلوبها وفصاحتها وتراكيبها بعد مجيء الاسلام،على تلك القصص التي عرفها العربفي الجاهلية خاصة وأن تلك المادة كانت في معظمها قصصية احتوت في مضمونها تلك القيم التي جاءت بها معظم القصص التي عرفها العرب من قبل .إن إهمال العرب للقصص الجاهلي في مرحلة تدوين القرآن واحجام علماء التفسير على اقحام بعضًا من القصص الجاهلي لترسيخ قيمٍ جاءت بها تلك القصص،تشبه تمامًا ماجاءت به قصص النص القرآني،يفسّره البعض لنأي من هؤلاء بالنص القرآني وحذرهم الشديدمن ان تُمسّ روح العقيدة فيه من قريب او من بعيد بطريقٍ مباشر أو غير مباشر.وربما لحرصهم على أن التوحيد لذي جاء به الاسلام والنص القرآني لا ينبغي ات يدخل عليه شيءٌ من اصول غير موحدية او وثنية كانت او نصرانية او غيرهما.

---

[1] – علي(عبدالحليم محمود)،القصة العربية في العصر الجاهلي،ط2،دار المعارف،مصر،1979،ص 68.

[2] – نفسه.

[3] – طه(حسين)،المرجع السابق،ص351.

فطرحوا دراسة تلك القصص جانبًا،خاصة وان الناس مازالوا آنذاك حديثو عهدٍ بالدين الاسلامي.كما شكّلت نوعية النص القرآني وجودته من حيث اللغة والاسلوب وما تضفيه عليه من امتياز،عوامل جعلت الاهتمام به يكون أولى.

ودرج الدارسون المحدثون من الادباء في معالجتهم نشأة وتطور القصة الى السطحية،بحيث نجد بعضهم يلجأون الى اطلاق احكامهم القيمية على صحة أو عدم صحة نسبة قصة من القصص .

و يكتفون بذلك دون تفصيل في اسباب أحكامهم أو تبرير لتلك الاحكام،أوالاكتفاء بالاشارة على انها مقتبسة من آدابٍ أخرى.

وقد أوصل طغيان المادة القرآنية واهتمام العربها للاعتبارات التي ذكرناها آنفًا،بعض الدارسين المحدثين وعلى رأسهم طه حسين،الى التشكيك في ان النثر الذي ينسب للعرب قبل الرسالة القرآنية،هو نثرأغلبه اسلامي،اي من وحي وانشاء العرب فيما بعد الجاهلية،ويعلّل ذلك بعدم وجود أثرٌ مكتوبٌ منه يمكن الاستناد عليه ،وذلك بقوله :" ولوقد وصلت إلينا طائفةٌ مكتوبةٌ من هذا النثر لاستطعنا أن نقيّم النثرعلى أساسٍ متينٍ،ثم يضيف:والذين يريدون ان يدرسو تاريخ النثر العربي الصحيح مضطرون الى ان يردّوه لا إلى نثر جاهلي بل الى القرآن وحده[1]."

وخلافًا لطه حسين ومنهجه التشكيكي،فقد انبرى عدد من الدّارسين والادباء الى الدفاع عن وجود النثر بصفة عامة في ثقافة العرب الجاهليين ،والقصة بصورة خاصة بالقول:" ان العرب من الأمم التي اخذت بنصيب من فن القصة،وأُثرعنها فيضٌ من ذلك الادب الرفيع ،بيد ان بعضًا من الباحثين المحدثين قد جحدوا نصيبهم من هذا الفن وهضموهم حقهم في ذلك الباب،ووصموهم بالخيال العقيم،وعابواعليهم الفكر القريب[2]" .

ان وجود ذلك الزخم الكبير من القصص في تراث دولة المناذرة ،يحتّم على الدّارس اذا ما أراد استجلاء مكنوناتها وسبر اغوارها من أجل الوصول الى تأصيل كافٍ لها ،أن يوازنها بما يشبهها من قصصٍ عند اليونان والرومان والفرس والامم الاخرى التي تأثر العرب او اختلطوا بهم ،لكي نستطيع اعطاء تاريخ لتطورالقصّة العربية في هذه الدولة ،وبالتالي الغوص في نشأتها وتطوّرهاو مقارنتها بالآداب القصصية الاخرى كفيلٌ باعطاء صورةٍ متكاملةٍ عنها .

[1] – نفسه،ص353.

[2] – جادالمولى(محمد احمد) وآخرون،قصص العرب، ج1،ط4،داراحياء الكتب العربية،القاهرة ،1962،ص3.

وكان القصص في العصرالجاهلي واقعيا يمثل مشاهد البيئة وما فيها من احداث يتمثل ذلك في ايامهم ويدورحول وقائعهم الحربية،وكان بعضه موغلا في القدم كقصة الزباء[1]،وكان لهم قصص عاطفية كالتي ذكروابين المنخل اليشكري والمتجردة زوج النعمان،وما كان المرقش الاكبروصاحبته اسماء بنت عوف وهي ابنة عمه.

ولما كانت تلك القصص في معظمها تصويرًا لم يعيشه الناس في حياتهم بكل تشعبّاتها او جانبًا مهّمًا منها ،فقد كانت مرآة صادقة عن شخصياتهم وما يتنازعها من عواطف وآراء وميولٍ،شكلت في النهاية صورةً لما يمكن ان يستجليه الدارس عن تاريخ دولة المناذرة السياسي والاجتماعي والثقافي ومختلف تفرّعات الجوانب الحضارية الاخرى سهّلت مهمّة الباحث في هذا الشأن لما لها من قيمة تاريخية .

وتنوّعت القصة في دولة المناذرة واتسمت بغزارة مادتها فانفردت بهذه الميزة عن الحواضر العربية التي عاصرتها آنذاك.وكانت للقوة التي بلغتها هذه الدولة سياسيًا مقارنةً بالكيانات السياسية العربية الاخرى،والتنظيم الذي بلغته في مختلف الجوانب الاخرى قاعدةً لنشاط أدبي ونثري مهمٍّ مهّد لظهورالقصة فيها كنوعٍ من فنون النثر،فانتشرت فيها قبل انتشارها في أنحاء شبه الجزيرة العربية الاخرى فأصبحت مادة حديث السكان الأولى في مجالسهم ،بل أصبحوا يستشهدون بها في شعرهم وحديثهم اليومي فيما بينهم ، فكثرت القصص وتنوّعت وجعلت محورها شخصيات من فئات مختلفة ومتعددّة،وفي بعض الاحيان أسطورية .ومن القصص التي ارتبطت بتراث دولة المناذرة وتاريخ ملوكهم ،وهي أقدم تلك القصص،قصّة مالك بن فهم الازدي،الذي يعتبرالمؤسس الاول لدولة المناذرة وأول من تسمّى بلقب الملك فيها،وكانت مع ابنه سُليْمة،حين رماه بسهم فقتله وهولايدري ظنًا منه انه سارقٌ.

فقال يرثي نفسه :[2]

ألا من مُبلغٍ أبناء فهمٍ بمألكةٍ من الرجل العُماني

الى ان يقول :

جزاه الله من ولدٍ جزاه سُليمة انه سامًا جزاني

[1] – الطبري(محمد بن جرير)،المصدرالسابق،ج1،ص617.

[2] – ابن دريد(ابوبكرمحمد)،المرجع السابق،ص542.

أعلّمه الرماية كل يوم فلما اشتدّ ساعده رماني

ومن القصص التي لاتقلّ قدمًاعن قصّة مالك بن فهم،قصّةجذيمة الأبرش مع عمروبن عدي،ويرجع تاريخ هذه القصة الى سنة 160م[1].وهي تتلخص في ان عمرو بن عدي كان غلامًابهي الطلعة رائق الحسن فائق الجمال وكان جذيمة يحبه حباً عظيماً فجعل له حُليًّا من فضة وألبسه الطوق فكان أول عربي أُلبس طوقًا،ثم أن عمرواختطفه أحد اللصوص طمعًا بماعليه من الحُليّ، وأن أباه أو أحد رجال قبيلته اختطفه ليبقيه عندهم،فلمارأوا تشديد جذيمة في أمره وجدّه في طلبه خافوا العاقبة فتركوه في الطريق المؤدي الى الحيرة فوجده رجلان من قضاعة هما:مالك واخوه عقيل ابنا فالح،وكانا يقصدان جذيمة التماسًا لكرمه،فعرفاه وحملاه اليه.وما قيل على ان الجن اختطفته فلا صحة له[2].كما يروي تراث دولة المناذرة قصة جذيمة مع الزُّباء او زنوبيا ملكة تدمر المشهورة[3].وقصةعمرو بن عدي ابن اخت جذيمة،واخذه بثأر خاله من الزباء[4]،من القصص التي تناقلتها المصادرالتاريخية .

وقصة النعمان بن امرئ القيس مع سنمار الذي قذف به من على راس قصره الخورنق[5]. كما تحكي قصة المنذربن ماءالسماء مع نديميه عمرو بن مسعودوخالدبن المضلل الأسديين،حين قتلهما ثم بنى عليهماصنمين سماهماالغريان،وهما اللذان عناهما الشاعر بقوله[6] :

ألا بكرالناعي بخيري بني أسد بعمرو بن مسعود بالسيد الصمد

وتروي المصادرالتاريخية قصةعمروبن هند مع الشاعرين الملتمّس الضّبعي وابن اخته طرفة بن العبد البكري،وكذاالشاعرالمنخل اليشكري[7]. وقصة هذا الشاعرمع فاطمة بنت المنذر[8]، كما تروي تلك المصادر قصة والدة عمرو بن هند مع ام عمرو بن كلثوم ليلى بنت المهلهل ،وذلك ان ان الغرور قد اخذ من عمروبن هند كل مأخذ في آخر ايام ملكه ،فقال لجلسائه:هل تعلمون أن أحدًا من العرب

[1] – ابن الاثير(محمد بن علي)،المصدر السابق،ج1،ص202.

[2] – الاعظمي(علي ظريف)،المرجع السابق،ص17.

[3] – العسكري(ابوهلال)،المرجع السابق،ج1،ص232

؛الطبري(محمد بن جرير)،المصدرالسابق،ج1،ص213.

[4] – الجاحظ(ابوعثمان عمروبن بحر)،المصدر السابق،البيان والتبيين، ص 173.

[5] – ابن الاثير(محمد بن علي)،المصدر السابق،ج1،ص 133.

[6] – الاعظمي(علي ظريف)،المرجع السابق،ص17.

[7] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج3،ص243.

[8] – الاصفهاني(ابوالفرج الحسن بن علي)،المصدر السابق،ج6،ص217

؛لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص328.

يأنف ان تخدم أمه أمي؟ قالوا :ما نعرفه،الا ان يكون عمرو بن كلثوم التغلبي ،فإن أمه ليلى بنت المهلهل بن ربيعة،وعمها كليب بن وائل،أعزّ العرب وزوجها كلثوم وابنها عمرو،فبعث اليه يستزيره وأمه ،وكان أمرأمه ان تستخدم ليلى ام عمروبن كلثوم بأن تناولها الشيء بعد الشيء،فعرفت ليلى ماترمي اليه فصاحت عندئذٍ :واذلّاه ياآل تغلب،فسمعهاولدهاعمروبن كلثوم فاستل سيف عمروبن هند وكان معلّقًا بالسرادق،وضرب به رأس عمرو بن هند،ومن وحي هذه القصة،جاء المثل السائر الذي يفخر به التغلبيون والقائل :أفتك من عمرو بن هند[1].

ومن اشهرملوك المناذرة الذين ارتبطت بسيرتهم وملكهم قصص كثيرة شكلت جزءًا مهمًّا من التراث العربي القديم ،بدءًا من قصة تنصيبه ملكًا واختياره من بين اخوته،وكان عددهم اثناعشر،استدعاهم كسرى لينصّب احدهم ملكًا،وماتحكيه القصة من فضل عدي بن زيد العبادي على النعمان بن المنذرفي ذلك،والحيلة التي احتال له بواسطتها لينصبه كسرى ملكًا بدل اخوته[2]،وقصته مع الربيع بن زياد الذي كان من ندمائه ثم مالبث ان انقلب عليه وصاريهجوه شعرًا[3] وغيرهما. كما تروي كتب التاريخ قصة المتجردةزوج النعمان بن المنذرمع الشاعرنديمه النابغة الذبياني،وقصة هندبنت النعمان مع الشاعرعدي بن زيد العبادي[4].

ونقلت بعض هذه القصص معتقدات بعض ملوك المناذرة ومن خلالهم عامة من كانوايعيشون داخل دولة المناذرة،ووصف طقوس عباداتهم للاوثان ومن تنصرّ منهم،ومن كان ينادم الفرقدان من النجوم،وقصة تنصّر المنذر بن امرئ القيس وغيره من ملوك المناذرة ممّا اثبتتها المصادرالتاريخية،أونفتها في بعض الاحيان كماتناولت تلك القصص مقاومة المنذر بن امرئ القيس لما جاءت به المزدكية كدين تبناه الملك الفارسي قباذوحاول فرضه على المناذرة .

ولايتّسع المجال لذكر كل القصص التي دارت بين ملوك المناذرة وبقية الرعية في الدولة،أوكانوا طرفًا فاعلاً في تلك القصص التي روتها تلك المصادر،ولكن ينبغي أن نشيرأن تلك القصص التي شكلت

[1] – ابن الاثير(محمدبن علي)،المصدرالسابق،ج1،ص230
؛الاعظمي(علي ظريف)،المرجع السابق،ص73
؛جواد (علي) ،المرجع السابق،ج3،ص255.

[2] – الاصفهاني(ابوالفرج الحسن بن علي)،المصدر السابق،ج1،ص158
؛جواد(علي)،المرجع السابق،ج3،ص264.

[3] – عارف(عبد الغني)،المرجع السابق،ص590.

[4] – الاصفهاني(ابوالفرج الحسن بن علي)،المصدر السابق،ج1،ص515.

جزءًا مهمًّا من تاريخ المناذرة،كانت في نفس الوقت قد نقلت لنا الكثيرمن المعلومات التاريخية بخصوص أولئك الملوك وماكان يجري داخل دولتهم وفي محيطها من نشاط حضاري لدى مختلف القبائل العربية التي احتكت بدولة المناذرة،أو كان بعض افرادها يغشون بلاط ملوكها،ممّا يدلّل على القيمة التاريخية لتلك القصص،ليس باعتبارهاعملاًأدبيًا وفنيًا فحسب،بل لأنه يحمل في طيّاته قيمةتاريخية أيضًا .

كما ارتبطت ببلاط ملوك المناذرة وما حوله من مجالس منتشرة في الحيرة ،نوع يفرمن الرتابة ويجنح الى اللطائف من الحديث والطرائف من الاخبار بقالب هزلي يشبه ما كان معروفًا لدى الاغريق قديمًا بالكوميديا،وتمثّل في تلك القصص الهزليه المضحكة التي احترف روايتها نزرٌمن القصّاصين اصبحوامعروفين لدى عامة الناس بما كانوا يروونه من قصص فكاهية،ومن هؤلاء:سعدالقرقرة هازل النعمان بن المنذرالذي كان يضحك منه ،وكان اخ النعمان من الرضاعة وهو من أهل هجر[1]،والنعيمان بن عمرومن بني النجار[2]،والعياربن عبد الله الضّبي،وكان بطالاً يقول الشعرويُضحك الملوك [3].

ولم تخلو قصص من ارتادوامجالس ملوك المناذرة في الحيرة من الأساطير والخرافات،كقصّة الحيّة والفأس،وقصة الحية والشياطين والعفاريت[4].

وتأثّرالقصّاصون العرب في دولة المناذرة بماسمعوه فنقلوه من تراث الفرس خاصّة،فنقل الكثيرمنهم قصصًا أصلها فارسي وممّا تشيرالمصادرالتاريخية في هذا المجال الى النضر بن الحارث الذي نقل قصّة رستم واسفنديار،وهي قصّة فارسية من الحيرة،وكان يعارض رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداء،فكان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا جلس مجلسًا وذكّربالله ،يقول النضر بن الحارث:اناوالله يامعشرقريش احسن حديثا منه فهلموا إليّ،ويذكر بعض المفسّرين ان الآية الكريمة الواردة في قوله تعالى :"**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا**"[5]،نزلت في حق النضر بن الحارث،وكان يتجرالى فارس فيشتري كتب الاعاجم رستم

[1] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج3،ص279.

[2] – نفسه،ج8،ص374.

[3] – الميداني(ابوالفضل احمد)،المرجع السابق،ج1،ص71

؛العسكري(ابوهلال)،المرجع السابق،ج1،ص131؛ جواد(علي)،المرجع السابق،ج3،ص279.

[4] – شوقي(ضيف)،المرجع السابق،ص398.

[5] – سورة لقمان،الآية 06.

واسفنديار،فيحّث بها قريشا،وكان يشتري المغنيات،فلا يظفر بأحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينة فيقول:أطعميه واسقيه وغنيّه،ويقول:هذا خيرٌ من ممّا يدعوك محمد إليه من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه[1] .

وتأثرالقصة العربية في دولة المناذرة بما وجد من آداب محيطة بالعرب من فُرس وروم بيزنطيين وحتى اغريق لم يكن أحادي الجانب وفي اتجاهٍ التأثر فقط،بل كان تأثّرًا وتأثيرًامتبادلاً،بل أن هناك من يرى ان قصّةجذيمة الأبرش مع عمروبن عدي تشبه كثيرًاقصةإغريقية مؤدّاهاأن القدر يجمع من جديد متحبّان قد افترقا طويلاً فيكون الفرح شديدًا كما كان الحزن شديدًا من قبل،وهي تؤرّخ بالقرن الثالث الميلادي،وهودليل على امكانية اقتباس القصة الاولى من الثانية باعتبارها سابقة في الوجود[2].ويرى أحمد الحوفي ان تأثّر القصّة العربية بآداب اليونان بصفة خاصة ،قد مسّ كثيرًا من قصص العرب المعروفة المتداولة كقصة المتلمّس وقصة شريك،بل يرى ان قصة رستم واسفنديارنفسها مستمدة من تراث يوناني [3].

وبذلك يمكننا ان نصنّف القصة في الحيرة الى خمسةأنواع :الواقعية والعاطفية والخرافية والأسطورية والهزلية.وسنذكر نماذج لأنواع هذه القصص التي اشتهرت،ونركزعلى أهم مااتفقت عليه المصادرحول محتوى هذه القصص.

2-2-3- القصّة الواقعية :

وهي النوع الغالب والكثير،وتشتمل كل قصة مغزى معين،وقد يقصد منها التبصرة والاتعاظ،وقد تشتمل على مكارم الاخلاق كالوفاء والاخلاص والصدق وتحذر من الظلم والغدروالغرور،كما تتضمن أحداثاً وقعت في زمن معين وقام بادوارها اشخاص معروفون،وتعيننا على تصور البيئة والزمن الذي جرت فيه هذه الاحداث والوقائع ومن هذه القصص :

قصة الزباء.قصة الغريين.قصة البؤس والنعيم.قصة شريم بن حنظلة الطائي" قصة وفاء".قصة جزاء سنمار.قصة المتلمس الضبعي.قصة اياب النخل.قصة عمرو بن هند مع مروان القرظ " قصة وفاء".قصة الحارث بن ظالم[4].

---

[1] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج8،ص320.

[2] – الضحيان(ابراهيم عبدالله)،المرجع السابق،ص695.

[3] – الحوفي(احمد)،المرجع السابق،ص 34.

[4] – الميداني(ابوالفضل احمد)،المرجع السابق،ج3،ص321.

2-2-3-أ- قصّة سنمّار:

كانت هذه القصة قدحدثت في عهد النعمان بن امرئ القيس البدء(403-431م) والملقّب بالنعمان الاول، وتتعلّق ببناء قصرالخورنق[1]،وتقول المصادرأنه بناه لبهرام جور بن يزدجرد،وكان يزدجرد لايبق له ولد،فسأل عن منزلٍ بريءٍ مريءٍ صحيح الادواء والاسقام ،فدُلّ على ظهر الحيرة فدفع ابنه بهرام جور الى النعمان الاول ،وامر النعمان ببناء قصر الخورنق وأنزله إيّاه ،وامر بإخراجه الى بوادي العرب.وكان الذي بناه رجلٌ يقال له سنمّار،فلما فرغ من بنائه تعجّبوا من حسنه واتقان عمله،فقال:لوعلمت انكم توفوني أجري ،وتصنعون بي ما أنا أهله ،بنيته بناءًا يدور مع الشمس حيث دارت،فقال النعمان :وانك لتقدر على ان تبني ما هو افضل منه ثم لم تبنه،فأمربه فطرح من على رأس الخورنق،وفي ذلك يقول ابو الطمحان القيني[2] :

جزاء سنمّار جزاها وربها وباللات والعزّى جزاء المكفّر.

وتذكرالمصادرأنه قد أتمّ بناءه في عشرين سنة [3].وأصبح المثل يضرب بقصة سنمارفي الجزاء السيء .

ومن الاثارالتي وردت مخلّدة لهذا المثل وتذكر به،ان عبدالعزى بن امرئ القيس الكلبي كان قدأهدى الحارث بن مارية الغساني أفراسًا ووفد اليه فأعجبته وأعجب بعبد العزى وحديثه واختصه وكان للملك مسترضع في بني عبدودمن كلب فنهشته حية فظن الملك انهم اغتالوه،فطلبهم من عبدالعزى فقال :هم قوم احرارولیس لي عليهم فضل في نسب ولا فعال،فقال:لتأتيني بهم أولأفعلن وأفعلن فقال:رجونا من حبائك أمرًاحال دونه عقابك. ودعا ابنيه شراحيل وعبدالحارث فكتب معهما الى قومه[4] :

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصة البنيان عشرين حجة يعلي عليه بالقراميد والسكب
فلما رأى البنيان تم سموقه آض كمثل الطود ذي الباذخ الصعب
فاتهمه من بعد حرسٍ وحقبة وقد هره اهل المشارق والغرب
وظن سنمّار به حبـرة وفاز لديه بالمودة والقرب

[1] - الطبري(محمدبن جرير)،المصدرالسابق،ج2،ص67
؛الاعظمي(علي ظريف)،المرجع السابق،ص31
؛جواد(علي) ،المرجع السابق،ج3،ص198.
[2] - الطبري(محمد بن جرير)،نفسه،ج1،ص239.
[3] - جواد(علي)،المرجع السابق،ج3،ص201.
[4] - الطبري(محمد بن جرير)،المصدرالسابق،ج1،ص239.

فقال اقذفوابالعلج من فوق برجه فهذا لعمرالله من أعجب الخطب

وقدرامنا من قبلك المرء حارث فغودر مشلولاً لدى الاكم الصهب

وليس من الغر يب أن تنتشرهذه القصة في اوساط العرب وبين ادبائهم وشعرئهم وهم الذين عُرفوا بمكارم الاخلاق وعدم الغدر،فاستهجنوا ذلك العمل وان كان صادرًاعن ملك من ملوك المناذرة أنفسهم،فجعلوا القصة مضرب مثلٍ شاع لديهم ليدلّ على ان هذا الفعل من الخُلق الشائن الغريب عن العرب،ولما كانت نسبة هذه القصة لملكٍ من ملوك المناذرة،فقدزاد اهتمام الناس بها وجاءت صياغتها على قَدَرٍ من اللغة والاسلوب جديربسُدّة الملك ومحيطه .

2-2-3- ب- قصة شريك مع المنذر:

تنسب اغلب المصادرهذه القصة للملك المنذربن ماء السماء(515-563م)،الملقّب بالمنذرالثالث،والقصة وأن فيها اختلاف طفيف بين الرواة مفادها ان المنذر بن ماء السماء كانت له عادة غريبة جعلها سُنّة لا يؤخرها لأي حائلٍ،وتلك السُّنة هي ما عرف لدى المؤرخين بيومي البؤس والنعيم،وذلك انه كان له نديمان من بني أسد وهما:خالد بن المضلل وعمروبن مسعود بن كلدة،وهما اللذان عناهما الشاعر بقوله[1] :

ألا بكر الناعي بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

فلما افاق من سكرته ندم على فعلته وحزن لهما حزنًا شديدًاوأمر ببناء صومعتين على قبرهما،وأقسم ألاّ يمرّمن وفود العرب اليه إلا بينهما،وهما الغريّان،وجعل لهمايوم نعيم وهومثل اليوم الذي سكر فيه وأمربقتلهما،ويوم بؤس وهو اليوم التالي الذي عرف فيه بقتلهما.وكان يضع سريره بينهما،فإذا كان يوم نعيمه فأول من يطلع عليه وهوعلى سريره يعطيه مائة من ابل الملوك،واول من يطلع عليه في يوم بؤسه يأمربذبحه ويطلي بدمه الغريين الصومعتان،ولبث على هذا العمل وقتًامن الدهر،فبينماهوذات يوم من ايام بؤسه،اذ طلع عليه الشاعرعبيد بن الابرص الاسدي فقتله،ولم يزل على ماهو عليه،حتى نزل به حنظلة بن ابي عفراء الطائي وكان له فضل على المنذر،فقال المنذر:لوسنح في هذا اليوم ابني لم اجد بُدًّامن قتله فاطلب حاجتك من الدنيا،وسل ما بدا لك،فإنك مقتول لامحالة قال: أبيت اللعن وما أصنع بالدنيا بعد نفسي،فإن كان ولابد منه فأجلّني حتى أعود الى أهلي فأوصي اليهم واقضي

[1] – الاعظمي(علي ظريف)،المرجع السابق،،ص31.

ماعلي،ثم أنصرف اليك،قال المنذر:فأقم لك كفيلاً فالتفت حنظلة الى من حوله،فكفله شُريك بن عمرو،وكان من أشراف الحيرة .

وقدجعل الأجل حولاًكاملاً،فلما أراد قتله لانتهاء الاجل،قال له وزراؤه :ليس لك ذلك حتى تغيب الشمس،فتركه وهو يتمنى قتله ليسلم حنظلة،فلما اقترب المساء جيء بشُريك والسيّاف الى جانبه ينتظرغروب الشمس وهي على وشك الغروب حتى رأواحنظلة،فقال المنذر:مالذي جاء بك وقد أفلتّ من القتل،قال:الوفاء،قال المنذر:ومادعاك الى الوفاء؟ قال:ديني،فقال:وما دينك؟ قال: النصرانية،قال: فاعرضها عليّ،فعرضها عليه.فمال قلب المنذر الى النصرانية،وعفى عنه وأكرمه كما اكرم شريك بن عمرو،وأبطل منذذلك اليوم تلك العادة المشؤومة[1].وفي بعض المصادر يُستبدل شخص شُريك بن عمروبشخص قرّاد بن اجدع وكان من خاصة المنذر[2] .

2-2-3- ج- قصّة صحيفة الملتمّس :

وهذه القصة من الآداب المشهورة في تاريخ دولة المناذرة ،وفي تاريخ العرب ككلّ.لأنها ارتبطت بمثَل هو صحيفة المتلمّس ،وقد اوردنا اهم ماجاء فيها في باب الشعر ،فأغنى عن اعادتها في هذا المقام ،ولكننا نذكرهالأهميتها .وتنسب هذه القصة الى عهد الملك عمروبن هند(563-578م)،وارتبطت باسم الشاعر المتلمّس وهوجريربن عبدالمسيح الضبّعي،وكان ابن اخته طرفةبن العبد البكري الشاعر قد هجا عمرو بن هند ،حيث ان هذا الاخير كان له فيما تذكر المصادريومان ،يوم يصيد فيه ويوم يشرب فيه ،فيقف الناس ببابه حتى يؤذن لهم بالدخول ،فسئم طرفة منه وهجاه في ذلك ،فبلغ عمروبن هند شعره،فقال :أوقد بلغ من امره ان يقول فيّ مثل هذاالشعر،فكتب الى المعلّى وكان حاكم البحرين لقتله،فأشارعليه بعض جلسائه إنك ان قتلت طرفة هجاك المتلمّس خاله ،وهو رجل مسنٌّ مجرِّبٌ .

فأرسل الى المتلمس وطرفة وأعطاهماهدية،وقال:قدكتبت لكما بجباء،وكتب الى عامله بالبحرين ليقتلهما،وارتاب المتلمّس بأمرالصحيفة ففكّ ختمها وعرضها على غلام من اهل الحيرة فقرأها،فإذا فيها أمرٌبقتله،فأخذ الصحيفة فقذفها في النهروقال :

وألقيتها بالثني من جنب كافر كذلك ألقي كل رأي مضلل

[1] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج3،ص236.

[2] – الاعظمي(علي ظريف)،المرجع السابق،،ص31.

وأشارعلى طرفة بفك ختم صحيفته ايضًاليقرأها الغلام،ولكنه أبى وذهب الى حاكم البحرين حيث لقي هناك نهايته[1].وقدطعن في نيبة هذه القصة للمتلمّس عددمن الدارسين المحدثين والمستشرقين وعلى رأسهم :كارل بروكلمان ،وكذا طه حسين.فيذكربروكلمان قائلاً:"وماروي في ذلك من قصة الصحيفة المختومة التي أرسلها ملك الحيرة الى والي البحرين يأمره فيهابقتل المتلمّس وابن اخته طرفة،كل ذلك موضوعٌ على أساس بيت قاله المتلمّس،فلابدّ أن تكون القصيدة التي تفترض وقوع القصة منحولة[2] ".كمايشكّ طه حسين في صحة هذه القصة ونسبتها الى العصرالجاهلي كما كان دأبه مع كل ماله علاقة بالتراث الجاهلي، فنجده يقول:"والروّاة والمحققون يعدّون هذين الشاعرين من المقلّين،بل لم يرو بن سلام للمتلمّس شيئًا ،ولم يسمّ له قصيدة[3] "

ثم يأخذرأيه منحىً اكثرتطرّفًا جريًا على ما ابتدره من تحليل،فيقول:" وأكبرالظنّ أن كل ما يضاف الى المتلمّس من شعرأواكثره مصنوع،والغرض من صنعته تفسيرطائفة من الأمثال وطائفة من الأخبارحفظت في نفوس الشعب عن ملوك الحيرة وسيرتهم في هؤلاء الأخلاط من العرب وغير العرب،الذين كانوا يسكنون السواد،ولا أستبعد ان يكون شخص المتلمّس نفسه قد اخترع اختراعًا ،تفسيرًا لهذا المثَل الذي كان يُضرب بصحيفة المتلمّس،ولم يكن الناس يعرفون من امره شيئًا ففسّره القصاص،واستمدوا تفسيره من هذه الاساطير الشعبية التي اشرنا اليها غيرمرة[4]".

ورغم هذه الطعون فقد حازت هذه القصة على اهتمام النقاد والدارسين وأغلب هؤلاء لم ينحو منحى من طعن فيها،بل نجدهم يثنون على ريادتهاالادب المنثور الجاهلي،وانها كانت إما مؤثرة فيماسواها من آداب عرفت آنذاك ،وذلك شاهد قوةٍ لها وإما ان تكون متأثرة وذلك لا ينقص من قيمتها شيئًا .

2-2-4- القصص العاطفية :

وأشهرهذه القصص قصة الشاعرالمرقّش الأكبروابنة عمّه أسماء بنت عوف،وقصةالشاعرالمنخّل اليشكري والمتجرّدة زوج النعمان بن المنذر،وقصة المرقّش الاصغروفاطمة بنت المنذر.

2-2-4- أ- قصة المرقّش الاكبروأسماء بنت عوف:

[1] - جواد(علي)،المرجع السابق،ج3،ص243.

[2] - بروكلمان(كارل)،المرجع السابق،تاريخ الاب العربي ،ج1،ص94.

[3] - طه(حسين)،المرجع السابق،ص238.

[4] - نفسه، ص242.

وكان المرقّش الاكبر قدعشق اسماء بنت عوف وهي ابنة عمه منذ كان غلامًا فحاول خطبتها من ابيها، ولكنه اعتذر له بحجة حداثة سنه وأنه لم يعرف بعد بشجاعته .فماكان من المرقّش الا أن انطلق الى بعض الملوك يمدحهم وبقي على ذلك مدةً من الزمن ،وأوعزت عوف والد أسماء الحاجة فجاءه رجل من قبيلة مُراد وأرغبه بالمال فزوّجه ابنته على مائة من الابل ورحلبها أهله.وقال اخوة المرقش:لا تخبروه بخبرهاحين يرجع بل قوالوا له:ماتت،وذبحوا لذلك كبشًا أكلوا لحمه ودفنوا عظامه،فلما تقدم المرقش قالوا له انها ماتت،ولكنه لم يلبث ان عرف الحقيقة بعد أن ظل مدّة يعود قبرالكبش ويزوره فخرج المرقش يطلب أسماء.

وبعد مسيرطويل يتعرّف على راعي زوجها فيتوسل اليه أن يحدّثها عنه.فيقول له:إني لااستطيع أن أدنو منها،ولكن تأتيني جاريتها كل ليلة.فأحلب لها عنزًا فتأتيها بلبنها،فقال مرقش:خذ خاتمي هذا،فإذا حلبت فألقه في اللبن فإنها ستعرفه ،وانك مصيبٌ بذلك خيرًا لم يصبه راعٍ قطُّ اذا انت فعلت ذلك.فأخذ الراعي الخاتم ولماراحت الجارية بالقدح وحلب لها العنز طرح الخاتم فيه. فانطلقت الجارية به وتركته بين يدي اسماء فلما سكنت الرغوة أخذته فشربته فقرع الخاتم ثنيّتها فأخذته واستضاءت بالنارفعرفته،فقالت للجارية:ماهذا الخاتم ؟

قالت:مالي به علم ،فأرسلتها الى زوجها وهوبنجران ،فأقبل فزعًا فقال لها :لما دعوتني؟قالت :ادع عبدك راعي غنمك ،فدعاه ،فقالت :سله اين وجد هذا الخاتم ؟

قال:وجدته مع رجل في كهف خبّان،فقال:طرحه في اللبن الذي شربه ،فإنك مصيب به خيرًا،وما أخبرني من هو؟ ولقد تركته بآخر رمقٍ،فقال له زوجها:وما هذا الخاتم ؟فقالت اسماء:خاتم المرقّش،فأعجل الساعة في طلبه.فركب فرسه وحمل اسماء على فرس اخرى وسارا حتى طرقاه من ليلتهما فاحتملاه الى أهلهما فمات عند اسماء ودُفن في ارض مراد ،وقال قبل ان يموت[1]:

سرى ليلاً خيالٌ من سُليمى فأرّقني وأصحابي هجودُ

فبتُّ ادير أمري كلَّ حالٍ أذكر أهلها وهم بعيد

سكنَّ ببلدةٍ وسكنت أخرى وقُطّعتِ المواثقُ والعهودُ

فما بالي أفي ويُخانُ عهدي ومابالي أُصاد ولا أَصيدُ

2-2-4- ب- قصّة المنخّل اليشكري مع المتجرّدة :

[1] - شوقي(ضيف)،المرجع السابق،401

هو عمرو بن المنخّل في اغلب الروايات ،وهو الشاعرالمعروف وكان من الشعراء المقلّين،وقصّته مع المتجرّدة زوج النعمان بن المنذرومن خبر هذه القصة ان زوجة النعمان بن المنذروالمعروفة بالمتجردة كانت تخونه مع الشاعرالمنخل وكانهذاالاخيرينادم النعمان مع الشاعر النابغة الذبياني وينشده القصائد ،وكان النعمان يكرمه ويقرّبه اليه،غيرانه كان يؤثرشعرالنابغة على شعره،فسعى المنخّل بالنابغة وأوغرصدرالنعمان عليه حتى همّ بقتله،فهرب النابغة منه وخلا المنخّل بمجالسته،فلم يزل على ماأصاب عنده من النعمة[1] .

وكان للنعمان يوم يركب فيه فيطيل المكث فيه،وكان المنخل من ندمائه لا يفارقه،وكان ياتي المتجردة في ذلك اليوم الذي يركب فيه النعمان فيطيل عندها، حتى اذا جاء النعمان اذنتاها بمجيئه وليدة لها موكلة بذلك فتخرجه، فركب النعمان ذات يوم واتاها المنخل كما كان ياتيها فلاعبته واخذت قيدا فجعلت احدى حلقتيه في رجله والاخرى في رجلهاأوقال: فأخذت خلخالها وجعلته في رجله واسدلت شعرها فشدت خلخالها الى خلخاله الذي في رجله من شدّة اعجابها به وغفلت الوليدة عن ترقب النعمان،لأن الوقت الذي يجيء فيه لم يحن بعد،إلا ان النعمان جاءعلى غيرعادته،فدخل الى المتجردة فوجدها مع المنخل قد قيدت رجلها برجله.

وكانت قد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخّل،فكان يقال:أنهما منه،وكان جميلاً وسيمًا،وكان النعمان أبرشًا قصيرًا دميما[2]، فأخذه النعمان فدفعه الى عِكَبِّ التغلبي صاحب سجنه فعذّبه حتى قتله[3].

وفي ذلك يقول المنخّل محرّضًا قومه ليثأروا له[4] :

ألا من مُبلغُ الحييّن عني بأن القوم قد قتلوا أبيّا

فإن لم تثأروا لي من عِكَبٍّ فلا رويتم أبدًا صديا

يطوف ببيعِ كَبُّ في مَعدّ ويطعن بالصميلة في قفيّا

2-2-5- القصص الهزلية :

[1] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص423.

[2] – السجستاني(ابوحاتم سهل بن محمد)،المرجع السابق،ص 123.

[3] – الاصفهاني(ابوالفرج الحسن بن علي)،المصدرالسابق،ج11،ص380.

[4] – عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص451

تعتبرقصص الهزل مما تندرج في مضمونها النوادر والنُكات،واتخذ ملوك المناذرة والاشراف من الحيرة ندماء لهم،عُرفوا بإغراقهم في قول المِلَح والنوادر والامورالغريبة المضحكة ،حتى اشتهرامرهم بين الناس .وسجّلت كتب التاريخ اسماء هؤلاء الندماء المشهورين،ومن ابرزهم سعد القرقرة وهومن قبيلة هجر وكان هازل النعمان بن المنذروهوأخاه من الرضاعة،وكان النعمان يضحك منه[1] . والعيار بن عبد الله الضبي وكان بطّالاً يقول الشعرويضحك الملوك[2]،النعيمان بن عمرو بن رفاعة من بني النجار بيثرب[3]،كما عرف لدى عامة الحيرة حُنين الاسكافي،وهوحنين العبادي من أهل دومةالكوفة[4] .

ومع وجودمثل هؤلاء القصّاصين في هذا النوع،إلاأن ماوصلنامن هذه القصص يعدّ من أقل نصوص النثرجميعًا.ولايتعلق ذلك بطبيعة ملوك المناذرة وأمزجتهم عدا النعمان بن المنذر،فلا شكّ أن أغلب هؤلاء الملوك كانواميّالين للطرفة والتسلية والمرح،ولكن النصوص هي التي تعوزنا في هذا المجال.

أما النعمان بن المنذر فقد أثبتت المصادر،انه كان مرحًا يشجّع الطرفة ويبادرإليها في بعض الأحيان،فذكرقوله لضمرة بن ضمرةحين دخل عليه وكان قصيرًا دميمًا:تسمع بالمعيدي خيرمن أن تراه،فأرسلها مثلاً،وأنه كان يبادرسعدًا القرقرة والعيارين عبد الله الضبي ويجرّهما الى ممازحته[5].

ولم تكن القصّة الهزلية تهدف الى إضفاء روح الفكاهة والسمروالترويح عن النفس فقط،بل كان لها مثل أنواع القصص الأخرى،رسالة تربوية هادفة تدعُ الى غرس قيم ايجابية في المجتمع الحيري،ونبذ القيم السلبية.

وهوما يدلّل على مدى الرقيّ الحضاري الذي كانت تتمتّع به دولة المناذرة ويجسّده فيهاملوكها،الذين كانوا يشجّعون العمل الادبي بمختلف انواعه ويتذوقونه،بل ويساهمون في انتاجه.

2-2-5-أ- من طُرف العيار بن عبد الله الضبّي :

وهوالعَيَّار بن شتيم الضبي،من بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد من قبيلة حيي[6]، وكان بطّالاًيقول الشعرويُضحك الملوك[1]،وكان قد وفد الى النعمان بن المنذر في صحبة ضراربن عمرو،فأنشده[2] : لا اذبح النّازي الشبُّوب ولا أسلحُ يوم المِقامة العُنقا

---

[1] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج8،ص374.

[2] – نفسه،ج3،ص279.

[3] – نفسه،ج8،ص374.

[4] – عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص 562.

[5] – الضحيان(ابراهيم عبدالله)،المرجع السابق،ص614.

[6] – الآمدي(ابوالقاسم الحسن بن بشر)،المؤتلف والمختلف،تح،عبد الستار احمد فراج،ط2،داراحياء الكتب العربية،القاهرة،1960،ص239

لا آكل القتَّ* في الشتاء ولا انصح ثوبي اذا هو انخرقا
ولا الى جارتي أدبُّ اذا جَنَّ عليَّ الظلام فاطرّقا
أعددت بيضاء للحروب ومصقولَ الغِرارين يقضم الحَلقَا
وأريحيًّا عَضْبًا وذا خُصَلٍ مُخلولق المتن سابقًا تئقا
يملأ عينيك بالفَنَاء ويُرضـ ـيك عقابًا ان شئت أو نزقا

فقال له ضرار بن عمرو :لوذبحت لنا هذا التيْس،لتيْسٍ عندهم،وسلخته لشكرناك ففعل،فأخبرضرارالنعمان بذلك وانشدواالابيات السابقة،فضحك النعمان منه .

وكان ضرار بن عمروأعرج،فعمد العيّارالى حُلّته فلبسها،وخرج يتعارج حتى صار إزاء النعمان قعد يتغوّط،فغضب النعمان على ضرارومنعه حضورطعامه حتى حلف انه ما فعل،ولكن العيّار كاد له،فارتفع الكلام بينهما حتى تشاتما.ثم وقع بين ضراروأبي مَرحب اليربوعي كلام،فنال أبومرحب من ضرار،فردّ عليه العيّار،فقال له النعمان:أتذبُّ عن ضراروقد فعل ما فعل،وقلتَ فيه ماقلت.فقال:آكلُ لحمي ولا أدعه لآكلٍ،فأرسلها مَثَلاً،فقال له النعمان:لاتَعدمُ من ابن عمٍّ نصرًا[3].

فصارت مَثَلاً سائرًا بين الناس.

2-2-5- ب- من طُرف سعد القرقرة :

تكاد المعلومات التاريخية عن سعد القرقرة نادرة،والمعروف انه كان هازل النعمان بن المنذرالذي كان يضحك منه،وكان اخو النعمان من الرضاعة،وكان من أهل هجر.ومن أخباره ماجاءعلى لسان الجاحظ انه لما رأى أبو قردودة،سعد القرقرة أكل عند النعمان مسلوخًا بعظامه،قال متعجّبًا من شرهه وإقباله على الطعام[4] :

بين النعام وبين الكلب مَنْبَتُه وفي الذئاب له ظئرٌ وأخوالٌ

ويشرح الجاحظ هذاالبيت بقوله:"إن سعدًاأضرب في أعراقه نجر النعام،اي طبع النعام،الذي يلتهم الجمرويلتقم الحجارة فيطفئ الجمرويميع الصخر،اي يصبح الصخر منه سائلاً،وضرب في أعراقه

؛العسكري(ابوهلال الحسن بن عبدالله)،المرجع السابق،ج1،ص130.

[1] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج3،ص279.

[2] – الامدي(ابو القاسم الحسين بن بشر)،المرجع السابق، ص239.

* القَتُّ :حَبٌّ أسود من ثمرالعشب،تطبخه العرب وتأكله في الجدب،العسكري(ابوهلال الحسن بن عبدالله)،المرجع السابق،ص131.

[3] – نفسه،ص132.

[4] – الجاحظ(عمر بن بحر)،المصدر السابق،الحيوان،ج1،ص147.

نجرالكلب الذي يَرضُّ كلَّ عظمٍ،ولا يقبض عليه بكفّه إلاوهوواثقٌ بفتّه،ولا يُسيغه إلاوهوعلى ثقة من استمرائه.

فأمّاالـذئب فانـه لا يـروم بفكّيـه شـيئًا الا ابتلعـه بغيرمعاناةٍ،عظمًـا كـان أوغيره،مُصـمَتًا كـان أو أجوفًا،ولذلك قال الرّاجز:

أطلس يخفي شخصه غباره في فمه شفرته وناره

هو الخبيث عينه فراره بهم بني محارب مزداره

فأبوقردودة لم يرد بقوله ذلك،ان الكلب والذئب خالاه وان النّعام نجله،وانما قال ذلك على سبيل التمثيل والتشبيه[1].

ولسعد القرقرة ينسب المثل السائرالقائل:وابأبي وجوه اليتامى، وهو المثل الذي يضرب للرجل يتحنّن ويستعطف اقاربه،اما مضرب هذا المثل ففحواه ان النعمان بن المنذر قد دعى بفرسه اليحموم يومًا وسعد القرقرة عنده،فأتى بحمار وحشي،فقال له النعمان:اركب اليحموم واطلب حمارالوحش حتى تصرعه،فقال سعد :إذن والله أُصرَع،فأبى النعمان إلا ان يركبه،فلما ركبه،نظرالى اولاده فقال:وابأبي وجوه اليتامى ،فأرسلها مثلاً،وأحضربه الفرس ،فتعلّق بعرفه وصاح فضحك النعمان وأجازه،وأنشأ سعد يقول[2] :

نحن بغرسِ الوديِّ أعلَمُنا منا بركض الجياد في السَّلف

ياويح نفسي وكيف أطْعنُه مستمسكًا واليدان في العُرُف

قد كنتُ أدركته فأدركني للصَّيد جَدٌ من معشر غُلُف

وينسب اليه بعض النقادالشعرالذي يتغنّى فيه بالحيرة ،ويحنّ الى قصريها العذيب والصنين،في قوله[3]:

ليت شعري متى تخب بي النا قة بين العذيب فالصنين

عقا زكرة وخبز رقاق وحباقي وقطعة من نون

2-2-5-ج- من طُرف حُنين الإسكاف :

هوحُنين العبادي من اهل دومة الكوفة ،وكان مغنيًّا وهوالذي يقول[4]:

---

[1] – نفسه.

[2] – عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص574.

[3] – العسكري(ابوهلال الحسن بن عبدالله)،المرجع السابق،ج2،ص162.

[4] – عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص562.

أنا حُنين وداري النجف وما نديمي الا الفتى القَصف

ويرى البعض انه من قريش،وذلك ان هاشم بن عبد مناف كان كثير التقلّب في أحياءالعرب للتجارة والوفادات،وكان اوصى عشيرته ان يقبلوا كل مولود معه علامته،فتزوّج هاشم باليمن فجاء بمولود سمّاه حُنينًا ،حمله جدّه الى رهط هاشم بغيرعلامة فردّوه خائبًا ،فتُمثّل به ،وقيل : جاء بخُفّي حُنين ،اي بخُفيّ نفسه[1] .

ومن خبره عن علاقته ببني هاشم ،وكان مضرب المثل نفسه ،ان حُنين قد ادعى في قريش وانتمى الى أسد بن هاشم ،فجاء عبد المطلب وعليه خُفّان أحمران،وقال:

ياعمُّ،انا ابن اخيك أسد بن هاشم ،فجاءعبد المطلب:لا،وثياب هاشم ،ماأعرف فيك شمائل هاشم،فرجع عنه خائبًا الى قومه،فقالوا:رجع حُنين بخفيّه ،اي رجع لم يقبل فيلبس خُفّ أبيه[2].

ومن الطُرف المتعلّقة بحُنين ومهنته،انه كان إسكافٍ من الحيرة ،ساومه أعرابي بخُفّين ثم انصرف ولم يشترهما،فألقى حُنين أحدهما في أول طريقه والآخر في آخره،فمرّالاعرابي بالأول فتركه ،فلما رأى الآخرأناخ راحلته ورجع ليأخذ الأول فركبها حُنين وطار،فرجع الاعرابي الى قومه بخُفّي حُنين[3].

وذُكرأن حُنين كان مغنيًا،فدعاه قوم من الكوفة الى الصحراء ليغنّيهم ،فأسكروه وسلبوه ثيابه وتركوه عريانًا في خُفّيه،فلما رجع الى أهله وابصروه على تلك الحالة ،قالوا:جاء حُنين بخُفّيه ،ثم قالوا:أخْيَب من حُنين ،فصار مثلاً لكل خائب[4] .

واليه يُنسب المثل السائر: وأَخْيَبُ من من حُنين[5].

ومنه ايضًا:أحْلفُ من خُفيّ حُنين،قال الشاعر[6]:

ومازلت اقطع عرض البلاد من المشرقين الى المغربين

وأدّرع الخوف تحت الرجا واستصحب الجَدي والفرقدين

وأطوي وأنشر ثوب الهموم الى أن رجعتُ بخُفّي حُنينٍ

---

[1] – العسكري(ابوهلال الحسن بن عبدالله)،المرجع السابق،ج1،ص433.

[2] – عارف(عبدالغني)،نفسه.

[3] – الميداني(بوالفضل احمد بن محمد)،المرجع السابق،ج2،ص40

؛العسكري(ابوهلال الحسن بن عبدالله)،نفسه.

[4] – عارف(عبدالغني)،نفسه.

[5] – العسكري(ابوهلال الحسن بن عبدالله)،نفسه.

[6] – عارف(عبدالغني)،نفسه.

2-2-6- قصص الخرافات والأساطير :

2-2-6- تعريفها:

2-2-6- أ- لغـــــة : الأســـــاطيرجمع اسطورة،وأسطير،وأسطيرة،وسطرتســـــطيرًا:ألـــــف الأكاذيب،وسطرعلينا اتانا بالأساطير[1].

2-2-6- ب- إصطلاحًا: ذهب الدّارسون في تعريف الاسطورة مذاهب شتّى ،فمنهم من رأى في الاساطيرحكايات القدماء في الدّين ،فيرى سقراط ان صفات الآلهة يمكن اكتشافها من تحليل اسماء الاصنام ،ومنهم من قال ان اسطورة هي التاريخ في صورة متنكّرة[2].

والأسـطورة تعبـيرعن تجـارب الانسـان منـذ أن وُجد،وموقفـه مـن قـوى الطبيعـة ومـن الالهـة الـتي اخترعهاإعتقاده أوتخيّلها من قبله،وموقفه من الأحداث والكائنات الواقعية[3]،التي يتعايش معها بصفة يومية .

والأسطورة مصدرأفكارالأولين وملهمة الشعروالادب عند الجاهليين،ونلخص القول فنقول:انها الدين والتاريخ والفلسفة جميعًا عند القدماء ،وهي ليست فكرة مبتدئةً او خاطئةً،بل هي فكرة بدوية تاريخية ،صُبغت بصبغة الاطناب والمغالاة لإظهارأهمية تلك الحادثة في جيل زال أثره من ذهن الناس[4].

وبالتالي هي القصص التي لا وجود لاحداثها على وجه الحقيقة،وغالبًا ما يستعيرمؤلفوها حكاية محورأحداثها حيوانٌ ،أوجمادٌ،أوجانٌ،أوغيرذلك.فلاوجود في مثل هذه القصص للأحداث وإنما يؤلفها الخيال تأليفًا،فقد تكون لوجه التسلية كقصّة عمرو بن عدي الذي استطاره الجن،وقد تكون ذات مغزىً أخلاقيٍ كقصّة الحيّة.

2-2-6- أ- قصة عمرو بن عدي مع الجن:

بعـدأن أمكـن جذيمـة الوضّـاح مـن إيادوكـانوا قـد سـرقوا صـنميه المعروفـان بالضـيزنين،عاهدوه بردّهماواستسلموالإرادته،شرط عليهم ان يسلّمواااليه فتىً فيهم يقال له:عديُبن نصر،وقد اشتهر بالجَمال والظُّرف،فأسلموه له فعفى عنهم وضمّ عديًا إليه وولّاه شرابه،فأبصرته رُقاش اخت جذيمة فعشقته وراسلته،وقالت:ياعدي اخطبني الى الملك فإن لك حَسبًا وموضعًا،فقال:لا أجترئ على كلامه في

---

[1] – الفيروزابادي(مجد الدين محمد)،القاموس المحيط،ط2،ج2،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة،1952،ص49.

[2] – عبد المعيد(محمدخان)،الاساطير العربية قبل الاسلام،مطبعة لجنة التأليف،القاهرة ،1937،ص8.

[3] – علي(عبد الحليم محمود)،المرجع السابق،ص23.

[4] – عبد المعيد(محمدخان)،المرجع السابق،ص11.

ذلك،ولا أطمع ان يزوجنيك،قالت:اذا جلس على شرابه وحضره ندماؤه،فإسقه صِرفًا واسق القوم مِزاجًا،فإذاأخذت الخمرة فيه،فاخطبني اليه ،فإنه لن يردّك ولن يمتنع منك،فإذا زوجك فأشهد القوم ،ففعل ما امرته به،فلماأخذت الخمرة مأخذها خطبها اليه،فأملكه اياها،فاانصرف اليها فأعرس بها من ليلته واصبح مضرجًا بالخلوق،فقال له جذيمة وقد انكرمارأى به،ماهذه الآثار ياعدي؟قال:آثار العرس،قال:أيّ عرسٍ؟ قال:عرس رقاش،قال:من زوجكها ويحك؟ قال :زوجنيها الملك ،فضرب جذيمة بيده على جبهته ،وأكبّ على الارض ندامةً وتلهفًا.وخرج عديٌ على وجهه هاربًا،فلم يُرله أثرٌولم يُسمع له بذكرٍ.

وأرسل إليها جذيمة فقال:

خبّريني وانت لا تكذبيني أبحرٍ زنيت ام بهجين

فقالت:بل أنت زوجتني إمرءًا عربيًا معروفًا حسيبًا ،ولم تستأمرني في نفسي ،ولم اكن مالكة لأمري،فكفّ عنها وعرف عذرها .اما عدي فرجع الى اياد فكان فيهم حتى خرج ذات يومٍ متصيّدًا،فرمى به فتًى منهم،فتنكّس فمات.واشتملت رقاش فحملت ،وولدت غلامًا فسمّته عمرًا ورشحته،حتى اذا ترعرع عطّرته وألبسته وحلّته،وأزارته خاله جذيمة ،فلما رآه أعجب به،وألقيت عليه منه محبة ،فكان يختلف مع ولده ويكون معهم ،فخرج جذيمة مبتديًا بأهله وولده في سنة خصبةٍ مكلئةٍ،فضربت له أبنية على روضةٍ ذات زهرٍوغِدر،وخرج ولده وعمرومعهم يجتنون الكمأة فكانواإذا اصابوا كمأة أكلوها،وإذا أصابها عمرو خبّأها في حَجزته،فانصرفواالى جذيمة يتعادون.وعمرو يقول[1]:

هذا جناي وخياره فيه اذكل جانٍ يده الى فيه

فضمّه اليه جذيمة وإلتزمه وسُرّ بقوله وفعله ،وامر فجُعل له حُليٌّ من فضّةٍ وطوقٍ فكان أول عربيٍ أُلبس طوقًا فكان يسمّى عمرًا ذا الطوق،فبينما هو على أحسن حاله،اذاستطارته الجن فاستهوته فضرب له جذيمة في البلدان والآفاق زمانًا لا يقدرعليه.وأقبل رجلان اخوان من بلقين،يقال لهما:مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك من الشام يريدان جذيمة ،قد أهديا اليه طُرُفًا ومتاعًا ،فلما كان ببعض الطريق نزل منزلاً ومعهما قينة لهما يقال لها :أم عمرو ،فجاء حتى جلس حجرة منها،فمدّ يده يريد الطعام ،فناولته القينة كراعًا فأكلها ثم مد يده اليها ،فقالت :تعطي العبد كراعًا ،فيطمع في الذراع ،فذهبت مثلاً،ثم ناولت الرجلين من شرابٍ كان معها وأوكت زِقّها ،فقال عمرو بن عدي :

[1] – الطبري(محمد بن جرير)،المصدر السابق،ج1،ص212.

صددت الكأس عنا ام عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

فقال مالك وعقيل :من أنت يافتى؟ فقال:ان تنكراني أو تنكرا نسبي،فأنا عمرو بن عدي ابن التنوخية اللخمي،وغدًاما،ترياني في نمارة غير معصيٍ،فنهضا اليه فضمّاه وغسلارأسه،وقلّما اظفاره وأخذامن شعره وألبساه مما كان معهمامن الثياب،وقالا:ماكنا لنهدي لجذيمة هديةً أنفس عنده ولاأحبّ اليه من ابن أخته ،قد ردّه الله عليه بنا .فخرجا به حتى دفعا الى باب جذيمة فبشّراه،فسُرّ بذلك سرورًاشديدًا ،وانكره لحال ماكان فيه .فقالا:أبيت اللعن،ان من كان في مثل حاله يتغير،فأرسله الى أمه ،فمكث عندهاأيامًا ثم اعادته إليه،فقال:لقد رأيته يوم ذهب وعليه طوق فما ذهب عن عيني ولا قلبي الى الساعة .فأعادوا اليه الطوق ،فلما نظر اليه قال:شبّ عمرو عن الطوق،فأرسلها مَثَلاً ،وقال :لمالك وعقيل :حكمكما قالا:حكمنا منادمتك ما بقينا وبقيت ،فهما نديما جذيمة المعروفان[1] .

2-2-6- ب- قصة الحيّة والأخَوان:

والحيّة هي المعروفة في التراث العربي القديم بإسم ذات الصفا،يقول النابغة الذبياني في شكواه[2] :

واني لألقى من ذوي الضعن منهم وما أصبحت تشكو من الوجد ساهره

كما لقيت ذات الصفا من حليفها ومانفكت الامثال في الناس سائره

فقد ذكرأن أخوين خربت بلادهما،وكانا قريبًا من وادٍ فيه حيّة قد حَمته فلا ينزله أحد،فقال أحدهما لأخيه:لو أتيت هذا الوادي للكلإ فرعيتُ فيه إبلي فأصلحتها فقال له أخوه:أخاف عليكالحيّة،ألا ترى أنه لم يهبط فيه أحدٌ الا اهلكته،فقال:والله لأفعلن،ثم إنه هبط ورعى فيه إبله زمانًا،ثم ان الحيّة نهشته فقتلته .فقال أخوه:والله ما في الحياة خيرٌ بعده،ولأطلبن الحيّة ،فطلب الحيّة ليقتلها .

فيزعمون أنه لما لقيها وأراد قتلها قالت:ألا ترى أني قتلت أخاك وندمت على ما كان مني ،فهل لك في الصلح فأدعك في هذا الوادي فتكون فيه آمنًا وأعطيك دية أخيك في كل يومٍ دينار،فصالحها على ذلك.فحَلفت وحلف لها،فأخذت تعطيه كل يوم دينارحتى كثرماله ،فكانت تأتيه يومًا وتغيب عليه يومين،ثم قال :كيف ينفعني هذا العيش وأنا أرى قاتل أخي،فعمد الى فأسٍ فأحدّها ثم قعد لها منتظرًا فمرّت به فضربها فأخطأها فدخلت جحرها،وكان الفأس أصاب رأس ذنبها فقطعه ،فلما رأت فعله قطعت عنه الدينار،ثم أتى جحرها فحيَّاها فخرجت اليه فضربها وأراد رأسها فأخطأه .فقالت :ماهذا؟

[1] – نفسه .

[2] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،شعراء النصرانية،ص684.

فإعتل لها بقطع الدينار،فقالت :ليس بيني وبينك بعد هذاالا العداوة ،فخذ حذرك فإني قاتلتك ،فخاف شرّها وقال لها:هل لكِ في ان نتواترونكون كما كنا ،فقالت:وكيف أعاودك ،وهذا أثر فأسك وانت فاجرٌ لا تبالي بالعهد[1].

وسجّل النابغة قصّة الحيّة في القصيدة الآنفة البيتين ،ومن تفصيلها قوله[2] :

فقالت له أدعوك للعقل وافيًا ولاتغشّيني منك بالظلم بادره

فواثقها بالله حين تراضيا فكانت تُديه المال غِبًّا وظاهره

فلما توفّى العقل العقل الا اقله وجارت به نفس عن الحق جائره

تذكّرأنى يجعل الله جنّة فيصبح ذا مالٍ ويقتل واتره

الى ان يقول في نهاية القصّة :

فقالت يمين الله أفعل انني رأيتك مسحورًا يمينك فاجرة

أبى لي قبر لا يزال مقابلي وضربة فأسٍ فوق رأسي فاقره

وكان من الاساطيروالخرافات التي انتشرت بين العرب والتصقت بدولة المناذرة ما جاء على لسان النضر بن الحارث الذي خاطب قريشًا قائلاً:يامعشر قريش والله لقد نزل بكم أمرٌما له بحيلةٍ بعد.قدكان محمّد فيكم غلامًاحَدَثًا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثًاوأعظمكم أمانة،حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به ،قلتم ساحرٌ ،لا والله ماهو بساحرٍ،لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم .وقلتم كاهنٌ،لاوالله ماهو بكاهنٍ،قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم وقلتم شاعرٌ،لاوالله ماهو بشاعر،ولقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقلتم مجنونٌ لا والله ماهو بمجنون ،لقد رأينا الجنون فماهو بخنقه،ولا وسوسته ولا تخليطه ،يامعشر قريش:فانظروا شأنكم ،فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيم .

ثم ذهب النضرالى الحيرة وتعلّم منها أحاديث ملوك الفرس،واحاديث رستم واسفنديار،فكان اذا جلس رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم مجلسًا للتذكير بالله والتحذيرمن نقمته،خَلَفه النضر وهويقول:والله ماحمد بأحسن حديثٍ منّي ،ثم يحدثهم عن ملوك فارس واسفنديار،ثم يقول :بماذا محمدٌ احسن

[1] – نفسه،ص685

؛ابن قتيبة(ابومحمدعبدالله الدينوري)،المصدر السابق،ج1،ص41.

[2] – نفسه.

حـــديثًا مـــنّي؟[1].واذاأردنـــا دراســـةً لنشـــأة وتطوّرالاســـطورة في المجتمـــع العـــربي القديم،ومعرفـــة خصائصها،فيمكننا القول ان الانسان العربي كان واسع الخيال من ناحية التخيّل التصوّري ،وان كان محدود الخيال ،فهومُجيد للتخيّل التصوّري،والأسطورة تتولّد من التخيّل التصوّري،كما تتولّد من التخيّل الاختراعي وهو يتصوّرالأشياء ولايخترع القصص حولها،ويقيم الاوثان في هيئة يرسمها ويلوّنها بألوان التخيّل.واذا أردنا بحث من ينسج الأسطورة في المجتمع العربي القديم،فيجبان نرى ذلك العربي الذي يلعب بالالفاظ[2] .

[1] – ابن هشام (ابومحمد عبدالله)،المرجع السابق،ج1،ص299.

[2] – عبد المعيد(محمد خان)،المرجع السابق،ص40.

الفصل الثاني

الخطابة وفنون النثر الأخرى

1- الخطابة .

2- الوصيّة والتعزية .

3- المناظرة .

4- فنون نثرية أخرى .

1- الخطابة :

1- 1- تعريفها :

1- 1- أ- لغـــة : الخطابـــة مـــأخوذةمن فعل:خَطَبَ،والمضارعَ:خطُبُ،والاســـم:خِطابة مثـــل: كَتَبْتُ،أَكتُبُ،كِتَابـةً.ومنهاالخَطْـبُ : اي الأمرالجليل،والفاعـل منهـا: خاطـب، والجمـع: خُطَـبٌ[1]. والخِطابُ: هوالكلام النفسي الموجّه به نحوالغير للإفهام[2].

1- 1- ب- إصطلاحًا :هي مظهر من مظاهر الحرية الفكرية والفروسية ،وسبيل من سبل الاقناع والتأثير ،تحتاج الى ذَلافة اللسان ونصاعة البيان وأناقة اللهجة وطلاقة البديهة ،وعرف عن العرب في الجاهلية انهم كانوا ذوو نفوس حسّاسة وإباءٍ ،وأولوغيرةٍ ونجدةٍ.فكانت لهم القدم السابقة والقِدح المعلّى .ويُراد بها الترغيب فيما ينفع والترهيب فيما يضرّ،وتكون في الغلب على ملأ من الناس في المجامع والمواسم[3] .

وتعتبرالخطابة لونًا من ألوان النثرالذي عُرف في الجاهلية،وتدلّ عل قدرة العرب في التمكّن من الرتجال والبديهة وحسن الكلام وفصاحته في التعامل مع مختلف المواقف والظروف التي يصادفها الخطيب ويتفاعل معها ،ويوجّه فيها الخطيب كلامه لمن يستمع اليه،وهدفه في ذلك إقناع من يخاطبهم ويحاول استمالتهم بحسن كلامه واقناعهم بما يقول ومحاولة إرضاء عقولهم بالحجة والبرهان،لكسب تأييد هذاالجمهور للقضية المعروضة واستجابته لما يراد منه[4].

1- 2- تعريف الخطابة عند الأعاجم :

نشأت الخطابةعندالاعاجم من اللاتين منذ نشأة دولهم الاولى وبداية خصوماتهم ومنازاعاتهم السياسية الاولى وفي حروبهم.وفي إلياذة هوميروس في القرن العاشرقبل الميلاد،خُطب عديدة بليغة اوردهاعلى ألسنة الآلهة والأبطال.

وكان اول الخطباءفي الحضارةالاغريقية سولون(640-559ق م)مشرّع أثينا ومصلح آدابها،ثم خلفه بيسسترات،وكان مناظرًالسولون،ثم ابنه هيبارك جامع شعر هوميروس.ثم اشتهربعدهم خطب القائدالعسكري ثميستوقلس(528-464ق م).وبلغت الخطابة اليونانية كمالها في القرن الخامس قبل

---

[1] – ابن قدامة (ابوالفرج بن جعفر)،المرجع السابق،نقد النثر،ص94.

[2] – لويس(شيخو)،علم الادب،ج2،ط3،مطبعة الاباء اليسوعيين،بيروت،1926،ص7.

[3] – الزيات(احمدحسن)،تاريخ الادب العربي،دارنهضة مصر،القاهرة،ص19.

[4] – درويش(محمدطاهر)،الخطابة في صدرالاسلام،ط2،دارالمعارف،مصر،1968،ص3.

الميلاد في عصر بريكليس الذهبي(499-429ق م)،وكان زعيم وطنه وأحد خطبائها الضالعين ،وما لبث ان ظهربعده بقليل خطباء مشهورين نالوا قصبة السبق على من سواهم وأهمهم ايسوقراطيس(436-338 ق م)،ثم ديمُستينس(381-322 ق م)،ثم اسخينس(387-312ق م)[1].ولم يشتهرالرومان بفن الخطابة إلابعداليونان بمدّة طويلة لإنصراف همّتهم الى الحروب،وكان ممن يستحقّون ذكرًا،كاتون(232-174 ق م) وهوالمعروف بالنقّاد في خُطبه الموجّهة ضد قرطاجة ،ثم يوليوس قيصر(100-44ق م)،ثم رائدالخطابة الرومانية شيشرون(106-44ق م)وقدأضحى اسمه مرادفًا للبلاغة.

وكان أول من دوّن قواعدالخطابة وقوانينها ثلّةٌ من خطباءاليونان في ختام القرن الخامس قبل الميلاد،والنصف الاول من القرن الرابع قبل الميلاد،ومنهم بروديكوس القُوسي،وبروتاغوراس،ثم غورجياس،حتى بروزأرسطو طاليس(384-322 ق م)،استاذالاسكندرالمقدوني واشهر الفلاسفة،فلم يدع كبيرًا ولاصغيرًامن القواعدوالقوانين في فن الخطابة حتى دوّنه ونشره في كتابه المعروف المعنون بالخَطابة.ثم اشتهربعده شيشرون ضمن عدّة تآليف عن الخطابة،ثم كونتيليان المعلّم (42-95 م) في كتابه المعروف بتهذيب الخطيب وصولاً الى لينحينوس الحمصي(240-273 م)الذي كان نديمًا لملكة تدمر زنوبيا(الزُّباء)،وذلك في كتابه المسمّى:المفلق .

أرسطوأول من دون اصول هذاالفن وضم شوارده وجمع اشتاته في كتابه الخطابة وجعل الكلام قائما على اسس فنية في احاطة وتطلب للكمال،فهو يحللها ويبين منزلتها من ابلاغة،وانواعها وصلتها بالمنطق الحديث،واجزاء الخطبة،وكيف يؤثرالخطيب،وكيف يتكون ويتكلم عن منزلة البرهان والمثل والقياس والاستقراء وعلاقة الخطابة بالجدل والشعروالادب،والمنطق والأخلاق والسياسة وغيرهذامما لم يسبق اليه،ولم يلحق فيه إلا بعد دهر طويل[2].

ويقسّم أرسطوطاليس الخطابة حسب مايعرف في علم الاتصال الحديث،بآلية الاتصال،فيرى ان الكلام مركّب من ثلاثة عناصرهي:القائل وهو مصدرالكلام أو الخطبة،ثم المقول فيه وهوموضوع الخطبة،ومن الذي اليه القول وهو من يوجّه ويُقصدوصول الكلام اليه،والهدف من هذه العملية التأثير في من يوجّه اليه الكلام فهواما ان يكون مستمعًا أو قيّمًا حاكمًا[3].

---

[1] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،علم الادب،ص229.

[2] – درويش(محمدطاهر)،المرجع السابق،ص14.

[3] – ارسطو،الخطابة،تر،عبدالرحمان بدوي،مكتبة النهضةالمصرية ،القاهرة،1959،ص16.

1- 3- قواعد الخطابة :

للخطابة ثلاثة قواعدأساسية هي:الإيجاد،والتنسيق،والتعبير.قال ابن المعتزّ:"ان البلاغة بثلاثة أمور،أن تغوص لحظة القلب في أعماق الفكر،ونتأمل لوجوه العواقب،وتجمع بين ماغاب وماحضروهو الايجاد.ثم يعود القلب على ما أُعمل به الفكر،فيحكم سياق المعاني والادلة ويحسن تنضيدها،وهوالتنسيق.ثم يُبديه بألفاظ رشيقة مع تزيين معارضهاواستعمال محاسنها،وهوالتعبير.قال بعض الحكماء:العلوم الأدبية مطالعهامن ثلاثة أوجه:قلبٌ مفكّرٌ،وبيانٌ مصوّرٌ،ولسانٌ معبّرٌ[1]".

ويمكننا تبسيط هذه العناصر بالشرح كما يلي :

1- 3- أ- الإيجاد،أوالإختراع:وهوإعمال الفكرفي استنباط الوسائل الكفيلة بإقناع السامع واستمالة خاطره،وتحريك عواطفه .ويشتمل على ثلاثة أبحاث هي : وضع الأدلة ومراعاة الآداب الخطابية ،ومعرفة الأهواء .

والمقصود بالدليل لغةً المرشد،وفي الاصطلاح هو الشيء يَلزم من العلم به ،علمٌ بشيء آخر[2] ،اي مايتوصل به الى بيان صحة الشيء ايجابًا او نفيًا .كمالوعلمت بأن كل فضيلة محبوبة لزم من ذلك كون العدل محبوبًا لدخول العدل في سلك الفضائل .وينقسم الدليل الى نوعين متمايزين هما: دليل إلزامي والذي هو موجب التصديق اليقيني،ويدعى:برهانًا.ودليل ظنّيٌ وهوماكان محمولاًعلى الظن والترجيح فقط ،ويغلب عليه اسم: الحجّة[3] .

وغاية الخطيب في كلامه إنارة الأذهان وحملها على الإذعان ،وهوأمر لا يتم الا بالأدلة.ثم استعطاف الخواطر،وذلك مما يترتب على مداراة الإطلاق ورعيّة الآداب ومراقبة الاحوال من زمانٍ ومكانٍ وأشخاصٍ.وفي الاخير استمالة ارادة السّامعين الى ما يُطلب منهم ،بإثارة عواطفهم،وهومايقوم بمعرفة الأهواء وطرق تهييجها أوتسكينها[4] .ولا يمكن للخطيب اثبات مقالته دائمًا بالبراهين القطعيّة،وان فعل لايعرضها بالطريقة المنطقية المجرّدة ،لكنّه يزيّن تلك الأدلة بمحاسن الكلام الذي يأخذ بمجامع القلوب.وكثيرًامايتوخّى الحجج الشبيهة بالقطعيةلاسيمافي الأدبيات والأمورالقضائيةوالمنازعات،فمهمته الدفاع عن فكرته بإستماتة تجعل المتلقّي يطمئن اليها ويؤمن بها

---

[1] - ابن المعتز،طبقات الشعراء ،تح،عبدالستار احمد فراج،ط3،ج1،دارالمعارف،مصر،1956،ص83.

[2] - الجرجاني(ابوالحسن علي)،المرجع السابق،ص24.

[3] - لويس(شيخو)،المرجع السابق،علم الأدب ،ص15.

[4] - نفسه ،ص14.

1- 3- ب- التنسيق:

لغةً هوالتنظيم والترتيب،واصطلاحًا هوانتظام معاني الخطابة وسياق اجزائها وسرد أدلّتهاعلى طريق واحدٍ.وهو إحكام ترتيب الخطبة وارتباط أقسامها ،بحيث تكون أبين عرضًا وأحسن وقعًا في النفوس.والتنسيق أعظم أركان البلاغة،ولولا ترتيب الخُطبة لما أصغى السّامع الى كلام الخطيب،وما أدرك الموضوع الا بعدجهدٍ جهيد ،فلا يُتحرّك لمقاله مهمّا كان بليغًا .

وقد اختلف الدّارسون في تقسيم الخطبة،فمنهم من قسّمها الى سبعة أقسامٍ وهي:الفاتحة والقضية والتقسيم والإيضاح والمقصدوالإثبات،وردّالخصم،ثم الخاتمة.ومنهم من زادعلى ذلك ومنهم من أنقص.ولكن الثابت في كل تقسيم ثلاثة عناصرأساسية هي: المقدّمة والإثبات والخاتمة[1] .

1- 3- ج- التعبير:هومايعبّرعن المعاني من الكلام مُدمغٍ بالحجج والبراهين،مع الاخذ بعين الاعتبار المناسبة والظروف المحيطة بالمخَاطَب ،وهو ما يسمّيه الجاحظ البلاغة[2].والتعبير بمثابة الكِساء للكلام ،به تنال الخطبة رونقها وبهاءها كما يزيّن الثوب لابسه .ويُستحبّ فيه الوضوح والفصاحة،وان يكون غزيرالمادة منمّقًا بالاشكال البديعية الملائمة ،آخذًا بمجامع القلب ،تحنُّ الجوارح الى استماعه ،لما فيه من انسجام وتفنّن .ويجب ان يراعي الخطيب فيه ،طبقات السّامعين فيسْبك كلامه على ما يلائم أحوالهم فيعدل الى السذاجة مع العامة ،ويتأنّق في المقال مع الخاصة،ويلتجيء الى أفانين الكلام مع المسترشد والمستهدي ،ويسهب العبارة مع من يؤثرالاكثار فيه ،ويوجزمع محبّ الإقلال[3] .

1- 4- عوامل إزدهارالخطابة في دولة المناذرة :

كان الانسان العربي الجاهلي منطلق الفكرانطلاقه في الصحراء الواسعة بحريّة وتلك الحرية أهّلته ان يمتلك ناصية البيان،ويمتلك سرعة البديهة والذكاء،لافرق في ذلك بين أميرورعية،ولايمكن القول ان العربي في ذلك العصر وتلك البيئة كان لا يحسن الخطابة ،فالأغلب من كانوا يمتلكون القدرة على التمكّن من الالفاظ وصوغ المعاني بأوجزعبارة[4]،وما تعلّق ذلك بمكانة اجتماعية أوطبقيةٍ نافذةٍ ،بل كان ذلك الحكم غالبًا عل عرب الجاهلية .

---

[1] – نفسه ،ص86.

[2] – الجاحظ(عمرو بن بحر)،المصدرالسابق،البيان والتبيين،ج1،ص95.

[3] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،علم الأدب ،ص138.

[4] – الجاحظ(عمرو بن بحر)،المصدرالسابق،البيان والتبيين،ج1،ص 96.

وكان من أهمية الخطابة ومكانتها بين العرب بصفة عامة ولدى ملوك المناذرة بصفة خاصة،استخدامها كوسيلة فعّالة في مختلف الاموراالجليلة ذات الخَطْب كالحروب،كماكانت وسيلة من وسائل العاية للقبيلة اوالملك في النتديات العامة والأسواق المشهورة،وقد استخدموها في تعبيرهم عما يختلج في نفوسهم من حب وبُغضٍ وتنافروثاراتٍ ونجدةٍ وتعازٍ وتهانٍ، ووصّيةٍ ونصح وحث على الاخذ بالثأر،ودعوة الى الصلح،واشادة بالخاطب وغير ذلك.

والمتأمّل الى خطابة العرب وخطبائها يجد من يتصدى لذلك غالبًاما يكون عَلمًا في قبيلته أوفي منتداه،اذغالبًا ماكان الخطيب المفوّه هورئيس القبيلة نفسه ،وقد نجده من غيررئيس القبيلة،ولكنه ذو قيمة اجتماعية مرموقة في قبيلته .

وقد اقتضى النظام السياسي والاجتماعي في الجاهلية أن يقيم العرب للخطابة وزنًا خاصًا في المفاوضات التي تكون داخل القبيلة للنظر في أمورها وشؤونها أيام السلم وفي أوقات الغزووالغارات والمنافرات والمفاخرات،وكل ذلك يستدعي ظهورأناس بُلغاءاعتمدواعلى حسن تصرّفهم في تنظيم الكلم ،وتنسيق الجمل والتلاعب بالألفاظ للتأثير على القلوب[1]. ولهذا كانوا لا يختارون لمن يتكلم باسم قومه إلامن عُرف بسحرلسانه وقوة بيانه،ليتمكّن بما وُهب من مرونة وتفنّن في كلامه من التغلّب على خصمه وإفحامه[2].

وأقدم الآثارالتي تنتمي الى العصرالجاهلي في فن الخطابة ،فتُروى لقِسّ بن ساعدة أسقف نجران الذي ضُرب به المثل في بلاغته،وأكثم بن صيفي التميمي وكان أفصح خطباء العرب،وسحبان بن وائل من قبيلة باهلة[3].وكان ضُرب به المثل في الفصاحة،فقيل:"أخطبُ من سحبان بن وائل"[4].

وكان من اشهرخطب العرب تلك الخطب التي قيلت في مجلس كسرى انوشروان،على رأسهم أكثم بن صيفي،وحاجب بن زرارة التميميان،والحارث بن ظالم وقيس بن مسعود البكريان،وخالد بن جعفر وعلقمة بن معديكرب الزبيدي وعامر بن الطفيل من بني عامر،وكان النعمان بن المنذر أرسلهم ليُري كسرى درجة فصاحة العرب ومبلغ بيانهم وعقلهم ،وقد أثاروا إعجاب كسرى حتى عجز عن تفضيل

[1] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج8،ص774.

[2] – نفسه،ص775.

[3] – لويس(شيخو)،المرجع السابق،علم الأدب ،ص236.

[4] – جواد(علي)،المرجع السابق،ج8،ص774.

أحدهم على الآخر[1].وبإكتمال نموّوتطوّراللغة العربية ،خاصّة شمالي الجزيرة العربية والحجازوذلك خلال العصرالجاهلي المتأخّرمنه،فقد شهد فنّ الخطابة في هذه الفترة ازدهارًا ورواجًا،سواءًا في دولة المناذرة ،أوفي باقي شبه الجزيرة العربية .

وقد تضافرت جملة من العوامل والأسباب التي أدّت الى تطوّر فنّ الخطابة ،لعلّ أهمها مايلي :

1- 4- 1- إفتخار خطباء العرب بإنتمائهم الحضاري :

دأب الملوك منذ القِدم على اضفاء النشاط الأدبي والفنّي على مجالسهم التي كانت تحتضنها بلاطاتهم ،كنوعٍ من الحرص على تطوير ذلك الجانب في المجتمع وكنوعٍ من الترفيه الذي يتنافس فيه المبدعون في مختلف الفنون والأنواع الأدبية للظفر بإعجاب الملك وحضوته ومنادمته،والحصول على جائزته ،وشيوع ذكره بين الرّعية وخارج دولته .فكان هؤلاء الملوك يتحينون المناسبات لعقد تلك المجالس ،وكلما كانت المناسبة كبيرةً كلما زاد عطاؤهم لمن يبدع فيها ،خاصّة اذا حضر تلك المجالس أدباء مبدعون أجانب.

وكان كسرى ممّن يهتمون بإظهار بذله وعطائه لمن يبدع في مجالٍ من المجالات المذكورة ولصلة ملوك المناذرة التي لم تنقطع بملوك الفرس ،وما لعبه هؤلاء الملوك من تشجيع الحركة الأدبية في المجتمع العربي القديم ،ولشدّة افتخارهم بما وُجد من إبداعٍ أدبي لدى أدباء العرب وشعرائهم كانوا يرسلون أشهرمن عُرف من هؤلاء في مجالسهم الى ملوك الدول القديمة آنذاك كالصين والروم وبخاصّة الفرس.

ولعل أشهرملوك المناذرة الذين كانوايحرصون على إظهارالفخروالاعتزاز بالانتماء العربي وتراثه،النعمان بن المنذرالذي عاصرالملك الفارسي كسرى ،فكان يبعث اليه في المناسبات الكبيرة جملةً من الشعراء والأدباء والحكماء والوصّافين العرب،لبيّن للفرس أن العرب أمّة لها حضارتها وأن حكماءها وأدباءها لهم من مَلَكة البيان وسحره مايضاهون ما وُجد عند غيرهم من الأمم المتمدّنة آنذاك .وكان من شدّة افتخار النعمان بن المنذر بالعرب ،ماجعل كسرى يعرّض بهم في احد مجالسه امام وفود الهند والصين والروم ،ويغمط حقهم ويزدري بلادهم ويطعن في عدم اجتماعهم على رأي رجلٍ واحدٍ وكثرة تشتّت كيانهم[2]،وكان النعمان حاضرًا فأغضبه حطّ كسرى من قيمة العرب امام الوفود فانبرى يدافع ويردّ ويفنّدماجاء على لسانه.ولماشعران الأمر يستلزم ايفاد خطباء العرب الى كسرى ليبيّن له قدر العرب

[1] - نفسه،ج8،ص776.

[2] - ابن عبد ربه(ابوعمرالاندلسي)،المرجع السابق،ج1،ص275.

وأخلاقهم ومناقبهم،ارسل اليه من هؤلاء اشهرهم،كما اسلفنا ذكر اسمائهم آنفًا،وكانوا سبعة،وفي روايات اخرى انهم كانوا عشرة، يضيفون الى السبعة السابقين:عمروبن الشريدالسُّلمي،والحارث بن عباد،وعلقمة بن علاثة[1] .

وكانوا قد قدموا اليه بالخورنق ،فقال لهم :قدعرفتم هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منها ،وقد سمعتُمن كسرى مقالات تخوّفتُ من ان يكون لها غور،وان يكون انما أظهرها لأمرأراد أن يتخذ به العرب عبيدًا كبعض رعيّته من الاعاجم في تأديتهم الخَراج اليه كما يفعل بملوك الامم الذين حوله واقتصّ عليهم مقالات كسرى وما ردّ عليه ،فقالوا: أيها الملك وفّقك الله ما أحسن ماررددت وأبلغ ماحججته به ،فمرنا بأمرك وأدعنا الى ما شئت ،قال :انما انا رجل منكم ،وانما ملكت وعززت بمكانكم ،وما يُتخوَّف من ناحيتكم ،والرأي ان تسيروا بجماعتكم ايها الرهط وتنطلقوا الى كسرى،فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ،ليعلم ان العرب غيرما ظنّ او حدّثته نفسه،ولا ينطق رجل منكم بما يُغضبه ،فإنه ملك عظيم السلطان،كثيرالاعوان،مُترفٌ مُعجبٌ بنفسه .ولا تتذللوا تذلل الخاضع،وليكن أمرٌ بين ذلك تظهر به وثاقة حلومكم وفضل منزلتكم وعظمة أخطاركم.

وليكن أول من يبدأ الكلام أكثم بن صيفي لسنّي حاله،ثم تتابعواعلى الامرمن منازلكم التي وضعتكم بها ،فإنما دعاني الى التقدمة بينكم علمي بميل كل رجل منكم على التقدّم قبل صاحبه،فلا يكونن ذلك منكم فيجد في آدابكم مطعنًا،فإنه ملك مُترفٌ وقادر مسلّطٌ[2] .

ولكنه شعربالهضم والظلم من كسرى لبني قومه،ففزع الى شيوخ الفصحى وأساطين البلاغة منهم،وابلغهم رغبته في اصطحابهم الى مدائن كسرى لكي يذودوامعاعن حياض أمتهم ويحموا كرامتهم بما أوتوا من قوة الحجة وسحر البيان فقالوا له :"ايها الملك مرنا بامرك، وادعنا الى ما شئت، ولابد ان ملك الحيرة يدعوهم لمثل هذه المناسبات ما بين فترة واخرى وعى التاريخ منها ما وعى، ونسي منها ما نسي،الا انه من المؤكد ان مثل هذه المواقف العصبية التي يمر بها هؤلاءالخطباء قدساهمت الى حدكبيرفي النهوض بمستوى الخطابة والارتقاء بفنها في الحيرة.

1- 4- 2- أيام العرب:

[1] - الضحيان(ابراهيم عبدالله)،المرجع السابق،ص646.

[2] - ابن عبد ربه(ابوعمرالاندلسي)،المرجع السابق،ج1،ص279.

شكّلت حروب العرب ومعاركهم الحربية سواءًا فيما بينهم كقبائل تتنافس وتتصارع حول المجد والاعتراف والقوة،أو تلك الحروب والمعارك التي كانت تدور بين هذه القبائل وأطراف أجنبية وعلى رأسهم الفُرس . وكان يغذّي تلك الصراعات والنزاعات ما نُفخ في نفوس قادة قبائلها من فخرٍ وحماسةٍ واعتزازٍ بالنسب والنفوذ والقوة ،ألهبته الخُطب التي كانت غالبًاما تستثير عواطفهم وتستنهض هِمَمهم ،ولولا ماحفظته تلك الخُطب التي دُوّنت متأخرةً عن زمنها أو خلّدتها اشعارالشعراء في قصائدهم ماوصلنا خبرٌ من ذلك[1] .

وقدعُرفت تلك الحروب والغزوات بأيام العرب،وأيام القبائل .وتداول الجاهليون أخبار تلك الغزوات وصيّرت القبائل المنتصرة فيها ملاحم تعيدفي كل مرّةٍ قصّها في مجالسها وأنديتها وزخرفت تلك القصص بأخبار الشجعان الذين برزوا فيها .

ومن ذلك يمكنناأن نستشفّ القيمة التاريخية لتلك الأخباروالخطب التي كانت تحثّ أفراد القبيلة بذكر أسمها والتنويه بأسماء الأبطال الذين برزوا فيها. لذلك كان لمكانة الخطيب في القبيلة او عند ملوك المناذرةمقامٌ كبيرٌ لفصاحته وبيانه وقدرته في الدفاع عن قومه والذّب عنهم والتكلّم بأسمائهم[2] .

وكان الشاعر أرفع قدْرًا من الخطيب وهم أحوج لردّه مآثرهم عليهم وتذكيره بأيامهم،فلماكثرالشعراء والشعر،صارالخطيب لفرط حاجتهم الى الشعرالذي يقيّد عليهم مناقبهم ويفخّم شأنهم ويهوّل على عدوّهم ومن غزاهم ويهيب فرسانهم،ويخوّف من كثرة عددهم ويهابهم شاعرُ غيرهم فيراقب شاعرهم ،فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبةً ،ورحلوا السّوقة وشرعوا الى اعراض الناس،صارالخطيب فوق الشاعر ولذلك قال الأُوَل :الشعر أدنى مروءة السرى وأسرى مروءة الدني[3].

فكانت الحروب والأيام التي وقعت بين العرب في الجاهلية عمومًا وفي دولة المناذرة خصوصًا مدعاةً دائمةً لتلك الخُطب النيّرة ،يقول الألوسي :"من المعلوم ماكان عليه العرب أيام جاهليتهم من الأنفة والتفاخر بالاحساب والانساب والمحافظة على شرفهم وعلوّ مجدهم وسؤددهم ،حتى حدث ما حدث بينهم من الوقائع والايام والخطوب والمهام ،ولا شك ان كل قومٍ يتّفق لهم مثل ذلك ،هم أحوج الناس الى ما يستنهض هممهم ،ويوقظ أعينهم ويقيم قاعدهم ،ويشجّع جبانهم ويشدّ جنانهم – الى ان

[1] – جواد(علي)،المرجع السابق ،ج8،ص335.

[2] – نفسه،ص336.

[3] – الجاحظ(ابوعثمان عمرو بن بحر)،المصدر السابق،البيان والتبيين،ج1،ص231.

يقول – ولذلك كثر فيهم الخَطب والخطباء ،حتى كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيبٌ كماكان لكل قبيلة شاعرٌ[1].

وكان نصيب ملوك المناذرة على امتداد تاريخ دولتهم غير يسير ،اذ تجاوزت وقائع تلك الايام سبعة وعشرين موقعة ،او يومًا اغلبها كان مشهودًا .وكان ختامها اليوم المعروف بذي قار الذي انتصر فيه العرب على الفُرس .ولا يمننا ان نأتي على تفصيل تلك الايام ولكن نذكر اهمها،وعلى الخصوص ماارتبط بعنصر الخطابة.ولعلّ اهم ايام ملوك المناذرة التي كان طرفها الثاني في الغالب من القبائل العربية، والتي كثُر فيها الشعر والخطابة واشتهرت بين العرب :

1- 4- 2- أ- يوم ذات الشقوق ،او جِفر الأملاك :

ووقعت احداث هذا اليوم في عهد المنذر بن ماء السماء ،وكان قيس بن سلمة بن حجر آكل المرار من قبيلة كِندة ،أغار على المنذر بن ماء السماء في الحيرة فهزمه حتى أدخله قصرالخورنق ومعه ابناه قابوس وعمرو ،فجعل يقول:ياليت هندًا ولدت ثالثًا ،وكانت هند عمّة قيس وهي ام ولد المنذر ،فمكث المنذر بن ماء السماء عامًا ،ثم أغار على بني كندة بذات الشقوق ،فأصاب منهم اثني عشرشابًا من بني حجر بن عمرو كانوا يتصيّدون،وأفلت منهم امرؤ القيس الملك الشاعر على فرس شقراء وقدم المنذر بالفتية الى الحيرة فحبسهم بالقصر الابيض شهرين ،ثم أرسل اليهم ان يؤتى بهم ،فخشي أن لا يؤتى بهم حتى يؤخذوا من رسله ،فأرسل إليهم ان اضربوا أعناقهم حيث ما أتاكم الرسول ،فأتاهم الرسول وهم عند الجِفر فضربوا اعناقهم فسمي جفر الأملاك ،وهوموضع دير بني مرينا[2].

1- 4- 2- ب- يوم أوارة الأول : وهو من الايام المشهودة التي كثرت حولها الخطب والاشعار وخلدها تراث العرب في الجاهلية ايام المناذرة ،وحدثت ايضًا في عهد المنذر بن ماء السماء ،وكان سببه ان قبيلة تغلب كانت قد اخرجت سلمة بن الحارث عنها لمناوءته مُلك المناذرة ،فالتجأ الى قبيلى بكر بن وائل وصار عندها فأذعنت له وحشدت عليه حماية له ،وقالوا :لا يملكنا غيرك ،وتمرّدوا على ملك المنذر بن ماء السماء ،فبعث اليهم هذا الاخير يدعوهم الى طاعته ،فأبوا ذلك فحلف المنذر ليسيرن اليهم ،فان ظفربهم ليذبحنهم على جبل قُلّة جبل اوارة المجاور لهم ،فالتفوا بالجبل واقتتلوا قتالاً

[1] – الألوسي(محمود شكري)،المرجع السابق،ج3،ص151.

[2] – عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص329.

شديدًا ،وانتهت المعركة بهزيمة بكر وأسر يزيد بن شرحبيل الكندي فأمر المنذر بقتله ،وقتل في المعركة عددٌ كبيرٌ وأسر من بكر عدد كبير فأمر بهم المنذر فذُبحوا على جبل أوارة ،فجعل الدم يجمد فقيل له :أبيت اللعن ،لو ذبحت كل بكري على وجه الارض ، لم تبلغ دماؤهم الحضيض ،ولكن لو صببت الماء عليه ،فأمر بذلك .وكان رجلٌ من قيس بن ثعلبة منقطعًا الى المنذر،فكلّمه في سبي بكر بن وائل ،فأطلقهن المنذر[1] .

1- 4- 2-ج- يوم طخفة : كان بنو يربوع يتولون الردافة،وهي بمثابة الوزارة لدى ملوك المناذرة،وكانوا قد ورثوها كابرًاعن كابرٍ،فهي منزلة اجتماعية وسياسية هامة لم ينلها غيرهم من القبائل العربية ،وفي ذلك تأييد لقربهم وتمكّنهم من البلاط الحيري وكان سبب نيلهم لها ،انه لم يكن أحدٌ من العرب أكثر إغارةً على ملك المناذرة من بني يربوع ،فصالحوهم على ان جعلوا لهم الردافة،وان يكفّوا الغارة على اهل العراق ،ولاشك ان تلك المنزلة بما تضمنته من امتيازات كانت اهميتها بمكانٍ ،حيث كان الرديف يجلس على يمين الملك ،فإذا شرب الملك شرب الرديف بعده قبل الناس ،وإذا غزا الملك جلس الرديف مجلسه وخلفه في الملك على الناس حتى يرجع[2] .وكان اول من ردف من بني يربوع عتّاب بن هرمي اليربوعي،ثم ابنه عوف بن عتّاب،ثم ابنه يزيد بن عوف وكان حديث السّن ،حيث تمّت في عهده موقعة طِخفة المعروفة في ايام العرب[3].

كان حاجب بن زرارة الدارمي التميمي،قد سأل النعمان بن المنذر ان يجعل الردافة للحرث بن بيبة الدارمي التميمي ،فقال النعمان لبني يربوع في ذلك ،وطلب منهم ان يجيبوا لذلك ،فامتنعوا .وكان منزلهم اسفل موضع طِخفة ،فبعث اليهم النعمان بن المنذر قابوس ابنه وحسّان اخوه ،وجعل الامارة لقابوس والمقدمة لحسّان وضمّ اليهما جيشًا من الصنائع والوضائع وناس من تميم وغيرها وساروا حتى أتوا طخفة فالتقوا وبنو يربوع واقتتلوا،وصبرت بنويربوع،وانهزم قابوس ومن معه وضرب أحد بني يربوع يقال له طارق بن عميرة فرس قابوس فعقرها وأسر قابوس واراد ان يجزّ ناصيته،فقال:ان الملوك لا تجزّ نواصيها ،فأرسله .واسر حسّان أحد بني يربوع يقال له بشربن عمروفمنّ عليه وأرسله،وعاد المنهزمون الى النعمان،وكان شهاب بن قيس بن كياس من بني يربوع عند الملك النعمان فقال له النعمان:

---

[1] – ابن الاثير(ابوالحسن علي)،المصدر السابق،ج1،ص473.

[2] – محمد(ابوالفضل ابراهيم)وعلي(محمدالبجاوي)،المرجع السابق،ص79

؛ابوعبيدة(معمربن المثنى)،المرجع السابق،ج1،ص299.

[3] – ابن عبد ربه(ابوعمراحمدالاندلسي)،المرجع السابق،ج6،ص87.

ياشهاب أدرك ابني واخي،فإن ادركتهما حيّين فلبني يربوع حكمهم واردعليهم ردافتهم،واترك لهم ما قتلواوما غنموا واعطيهم ألفي بعير ،فسار شهاب فوجدهما حيّين فأطلقهما،ووفّ النعمان لبني يربوع بما قال ولم يعرض لهم في ردافتهم[1] . وكانت لوقائع هذه الموقعة اثار خلدتها خطب واشعار جادت بها قريحة ادباء العرب وتناقلوها.

1- 4- 2- د- يوم ذي قار:وقد عُرف هذا اليوم في تاريخ العرب بتسميّات مختلفة لما له من أهمية ،فهو يوم الحِنوْ ،ويوم قراقر،ويوم الجبابات ،ويوم ذات العجرم .

وكان كسرى قد كتب الى اياس بن قبيصة يأمره انيضمّ ماكان للنعمان بن المنذربعد سجنه فأبى هانئ بن قبيصة ذلك ،فغضب كسرى وأراد استأصال بنب بكر بن وائل .وقدم عليه النعمان بن زرعة التغلبي وقد طمع في هلاك بكر بن وائل ،فقال :ياخير الملوك ،ألا أدلك على غِرّة بكر؟ ،قال كسرى : بلى ،قال : أقرّها واظهر الاضراب عنها،حتى يجليها القيظ،اي الحرّ،ويدنيها منك .فإنهم لو قاضوا تساقطوا عليك بمالهم واديًا يقال له :ذو قار ،تساقط الفراش في النار.فأقرّهم حتى اذا قاضوا ،جاءت بكر بن وائل ،حتى نزلوا الحِنو حِنوذي قار،فأرسل اليهم كسرى ،النعمان بن زرعة يخيّرهم بين ثلاثة خصال :إما ان يُسّموا الحِلقة وهو مال النعمان بن المنذر الذي أودعه هانئ بن قبيصة واستمأنه عليه ،وإما ان يعيروا الديار ويفارقوها ،وإما ان يأذنوا بحربٍ .فتنازعت وتناقشت بكر بينها،فهمّ هانئ بن قبيصة بركوب الفلاة ،واشار به على بكر،وقال :لاطاقة لكم بمجموع الملك.وقال حنظلة بن ثعلبة العجلي:لارى غير القتال ،فإنّا اذا ركبنا الفلاة مِتنا عطشًا ،وان اعطينا بأيدينا تُقتل مقاتلتنا وتسبى الذراري .فراسلت بكر بينها وتوافت بذي قار .

ورؤساء بكريومئذٍ ثلاثةنفرٍ:هانئ بن قبيصة ،ويزيد بن مسهر الشيباني ،وحنظلة بن ثعلبة العجلي.

فقام حنظلة بن ثعلبة وقال لهانئ بن قبيصة : ياأباأمامة ،ان ذمتكم ذمتنا عامة ،وانه لن يوصَل اليكم حتى تفنى ارواحنا ،فأخرج هذه الحِلقة ففرّقها على قومك ،فإن تظفرفستُردّ عليك عليك ،وان تهلك فأهون مفقودٍ ،فأمرها فأخرجت وفرّقت بينهم وقال للنعمان بن زرعة:لولا انك رسولٌ،ماأُبت الى قومك سالما .

[1] – ابن الاثير(ابوالحسن علي)،المصدر السابق،ج1،ص512
؛ابن عبد ربه(ابوعمراحمدالاندلسي)،المرجع السابق،ج6،ص88
؛عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص 333 .

فعقدكسرى للنعمان بن زرعة على تغلب والنمر،وعقدلخالد بن يزيد البهراني على قضاعة واياد،وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب،ومعه الشهباء ودوسر وعقد للهامرز التستري على ألف من الاساورة،وكتب الى قيس بن مسعود ذي الجدّين،وامره ان يوافي اياس بن قبيصة ففعل . فلما دنى من بكرٍ استلّ قيس الى قومه ليلاً فأتى هانئًا فأشارعليهم ،كيف يصنعون وأمرهم بالصبرثم رجع،فلما التقى الزحفان وتقارب القوم،قام حنظلة بن يسارالعجلي فقال:معشر بكر،ان النشّاب الذي مع هؤلاء الاعاجم تفرّقكم،فعاجلوهم اللقاء وابدأوهم بالشدّة ،فقال هانئ بن قبيصة :ياقوم مَهلكٌ مقدورٌ،خيرٌ من منجىً مغرورٍ،ان الجزع لايردّ القَدر،وان الصبر من اسباب الظفر،المنية خيرٌمن الدنية ،واستقبال الموت خيرٌ من استدباره ،فالجدُّ الجِدُّ فما من الموت بُدُّ. ثم قام حنظلة فقطع أحزمة الرّحل التي تحمل النساء فسقطن الى الارض،وقال:ليقاتل كل رجلٍ منكم عن حليلته. فتجالد القوم،وقتل يزيد بن حارثة اليشكري الهامرزمبارزةً .

وضرب الله وجوه الفُرس فانهزموا،فاتّبعهم بكر حتى دخلوا السواد في طلبهم يقتلونهم،وأُسرالنعمان بن زرعة التغلبي،ونجى ايّاس بن قبيصة على فرسه الحمامة[1] . وقد خلدت مجريات هذه الواقعة التي انتصر فيها العرب على الفرس مجموع القصائد الكثيرة التي قيلت فيها ،كما خلدتها تلك الخطبة المدوية التي ألقاهاهانئ بن قبيصة الشيباني يستحث القوم على الثبات والصبر.

ويرى الضحيّان ان أهمية هذه الخطبة من حيث مناسبتها وامرها الخطير في تاريخ العرب والفرس على السواء،هوالسبب الذي جعل العرب يحفظون ما فيل في هذه الموقعة عن ظهر قلبٍ حتى وصلت عهد التدوين فدوّنت ،ولولا قوة تلك المناسبة وتأثيرها ماحفظت ووصلت إلينا،رغم ان بعض الخطب الاخرى التي لم تدوّن وكانت قريبة زمنيًا لوقعة ذي قار،الأن اغلبها قد ضاع ولم يدوّن ،فيقول :" ان ندرة المناسبة هي التي تحكم بقاء هذا الخطب اوعدم بقائها،بدليل أننا رأينا خطبة هاني بن قبيصة الشيباني في موقعة ذي قار بقيت وخُلّدت وظل العرب يتناقلونها فيما بينهم حتى وصلت الى أيدي الرواة فسجلوها ضمن ما سجلوا من خطب الجاهلين،فالفارق الزمني بين هذه المعركة وسائرايام العرب ومنها ايام المناذرة ليس بعيدًا،حتى يُعزى ضياع نصوصها الى انها بعيدة أو موغلة في القِدم . إلا ان هذه الخطبة صاحبت موقفًا حرجًا وعصيبًا ازاء خطر كان يتهدّد كيان العرب آنذاك وكرامتها

[1] – ابن عبدربه(ابوعمراحمدالاندلسي)،المرجع السابق،ج6،ص111
؛ابن الاثير(ابوالحسن علي)،المصدر السابق،ج1،ص380
؛الطبري(محمدبن جرير)،المصدر السابق،ج1،ص291.

ومصيرها،فإن كسرى كان يرمي من وراء هذه الحملة الى كسر أنفة العرب،وهدم عزتهم الى الأبد،مماجعلهم يتّحدون لأول مرةٍ ويجتمعون على قائدٍ واحدٍيخلّصهم من هذاالبلاء،ويرفع عنهم هذا العارالذي سيلحقه بهم كسرى[1]".

وفي ذات السياق نجدشوقي ضيف يقول :" واذا ذهبنا نستقرأالنصوص عن اساليب خطابتهم وهل كانوا يعمدون فيها الى الاسلوب المرسل ،اوالى الاسلوب المسجّع،وجدنا أنفسنا إزاء تراثٍ متّهمٍ لا يمكن الاعتماد عليه في الاستنتاج ،لما قررنامرارًا،ان حقبًا متطاولة تفصل بين العصرالذي دونت فيه تلك الخطب والآخر الذي قيلت فيه .ومع ان الكثرة الكثيرة منتحلة ،نلاحظ ان من نحلوها من الجاهليين انما قاسوها على امثلة رويت لهم[2] " .

ولم نجدمن تدوينًالأغلب خطب اولئك الخطباء المفوّهين المعروفين في كتب الادب او مايتصل بها.فلاوجود لخطب مونة ذات اصول لأشهر الخطباء مثل:أكثم بن صيفي،وحاجب بن زرارة وضمرة بن ضمرة،وعامربن جوين الطائي .

وحاول الضحيّان تفصيل الاسباب التي ادت الى ذلك ،محاولاً حصرها في سببين رئيسيين،اولاها يتعلق بتطور اللغة العربية نفسها،والثاني يتعلق بارتباط الخطب التي حفظت من الضياع عن طريق الاستذكار والاعادة ،بالمناسبات الجليلة التي قيلت فيها.ويرى ان اللغة العربية ويقصد بها لغة قريش التي عرفت بها، لم يكتمل نضوجها واكتمالها في عهد عمروبن هندومن سبقه من الملوك – حسبه– لذلك لانجد كثير انتاج بالمقارنة ماعرفه عهد النعمان بن المنذر الذي اكتملت فيه اللغة .

ويرى في تبريره للسبب الثاني ان عظم المناسبة هي الداعي الى حفظ الخطبة التي قيلت فيها ،ففيما لم تحظ اغلب الخطب التي قيلت في بلاط ملوك المناذرة ،لانها كانت عادية ومتكرّرة ،لذلك تساهل الرواة في حفظها وهو العامل الذي ادى الى ضياع اغلبها،بينما نجد خطبًا اخرى ارتبطت بمناسبات مهمذة بقيت محفوضة،مثل ذلك قدوم اكثم بن صيفي للتعزية في مصاب اخي عمرو بن هند،وماتقديم قبائل العرب له ليصدح بما اوتي من حكيم الكلم ،الا إعترافًا منهم به واستمتاعًا بما تجود به قريحته في هذه المناسبة الكبيرة،ولذلك يرى انها دوّنت.فكان خطب المكان وجلال المناسبة وعظم الموقف،هي العوامل والأسباب التي تحكم بقاء هذه الخطب أوعدم بقائها[3].ويمكننا القول أن

[1] – الضحيان(ابراهيم عبدالله)،المرجع السابق،ص641.

[2] – شوقي (ضيف)،المرجع السابق،ص417.

[3] – الضحيان(ابراهيم عبدالله)،المرجع السابق،ص637.

الخطابة كانت مزدهرة في الجاهلية،يدلّ على ذلك مااسلفنا ذكره،فقدتوفرت للعرب الحرية التي كفلت لهم ان يقفواويخطبوافي كل موقف يسترعيهم،في الندوات والمجالس،خلال الحرب وفي فترات السلم،وبمختلف الاغراض كالنصح والإرشاد،وحتى الزواج،حريصين على ان تؤثرخطبهم تلك فيمن يستمعون إليهم .

1- 4- 3- أثربلاط المناذرة :

كان لتشجيع ملوك المناذرة على الحركة الادبية دورٌ كبيرٌ في ازدهار وتطوّر الخطابة كلون من الوان الابداع الادبي الذي كان يضجّ به بلاط المناذرة ،ومن صور تشجيع ملوك المناذرة ومساهمتهم في اثراء الحياة الادبية في دولتهم ،ان رصدوا الجوائز والعطايا المغرية التي كانوا يغدقونها على الشعراء والخطباء في بلاطهم اثناء مجالسهم التي كانوا يعقدونها خصيصًا لهذا الغرض ،ومن امثله ذلك ما ذكرته المصادر القديمة ،من ان النعمان بن المنذر عندما اجتمعت عنده وفود العرب ،اخرج اليهم بُردي مُحرّق ،وقال لهم :ليقم أعزّ العرب قبيلة فليلبسهما ،فقام عامر بن بن أحيمر بن بهدلة ،فاتّزربأحدهما وتردّى بالآخر ،فقال له النعمان :أنت أعز العربقبيلة ؟،قال:العزّ والعدد من العرب في معدّ ،ثم في نزار،ثم في مضر،ثم خندف ،ثم في تميم ،ثم في سعد ،ثم في كعب ،ثم في عوف ثم في بهدلة ،فمن أنكر هذا من العرب فليناظرني. فسكت الناس ،فقال النعمان :هذه حالك في عشيرتك فكيف أنت كما تزعم في نفسك وأهل بيتك ؟،فقال:أبو عشرة،وعمّ عشرة،وخال عشرة وأما انا في نفسي فهذا شاهدي ،ثم وضع قدمه في الارض،وقال:من أزالها فله مائة من الابل ،فلم يتعاطَ ذلك أحدٌ .فذهب بالبردين ولقّب بهما.وفيه يقول الفرزدق[1] :

فلما تمّ في سعد ولآل مالك فلامٌ اذا سيل لم يتبهدل

لهم وهب النعمان بردي محرّق لمجد معدّ والعديد المحصّل

فكان من الطبيعي في وجود كل تلك الاغراءات والحوافز والشهرة والاعتراف بين العرب ان تعجّ الوفود وتضجّ بالأدباء والفصحاء والخطباء في بلاط ملوك المناذرة،من الذين يطلبون الفخروالجائزة لأنفسهم وقبائلهم،وبالتالي أدّى ذلك التنافس الى ازدهار وتطورالخطابة مثلها مثل الفنون الأدبية

[1] – ابن عبدربه(ابوعمراحمدالاندلسي)،المرجع السابق،ج6،ص179.

المعروفة آنذاك.وكانواكثيرًا ما يخطبون في وفادتهم على الأمراء،اذ يقف رئيس الوفد بين يدي الأميرمن الغساسنة اوالمناذرة فيحييه،متحدّثًا بلسان قومه[1].

ونظرًا لما يمثّله الوفود على بلاط ملوك المناذرة من تحدٍّ في حد ذاته،فإن الخطيب من العرب اذا أراد المثول بين يدي ملك من ملوك المناذرة،فإنه يعمل جهده وفكره في تخريج احسن ما يمكن ان يقول من خطابة،ولا يخرجها الا بعدتمحيص وتدقيق شديدين،وان يتأدب بأداب الدخول على الملوك المعروفة بين سادة العرب واشرافها. وبلغ عدد من ذكرتهم المصادر من الخطباء ما يناهز الثلاثين خطيبًا،وغالبًا ماكان الملك من المناذرة يتخذ من هؤلاء منادمًا اذا اعجبه منطقه وخطابه ،ومن هؤلاء بالاضافة الى من ذكرناه ،الربيع بن زياد وخالد بن جعفر والحارث بن ظالم ،ابوعمارالطائي صديق ابوقردودة الشاعر،وقد قتله النعمان بن المنذر،عندما ثمل يومًا فعربد عليه،وقدرثاه ابوقردودة بعد ان نهاه على منادمة النعمان بن المنذر،فلم ينته[2].ولعل اشهرهؤلاء اكثم بن صيفي الذي كان كثير الوفود على بلاط المناذرة،ويرافق أحيانًا النعمان بن المنذرفي وفادته على كسرى .

ومن المواقف التي تدل على بلاغة الكثيرمن هؤلاء الخطباءلدرجة ان اقتصرت خطاباتهم على كلمات موجزة لاتوشك عند كتابتها ان تتجاوزالسطرين أوالثلاثة،وقدعدّ العرب الايجازوعدم الاطالة مثلبة في الخطاب فاستحبوه،ومن ذلك قول ضمرة بن ضمرة حين قال النعمان بن المنذر المثل السائر:تسمع بالمعيدي خيرمن لن تراه ،موجّهًا الكلام له ،فقال ضمرة :أبيت اللعن واسعد الاهك ان القوم ليسو بجُزُرٍ،انمايعيش المرءبأصغريه،قلبه ولسانه،فإذا نطق نطق ببيانٍ،وإذاقاتل قاتل بجنانٍ[3].فعُدّ ذلك من افصح البيان،وابين الخطب.ومنه ماجاءعلى لسان النعمان بن المنذرنفسه من بيان،مثل ذلك قوله:الرفق يمن والحزق شؤم،وخيرالسخاء ما وافق المقدرة،ومن سأل فوق حقه استحق الحرمان ومن ألحف في مسألته استحق المطل[4].

ولعل اشهرالخطباء الذين شهدلهم الرسول صلى الله عليه وسلم،قِسّ بن ساعدة،وكان قدشاهده بسوق عكاظ بمكة وهوصغيرفقال عنه:"رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر،وهو يقول:أيها الناس

[1] – شوقي (ضيف)،المرجع السابق،ص417.

[2] – المرزباني(ابوعبيدالله محمد بن عمران)،المرجع السابق،ص59.

[3] – عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص546.

[4] – ابن عبد ربه(ابوعمراحمدالاندلسي)،المرجع السابق،ج2،ص287.

اجتمعواواسمعوا وعوا،من عاش مات،ومن مات فات،وكل ماهوآتٍ آت[1] "،وهوالقائل في هذه الخطبة:" آياتٌ محكماتٌ مطرٌونبات،وآباءٌوأمهات،وذاهبٌ وآت،ضوءٌوظلام،وبرٌّوآثام،ولباسٌ ومركب ومطعم ومشرب،ونجومٌ تمور،وبحورٌلاتغور،وسقفٌ مرفوع،ومهادٌموضوع وليلٌ داجٍ،وسماءٌذات ابراج،مالي أرى الناس يموتون ولايرجعون،أرضوا فأقاموأم حُبسوا فناموا[2] " وهوالذي قال فيه في الحديث الشريف:"يرحم الله قِسّا ،إني لأرجو ان يُبعث أمّة وحده[3] " وبذلك يعلم أنه لم يكن على دين من الاديان المشهورة،ومن نسبه الى يهودية اونصرانية فقد لحن في مقاله،وانحرف عن جادة الصواب،وقد سبق ذكره فيمن كان على التوحيد من العرب[4] .

1- 5 - تقاليد العرب في الخطابة :

كان للعرب اعتناء بالخطابة في الجاهلية أكثرمن اعتنائهم بها في الاسلام،فكانت لهم فيها عادات وشؤون .فمن عاداتهم فيها أنهم كانوا يتخيّرون لها أجزل المعاني وينتخبون لها أحسن الالفاظ تحصيلاً لغرضهم ونيلاً لمقصدهم،لأن المعاني الرائقة والمعاني الجزلة أوقع في النفوس ،وأشدّ تأثيرًا في القلوب،وأيقض للهمم[5].والأذن للكلام البليغ أصغى وأوعى،والطبع السليم الى كل مستحسنٍ أميل،والترغيب في العاجل والترهيب في الآجل،اللذان هما من أهم مقاصد الخطابة ومطالبها العالية،إذ لم يكونا بعبارات تخلب القلوب وتأخذ بمجامعها فلا تأثير ولا فائدة منها .

ومن التقاليد التي درج العرب عليها في الخطابة،ان يكون الخطيب على زيٍّ مخصوصٍ في العمامة واللباس تنويهًا بشأنه وأدعى الى تحقيق الغرض المقصود.

كما استحسنوا فيه ان جهيرالصوت،ولذلك مدحواسِعة الفم وذمّواصغره،حتى قيل لأعرابي:ماالجمال؟،قال:طول القامة وضخم الهامة ورحب الشدق،وبُعد الصوت.كماسئل أعرابي آخر:ماالجمال؟،قال:غؤورالعينين وإشراف الحاجبين،ورحب الشدقين.ومن تلك التقاليد التي ألفها العرب في ابجديات خطبهم،إن الخطيب اذاخطب في تفاخر،أوتنافر أوتشاجر،رفع يده ووضعها،وأدّى

---

[1] – الجاحظ(عمرو بن بحر)،المصدر السابق،البيان والتبيين،ج1،ص308.

[2] – نفسه؛ شوقي (ضيف)،المرجع السابق،ص415.

[3] – الالوسي(محمود شكري)،المرجع السابق،ج3،ص155.

[4] – نفسه.

[5] – الجاحظ(عمرو بن بحر)،المصدر السابق،البيان والتبيين،ج3،ص117.

كثيرًا من مقاصده بحركات يده فكان ذلك أعون له على غرضه،وأرهب للسامعين،وأوجب لتيقّضهم وهوالشذّر المذكور في قول لبيدالشاعر[1] :

غلب تشذّر* بالذُّحول** كأنها جنُّ البَديِّ رواسيًا أقدامها

ومن عادات الخطباء،أخذالمخْصَرة بأيديهم،وهوما يُتوكأ عليه كالعصا ونحوه أو ما يأخذ الملك يشيربه اذاخاطب،والخطيب اذاخطب،فلايخطبون إلابالمخاصروكانوايعتمدون على الأرض بالقِسِّي،ويشيرون بالعصاوالقنا،ومنهم من كان يأخذ المخصرة في خطب السلم،والقِسّي في الخطب عند الخطوب والحروب[2].

1- 6 - أمثلة عن بعض خطب المناذرة وما اتّصل بهم :

1- 6-1- خطبة النعمان بن المنذرعند كسرىأبرويز[3] :

قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ،فذكروا من ملوكهم وبلادهم ،فافتخرالنعمان بن المنذر بالعرب وفضّلهم على جميع الامم ،لايستثني فارس ولاغيرها.فقال كسرى،وقد اخذته عزة الملك :يانعمان ،لقد فكرت في امر العرب وغيرهم من الأمم،ونظرت في حال مايقدم عليّ من وفود الامم ،فوجدت الروم لها حظٌّ في اجتماع ألفتها وعظم سلطانها وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها ،وان لها دينًا يبيّن حلالها وحرامها ،ويردّ سفيههاويقيم جاهلها ورأيت الهند نحوًا من ذلك في حكمتها وطبها مع كثرة انهار بلادها وثمارها وعجيب صناعتها وطيب اشجارها ودقيق حسابها وكثرة عددها ،وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعة ايادِيها في آلة الحرب وصناعةالحديد ،وفروسيتها وهمّتها،وان لها ملكًا جمعها.والترك والخزرعلى مابهم من سوء الحال في المعاش وقلة الريف والثمارالحصون،وماهو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لهم ملوك تضمّ قواصيهم وتدبّرأمرهم ،ولم أرللعرب شيئًامن خصال الخيرفي امردينٍ ولا دنيا،ولاحزمٍ ولا قوةٍ،مع ان مايدل على مهانتهاوذلها وصغرهمّتها،محلّتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة،والطيرالحائر،يقتلون اولادهم من الفاقة،ويأكل بعضهم بعضًا من الحاجة .قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها ،فأفضل

---

[1] – الالوسي(محمود شكري)،المرجع السابق،ج3،ص153.

* الشذر: رفع اليد ووضعها ،نفسه.

**الذحول: جمع ذَحل وهو الحقد ،نفسه.

[2] – نفسه .

[3] – ابن عبد ربه (ابوعمر احمد الاندلسي)،المرجع السابق،ج1،ص ص 275 – 278 .

طعام ظفر به ناعمهم ،لحوم الابل التي يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها ،وان قرى احدهم ضيفًاعدّها مكرمة ،وان أُطعم أكلة عدّها غنيمة ،تنطق بذلك اشعارهم ،وتفتخر بذلك رجالهم ،ما خلا هذه التنوخية التي أسس جدي اجتماعها وشدّ مملكتها ،ومنعها من عدوها ،فجرى لها ذلك الى يومنا هذا ،وان لها مع ذلك أثارًاولبوسًا وقرىً وحصونًا ،وامورًا تشبه بعض أمورالناس .ثم لا اراكم تستكينون على مابكم من الذلّة والقلّة والفاقة والبؤس ،حتى تفتخروا وتريدون ان تنزلوا فوق مراتب الناس. فقال النعمان :أصلح الله الملك ،حقّ لأمةٍ الملك منها ان ينمو فضلها ويعظم خطابها وتعلو درجاتها،الا ان عندي جوابٌ لكل مانطق به الملك ،في غير ردّ عليه ولا تكذيب له ،فإن أمّنني من غضبه نطقت به. قال كسرى :قل ،فأنت آمن .

قال النعمان :أماأمتك ايها الملك فليست تُنَازع في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها وأقلامها،وبسطة محلّها،وبحبوحة عزّها ،وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك،وأما الملوك التي ذكرتَ،فأيّ أمة تقرنها بالعرب الا فضلتها ،قال كسرى: بماذا؟،قال النعمان: بعزّتها ومنعتها وحسن وجوهها،وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها،وشدة عقولها وألفتها ووفائها .

فأمّاعزّها ومنعتها: فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ،ووطّدوا الملك وقادواالجند ، لم يطمع فيهم طامع ،ولم ينلهم نائل ،حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض وسقوفهم السماء وجنتهم سيوفهم ،وعدّتهم الصبر،اذغيرها من الامم انما عزهاالحجارة والطين وجزائر البحور.وأمّا حسن وحوهها وألوانها:فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند والصين المنحفة ،والترك المشوّهة والروم المقشّرة .وأمّا أنسابها وأحسابها ،فليست أمة من الامم الا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثير من أولها ،حتى ان احدهم ليُسأل عمّن وراء ابيه فلا ينسبه ولايعرفه،وليس أحدٌ من العرب الايسمّي آباءه أبًا فأبًا حاطوا بذلك احسابهم وحفضوا به انسابهم ،فلا يدخل رجلٌ في غير قومه،ولا ينتسب الى غير نسبه ،ولا يُدعى الى غيرأبيه . أمّا سخاؤها فإن أدناهم رجلاً،الذي تكون عنده البكرة ووالناب عليها عليها بَلاغه في حمولةٍ وشبعٍ وريّةٍ فيطرقه الطارق الذي يكتفي الفلذة ويجتزئ بالشربة فيعقرها له ويرضى ان يخرج عن دنياه كلها فيما يُكسبُه حُسن الاحدوثة وطيب الذكر[1] .وأمّا حكمة ألسنتهم،فإن اله تعالى أعطاهم في اشعارهم رونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للامثال وإبلاغهم في الصفات ماليس لشيء من ألسنة الاجناس،ثم خيلهم أفضل خيل

[1] – نفسه.

ونساؤهم أعفّ النساء ولباسهم أفضل اللباس،ومعادنهم الذهب والفضّة وحجارة جبالهم الجزَع ومطاياهم التي لايبلغ على مثلها سفر،ولايُقطع بمثلها بلدٌ قفر.وأمّا دينها وشريعتها: فإنهم متمسّكون به حتى يبلغ أحدهم من نُسُكه بدينه أن لهم أشهرًا حُرُمًا وبلدًا محرّمًا وبيتًامحجوجًا ينسكون فيه مناسكهم،ويذبحون فيه ذبائحهم .فيلقى الرجل قاتل ابيه أو أخيه وهوقادرٌعلى أخذ ثأره وادراك رغبته منه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى .

أمّاوفاؤها فإن أحدهم يلحظ اللحظة ويومئ الإماءة فهي ولثٌ وعقدة لايحلّها ألا خروج نفسه،وإن أحدهم ليرفع عودًا من الارض فيكون رهنًا بدَينه فلا يغلق رهنه ولا تُخفر ذمّته ،وان أحدهم ليبلغه أن رجلاً استجاره،وعسى ان يكون نائيًا عن داره فيصاب ،فلا يرضى حتى يُفني تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما خُفرمن جواره .وانه ليلجأ اليهم المجرم المحدث من غيرمعرفة ولا قرابة ،فتكون أنفسهم دون نفسه أموالهم دون ماله.

وأمّاقولك :إن أفضل طعامهم لحوم الابل على ماوصفت منها،فما تركوا مادونها إلا احتقارًا له فعمدوا الى أجلّها وأفضلها،فكانت مراكبهم وطعامهم مع انها أكثر البهائم شحومًا وأطيبها لحومًا وارقّها ألبانًا وأقلّها غائلة وأحلاها مضغة ،وانه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها إلا استبان فضله عليه .وأمّا تجارتهم وأكل بعضهم بعضًا وتركهم الانقياد لرجلٍ يسوسهم ويجمعهم فإنما يفعل ذلكمن يفعله من الامم إذا أنست من نفسها ضعفًا وتخوّفت نهوض عدوّها اليها بالزحف ،وانما يكون في المملكة العظيمة أهل بيتٍ واحدٍ يعرف فضلهم على سائرغيرهم ،فيلقون اليهم أمورهم وينقادون لهم بأزمّتهم.واما العرب فإن ذلك كثير منهم ،حتى لقد حاولوا ان يكونوا ملوكًا جميعًا،مع أنفتهم من آداء الخراج والوطف بالعسف.

وأمّا اليمن التي وصفها الملك فإنما أتى جدُّ الملك وليّها الذي آتاه منذ غلبة الحبش له على ملك متّسقٍ وأمرٍجامعٍ،فأتاه مسلوبًا طريدًامستصرخًاوقدتقاصرعن إيوائه وصغرفي عينه مايشدّ من بنائه،ولولا ماوتربه من يليه من العرب لمالَ الى مجالٍ،ولوَجدمن يجيدالطِعان ويغضب للاحرارمن غلبة العبيد الاشرار.قال:فعجب كسرى لماأصاب النعمان به،وقال: إنك لأهل لموضعك من الرياسة في أهل اقليمك ولما هو أفضل ،ثم كساه كسوته وسرّحه الى موضعه من الحيرة [1] .

[1] – نفسه .

1- 6-2- خطبة وفد العرب من النعمان بن المنذرالى كسرى أبرويز[1] :

1- 6-2- أ- أكثم بن صيفي : قام فقال :ان أفضل الاشياء أعاليها ،وأعلى الرجال ملوكها وأفضل الملوك أعممها نفعًا ،وخير الازمنة أخصبها وأفضل الخطباء أصدقها.الصدق منجاة والكذب مهواة والشرّ لجاجة والحزم مركب صعب،والعجز مركب وطيء ،آفة الرأي الهوى والعجز مفتاح الفقر وخير الامور الصبر،حسن الظن ورطة وسوء الظن عصمة ،اصلاح فساد الرعية خير من اصلاح فساد الراعي،من فسدت بطانته كالغاصّ بالماء ،شر البلاد بلاد لا أميربها شرالملوك من خافه البريء،المرء يعجزلامحالة،أفضل الاولاد البررة ،وخير الاخوان من لم يُراء بالنصحة،أحقّ الجنود بالنصرمن حسنت سريرته،يكفيك من الزاد ما يبلّغك المحلّ،حسبك من شرٍّسماعه،الصمت حكم وقليلٌ فاعله ،البلاغة الايجاز ،من شدّد نفر ومن تراخى تألّف.فتعجّب كسرى من أكثم،ثم قال: ويحك ياأكثم ،ماأحكمك وأوثق كلامك .

1- 6-2- ب- حاجب بن زرارة التميمي :ثم قام حاجب بن زرارة، فقال:وَرى زَندك وعَلَت يدك ،وهيب سلطانك ،ان العرب أمة قد غلظت اكبادها واستحصرت مرّتها ومنعت درتها ،وهي لك وامقةٌ ما تألفتها ،مسترسلةٌ ما لاينتها ،سامعةٌ ما سامحتها ،وهي العلقم مرارةً ،والصّاب غضاضةً ،والعسل حلاوةً ،والماء الزلال سلاسة .نحن وفودها اليك ،وألسنتها لديك ،ذمتنا محفوظة واحسابنا ممنوعة وعشائرنا فينا سامعةً مطيعةً ،ان نؤب لك حامدين خيرًا فلك بذلك عموم محدثنا وان نذم لم نخصّ بالذم دونها[2] .

1- 6-2-ج - الحارث بن عباد البكري : وقام الحارث بن عباد فقال: دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظّها وعلو ثنائها ،من طال رِشاؤه كثر متحه ،ومن ذهب ماله قلّ منحه ،تناقل الاقاويل يعرّف اللب ،وهذا المقام سيوجف بما ينطق فيه الركب وتعرف به كنه حالنا العجم والعرب ،ونحن جيرانك الادنون وأعوانك المعينون ،خيولنا جمّة وجيوشنا ضخمة ،ان استنجدتنا فغير رُبضٍ وان استطرقتنا فغير جهض ،وان طلبتنا فغير غمضٍ ،لا ننثني لذعرٍ ولا نتفكر لدهرٍ ،رماحنا طوال وأعمارنا قصار [3].

[1] - نفسه،ص ص 280-283.

[2] - نفسه .

[3] - نفسه .

1- 6-2- د - عمرو بن الشريد السُلمي : ثم قام عمرو بن الشريد فقال :ايّه الملك نَعِمَ بالك ودام في السرور حالك ،ان عاقبة الكلام متدبرة واشكال الامور معتبرة وفي كثير ثقلة وفي قليل بُلغة ،وفي الملوك سورة العز وهذا منطقٌ له ما بعده ،شَرف فيه من شرُف ،وخمل فيه من خمل ،، لم نأت لضيمك ولم نفد لسخطك ولم نتعرض لرفدك ان في اموالنا مرتقدًا ،وعلى عزنا معتمدًا ،ان اورينا نارًا اثقبنا وان أوِدَ لنا دهربنا اعتدلنا،إلا أنّا مع هذا لجوارك حافظون ،ولمن رامك مكافحون حتى يُحمد الصدر ويستطاب الخير .

1- 6-3- خطبة أكثم بن صيفي التميمي في قومه[1]: قال أكثم بن صيفي يخطب في قومه بني تميم ويوصيهم :يابني تميم لا يفوتنّكم وعظي ان فاتكم الدهر بنفسي ان بين حيزومي وصدري لكلامًالاأجد له مواقع الا اسماعكم ولا مقارّ الاقلوبكم فتلقّوه بأسماعٍ مصغية وقلوبٍ واعية تحمدوا مغبّته،الهوى يقضان والعقل راقد والشهوات مطلقة،والحزم معقول،والنفس مهملة،والروية مقيدة،ومن جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم،ولن يعدم المشاورمرشدًا،والمستبدّ برأيه موقوف على مداحص الزلل،ومن سمع سمع به،ومصارع الرجال تحت بروق الطمع،ولواعتبرت مواقع المحن ما وجدت الام قائل الكرام،وعلى الاعتبار طريق الرشاد،ومن سلك الجَدَدَ أمن العِثار،ولن يُعدم الحسود ان يتعب قلبه ويشغل فكره ويورث غيظه،ولا تجاوز مضرته نفسه .

يابني تميم :الصبرعلى جرع الحِلم أعذب من جناء ثمرالندامة،ومن عرضه دون ماله استهدف للذمّ وكَلِم اللسان انكى من كَلم السنان،والكلمة مرهونة ما لم تنجم من الفم ،فإذا نجمت فهي أسد مِحرَب،اونارٌ تلهب،ورأي الناصح اللبيب دليلٌ لا يجور ونفاد الرأي في الحرب أجدى من الطعن والضرب .

1- 6-4- خطبة هند بنت النعمان بن المنذر(حُريقة) :

ممّا أوثرعنها قولها:" إن الدنيا دارزوال،ولاتدوم على حال،كناملوك هذاالعصر،يُجبى لنا خَراجه ويطيعنا أهله،فلما أدبرالأمرو انقضى،صاح بنا صائح الدهر،فصدّع عصانا،وشتّت شملنا،وكذلك الدهر،ليس يأتي قومًا بمسرّة إلاويعقبهم حسرة.وقيل لها: مالك تبكين؟،فقالت:رأيت لأهلي عضارة ولم تمتليء دارٌفرحًا إلا امتلأت ترحًا[2] ".

[1] - الالوسي(محمود شكري)،المرجع السابق،ج3،ص172.

[2] - البكري(عبدالله بن عبد العزيز)،المرجع السابق،ج2،ص605.

وقالت لخالد بن الوليد – رضي الله عنه– لمافتح الحيرة فأكرمها وسألها حاجة فقالت له:لا شكرتك يدٌ افتقرت بعد غنى،ولاملكتك يدٌ استغنت بعد فقر،وأصاب الله بمعروفك مواصفة ولا أزال عن كريم نعمة الا جعلك سببًا لردّها اليه ،ولا جعل لك الى لئيم حاجة.قال:فتركها وخرج،فجاءها النصارى وقالوا:ماصنع بك الأمير؟ فقالت[1] :

فبينا نسوس الناس والامر امرنا اذا نحن فيهم سوقةٌ نتنصّف

فتبًّا لدينا لا يدوم نعيمها تقلّب تاراتٍ بنا وتصرّف

1- 6-5- خطبة قِس بن ساعدة الإيادي :

1- 6-5- أ- يوجّه الخطاب لقومه بني إياد[2] : يامعشر اياد،اين ثمود وأين عاد ؟،وأين الآباء والأجداد ،اين المعروف الذي لا يُشكر والظلم الذي لم يُنكر؟،أقسم قِسٌّ قسمًا بالله،ان لله دينًا هو أرضى له من دينكم .

1- 6-5- ب- يوجّه خطابه لإبنه[3] : ان المِعا تكفيه البقلة ،وترويه المذقة ،ومن عيّرك شيئًا ففيه مثله ،ومن ظلمك وجد من يظلمه ،ومتى عدلت على نفسك ،عَدَلَ عليك من فوقك ،واذا نهيت عن شيءٍ فإنهِ نفسك ،ولا تجمع مالا تأكل ،ولا تأكل مالا تحتاج اليه ،واذا ادخرت فلا يكونن كنزك الا فعلك .وكن عفّ العيلة ،مشترك الغنى ،تسُد قومك ،ولا تشاورنّ مشغولاً وان كان حازمًا،ولاجائعًا وان كان فهمًا ولا مذعورًا وان كان ناصحًا .ولا تضعنّ في عنقك طوقًا لا يمكنك نزعه الا بشقّ نفسك ،واذا خاصمت فأعدل ، واذا قلت ،فاقتصد ،ولا تستودعنّ أحدًا دينك،وان قربت قرابته ،فإنك ان فعلت ذلك لم تزل وجلاً وكان المستودع بالخيار في الوفاء والغدر،وكنتَ له عبدًا ما بقيت ،وان جنى عليك كنت اولى بذلك،وان وفى كان الممدوح دونك.

ويمكننا القول بعد عرض هذه الامثلة عن خطب العرب الذين كانت لهم صلة ببلاط ملوك المناذرة وبعد تصفحنا لمختلف المصادر التي بُثت في ثناياها ها هذه الخطب،نقف على اختلاف بين ألفاظ هذه الخطب ولكنه ليس اختلافًا يقوّض المعنى الاجمالي للخطبة ،ويعزوبعض الدارسين وجود هذا

[1] – عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص68؛جواد(علي)،المرجع السابق،ج3،ص287.

[2] – الجاحظ(عمروبن بحر)،المصدر السابق،البيان والتبيين ،ج1،ص309

؛جواد(علي)،المرجع السابق،ج8،ص785.

[3] – جواد(علي)،نفسه،ص766.

الاختلاف الى ان الخطابة عند العرب كانت ارتجالاً ،وربما بدّل الخطيب فيها بعد مقالتها الاولى وزاد فيهاوانقص منها ونقّح فيها وعدّل .

فيرى الجاحظ مصداقًا لماأسلفنا،ان كل شيءٍ للعرب،فانماهوبديهةٌ وارتجالٌ وكأنه إلهام وليست معاناةٍ ولامكابدةٍ،ولاإجالة فكرٍ،ولا استعانةً،وانماهوان يصرف وهمه الى الكلام فتأتيه المعاني ارسالاً وتنثال عليه الالفاظ انثيالاً،ثم لا يقيّده على نفسه،ولا يدرسه أحدٌ من ولده .على حينٍ يكون كلام العجم عن طول فكرةٍ واجتهاد رأيٍ،وطول مشاورةٍ ومعاونةٍ وطول تفكيرٍ ودراسةٍ للكتب[1].

2- الوصّية والتعزية :

يعتبرالنقّاد والدارسون الوصّية والتعزية فرعان من فروع الخطابة ،فهما متقاربتان في المفهوم،بيدا أن الخطابة انما يُقصد بها قوم لاعلى سبيل التعيين والتخصيص بخلاف الوصّية والتعزية وانما تكون الخُطب في المشاهد والمجامع والايام والمواسم،والتفاخروالتشاجر،ولدى كبراء ،ومن الوفود في أمرٍ مهمٍّ وخطبٍ ملمٍّ .

اما الوصايا والتعازي فبخلافها في كل ما ذكر،فلا تكون الا لقومٍ مخصوصين في زمنٍ مخصوصٍ على شيءٍ منصوصٍ.وكثيرًا ماكانت تصدر عن شخصٍ لعائلته أوسيّدٍ لقبيلته عندحلول مرضٍ أومخاطرأومحاولة نقله أو شابه ذلك[2] .

والمقصود بالوصّية النصيحة التي يبذلهاصاحبها في وقتٍ معيّن،ويرمي بها للحضّ على الخير وتجنّب الشر،فيوصي الاب أبناءه عند احتضاره،ويوصي شيخ القبيلة رهطه اذا مااشتدّ بهم الأمروحاقت بهم الصعاب .

وتجري الوصاياوالتعازي على اسلوب الخُطب،وأكثرما تكون موجزة شديدة الوقع في النفس لما فيهامن عاطفةٍ متدفّقة،وأسلوب مسجّعٍ عادةً،رشيقٍ أبدًا[3] .

والوصيّة كما الموعظة ثقيلة على السمع،محرجةٌ في النفس،بعيدةٌ من القبول لاعتراضها الشهوة ومضادتهاالهوى الذي هوربيع القلب ومراد الروح ومرجع ومسرح الأماني،إلامن وعظه علمه وأرشده

---

[1] - الجاحظ(عمرو بن بحر)،نفسه،ص28

؛جواد(علي)،نفسه ،ص768.

[2] - الالوسي(محمود شكري)،المرجع السابق،ج3،ص151.

[3] - حنا(الفاخوري)،المرجع السابق،ص119.

قلبه وأحكمته تجربته.وقالت الحكماء السعيد من وُعظ بغيره،لايعنون من وعظه غيره،ولكن من رأى العِبر في غيره فاتّعظ بها في نفسه .

ولذلك يقول الحسن بن علي :"اقدعوا هذه النفوس فإنها طَلَعة وحادثوها بالذكر فإنها سريعة الدثور،واعصوها فإنها ان ان اطيعت نزعت الى شرٍّ غايةٍ[1] ".

الموعظة والوصيّة غالبًا ما تكونان مانعتان لمايشتهيه المتلقي ،حاملتان على مايكرهه ،الا ان تلقاها بسمعٍ قد فتقته وقلبٍ قدحت فيه الفكرة ،ونفس لها من علملها زاجرٌ ،ومن عقلها رادع ،فيفتح لك باب التوبة ،ويوضّح لك سبيل الانابة [2] .

والوصية والتعزية لونان من ألوان النثرالذي كان شائعا في الحيرة،إلا انهما لا يقلّان ندرةً وقلّةً عن سائر فنون النثرالاخرى.وتجد الموصي يحاول ان يوصل لمن يوصيه ما يستطيع ان يوصله من تجاربه وحنكته وحكمته بهدف أخذ العبرة منها،والفائدة التي يستزيدها المتلقّي من خلال سماع تلك التجارب والحكم .أماالتعزية فلا يشترط فيها استجلاب تلك الفائدة ،وانما تبرز اهميتها في اسلوب ولغة قائلها،سواءًا كان مجرّبًا أوغير مجرّب .

2-1- أمثلة عن الوصايا والتعازي المتّصلة بالمناذرة :

2- 1- 1- وصية أكثم بن صيفي لبنيه[3] :

قال أكثم بن صيفي في وصيّته لبنيه،وكان جمعهم : تباروا فإن البرّ يبقى عليّه وكفّوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكّيه،ان قول الحق لم يدع لي صديقًا،الصدق منجاة،لاينفع التّوقِ مما هو واقع،وفي طلب المعالي يكون العناء،الاقتصاد في السعي أبقى للحِمام،من يأس فإنه ردع بدله ،ومن قنع بما هوفيه قرّب عينه،التقدّم قبل التندم،أصبح عند رأس الامرأحبّ إليّ من ان أصبح عند ذنبه. لم يهلك من مالك ما وعظك،ويلٌ لعالم أمرٍ ومن جاهله ،يشابه الامراذا أقبل واذا أدبرعرفه الكيّس والأحمق،البطر عند الرّخاء حمقٌ ،والعجزعند البلاء أفن اي نقص .لا تغضبوا من اليسير فإنه يجبي الكثير،لاتجيبوافيمالا تسألواعنه،ولا تضحكوا مما لا يُضحك منه. تناؤوا في الدياررولا تباغضوا،فإنه من يجتمع يتقعقع عمده ألزموا النساء المهانة،نِعم لهو الحرّة المغزل حيلة من لاحيلة له الصبر،ان تعش ترى ما لم تره،المكثاركخاطب ليلٍ،من أكثرأسقط،لا تجعلوا سرًّا الى أَمَة .

---

[1] – ابن عبد ربه(ابوعمراحمدالاندلسي)،المرجع السابق،ج3،ص82.

[2] – نفسه،ص83.

[3] – الالوسي(محمود شكري)،المرجع السابق،ج1،ص310.

2- 1-2- وصيّة المنذر بن ماء السماء لإبنه النعمان بن المنذر:

يابني،ان لي فيك رأيًا دون غيرك من ولدي،فإني آمرك بما امرني به والدي وأنهاك عما نهاني عنه والدي،آمرك بالذل في عرضك،وذلك ان تكون ذلولاً بالمعروف،وعليك بالانخداع في مالك،وأحب لك خلوة الليل تكون السمر،واكره لك إخلاف الصديق وإطراف المعرفة،وإنهاك عن ملاحاة الحلماء،ومزاح السفهاء،ان لك عقلاًوجَمالاًولسانًا فاكْتسِ من ثناء الناس ما يؤيّد جمالك،ودع الكلام وأنت عليه قادر،وليكن لك من عقلك خبيء تدخره أبدًا ليوم حاجتك[1].إيّاك وإطراح الإخوان وإطراف المسرفة،وإيّاك وملاحاة الملوك،ومزاحة السفيه،وألبس من القشرما يزينك في نفسك مروءتك،واعلم ان جماع الخيركله في الحياء فعليك به،وتواضع في نفسك،واعلم أن السكوت عن الامرالذي يعنيك خيرمن الكلام،فاذا اضطررت اليه فتحر الصدق والاجاز تسلم[2].

2- 1-3- وصيّة النعمان بن المنذر لأكثم بن صيفي :

كتب النعمان بن المنذرالى اكثم بن صفي ان اعهد اليها امرا نعجب به في فارس وترغبهم في العرب فكتب اكثم:ولن يهلك امرؤحتى يضيع الراي عنده، ويستبد على قومه بأموره، ويعجب بما ظهر من مروءاته، ويعتز بقولته، والامر ياتيه من فوقه، وليس للمختال في حسن الثناء نصيب والجهل قوة الحزق،والحزق قوة الغضب،والى الله تصير المصاير،ومن اتى مكروها الى احد فبنفسه بدا،ان الهلكة اضاعة الراي،والاستبدادعلى العشيرة يجرالجريرة،والعجب بالمروءة دليل على السولة،ومن اغتر بقوته،فان الأمرياتيه من فوقه،لقاء الاحبة سلاة للهم،من اسرمالا ينبغي اعلانه،ولم يعدللأمرسريرته سلم الناس عليه،والعي ان تتكلم بفوق ماتسد به حاجاتك .

وينبغي لمن عقل الا يثق بإخاء لم تضطره اليه حاجة واقل الناس راحة الحقود،ومن اتى على يديه غير عامدفأعفه من الملامة،ولاتعاقب على الذنوب الا بقدرعقوبة الذنب فتكون مذنبا،ومن تعمد الذنب لم تحل الرحمة دون عقوبته،والأدب رفق والرفق يمن والحزق شؤم،وخير السخاء ما وافق الحاجة وخيرالعفوماكان مع المقدرة،ومن سوء الادب كثرة العتاب ومن اغتر بقوته وهن،ولامروءة لفاسق،ومن سفه حلمه هان امره،والاحداث تأتي بغتة وليس في قدرة القادرحيلةولاصواب مع العجب،ولابقاءمع بغي،ولا تثقن بمن لم تخبره[3].

---

[1] – السجستاني(ابوحاتم سهل بن محمد)،المرجع السابق،ص123.

[2] – الجاحظ(ابوعثمان عمرو بن بحر)،المصدرالسابق،البيان والتبيين،ج3،ص222.

[3] – السجستاني(ابوحاتم سهل بن محمد)،المرجع السابق، ص 24.

2- 1- 4- وصيّة أكثم بن صيفي في الحرب[1] :

قيل لأكثم بن صيفي : صف لنا العمل في الحرب،قال : أقلّوا الخلاف على أمرائكم فلا جماعة لمن اختلف عليه ،واعلموا ان كثرة الصياح من الفشل ،فتثبّتوا فإن احزم الفريقين الرّكين،ورُبّ عجلةٍ تعقب ريثًا ،وادرعوا الليل فانه أخفى للويل وتحفّظوامن البيات .

2- 1- 5- تعزية أكثم بن صيفي عمروبن هند في أخيه :

عزى اكثم بن صفي ملك المناذرة عمروبن هند في مقتل أخيه سعد بن المنذر في يوم أوارة الثاني،فقال له:أيّها الملك ان أهل هذه الدارفي سفرٍ،لايحلّون عقد الرّحال إلافي غيرها،وقد أتاك ماليس بمردودٍعنك،وارتحل عنك ماليس براجعٍ إليك،وأقام معك من سيظعن عنك ويدعك،واعلم ان الدنيا ثلاثة أيام،فأمس عِظةٌ،وشاهدعدلٍ،فجعك نفسك،وابقى لك وعليك حكمته.واليوم غنيمةٌ وصديقٌ أتاك ولم تأته،طالت عليك غيبته،وستُسرع عنك رحلته.وغَدٍ لاتدرمن أهله وسيأتيك ان وجدك.

فمأأحسن الشكرللمنعم،والتسليم للقادروقدمضت لناأصول نحن فروعها فما بقاءالفروع بعدأصولها،واعلم أن أعظم من المصيبة،سوء الخلف منها وخيرمن الخيرمُعطيه،وشرُّمن الشرفاعله[2].

وجاء على لسان الجاحظ تعزية بألفاظ مزيد فيها ومتصرّف،وقد نسبها لأكثم بن صيفي في نفس مناسبة التعزية،وفيها يقول[3] :

ان الخلق للخالق،والشكر للمنعم، والتسليم للقادر،ولابد مماهوكائن، وقد جاء مالا يُردّ،ولا سبيل الى ردِّما قد فات،وقد أقام معك ما سيذهب أوستتركه،فما الجزع مما لابد منه،ومماالطمع فيمالا يرجى،ومماالحيلة فيما سينقل عنك أوتُنقل عنه،وقد مضت أصولٌ نحن فروعها،فمابقاء الفرع بعد ذهاب الأصل. أفضل الاشياء عند المصائب الصبر،وإنمااهل الدنيا سفرلا يحلّون الرّكائب إلا في غيرها،فمأأحسن الشكرعندالنعم والتسليم عند الغير،فاعتبربمن رأيت من اهل الجزع،فان رأيت الجزع ردّ أحدًامنهم الى ثقةٍ من درك فمأولاك به،واعلم أن أعظم من المصيبة سوءالخلف منها،فاتّق فإن المرجع

---

[1] – ابن عبد ربه(ابوعمراحمدالاندلسي)،المرجع السابق،ج1،ص89

؛ابن قتيبة(ابومحمدعبدالله الدينوري)،المصدر السابق،عيون الاخبار ،ج1،ص108

؛جواد(علي)،المرجع السابق،ج5،ص402 .

[2] – ابن عبد ربه(ابوعمراحمدالاندلسي)،المرجع السابق،ج5،ص167 .

[3] – الجاحظ(ابوعثمان عمرو بن بحر)،المصدرالسابق،البيان والتبيين،ج3،ص223.

قريب،واعلم إنما ابتلاك المنعم،واخذمنك المعطي،وماترك اكثر،فإذانسيت الصبرفلا تنسى الشكر وكلا فلا تدع،واحذرمن الغفلة استلاب النعم وطول الندامة،فماأصغرالمصيبة اليوم مع عظم الغنيمة غدا،فاستقبل المصيبة بالحسبة تستخلف بها نعمًا،فإنمانحن في الدنيا غرضٌ لنصلِ المنايا،ونهبٌ للمصائب،مع كل جرعةٍ شرقٌ،ومع كل أُكلة غصصٌ.لاتُنال نعمةٌ إلابفراق أخرى،ولااستقبل معمّرٌمن عمره إلابهدم اخرٍمن أجله،ولا تحدث له زيادة في أكله بنفادما قبله من رزقه،ولا يجيء له أثرٌإلامات له أثر. ونحن أعوانُ الحُتوف على أنفسنا،تسوقنا الى الفناء،فمن أين نرجوالبقاء،وهذاالليل والنهارلم يرفعهامن شيءٍ شرفًاإلاأسرعاالكرّة في هدم مارفعا،وتفريق ما جمعنا فاطلب الخيرمن أهله،واعلم ان خيرًا من الخيرمعطيه،وشرًامن الشرّفاعله .

والملاحظ في نص التعزية الاخير،التوسيع والاطناب والاستزادة والتصرّف في مضمون النص الاصلي،الذي يمثله النص الاول ،وبالمقارنة يتّضح ان الاصل في النص الاول،وذلك لوضوح معانيه وقربه من من أسلوب أكثم بن صيفي،ولسهولة ألفاظه وبُعده عن التعقيد .

ويتهم الضحيّان في وضع مازاد عن النص الاول الجاحظ بوضعه ،فيقول :"ويبدوا ان الجاحظ ألّفها تأليفًا بما يتوافق مع أسلوبه،وأخل فيها بعض نصوص أكثم بن صيفي[1] ". ومهما يكن من أمر الزيادة او النقصان،فإن النصّ مادام لم يقيّد بتدوين وارسل مشافهة في بادئه ،وهوما ينطبق على الخطابة والوصيةوالتعزية ،فإن من يدوّنه يمكن ان يتصرّف فيه،خاصة وان تدوين ذلك جاء بعدمدة طويلة ،اضف الى أن قائل هذه الوصيّة او التعزية نفسه،قد يزيد فيها وينقص بين مناسبة واخرى .

3- المناظرة :

3-1- تعريف : نَاظَرَ،معناه حَاكَم[2] .والمناظرة والمنافرة هي المحاكمة من النفر،لأن العرب كانوا إذا تنازع رجلان منهم وادّعى كل واحدٍأنه أعزُّ من صاحبه تحاكما الى عالم ،فمن فضّل منها قُدّم نفره عليه،أي فُضّل نفره[3] . وللمناظرة ثلاثة شروط هي[4] :

أ- أن يجمع بين خصمين متضادين،أومتباينين في صفاتهما،بحيث تظهرخواصّهما،كالربيع والخريف والشتاء والصيف .

---

[1] - الضحيان(ابراهيم عبدالله)،المرجع السابق،ص659.

[2] - الالوسي(محمود شكري)،المرجع السابق،ج1،ص288.

[3] - نفسه،ص301.

[4] - السيد(احمدهاشمي)،جواهر الادب ،ج1،ط27،المكتبة التجارية الكبرى ،مصر،1969،ص243.

ب- أن يأتي كلا الخصمين في نصرته لنفسه وتفنيد مزاعم قرينه بأدلةمن شأنها ان ترفع قدره،وتحط مقام الخصم ،حيث تميل بالسامع عنه اليه.

ج- أن تصاغ المعاني والمراجعات صوغًا حسنًا ،وتُرتب على سياق محكم ،ليزيد بذلك نشاط السامع وتنمى فيه الرغبة في حلّ المشكل .

3-2- أمثلة عن المناظرات والمنافرات المتّصلة بالمناذرة :

3-2-1- مناظرة أشراف العرب عند كسرى ابرويز[1] :

كان كسرى أنوشروان يحفل بالعرب ويستأنس بمشاهدتهم،ويرغب في سماع محادثاتهم ومفاخراتهم ومناظراتهم،ولم يدّخروسعًا إلا بذله للحصول على ذلك.ومما اتفق له أن النعمان بن المنذركان بمجلسه يومًا فقال له:هل في العرب من قبيلةٍ تشرف على قبيلة ؟،قال:نعم ،قال: فبأيّ شيءٍ؟،قال: من كان له ثلاث آباءٍ متوالين رؤساء،واتّصل ذلك بمزيةٍ رابعة ،فبيته أشرف بيتٍ واليه تنسب القبيلة وبه تعلوعلى غيرها .قال كسرى :احضر من هذه صفتهم .

فطلبهم النعمان بن المنذر فلم يصبهم الا في آل حذيفة بن بدر،وآل ذي الجدين ،وآل الاشعث بن قيس بن كندة.فأحضرهم في جملةٍ من عشائرهم ،فعقد لهم كسرى مجلسًا عامًّا حضره الحكّام العدول والاعيان ،ثم قال:ليتكلم كلٌّ منكم بمآثر قومه وليصدق .فانتصب حذيفة بن بدر قائمًا وكان ألسن القوم فقال:قد علمت العرب ان فينا الشرف الاقدم والفخرالاعظم ،فقيل له: لِمَ ذاك ياأخا فزارة ؟،فقال:ألسنا الدعائم التي لا ترام،والعز الذي لا يضام،فقيل له :صدقت .

ثم قام الاشعث بن قيس فقال :لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الاكثر،ونقهر جمعها الاكبر،وإنّا غياث اللزُبات،وبناة المكرمات،فقيل له: لِمَ يا أخا كندة ؟،قال: لأنا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه وتلّدنا منكبه الاعظم ،وتوسّطنا يحبوحه الاكرم.ثم قام بسطام بن قيس فقال:قد علمت العرب انا بناة بيتها الذي لايزول ومغرس عزّها الذي لايحول.فقيل له:ولِمَ يا أخا شيبان؟،قال :لأنّا أدركهم للثأر وأضربهم للملك الجبار،وأقولهم للحقّ،وألدّهم للخصم.

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي فقال:قد علمت العرب إنّا فرع دعاتها وقادة زحوفها،فقيل له: لِمَ ذاك ياأخا تميم؟،قال:لأناأكثر الناس عددًا وانجبهم طُرًا وليدًا وأعطاهم للجزيل واحملهم للثقيل .ثم قام قيس بن عاصم السعدي فقل:لقد علم هؤلاء،أنّا أرفعهم في المكرمات،وأثبتهم النائبات فقيل له : لِمَ

[1] - نفسه،ص235.

ذاك ؟،قال:لأنّنا أدركهم للثأر،وأمنعهم للجار،لا نتكِل اذا حملنا،ولانرام اذاحللنا .فقال كسرى حنئذٍ:ليس منهاإلاسيّدٌ يصلح لموضعه،ثم أعظمَ صِلاتهم أجمعين وردّهم الى أقوامهم معظَّمين.

3-2-2- مناظرة المنذربن النعمان الأول مع عامر بن جوين الطائي[1]:

وقد وردت هذه المناقضة في ذيل الامالي والنوادرعلى النحو التالي :

وفدعامربن جوين الطائي على المنذر بن النعمان الاول بن النعمان بن المنذروذلك بعد انقضاء ملك كندة ورجوع الملك الى لخم،وكان عامرقد أجار امرئ القيس بن حجرأيام كان فصيحًا بالجبلين،وكان المنذرضغينًا عليه ،أي على عامر.

فلما دخل عليه قال له : ياعام لساء مثوى أثويته ربك ،أثويته حين حاولت إصباء ومخالفته الى عشيرة،اما لوكنت كريمًا مكرمًا موقرًا،ولجانبته مسلمًا.

فقال له:أبيت اللعن،لقدعامت أنباء،اذأني لأعزها جارًا و اكرمها جوازًا،وأمنعها دارًا،ولقد أقام وزال شاكرًا.

فقال له المنذر: ياعام،وإنك لتخال هضيبات أجأ ذات الوبار،وأفنيات سلمى ذات الأعفارمانعاتك من المجرّالجرار،ذي العدد الكثار،والحصن والمهاروالرماح الحرار،وكل ماضي الغرار،بيد كل مسعرٍ كريمِ النجار.

قال له عامر: أبيت اللعن،ان بين تلك الهضيبات والرعان، والشعات والمصدان لفتيانا أبطالاً وكهولاً أزوالاً،يضربون الفوانس،ويستنزلون الفوارس، بالرّماح المداعس، لم يتبعواالرعاء،ولم ترشحهم الإماء.

فقال المنذر: ياعام، لوقد تجاوبت الخيل في تلك الشعاب صهيلاً،وكانت الأصوات قعقعةً وصليلاَ،وفغرالموت ،وأعجزالفوت، فتقارشت الرماح،وحمى السلاح لَتَسَاقى قومك كأسًا لا صحو بعدها.

فقال عامر:مهلاً أبيت اللعن،ان شرابنا وميلٌ،وحدنا أليلٌ،ومعجمنا صليبٌ، ولقاءنا مهيبٌ.

فقال له المنذر: ياعام ،انه لقليل بقاء الصخرة الصراء على يوقع الملاطيس.

فقال عامر : أبيت اللعن،إن صفاتنا عبر المراديس.

فقال المنذر:لأوقظنّ قومك من سِنة الغفلة،ثم لأعقبتهم بعدها رقدةً لا يهبّ راقدها ولا يستيقظ هجرها.

---

[1] – البغدادي(ابواسماعيل بن القاسم)،ذيل الامالي والنوادر،دار الفكر،بيروت، ص 177.

فقال له عامر:ان البغي أباد عمرًا،وصرع حجرًا،وكان أعزمنك سلطانًا،وأعظم شأنًا،وان لقيتنا لم تلق أنكاسًاولاأغساسًا،فهبّش وضائعك وصنائعك،وهلمّ اذا بدا لك،فنحن الأُولى قسطواعلى الاملاك قبلك.

والمتأمّل لهذه المناظرة خاصّة يجدها قدتناهت في الحُبك والاتقان،وقدجاء فيها كلّ طرفٍ ببيانٍ وفصاحةٍ ،فهي جزلة اللفظ قوية المعنى،موجزة العبارة،كثيفةٌ في معناها،متقاربةُ الفقرات،لاتجد فيها ألفاظًا جارحةً أو إيماءًا فاحشًا،وقد وضعت كل جملةٍ في موضعها المناسب،وكأنها قد هُرّبت عن عبث وتحريف بعض الرواة وهي طويلةٌ في فحواها جيّدةٌ في مضمونها .

وقدأردف عامربن مناظرته تلك للنعمان بأبياتٍ نسبت له،قالها فيما بعدالمناظرة،ومنها قوله[1] :

تعلم ابيت اللعن أن قناتنا تزيد على غمز الثقاب تعصبا

أتوعدنا بالتحرب أمك هابل رويدك برقا لاابا لك خلبا

وذكرك للعيش الرخي جلادهم وملهى باكاف السدير ومشربا

ورغم ان فن المناظرة والمناقضة،قد انتشر في مجالس العرب عامّة،ومنها مجالس ملوك المناذرة وأعيان الحيرة وازدهرت آدابه،إلا ان ماوصلنا عنه قليل مثله مثل الفنون النثرية الاخرى ،والسبب الرئيسي في ذلك حسبما يشير اليه الدّارسون في هذا المجال-كما ذكرنا سلفًا- غياب التدوين لذلك الفن وغيره من الفنون الادبية الاخرى .

وكانت اغلب تلك المناظرات تتمّ في مجالس ،وتجري بين زعيمي قبيلتين يحاول كل واحدٍ منهما جاهدًا الفخر والاعتزاز بقبيلته وبيان فضلها على القبائل الاخرى.

ولعب ملوك المناذرة في هذا الشأن كما في شأن الفنون الادبية الاخرى دورًا رئيسيًا،سواءًا بالمكانة المعنوية التي كان يمثلها حضوره الشخصي لتلك المجالس فيلهب جذوة االتنافس بين المتناظرين ويبعث فيهم الحميّة ورغبة الغلبة .

فكان من بين من كان يفد الى مجالس هؤلاء الملوك،أشهر الخطباء والمتكلّمين العرب والحكّام المعروفين في هذا المجال .

4 - فنون نثرية أخرى:

[1] - نفسه،ص178.

كان للعرب بالإضافة لما كان معروفًا عندهم من آدابٍ وفنونٍ ذكرناهاسابقًا،ابداعاتٌ اخرى أدبية وفنيّة،تخرج عن نطاق الأنواع السالفةالذكر،وان كانت قليلة الكمّ،فإن بعضهاوليدالمجالس التي اعتادملوك المناذرةعقدهامنتهزين كل فرصةٍ لذلك.وقدتنوّعت تلك الفنون الى أغراضٍ ومعانٍ مختلفة،وكانت أكثرماتكون إلتصاقًا بمايروى في تلك المجالس الأدبية من بيانٍ يختلط بالتاريخ والأدب.

4 -1- سجع الكُهّان :

عُرف لدى العرب في الجاهلية طائفة اختصّت بالقيام على بيوت الاصنام والأوثان التي كانوا يعبدونها،وهم الكُهان.وكانوايزعمون أنهم يطّلعون على الغيب فكانوايتمتّعون لدى عامة العرب بمكانة خاصة،حتى انهم بعضهم كان يلعب دورالحكم بين المتناظرين،مثلمافعل هاشم بن عبد مناف في مناظرته مع أميّة بن عبد شمس حيث احتكما الى كاهنٍ من خزاعة،وبلغت بهم المنزلة في نفوس العرب ان كان أحهم يأتمربما يأمره به الكاهن في شأن زوجته او خاصة بيته او قومه،فقدكان العرب يؤمنون انهم يوحى اليهم فيقصدونهم وان كانوا في اماكن بعيدةٍ. وقدأجرو على ألسنتهم كلامًا مسجوعًا،فكانوالا يتكلّمون الابالسّجع .

وفيما يروي ابوهريرة ،قال:اقتتلت امرأتان من هذيل ،فرمت احداهما الاخرى بحجر،فقتلتها وما في بطنها،فاختصموا الى الرسول صلى الله عليه وسلم ،فقضى ان ديّة جنينها غُرّة عبدٍ أو وليدةٍ وقضى بديّة المرأة على عاقلتها،أي على عصبتها وقومها.فقال حمَل بن النابغة الهذلي:يارسول الله،كيف أغرم من لاشرب ولا أكل ولانطق ولااستهلّ،فمثل ذلك يطلْ،أي يهدر دمه،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:انماهذا من اخوان الكهّان من اجل سجعه الذي سجع[1] .

ومن سجع الكُهان،ان بني أسدكان بعث حجرًا بن آكل المرار أبا امرئ القيس الشاعرإليهم فأقبلوا حتى اذا كانوا على مسيرة يومٍ من تهامة تكهّن كاهنهم ،وهو عوف بن ربيعة،فقال لبني أسد:ياعبادي،قالوا لبيك ربنا،قال:مَن الملك الأصهب الغلاّب غيرالمغلّب،في الابل كأنها الربرب،لا يعلق رأسه الصّخب،هذا دمه ينثغب،أي يسيل.وهذا غدًا اول من يُسلب،قالوا:من هو ياربنا؟،قال:لولا ان تجيش نفسٌ جاشية لاخبرتكم ان حُجرضاحية . فركبوا كل صعب وذلول،فما أشرق النهارحتى أتوا على عسكرحُجر فهجمواعلى قبّته فقتلوه[2].

[1] – النووي(يحي محي الدين بن شرف)،المصدر السابق،ج5،ص110.

[2] – الجاحظ(عمروبن بحر)،المصدر السابق،البيان والتبيين ،ج1،ص308.

وكان أكهنهم عُزّى سَلَمة،وهو سَلَمة بن ابي حيّة:ومن سجعه قوله :"والارض والسماء،والعُقاب والصعقاء واقعةٌ ببقعاء ،لقد نفّر المجد بني العشراء،للمجد والسناء ".ويُروى عن زَبراء،وكانت كاهنة بني رئام ،انها أنذرتهم غارةً شُنّت عليهم،فقالت :" واللّوح الخافق،والليل الغاسق،والصبح الشارق،والنجم الطارق والميزن الوادق،انّ شجر الوادي ليأدو ختْلاً ويحرق انيابًا عُصلاً،وانّ صخرالطود لينذرثكلاً لا تجدون منه مَعْلاً[1] ".

ولم يكن هؤلاءالكُهّان يسجعون فحسب،بل كانوا يعمدون الى ألفاظٍ غامضةٍ مبهمةٍ،حتى يؤول كل من يستمع اليهم مايستمعه حسب فهمه وظروفه[2].وكل هذا السجع مستمدٌ ومماثلٌ من الناحية الفنية لما كان العرب يعرفونه من سجع الخُطب والأمثال،وبذلك فقد اعتنى العرب في الجاهلية بإنشائهم نثرًا ونظمًا .

4 -2- المفاخرة في الاسواق والمجالس:

لم تكن اسواق العرب لغرض التجارةكماهي عند باقي الامم فقط،بل كانت تلعب دورًا أكثر أهمية من عملية البيع والشراء والانتفاع المادي الآني وتتعداه الى غاية حضارية مهمّة،هو التباري والتنافس الادبي بين مشاهير الشعراء والخطباء المعروفين بين العرب،حتى غدت تلك الاسواق مجالس للتحكيم بين هؤلاء ،ومكانًا مناسبًا يمكن لمن أراد أن يشهرإنتاجه الأدبي فيها فيذيع صيته بين العرب .ومن اهم الميزات التي اشتهر بها العربي في الجاهلية،تعصّبه لقبيلته ودفاعه عنها المستميت وان كلفه ذلك نفسه،وكان من البديهي ان يكون سلاح تلك القبائل الفعال في المناسبات والمواسم في الاسواق،وخاصة بمجالس ملوك المناذرة التي كان يقصدها العرب من كل القبائل ومن اغلب انحاء شبه الجزيرة العربية .فكان الافتخار بالقبيلة لدى الخطيب اوالشاعراوالاديب غايةً يرمي فيها احدهم بثقله لينال اعجاب الحاضرين ومن ثمة يجلب الفخر لقبيلته لتي ينتمي اليها .حتى غدا نصر الذي ينتمي للقبيلة وان كان ظالمًا مُقدم على النظر في انصاف المظلوم من عدمه .

ومن الطبيعي ان تجتمع وفود العرب للمفاخرة بينها بين يدي أحد ملوك المناذرة فيقوم غالبًا عليهم حاكمًا بنفسه ،فلا يعترض على حكمه أحد منهم.

[1] – القالي(ابوعلي اسماعيل بن القاسم)،المصدر السابق،ج1،ص126.

[2] – شوقي(ضيف)،المرجع السابق،العصر الجاهلي،ص423.

فكان مجلس ملوك المناذرة مسرحًا للعديد ممن وقفوا مفاخرين شعرًا اونثرًا بين ايدي ملوكها كما ذكرنا سلفًا،ويرى الضحيّان ان هذه المجالس غالبًا مايسبقها تحضير،وتتخذ في اوقاتٍ منظمّة ومعروفة،فيقول:"واجتماع الوفود في الحيرة وتفاخرهم بين يدي ملكها،لايعني ان هذا تم بمجرد الصدفة،فان مثل هذا الاجتماع المهيب لابد ان يكون مسبوقًا بمرحلة من الاعداد لهذا المقام المشهود،ولا استبعد ان تكون هناك مواسم معروفة ومتعددة في السنة،تقدم الوفود فيها الى ملك الحيرة بعد ان اخذت كامل استعدادها لتلقي بين يديه شعرًا كان او نثرًا.كمالايستبعد أن يكون هناك نظام دقيق لهذه المواسم عند ملوك المناذرة[1] ".

وقد ذكرنا آنفًا أمثلة عن اجتماع الوفود من الادباء والخطباء وسادة القبائل في مجالس ملوك المناذرة ،وبذل هؤلاء الجوائز المغرية لمن يبدع في الفتخار بقبيلته او قومه،ومن أهم تلك الجوائز،الجائزة التي خصّصها النعمان بن المنذر لذلك الغرض،وهي بردي محرّق ونيلها من طرف عامربن أحيمرالسعدي، بقوله : العزوالعدد من العرب في معدّ،ثم في نزار،ثم في تميم،ثم في سعد، ثم في كعب،ثم في عوف، ثم في بهدلة،فمن أنكرهذا من العرب فلينافرني،فسكت الناس.

ثم قال النعمان مُقرًاله بالفضل،معترفًا له بالسبق كماأعترفت له سائرالوفود فذهب بالبُردين[2] .

4 -3- أدب الملك :

كان ملوك المناذرة يحظون بقدرٍ كبيرمن الاكبار والحضوة عند العرب ،وليس ذلك لما كانوا يمنون به على وفودهم التي كانت تتوافد على بلاطهم وجالسهم تترى فحسب،بل لماكانوا يتمتّعون به من ملكة ادبية وفنيّة جعلتهم يتذوقون هذه الفنون فيعملون جاهدين على تشجيعها،وهم يعلمون ان العرب أمه فطرت على حبّ البيان وأن سلاحهم بينهم الخطاب الادبي الفني،سواءًا كان منظومًا أونثرًا .فكان الملوك يحرصون على ان ينال ابناؤهم ورثة الملك بعدهم،قدرًا كبيرًا من الفصاحة وعلم البيان ليسوسوا العرب بماهم اهل له،ويرتضي منهم سادة القبائل حكمهم.وليس أدلّ على هذا المغزى من قصّة اختيار النعمان بن المنذرللملك بعد وفاة والده المنذربن ماء السماءمن بين اخوته الثلاثةعشرجميعًا،وان دخلت مكيدة عدي بن زيد فلعبت دورها في تتويجه،ولكن سبب الاختيار لفصاحته وصحة جوابه لكسرى ابرويز[3].وليس أدلّ على مكانة النعمان بن المنذرالأدبية بين خطباء

[1] – الضحيّان (ابراهيم عبدالله)،المرجع السابق،ص679.

[2] – ابن عبد ربه(ابوعمراحمدالاندلسي)،المرجع السابق، ج6،ص179.

[3] – الطبري(محمد بن جرير)،المصدر السابق، ج1،ص281.

العرب وشعرائهم تهافتهم على مجلسه،وتباريهم امامه وقد رضوا ان يكون حكمًا عليهم،لا يراجعونه في حكمه رغبًا فيه لارهبة .

وقدقدم على النعمان بن المنذر وفود ربيعة ومضر بن نزار،وكان فيمن قدم عليه بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك البكريان،وفيمن قدم عليه من وفد مضر في قيس عيلان،عامر بن مالم وعامر بن الطفيل،ومن تميم قيس بن عاصم والاقرع بن حابس،فلما انتهوا الى النعمان اكرمهم وحباهم،وكان يتخذ للوفود عند انصرافهم مجلسًا،يطعمون فيه معه،ويشربون،وكان اذا وُضع الشراب سُقي النعمان،فمن بُدء به على اثره،فهو أفضل الوفد،فلما شرب النعمان قامت القينة تنظر الى النعمان من الذي يأمرها ان تسقيه،فيتفضّل على الوفد،فنظر في وجهها ساعة ثم أطرق ثم رفع رأسه وانشأ يقول[1] :

سقي وفودك مما كنتِ تسقيني وأبدأي بكأس ابن ذي الجدّين بسطام

أغرّ ينميه من شيبان ذو أنفٍ حامي الذمار وعن اعراضها رامي

وهذا ينصّب دليلاً على ان النعمان بن المنذر،كان يتمتّع بذوق وملكةٍ أدبيةٍ أهّلته نيل تلك المنزلة بين خطباء العرب وشعرائها ،حتى وصل درجة التحكيم بينهم .

ومن الدلائل على مكانته الادبية وحضوته بين العرب،اختياروفد بني عامر للبيد بن أبي ربيعة،رغم انه كان غلامًا صغيرًا لما آنسوا منه نبوغًا وعبقرية لغوية مبكرة،فلمّا توثّقوا من تفوقه قدّموه عليهم،فلما تكلّم بين يدي النعمان مال الى حديثه وماكاد لبيد ينتهي من خطبته حتى طرد النعمان غريمه واعلن غلبته عليه[2] .

4 - 4- محاسن البيان:

والعرب أقدر من غيرهم على البيان والفصاحة ،لأن ألسنتهم من أكمل الألسنة بيانًا وتمييزًا للمعاني جمعًا وإفرادًا ،يجمع الكثير من المعاني في اللفظ القليل إذا شاء المتكلّم الجمع .ثم يميّز بين كل شيئين بلفظٍ آخر مميّزٍ مختصرٍ.

وقد كثرت المؤلفات من لدن علماء اللغة بعضها مطوّلٌ والآخر مختصرٌ،حول المزايا العديدة التي لم توجد في غيرها من اللغات[3] . وممّا يدل على غزارة فهم العرب وحسن بيانهم ودقيق نظرهم ما

[1] - عارف(عبدالغني)،المرجع السابق،ص469.

[2] - الاصفهاني(ابوالفرج الحسن بن علي)،المصدر السابق،ج16،ص522.

[3] - الألوسي(محمود شكري)،المرجع السابق،ج1،ص40.

اختصّوا به من قرع العصا وهوأشدّ انواع الرموز استخراجًا ،واصعبها استنباطًا لخلوه من النطق وللاقتصار فيه على مجرد الفعل ،فإنه شارةٌ الفعل دون القول .ويفتخر بنوقيس بن ثعلبة ،ان أول من قرع العصا سعد بن مالك بن ضُبيعة لأخيه عمرو بن مالك .وذلك حين لقي النعمان بن المنذر سعدًا ومعه خيلٌ بعضها يُقاد وبعضها أعراء مهملة ،فلما انتهى الى النعمان سأله عنها فقال سعد:إني لم أقُد هذه لأمنعها ،ولم أُعرِّ هذه لأضيّعها .فسأله النعمان عن أرضه هل أصابها غيثٌ يُحمد أثره،ويروي شجره،فقال سعد:أمّا المطر فغزيرٌ،وأما الورق فشكيرٌ،أي صغير،وأما النافدة فساهرةٌ،وأما الحازرة فشعبى نائمة،وأما البرشاء فقد امتلأت مساربها،وابتلّت جنابتها،وأمّا الجوف فغدُرٌلا يَطلع،وأمّا الحذف فعزافٌ لا ينكع،يفتراذ يرتع .

فقال النعمان وحسده على مارأى من ذَرَب لسانه:وأبيك إنك لمفوّه،فإن شئت أتيتك بما تعيابه عن جوابه.فقال:شئتُ ان لم يكن منك إفراطٌ ولا إبعادٌ.فأمرالنعمان وصيفًا ان يلطم سعد فلطمه،وانما أراد ان يتعدّى في القول فيقتله،فقال النعمان:ماجواب هذه؟،فقال سعد:سفيهٌ مأمورٌ،فأرسلهامثلاً.فقال النعمان للوصيف:ألطمه أخرى،ففعل.فقال:ما جواب هذه ؟،قال سعد:لوأُهي عن الاولى لم يعد للأخرى،فأرسلها مثلاً.فقال النعمان:ألطمه أخرى،ففعل،فقال:وما جواب هذه؟،قال:ربٌّ يؤدّبٌ عبده،فقال:ألطمه أخرى،ففعل،فقال:ماجواب هذه ؟ فقال:ملكتَ فأسجح،فأرسلها مثلاً.فقال النعمان:أصبت فاقعد،فمكث عنده ما مكث ثم بدا للنعمان أن يبعث رائدًا يرتاد له الكلأ،فبعث عمرو بن مالك أخاسعد،فأبطأعليه فأغضبه ذلك،،فأقسم لئن جاء حامدًا للكلأ أو ذامًّا ليقتلنّه،فلماقدم عمرو دخل على النعمان وعندهالناس،وسعدٌ قاعدٌ لديه مع الناس،وكان قد عرف مأقسم به النعمان من يمينه،فقال سعدٌ :اتأذن لي فأكلّمه ؟،قال النعمان:إن كلّمته قطعتُ لسانك،قال:فأشير اليه،قال: ان أشرت اليه قطعتُ يدك .قال:فأومئ اليه،قال: اذن انزع حدقتيك،قال:فأقرع له العصا،قال: فاقرع[1] .فتناول عصا من بعض جلسائه فوضعها في يديه ،وأخذ عصاه التي كانت معه وأخوه قائمٌ فقرع بعصاه العصا الاخرى قرعةً واحدةً ،فنظر اليه أخوه، ثم اومأ بالعصا نحوه،فعرف انه يقول:مكانك ثم قرع العصا قرعة واحدة ،ثم رفعها الى السماء،ثم مسح عصاه بالاخرى،فعرف انه يقول:قل ما أجد جدبًا،ثم قرع العصا مرارًابطرف عصاه،ثم رفعهاشيئًا،فعرف انه يقول:ولا نباتًا،ثم قرع العصا قرعةً واقبل بها نحوالنعمان ،فعرف انه يقول :كلّمه .فأقبل عمروبن مالك

[1] – نفسه،ص34.

حتى وقف بين يدي النعمان،فقال له النعمان : هل حَمِدت خصبًا ناوذممت جَدْبًا ؟،فقال عمرو، لم أذمم جدبًا،ولم أحمد بقلاً،الارض مُشكَلة لا خصبها يُعرف ولا جدبها يوصف،رائدها واقفٌ،ومنكرها عارفٌ،وآمنها خائفٌ.فقال النعمان:أولى لك،بذلك نجوت،فنجا.وهو أول من قُرعت له العصا .

قال سعدبن مالك في وصف ذلك[1] :

قرعتُ العصا حتى تبيّن صاحبي ولم تك لولا ذاك للقوم تقرع

فقال:رأيت الارض ليست بمحملٍ ولا سارحٍ منها على الرعي يشبع

سواءٌ فلا جدب يُعرف جدبها ولا صابها غيثٌ غزيرٌ فتُمرعُ

فنجي بها حوباء نفس كريمة وقد كان لولا ذاك فيهم يقطع

ورغم ان القطع النثرية التي وصلتنا عن آداب مجالس ملوك المناذرة قليلة لأنها لم تدوّن أوتقيّد في وقتها،فإننا نلمس تلك المِلَكة الادبية والفنيّة التي تميّز بها هؤلاء الملوك أنفسهم،وارادتهم في تنشيط تلك المجالس عن طريق التشجيع بالهدايا والمنح والعطايا التي كانوا يبذلونها لأولئك الأدباء ،فكان لما يمتلكونه من ثروةٍ فكريةٍ وأدبيةٍ أهّلتهم لأن يكونوا حكّامًا في مجالسهم،بل ومبدعين لما كان لهم من مناظرات ونقائض مع أشهر الخطباء والأدباء المعروفين آنذاك .

4- 5- مراتب القوم :

حفظ العرب فيما بينهم المراتب والألقاب تبعًا لتقسيمات المجتمع العربي آنذاك،وعرف الخطباء والشعراء قدرالملوك فبذلواما استطاعوالتبيان ذلك القدر وتلك المنزلة في نفوسهم ولدى قبائلهم حتى أصبحوا يتبارون في ذلك.كماحفظ هؤلاء الخطباء والشعراء،قدربعضهم البعض،وعرفوا حظ قبائلهم فيمابينهم تماشيًا مع الآداب والتقاليد التي طبعتهم،خاصة اذا كانوافي حضرة الملوك من المناذرة وغيرهم.ونقلت كتب الأدب مواقف من هذا الاحترام المتبادل،ونبل الأخلاق،ومن ذلك أن أوس بن حارثة بن لأم الطائي،وحاتم بن عبدالله الطائي،كان قد قدما على النعمان بن المنذر،فقال النعمان بن المنذرلاياس بن قبيصة الطائي:أيّهما أفضل؟،قال اياس :أبيت اللعن،ايها الملك إني احدهما ولكن سَلهما عن انفسهما يخبرانك .فدخل عليه أوس فقال:أنت افضل أم حاتم؟،فقال:أبيت اللعن،إن ادنى ولد حاتم أفضل مني،ولو كنت أنا وولدي ومالي لحاتم لأنهبهما في غداة واحدة،ثم دخل عليه

[1] - نفسه،ص35.

حاتم،فقال له :أنت أفضل أم أوس؟،فقال:أبيت اللعن،إن ادنى ولدٍ لأوس أفضل مني،فقال النعمان:هذا والله السؤدد،وأمرلكلٍ منهما بمائة من الابل[1] .

وممّا اشتهرفي الاستدلال وحسن الاستماع،ومعرفة الرجال ومراتبهم،ما جمع ضمرة بن ضمرة،وكان اسمه شَقّة بن زَمرة ، بالملك النعمان بن المنذر في قصّته المذكورة،والتي كانت مضرب المثل الشهيرالقائل:تسمع بالمعيدي خيرٌمن أن تراه.وهوالمثل الذي ينطبق على من خالف مظهره وحاته قوله،وكان قوله اشرف من هيئته .وكان النعمان قد قاله في حق ضمرة بن ضمرة ،حين دخل عليه ونظر اليه فأزراه ولم تعجبه هيئته وكان قد تناءى اليه خبريلاغته وفصاحته وحدّة بيانه .

ولكن ردّ ضمرة بن ضمرة كان مُفحمًا للنعمان بن المنذر،إذ قال:"أبيت اللّعن إن الرجال لا تُكال بالقفزان،ولا توزن بميزان،وليست بسموك يسقى بها،انما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه،إن صال صال بجنانٍ وإن قال قال ببيانٍ[2] " .

4 -6- المسابّة : تمتّع الخطباء والأدباء العرب بحريّة مكّنتهم من تحصيل الكثير من الابداع في مجالهم ،ولولا تلك الحرية لما وصلت الينا ذلك الكمّ غير اليسير من انتاجهم الادبي الذي ملأ كتب التاريخ والاثار والآداب ،ولولا تأخر تدوينه لحصلنا على مقدارٍ أكبر من الفنون التي اعتنوا بها .

وكفلت تلك الحرية والانطلاق والتنافس، بروزالمناظرات والمناقضات التي شملت مجالس ملوك المناذرة وبلاطهم ،فكان الملك من المناذرة وان تصدّر المجلس وعنت لهيئته وسطوته الاعناق ،لا يعدوان يكون احد المأسورين المتفرّجين والمتابعين لمجريات تلك المباريات الادبية التي تجري بين هؤلاء الادباء والخطباء .وان كان ملوك المناذرة أنفسهم يملكون قدرًا كافيًا من ملكة الادب والتذوق الفني والشعري ،فيبدعون من ذلك في بعض الاحيان كما مرّ بنا مع النعمان بن المنذر .

ومن الأمثلة على حرية من كان يقف في مجلس ملوك المناذرة ،ان المتنافسين في ذلك المجلس يمكن ان تصل درجة التنافس والتباري بينهم الى حدّ المسابّة والقذف في بعض الاحيان بأسلوب ادبي ابداعي ،فلا ينكر الملك من ذلك شيئًا بل يقف موقف المستمتع من تلك المناظرات ،ومن المسابّات اتي ذكرتها كتب الادب ،على قلّتها،ماكان بين معاوية بن شكل وحجل بن نضلة ،حيث ان معاوية بن شكل ذمّ حجلة بن نضلة وسابّه في مجلس النعمان بن المنذر،فقال له يصفه بسخريةٍ : انه مقبل

[1] – ابن عبد ربه(ابوعمراحمدالاندلسي)،المرجع السابق،ج2،ص145.

[2] – الميداني(ابوالفضل احمد بن ابراهيم)،المصدر السابق،ج1،ص178.

النعلين،منتفخ الساقين،قعو الإليتَين،مشّاء بإقراء،قتّال نلباء،أي صياد ضباء،بيّاع إماء فقال له النعمان :أردتَ ان تذمّه فمدحته[1] .

وبذلك يمكننا القول ان مختلف الفنون النثرية التي تجسدت فيما ذكرنا من جملتها جزءًا يسيرًا منها قد ساهمت في نشر ثقافة المبارزة والمناظرة الادبية التي أدت في النهاية الى صقل نفوس العرب بصفةٍ عامةٍ فجعلتهم اهل بيانٍ يتأثرون ويؤثرون به .

[1] – ابن منظور(ابوالفضل محمد بن مكرم)،المرجع السابق،ج15،ص179 ؛جواد(علي)،المرجع السابق،ج4،ص681.

الخاتمـة

الخاتمة :

شكّلت دولة المناذرة منذ القرن الثالث الميلادي،حلقة الاتصال الحضارية التي وصلت بين حضارتي الشرق بزعامة الفرس والغرب ممثلة في الروم البيزنطيين.وأدّت النواة الحاكمة في مرحلة التأسيس وما بعدها دورًا حضاريًا وسياسيًا جعل الحيرة مركزًا علميًا وثقافيًا يحجّ إليه صفوة أبناء القبائل العربية ويلوذون به طلبًا للشهرة والمال والعطايا.فكان بلاط ملوك المناذرة بمثابة مسرح يعرض فيه هؤلاء الشعراء والأدباء والمثقفين انتاجهم الفكري في جوٍ من التنافس والندّية،جعل ذلك الانتاج الفكري يرتقي بإضطراد تحدّي الشعراء بعضهم بعضًا،ومغالبتهم في التمكين لدى ملوك المناذرة.

وقد لعبت دولة المناذرة في الجانب الحضاري دورًا كبيرًا في استقطاب مختلف فئات أعلام الأدب والمعارف الأخرى،فظهرت نتائج ذلك الإستقطاب واضحةً في العمران والخطّ والفكر والطبّ والشّعر والأدب والخطابة وغيرها من الفنون،التي غلب عليها الجانب الأدبي وازدهر بشكلٍ كبيرٍ. ولما كان الشعر ديوان العرب ومنتهى فخرهم وملتجأ شهرتهم وبروزهم على ساحة الاحداث،فقد شجّعوا على تفشّيه وشيوعه،حتى لا نجد قبيلةً تخلو من شاعرٍ يعبّر عن صوتها ويفخر بإنجازاتها ونسبها ويذود بلسانه عن حياضها،حتى كثر الشعراء في القبيلة الواحدة.

ولمّا كان هؤلاء الشعراء هم أبواق الدعاية السياسية وقادة الحرب النفسية الكلامية،تحسّس ملوك المناذرة لذلك وهم من العرب،فأدركوا أهمية إحتواء هؤلاء الشعراء فإنبروا يحضونهم بالعطاءات والهدايا،حتى ألّفوا في مدحهم القصائد الطوال وتنافسوا في ذلك فأوجدوا حركة شعرية أدبية قلّ أن نجدها في الإمارات العربية الأخرى ،سواءًا الجنوبية أو حتى لدى جيرانهم الشماليين.

ولكن علاقة هؤلاء الشعراء لم تكن حسنةً على الدوام مع ملوك المناذرة،وكثيرًا ماساءت فأوجدت موضوعاتٍ أخرى في الشعر كالهجاء والمناقضة والمناظرة وغيرها من فنون النثر،لتضاف الى المدح والفخر،فأثْرت بذلك زخم الحياة الأدبية في الحيرة وما يتصل بها،وكانت ردود أفعالهم عن طريق الشعر إضافةً وإثراءًا للنشاط الأدبي في دولة المناذرة .

وزاد من تقبّل العرب وإقبالهم على الشعر،فبالإضافة الى مايعنيه من إبداعٍ فنيٍ ومعانٍ جديدةٍ،فإنه أوجد تأريخًا للوقائع،يحكي جوانب من حضارة العرب في الحيرة.وبنفس الأهمية التي كانت للشعر في بلاط الحيرة،وجدنا النثر وفنونه المختلفة محطّ إهتمامهم، فإزدهرت في بلاط المناذرة ومجالسها القصص

الـتي ضُـربت في ثناياهـا الأمثـال المختلفـة،فحفظت جـزءًا مهمًّـا في تـاريخ العـرب و المنـاذرة علـى الخصوص،وشكّلت التراث الذي يعتبر القاعدة التي يبنى عليها أيّ مشروعٍ للنهضة في مجال العلوم الإنسانية .

كما كانت الخطب النيّرة والبليغة الى جانب عملها في الذوق لدى الانسان العربي القديم،على قدرٍ معتبرٍ وقيمةٍ بما تحويه من تاريخ وتوثيق أدبيٍ لوقائع التاريخ المختلفة،لذلك نجد أن الحياة الأدبية في دولة المناذرة قد ساهمت مساهمةً واضحةً في النهوض و الإزدهار الحضاري الذي شهدته هذه الدولة التي رفعت لواء الدولة العربية القديمة التي تمثل كل العرب آنذاك،في ضلّ الإستقطاب الحضاري والسياسي الذي كانت حضارة الفرس والروم البيزنطيين تحاول فرضه على مختلف المجتمعات القديمة ،خاصّة تلك القريبة منها جغرافيًا .

ومن الملاحظ للباحث في موضوع الحياة الأدبية في دولة المناذرة ،ذلك الدور البارز الذي لعبه ملوكهم في إثراء وإذكاء روح التنافس بين مختلف فئات وأعلام الأدب والشعر والخطابة المعروفين في المجتمع العربي آنذاك بصفةٍ عامّةٍ .على أن سكان الحيرة أنفسهم ،كانوا على قدرٍ محترمٍ من الحضارة والثقافة فكانوا على إطلاعٍ بالكتابة والقراءة ،وكانوا سببًا في نقل اللغة الى الحواضر العربية الاخرى .

تلك الثقافة التي ساهمت في إثراء زخم الساحة الأدبية من خلال التدوين الذي وصلنا نزرٌ منه . وممّا يوضّح تلك المدنية والحضارة التي تمتّع بها سكان الحيرة ،ما بلغوه في مجال الهندسة والعمران الى درجةٍ بلغت حدّ الإبداع .فقد عُرفوا بطرازٍ معماريٍ أصبح معروفًا في قصورهم ومبانيهم وهو المعرف بالحاري ذي الكُمّين .الى جانب المعارف الاخرى التي نقلتها كتب التاريخ عنهم ،في مجال الطّب والصناعة والفلك .

كما لعبت المجالس الأدبية العديدة المنتشرة في دولة المناذرة ،وعلى رأسها مجالس ملوك المناذرة أنفسهم ،ذلك الدور المميّز في انتشار مختلف أنواع الفنون الأدبية وكان أساسهما الشعر والخطابة.

ولئن أثّر هذان النوعان على انتاج أدباء الحيرة وشعرائها ،حتى طغى وغلب على الفنون الأخرى فكان اكثر غزارةً من باقي الفنون ،فقد كان للفنون النثرية الأخرى نصيبٌ من ابداعاتهم واهتماماتهم .

فازدهرت القصّة بمختلف انواعها وتفرّعاتها ،وضُربت الأمثال وكثرت روايات مضاربها،وبرز في القصّة وأنواعها المختلفة أدباءٌ صاروا أعلامًا ذكرتهم كتب التاريخ والأدب .

وأدّى ذلك كلّه في النهاية الى ما يمثّل الإشعاع الحضاري الذي فرضته دولة المناذرة على باقي الكيانات والمجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية .

فرافق التحالف أو ما يشبه الحماية السياسية للقبائل والكيانات العربية من طرف دولة المناذرة إحتواءًا حضاريًا كان سبيله الأدب والشعر والخطابة ومختلف الفنون الأدبية الأخرى .

الببليوغرافيا

قائمة المصادر :

أ – العربية :

1- القرآن الكريم .

2- الأصفهاني(أبوالفرج علي بن الحسين)،الأغاني،تح،احسان عباس وآخرون،ج1،ط2،دارصادر، بيروت.

3- الأصفهاني(حمزة)،سني ملوك الأرض والأنبياء،مكتبة الحياة،بيروت .

4- الأصمعي(أبوسعيدعبدالملك بن قريب)،الأصمعيات،تح،أحمدشاكروعبدالسلام هارون، دار المعارف،مصر،1963 .

5- الآمدي(ابوالقاسم الحسن بن بشر)،المؤتلف والمختلف في اسماءالشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم،تح،عبدالستارأحمدفراج،دارإحياء الكتب العربيةالقاهرة،1960.

6- إبن الأثير(أبوالحسن علي)،الكامل في التاريخ،ط4، ج1،دارالكتاب العربي،بيروت،1983.

7- إبن جني(أبوالفتح عثمان)،الخصائص،تح،محمدعلي النجار،ط2، ج1،دارالهدى،بيروت،1952.

8- إبن الجوزي(عبدالرحمان بن علي)،المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،تح،محمد عطا،مصطفى عطا، ج2،ط2،دارالكتب العلمية،بيروت،1995.

9- إبن خلدون(عبدالرحمان)،تاريخ الرسل والملوك،تح،محمدأبوالفضل ابراهيم، ج1،ط4،دار المعارف،القاهرة،1979.

10- إبن خلدون(عبدالرحمان)،المقدمة، ج1،ط3،دارالكتاب للطباعة والنشر،بيروت،1967.

11- إبن دريد(أبوبكرمحمدبن الحسن)،الإشتقاق،تح،عبدالسلام محمدهارون،مطبعةالسُّنةالمحمدية، 1958 .

12- إبن رشيق(أبوعلي الحسن القيرواني)،العمدة في محاسن الشعروآدابه ونقده،تح،محمدمحي الدين عبدالحميد، ج1،دارالجيل،بيروت،1972.

13- إبن سعد(محمدبن سعدالزهري)،الطبقات الكبرى، ج1،دارصادر،بيروت،1957.

14- إبن عبدربه(أبوعمرأحمد)،العقدالفريد،تح،مفيدقميحة، ج4،ط1،دارالكتب العلمية،بيروت،

. 1983

15- إبن قتيبة(أبومحمدعبدالله الدينوري)،المعارف،تح،ثروت عكاشة،ط4، دارالمعارف،مصر، 1981.

16- إبن قتيبة(أبومحمدعبدالله الدينوري)،تأويل مشكل القرآن،تح،أحمد صقر،ط2،دارالتراث، القاهرة،1959.

16- إبن قتيبة(أبومحمدعبدالله الدينوري)،الشعروالشعراء،تح،مصطفى السقا،مطبعةالمعاهد،القاهرة، 1932.

17- إبن الكلبي(أبوالمنذرهشام بن محمد)،الأصنام،تح،أحمدزكي،الدارالقومية،القاهرة، 1924 .

18- إبن مسكويه،تجارب الأمم،ج1،مكتبة المثنى،بغداد.

19- إبن المعتز،طبقات الشعراء،تح،عبدالستارأحمد فراج،ط3،ج1،دارالمعارف،مصر،1956.

20- إبن النديم (أبوالفرج محمد بن اسحاق)،الفهرست،دارالمعرفة،بيروت،1978.

21- إبن هشام(ابومحمدعبدالله)،السيرة النبوية،تح،مصطفى السقاوآخرون،ج1،داراحياءالتراث العربي،بيروت،[د،ت] .

22- إبن الوردي(زين الدين عمر)،تاريخ بن الوردي،ج1،ط1،دارالكتب العلمية،بيروت،1996.

23- أبوالفداء(إسماعيل بن علي)،المختصرفي أخبار البشر،تح،محموديوب،ج1،دارالكتب العلمية، بيروت،1997.

24- البلاذري(أحمدبن يحي)،فتوح البلدان،تح،صلاح الدين المنجد،ط1،دارالنهضةالمصرية،مصر.

25- الجاحظ(أبوعثمان عمروبن بحر)،الحيوان،تح،عبدالسلام هارون،ج6،ط2،مطبعةمصطفى البابي الحلبي،مصر،1965.

26- الجاحظ(أبوعثمان عمروبن بحر)،البخلاء،تح،أحمدالعوامري وعلي الجارم،ج1،مطبعة دار الكتب المصرية ،1938.

27- الجاحظ(عمروبن بحر)،البيان والتبيين،تح،عبدالسلام محمدهارون،ج1،ط3،مكتبةالخانجي، القاهرة ،1968.

28- الجرجاني(علي بن عبدالعزيز)،الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقدشعره، ج1،دارالأزهرللنشر، مصر.

29- الجواليقي(أبومنصورموهوب بن أحمد)،المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم،تح، أحمدبوالفتح،ط2،مطبعة دارالكتب،1969.

30- السيوطي(جلال الدين عبدالرحمان)،المزهرفي علوم اللغة وأنواعها،تح، محمدأحمدجادالمولى وآخرون، ج1،مطبعةعيسى البابي الحلبي.

31- الشهرستاني(محمد بن عبدالكريم)،الملل والنحل،تح،محمدسيدالكيلاني، ج1،دارالمعرفةللطباعة والنشر،بيروت.

32- الطبري(محمدبن جرير)،تاريخ الطبري،تح،نواف الجراح، ج2،دارصادر،بيروت،2005 .

33- العسكري(أبوهلال الحسن بن عبدالله)،كتاب جمهرة الأمثال،تح،أحمدبن عبدالسلام ومحمد سعيدزغلول، ج2،ط1،دارالكتب العلمية،بيروت،1988.

34- القالي(أبوعلي اسماعيل)،الأمالي،ط2، ج1،دارالكتب،القاهرة،1953.

35- قدامة(أبوالفرج بن جعفرالبغدادي)،نقدالنثر،تح،طه حسين وعبدالحميدالعبادي دارالكتب العلمية،بيروت،1980.

36- القرماني(أحمد بن يوسف)،أخبارالدول وآثارالأول في التاريخ،تح،أحمدحطيط فهمي سعد، ج3،ط1،عالمالكتب،بيروت،1992.

37- الماوردي(أبوالحسن علي بن محمد)،أدب الدنيا والدين،ط16،المطبعةالأميرية،القاهرة،1925.

38- المرتضى(علي بن الحسين الشريف)،أمالي المرتضى،غررالفوائدودررالقلائد،تح،أبوالفضل ابراهيم، ج1،مكتبة عيسى البابي الحلبي،القاهرة،1955.

39- المرزباني(أبوعبيدالله محمدبن عمران)،معجم الشعراء،تح،عبدالستارفراج، ج1،دارإحياء الكتب العربية،القاهرة،1960.

40- المرزباني(أبوعبيدالله محمدبن عمران)،الموشّح،تح،علي محمد البجاوي،دارمصر، 1906.

41- المسعودي(أبوالحسن علي)،مروج الذهب ومعادن الجوهر،تح،يوسف أسعد داغر،ط4، ج1، ج2،دارالأندلس للطباعة والنشر،1981.
42- الميداني(أحمدبن محمد)،مجمع الأمثال،تح،محمدأبوالفضل، ج3، ط2،دارالجيل،بيروت،1987.
43- النووي(محي الدين يحي بن شرف)،صحيح مسلم، ج5،مكتبةالإيمان،مصر.
44- اليعقوبي(أحمدبن جعفر)،تاريخ اليعقوبي،طبعة ليدن،مطبعة بريل،1969.

ب- الأجنبية :

1-Herodote,Histoires,tra,Barguet.A.liv5,ed,Galimard,Paris, 1964.
2- Procopius,la guerre contre les Perses,liv3,la roue à livres, le Les belles lettres ,Paris,1990.
3-Socrate.Constatinople,HistoireEcclésiatique,t_2,tra,Pierre. P,S.JetPied,Ged,Gerf,Paris,2004.
4- Strabon,Geographie,tra,A.Tradieu,liv3,ed,Hachette,Paris, 1890.

ج- دواوين الشعر :

1- أبوتمام(حبيب بن أوس)،ديوان الحماسة،تح،عبدالمنعم صالح، ج1،وزارةالاعلام،بغداد ،1980.
2- الأعشى (ميمون بن قيس)،ديوان الاعشى،داربيروت،بيروت،1980.
3- الشنتمري(الأعلم يوسف بن سليمان)،ديوان امرئ القيس،تح،ابن ابي شنب،الشركةالوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر،1974.
4- طرفة(أبوعمروطرفة بن العبدالبكري)،ديوان طرفة،تح،أحمدالأمين الشنقيطي،دارصادر،بيروت، 1953.
5- عدي(بن زيد العبادي)،ديوان عدي بن زيدالعبادي،تح،المعيدمحمدجبار،دارالثقافة والإرشاد، بغداد،1965.

6- عمرو(بن قميئة)،ديوان عمرو بن قميئة،تح،خليل ابراهيم عطية،وزارةالاعلام العراقية،بغداد 1972 .

7- عنترة(بن شدادالعبسي)،ديوان عنترةبن شداد،تح،محمدسعيدالمولوي،المكتب الإسلامي،دمشق 1970.

8- القرشي(أبوزيدمحمدبن الخطاب)،جمهرةاشعارالعرب في الجاهلية والاسلام،تح،علي البجاوي، ط1،دارنهضة مصر،1979 .

9- لبيد(إبن أبي ربيعة)،ديوان لبيدبن أبي ربيعةالعامري،تح،إحسان عباس،وزارةالارشاد،الكويت 1962 .

10- المتلمّس(جريرالضبّعي)،ديوان المتلمّس،تح،حسن كامل الصيرفي،معهدالمخطوطات العربية، القاهرة،1970.

11- المثقب(العائذبن محصن العبدي)،ديوان المثقب العبدي،تح،حسن كامل الصيرفي،معهد المخطوطات العربية،القاهرة ،1971.

12- لُقيط(بن يعمربن خارجة الايادي)،ديوان لقيط،تح،عبدالمعيدخان،دارالأمانة،بيروت،1971.

13- النابغة(الذبياني)،ديوان النابغةالذبياني،تح،محمدالطاهربن عاشور،الشركةالوطنية للنشروالتوزيع الجزائر.

14- الصفار(رشيد)،ديوان الشريف الرضي،تح،مصطفى جوادومحمدرضاالشبيبي،ج1،ط2، المؤسسة الاسلامية للنشر، بيروت،1987.

- قائمة المراجع والدراسات :

أ- العربية :

1- الأسد(ناصرالدين)،القيان والغناء في العصرالجاهلي،ط2،دارالمعارف،مصر، 1968.

2- الأسد(ناصرالدين)،مصادرالشعرالجاهلي وقيمتهاالتاريخية،ط8،دارالجيل،بيروت،1996.

3- الألوسي(محمودشكري)،بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب،تح،محمدبهجةالأثري، ج1،دار الكتب العلمية،بيروت.

4- أمين(أحمد)،فجرالإسلام،ط1،دارالكتب العلمية،بيروت،2004 .

5- أيبش(أحمد)،التلمود،دارقتيبة،دمشق،2006.

6- إبن الشجري(هبة الله بن علي)،مختارات شعراء العرب،تح،علي محمدالبجاوي،دار نهضة مصر، 1974 .

7- أبوالخير(محمود)،الشعربلاط الحيرة،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1983.

8- أبوشارب(مصطفى فتحي)،العلاقة بين العرب والفرس وآثارهافي الشعرالجاهلي،ط1،دارعالم الكتب،الرياض،1996.

9- برو(توفيق)،تاريخ العرب القديم،ط2،دارالفكر،دمشق،1996.

10-البستاني(بطرس)،العصرالجاهلي، ج1،مؤسسةالحضارةالعربية،دارصادر،بيروت.

11- بشير(يموت)،ط1،شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام،المكتبةالأهلية،بيروت،1934.

12- ثعلب(أحمدبن يحي)،مجالس ثعلب،تح،محمدهارون،ط3،دارالمعارف،مصر،1956.

13- جادالمولى(محمد أحمد) وآخرون،قصص العرب، ج1،ط4،دارإحياءالكتب العربية،القاهرة، العربية،القاهرة،1962.

14- جبران(نعمان محمود)،سحيم(روضة)،دراسات في تاريخ الجزيرةالعربية قبل الإسلام،مؤسسة حمادة،الأردن،1998.

15- الجبوري(يحي)،الجاهلية،مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي،مطبعة المعارف،بغداد 1978.

16- جرجي (زيدان)،العرب قبل الاسلام،دارمكتبة الحياة،بيروت،1966.

17- جرجي(زيدان)،تاريخ التمدن الاسلامي، ج5،دارالهلال،القاهرة .

18- جرجي(زيدان)،تاريخ اداب اللغة العربية، ج1،دارالهلال،القاهرة،1957.

19- جمعة(محمد ابراهيم)،حسان بن ثابت، دارالمعارف،مصر.

20- الجندي(عبدالحميدسند)،زهير بن أبي سلمى،المؤسسةالمصريةالعامةللتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، [د،ت] .

21- جواد(علي)،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ط3،ج3،ج8،دارالعلم للملايين،بيروت، مكتبةالنهضة،بغداد،1976.

22- حتي(فيليب)،تاريخ العرب(مطوّل)،ج1،ط4،دارالكشاف،1965 .

23- حسن(إبراهيم حسن)،تاريخ الإسلام،ج1،ط15،دارالجيل،بيروت،2001.

24- حسين(عطوان)،مقدمةالقصيدةالعربية في الشعرالجاهلي،دارالمعارف، مصر.

25- حسين(العودات)،العرب النصارى،ط1،الأهالي للطباعة والنشر،دمشق،1992.

26- الحسيني(اسحاق موسى)،المدخل في الادب العربي المعاصر،مطبعة المدني،1963 .

27- حمور(عرفان محمد)،أسواق العرب، دارالشورى،بيروت.

28- حنا(فاخوري)،تاريخ الأدب العربي،ط6،المكتبةالبوليسية،بيروت.

29- حنا(فاخوري)،الجامع في تاريخ الادب،ط1،دارالجيل،بيروت،1986.

30- الحوفي(أحمد)،تيارات ثقافية بين العرب والفرس،ط3،دارنهضةمصر،1978.

31- الحوفي(احمد)،الغزل في العصرالجاهلي،ط3،دارنهضةمصرللطبع والنشر،1973.

32- الحوفي(أحمد)،الحياة العربية من الشعرالجاهلي،ط5،دارنهضة مصرللطبع والنشر،1972.

33- خفاجي(محمدعبدالمنعم)،موقف النقادمن الشعرالجاهلي،مطبعةالإعتماد،مصر،1950.

34- الرافعي(مصطفى صادق)،تاريخ آداب العرب،ط1،ج3،دارالكتب العلمية،بيروت،2000.

35- الرافعي(مصطفى صادق)،حضارة العرب،ط4،الشركةالعالميةللكتاب،بيروت،1988.

36- رشيد(يوسف عطاءالله)،تاريخ الآداب العربية،تح،علي نجيب عطوي،ط1،مؤسسةعزالدين، بيروت،1985.

37- الرفاعي(أنور)،الإسلام في ونظمه،ط4،دارالفكرالمعاصر،دمشق،2002.

38- الزوزني(الحسين بن أحمد)،شرح المعلقات السبع،تح،محمدمحي الدين عبدالحميد،ط3،مطبعة السعادة ومنشورات دارالبيان،بيروت،1973.

39- الزيات(أحمد حسن)،تاريخ الادب العربي،دارنهضة مصر،القاهرة .

40- سامي(منير)،ملامح وحدة القصيدة في الشعرالعربي بين القديم والحديث،ط1،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1979.

41- سوسة(أحمد)،حضارةالعرب ومراحل تطورهاعبرالعصور،وزارةالإعلام العراقية،بغداد، 1979.

42- السيد(عبدالعزيزسالم)،تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام،مؤسسةشباب الجامعة، الاسكندرية،2002 .

43- السيد(عبدالعزيزسالم)،تاريخ العرب منذظهورالإسلام،مؤسسةشباب الجامعة،الإسكندرية .

44- السيد(عبدالعزيزسالم)،دراسات في تاريخ العرب،ج2،مؤسسةشباب الجامعة،الإسكندرية .

45- السيد(عبدالعزيزسالم)،تاريخ العرب في عصرالجاهلية،دارالنهضةالعربية،بيروت،[د،ت].

46- الشريف المرتضي(علي بن الحسين)،أمالي المرتضى،تح،محمدأبوالفضل إبراهيم،دارإحياءالكتب العربية،1954.

47- شكري(فيصل)،تطوّرالغزل بين الجاهلية والاسلام من امرئ القيس الى ابن أبي ربيعة،ط4، دار العلم للملايين،بيروت،1959.

48- شوقي(ضيف)،الفن ومذاهبه في الشعرالعربي،ط9،دارالمعارف،مصر.

49- شوقي(ضيف)،تاريخ الادب العربي في العصرالجاهلي،ط8،دارالمعارف،مصر،1960.

50- صالح(مهدي عماش)،من ذي قار الى القادسية،وزارةالاعلام العراقية،بغداد.

51- الصعيدي(عبدالمتعال)،زعامةالشعرالجاهلي بين امرئ القيس وعدي بن زيد،ط1،المطبعة المحمودية،1924.

52- الضحيان(إبراهيم عبدالله)،البيئةالأدبية في الحيرة،مكتبةالملك فهد،الرياض،2004.

53- الطريحي(محمدسعيد)،الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها،ط1،دارصادر، بيروت،1981.

54- طه(حسين)،في الشعرالجاهلي،ط2،دارالمعارف،تونس،1998.

55- عاقل(نبيه)،تاريخ العرب القديم وعصرالرسول،دارصادر،بيروت[د،ت].

56- عدنان(ترسيسي)،بلادسبأوحضارات العرب الأولى،ط2،دارالفكرالمعاصر،بيروت.
57- عصام(السعيد)،تاريخ العرب في العصورالقديمة،دارالمعرفةالجامعية،القاهرة
58- عطية(محمدهاشم)،تاريخ الأدب العربي في العصرالجاهلي،مطبعة العلوم،القاهرة،1932.
59- العظمة(نذير)،عدي بن زيد،دارالمكتبةالعصرية ودارمجلةالشعر،بيروت،1960.
60- عمر(الدسوقي)،النابغة الذبياني،ط3،دارالفكرالعربي،1954.
61- علي(عبدالحليم محمود)،القصّةالعربية في العصرالجاهلي،ط2،دارالمعارف،مصر،1979.
62- العلي(صالح أحمد)،تاريخ العرب القديم والبعثةالنبوية،ط2،شركةالمطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،2003.
63- العلي(صالح أحمد)،محاضرات في تاريخ العرب،ج1،مؤسسةدارالكتب للطباعةوالنشر،جامعة الموصل،1981.
64- عوض الله(أحمد ابوالفضل)،مكة في عصرماقبل الإسلام،ط2،دارالملك عبدالعزيز،1980.
65- غنيمة(يوسف رزق الله)،الحيرة،المدينةوالمملكةالعربية،مطبعةالمعارف،بغداد،1936.
66- غنيمي(محمدهلال)،النقدالأدبي الحديث،دارنهضةمصرللطبع والنشر،القاهرة.
67- فروخ(عمر)،العرب في حضارتهم وثقافتهم الى آخرالعصرالأموي،ط2،دارالعلم للملايين، بيروت،1968.
68- الفقي(عصام الدين عبدالرؤوف)،معالم تاريخ وحضارة الاسلام،دارالفكر العربي،القاهرة، 1998.
69- قدورة(فاطمةالشامي)،تطورتاريخ العرب السياسي والحضاري،ط1،دارالنهضةالعربية، بيروت،1997.
70- القرشي محمد(أبوزيد بن ابي الخطاب)،جمهرة اشعارالعرب،دارصادر،بيروت.
71- المازنداني،تاريخ النقودالاسلامية،ط3،دارالعلوم،بيروت،1988.
72- المباركفوري(صفي الرحمان)،الرحيق المختوم،المكتبةالمصرية،بيروت،2003 .
73-المبرد(أبوالعباس محمدبن يزيد)،الكامل في اللغةوالادب،تح،أبوالفضل إبراهيم وزميله،دارنهضة مصر.

74- محمد(أبوالفضل إبراهيم)وعلي(محمدالبجاوي)،أيام العرب في الجاهلية،المكتبةالعصرية،بيروت، 2004.

75- محمد(صالح سمك)،أميرالشعرفي العصرالقديم،دارنهضة مصر،1973.

76- مصطفى السقاوسيدكيلاني،مختارالشعرالجاهلي،ط4،مطبعة البابي الحلبي،القاهرة.

77- المعري،رسالةالملائكة،تح،محمدسليم الجندي،دارصادر،بيروت،1991.

مهران(محمد بيومي)،دراسات في تاريخ العرب القديم،دارالمعرفة الجامعية،الاسكندرية،1999.

78- لويس(شيخو)،شعراءالنصرانية قبل الاسلام،ط4،دارالمشرق،بيروت،1991.

79- لويس(شيخو)،علم الأدب،ج2،ط3،مطبعة الاباء اليسوعيين،بيروت،1926.

80- الهاشمي(محمد علي)،عدي بن زيد العبادي،المكتبة العربية،حلب،1967.

ب – الأجنبية :

1- B.Lewis,v,L, Ménage,Ch,Pellat & J,Schacht, Encyclopédie del'Islam,2e éd,t_2,Maison neuve& Larosse, Paris,1975.

2- Belyaev(E.A),Arabs, Islam and the Arab Caliphate,Pellmall Press,London,1969.

3- Bergé(Mark),LesArabes,ed,Lidis,Paris,1983.

4- Blachére (Régis),Histoire de la littérature Arabe,Librairie d'Amérique et d'Orient,Paris,1952.

5- Boulos(Jawad),Les peuples et les civilisations du Proche-Orient,t_3,Muton & CO La Haye,Londres ,Paris,1964.

6-Ch.ClermontGanneau,recueild`archeologieorient,t_6,ELeroux Paris.

7- Dussaud (René) ,les Arabes en Syrie avant ,P.Gauther.Paris.

8- Halma(Abbe),Traite de geographie de Claud Ptolemee, Eberhartimprimeur,Paris,1828.

9- Hitti (Philip.K), Précis d'histiore des Arabes,tra,Maurice Planiol,Payot,Paris,1950.

10- Huart . L ,Histoires des Arabes ,t_1 ,L,PaulGauther, Paris,1912.
11- Instut Français de Damas,EtudesOrientale ,C.P.D.R.C.T ,t_{XXII},année,1993,Damas,1993.
12- Miquel(André),L'Islam et sa civilization,7éme éd ,Armand Colin,Paris,2004.
13-Neol(M.desvergers),Arabie,FirmininDidotfréres, éditeurs,Paris.
14- Sedillot.(L.A) ,Histoires des Arabes,Liberaire de L. Hachette et C1e Paris,1854.
15- Sourdel(Dominique),Histoire des Arabes,1ereéd,Presse de France,1976.
16- Tor(Andrea),Les Origines de l'Islam et le Christianisme, tra, Jules Roche Adrien Maisonneuve ,Paris,1955.

- قائمة المراجع والدراسات المترجمة الى العربية :

1- آدم متنز،الحضارةالإسلامية في القرن الرابع الهجري،تر،محمدعبدالهادي،ج2،ط5،دارالكتاب العربي،بيروت.

2- أرسطو،الخطابة،تر،عبدالرحمان بدوي،مكتبةالنهضةالمصرية،القاهرة،1959.

3- أرسطو،فن الشعر،تر،عبدالرحمان بدوي،دارالثقافة،بيروت،1973.

4- أوليري،مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب،تر،تمام حسان،عالم الكتب،القاهرة،2002 .

5- بروكلمان(كارل)،تاريخ الشعوب الإسلامية،تر،نبيه أمين،منيرالبعلبكي،ط6،دارالعلم للملايين، بيروت .

6- بروكلمان (كارل)،تاريخ الأدب العربي، تر،عبد الحليم النجار،ج1،ط5،دارالمعارف،القاهرة.

7- بلاّ(شارل)،تاريخ اللغة والآداب العربية،تر،رفيق بن وناس وزملاؤه،ط1،دارالغرب الاسلامي، بيروت،2000.

8- بلياييف(ي.م)،العرب قبل الإسلام والخلافة العربية في القرون الوسطى،تر،أنيس فريحة،الدار المتحدة للنشر،بيروت،1973 .

9- ديسو(رنيه)،العرب في سوريا قبل الإسلام،تر،عبدالحميدالدواخلي ومحمد مصطفى زيادة، وزارة التربية والتعليم،لجنةالتأليف والترجمة والنشر،دمشق،1959.

10- سيديو(لويس.ا)،خلاصة تاريخ العرب،تر،علي مبارك،دارالآثار،بيروت.

11- غرونباوم(فون غوستاف)،دراسات في الادب العربي،تر،إحسان عباس وآخرون،منشورات مكتبةالحياة،بيروت،1959.

12- لوبون(غوساف)،حضارة العرب،ط3،دارالإيحاءالكتب العربيةالقاهرة،1956.

13- مرجليوث(ديفيد صموئيل)،أصول الشعرالعربي،تر،يحي الجبوري،ط1،مؤسسةالرسالة،بغداد، 1978.

14- نالينو(كارلو)،تاريخ الآداب العربية،ط2،دارالمعارف،القاهرة،1970.

15- نكلسن(رينولد)،تاريخ الأدب العربي،تر،صفاء خلوصي،مطبعةالمعارف،بغداد،1969.

16- نودلكه(تيودور)،أمراء غسان،تر،بندلي خوري،قسطنطين رزيق،دارالعلم للملايين، بيروت، 1933.

17- يوهان(فك)،العربية،تر،عبدالحليم النجار،مطبعةالكتاب العربي،القاهرة، 1950 .

- قائمة المعاجم والقواميس والموسوعات والمجلاّت :

1- الأمانة العامة،عن أديرة النصارى في العراق،مجلةالمؤرخ العربي،العدد6،اتحادالمؤرخين العرب، بغداد،1981.

2- إبن منظور(أبوالفضل محمد بن مكرم)،لسان العرب،ج6،دارصاد،بيروت.

3- البكري(عبدالله بن عبدالعزيز)،معجم ما استعجم،ج2،دارالمعارف،القاهرة،1945 .

4- جواد(علي)،مواردتاريخ الطبري،مجلةالمجمع العلمي العراقي،ج1،السنة1،مطبعةالنقيض،بغداد، 1950.

5- الحموي(ياقوت)،معجم البلدان،ج2،دارصادروداريروت،بيروت،1979.

6- الزبيدي(محمدمرتضى الحسيني)،تاج العروس من جواهرالقاموس،ج5،تح، عبدالعزيزمطر،ط2، مطبعةحكومةالكويت،1994.

7- الشمس(ماجدعبدالله)،حفريات مقبرةالحيرة،مجلةسومر،ج1وج2،ج45،السنة1987-1988، دائرةالأثاروالتراث وزارةالثقافة والإعلام،الجمهوريةالعراقية .

8- لانجر(وليم)،موسوعة تاريخ العالم،مكتبة النهضةالمصرية،مصر،[د،ت].

9- مطلوب(أحمد)،معجم الملابس في لسان العرب،ط1،مكتبةلبنان ناشرون،بيروت، 1995.

10- وهيب(أبوفاضل)،موسوعة علم التاريخ والحضارة،ج2،ط1،دار نوبليس،2003.

الملاحق

الملحق رقم 01

خطط مدينة الحيرة

عارف(عبدالغني)،تاريخ الحيرة في الجاهلية والاسلام،دار كنان للطباعة والنشر،دمشق،1993،ص698.

الملحق رقم 02

جزيرة العرب

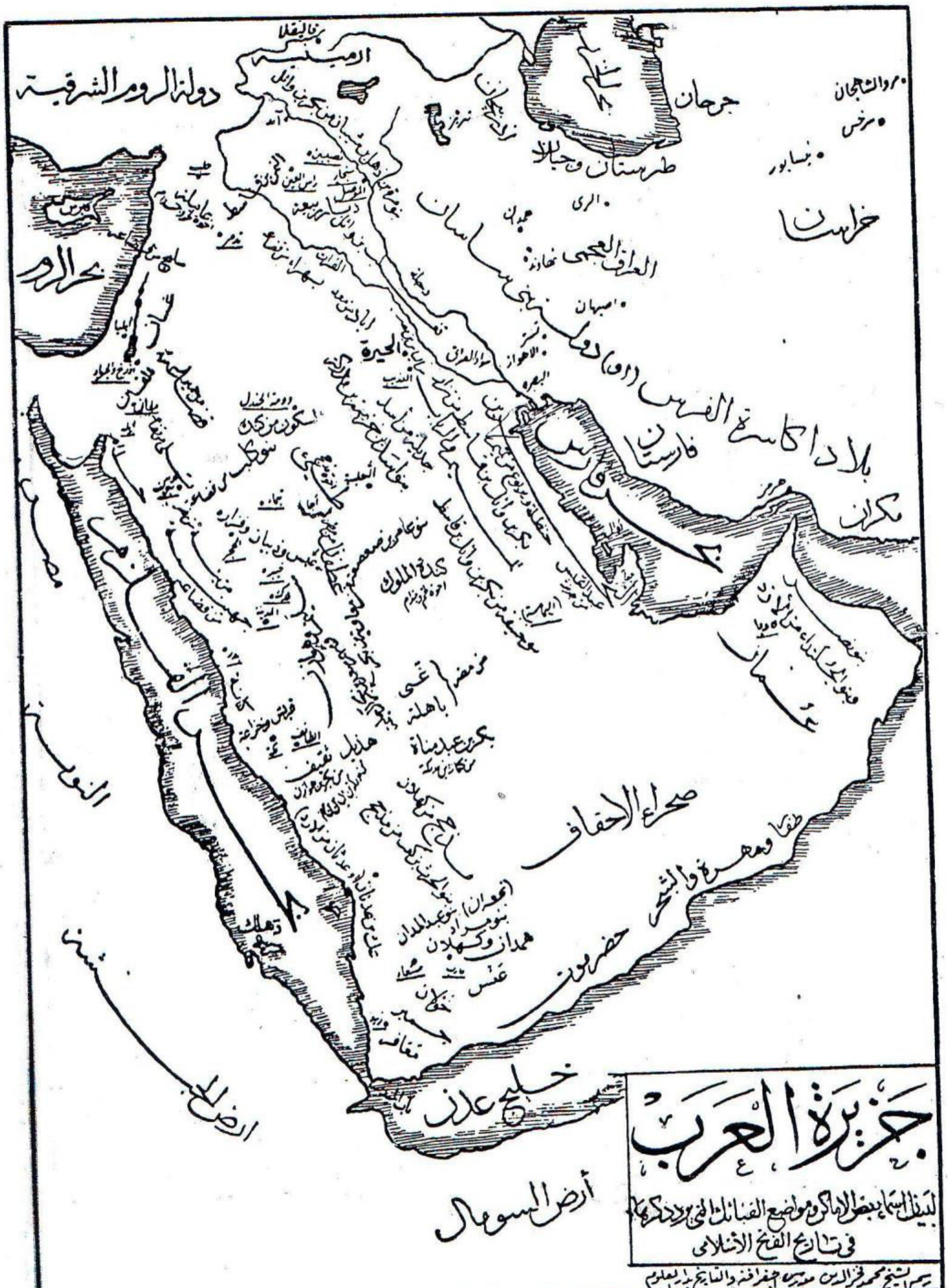

عارف(عبدالغني)،تاريخ الحيرة في الجاهلية والاسلام،دار كنان للطباعة والنشر،دمشق،1993،ص700.

الملحق رقم 03

مخطط حفريات الحيرة

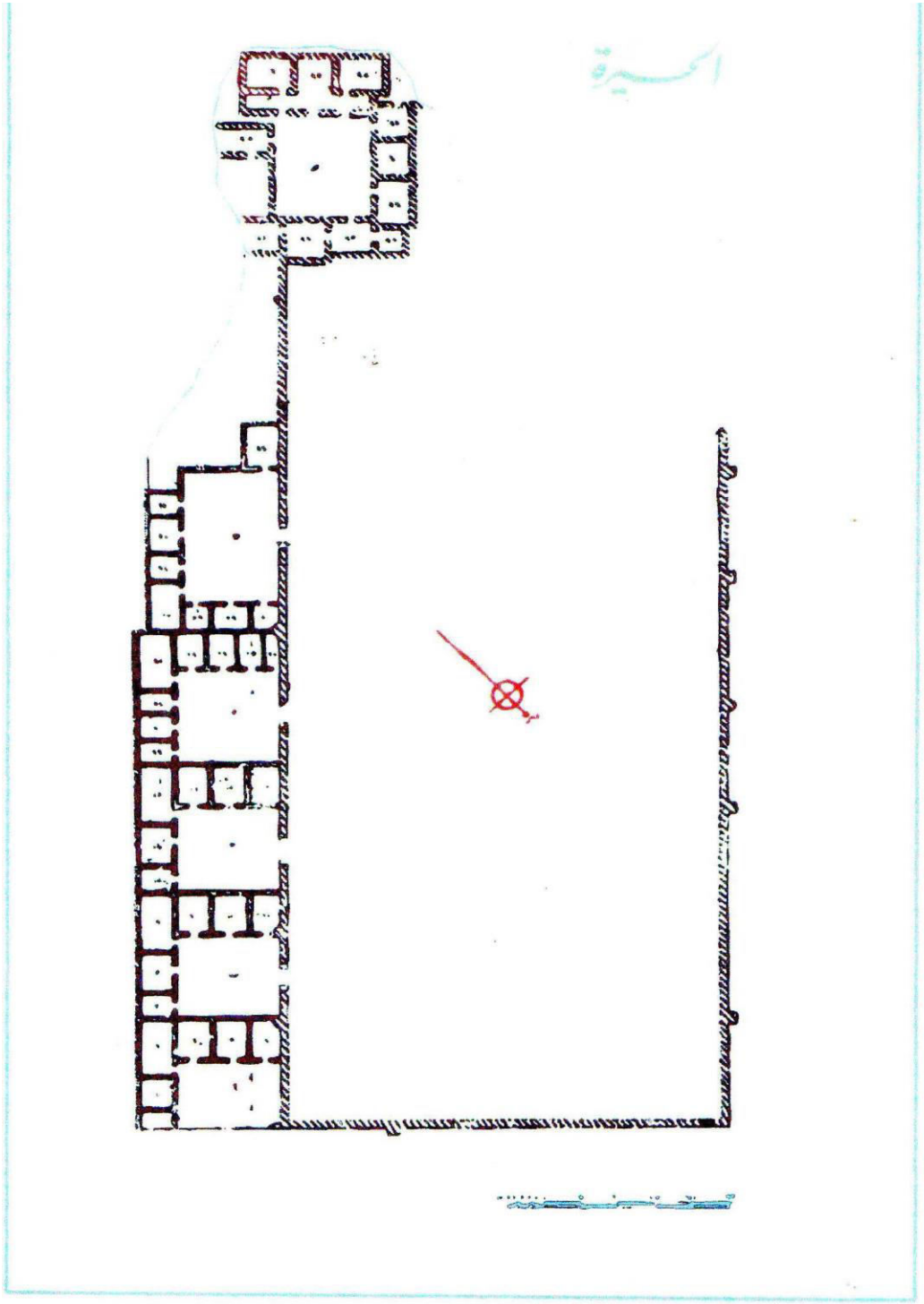

محمود(علي)،تنقيبات في الحيرة،مجلة سومر ،ج1،مج1،1946،ص33.

الملحق رقم 04

حدود الدول العربية الشمالية القديمة

فيليب(حتّي)،تاريخ العرب(مطوّل)،ج1،ط4،دار الكشاف،1965،ص91.

الملحق رقم 05

الإصطلاح الأجنبي لجزيرة العرب قبل الاسلام

Sergio.n,Bruno.c et d`autres,L`Arabie avant l`Islam,Edisud,Paris,p92.

الملحق رقم 06

قطعة من حائط عمودي لدخل قصر الأبيض

ديسو(رينيه)،العرب في سوريا قبل الإسلام،تر،عبدالرحمان الدواخلي ومصطفى زيادة،وزارة التربيةوالتعليم، دمشق،1959،ص30.

الملحق رقم 07

قطعة مزخرفة من قصر الأبيض

ديسو(رينيه)،العرب في سوريا قبل الإسلام،تر،عبدالرحمان الدواخلي ومصطفى زيادة،وزارةالتربيةوالتعليم، دمشق،1959،ص31.

الملحق رقم 08

أهم القبائل العربية قبل الإسلام ودياناتهم

أبوشارب(مصطفى فتحي)،العلاقة بين العرب والفرس وآثارها على الشعر الجاهلي،ط1،دارعالم الكتب، الرياض،1996،ص52.

الفهرست

الفهرست :

مقدّمة .....أ

الباب الاول : مميزات الحياة العامة في دولة المناذرة

تمهيد.....04

الفصل الاول : الحياة السياسية

1- لمحة عن نشأة وتأسيس مملكة الحيرة 09

2- التطور السياسي للمملكة 27

الفصل الثاني : الحياة الاجتماعية والاقتصادية

1- الحياة الاجتماعية 74

2- الحياة الاقتصادية 94

الفصل الثالث : الحياة الدينية والثقافية والفكرية

1- الحياة الدينية.....109

2- الحياة الثقافية والفكرية 126

3- العمران في الحيرة 131

4- الطب والبيطرة 144

5- معارف اخرى 146

الباب الثاني : الشعر في دولة المناذرة وقيمته التاريخية

الفصل الاول : الشعر واهميته التاريخية واسباب ازدهاره في دولة المناذرة

1- تعريف الشعر 151

2- الاهمية التاريخية للشعر ومكانته عندالعرب.....158

3- جهود النقاد والشراح في توثيق الشعر 162

4- مراحل تطور الشعرعند العرب.....165

5- اسباب ازدهار الشعر في دولة المناذرة 170

الفصل الثاني : موضوعات الشعر في بلاط المناذرة وقيمتها التاريخية

1- تقسيم الشعر 188
2- موضوعات الشعر 190
الفصل الثالث : خصائص الشعر وتراجم نماذج من الشعراء
1- الخصائص المعنوية الفنية للشعر في دولة المناذرة.....231
2- الخصائص اللفظية.....241
3- الدراسة النقدية للشعر في بلاط المناذرة 244
4- تراجم نماذج من الشعراء 248
الباب الثالث : النثر وقيمته التاريخية في دولة المناذرة
الفصل الاول : نشأة النثر والقصة
1- نشأة التدوين والنثر 266
2- الأمثال والقصة في دولة المناذرة وقيمتهما التاريخية 280
الفصل الثاني : الخطابة وفنون النثر الأخرى
1- الخطابة 308
2- الوصية والتعزية..... 330
3- المناظرة 334
4- فنون نثرية اخرى 338
الخاتمة 347
البيبلوغرافيا..... 351
الملاحق 364
الفهرست.....373